الكتاب الدوري لمجلة دراسات وأبحاث

-العدد الثاني-

صناعة المخطوط

الواقع والآفاق

الجزء الأول

جمع و إعداد : الـــدكتور عطـــاء الله فشار

الدكتور لحرش اسعد المحاسن

الإيداع القانوني : 2009/6013

أعمال الملتقى الدولي الأول 23-24 ابريل 2012 بجامعة زيان عاشور الجلفة- الجزائر


نسخة غير قابلة للطباعة

مجلّة دراسات و أبحاث -مجلّة دولية علمية محكّمة
الكتاب الدّوري الثّاني للمجلّة

إعداد : د. عطاء الله فشار و د. لحرش أسعد المحاسن

علم صناعة المخطوط
الواقع والآفاق ج1

أعمال الملتقى الدولي الأول 24/23 أفريل 2012

منشورات مركز الحكمة
2012

ديباجة

الدكتور :فشار عطاءالله

الدكتور:لحرش أسعد المحاسن

المخطوط هو ذاكرة الأمة فيه ماضيها وعليه يبنى حاضرها ومستقبلها . ولقد حضيت الأمة العربية الإسلامية بعدد هائل من المخطوطات يقدره الدارسون بثلاثة ملايين مخطوط جزء كبير منه ضائع في مكتبات أجنبية وخاصة أو لا يعلم له مكان . ورغم الحروب و الكوارث التي ألقت بمآت الآلاف من المخطوطات في نهر دجلة على يد التتار و حرق عشرات الآلاف على يد الإسبان عند سقوط غرناطة فقد بقي عدد هائل من المخطوطات بمختلف أنحاء العالم، في مصر وتركيا وإيران وغيرها من دول العالم ، تحدثنا عن ماضي الأمة و مجهودها الحضاري .

وبتطور وسائل الطباعة وبتطور مختلف العلوم المنهجية و غيرها بوجود وسائل التواصل المتطورة من انترنت وغيرها وجب على الدارسين بذل مجهود أكبر للحفاظ على ذاكرة الأمة .

وينبغي الاعتراف بتطور الغرب في علم المخطوطات بسبب التعامل مع المخطوطات الإغريقية و اللاتينية منذ فترة طويلة و بسبب التطور العلمي الهائل الذي استفاد منه علم المخطوطات فنشأ عندهم علم المخطوطات أو **الكوديكولوجيا codicologie**.

وهو علم يهتم بصناعة المخطوط وتطور ها عبر الزمن وهو لا يكاد يوجد عندنا فالمخطوط عندنا هو النص فلم نهتم بالوعاء الحامل للنص أوالمعلومات التي تستفاد منه إلا نادرا .

كما أن الغرب استفاد من تطوره العلمي فوضفه في علوم المخطوطات ونشأ عندهم : **علم النقد الجيني للمخطوط** أو.

critique génétique des manuscrits.

وهو علم يعتني بتحليل المخطوط منذ نشأته كفكرة إلى أن أصبح واقعا مخطوطا بالاستفادة من مختلف نسخ المخطوط الواحد المكتوبة بخط المؤلف **autographe** وهو علم لا يكاد يذكر عندنا .

وللمغرب العربي خصوصيته في صناعة المخطوط والحفاظ عليه باستعمالهم الرق مدة طويلة والسماق الخاص بهم كحبر وأشياء أخرى فينبغي التطرق إلى ذلك .

الإشكالية

من هنا جاءت الحاجة إلى تنظيم ملتقى دولي يشارك فيه عدد من المتخصصين في الجوانب المختلفة للموضوع بغية الاستفادة و المساهمة في تأسيس لعلم عربي للمخطوط قد لاحت بعض ملامحه .فالملتقى يعالج الإشكاليات التالية :

. ما مدى اهتمام الباحث العربي والمؤسسات المعنية بالتراث بعلم صناعة المخطوط العربي ؟

. هل يمكن الاستفادة من النقد الجيني في دراسة المخطوط العربي؟

. كيف نساهم في الحفاظ على المخطوط بالوسائل التقنية الحديثة؟

الأهداف

يهدف الملتقى إلى التعريف بعلم المخطوطات والدراسات الغربية و العربية في هذا المجال .

ويهدف إلى التعرف على مختلف المناهج المستعملة في علم المخطوط.

كما يهدف إلى التطرق إلى خريطة المخطوط المغربي للمساهمة في حفظه وفهرسته تماشيا مع أهداف المخبر.

المحاور

<u>المحور الأول</u> : دراسة نظرية (تعاريف منهجية الخ).

<u>المحورالثاني</u> : دراسة واقعية (مسح للمخطوط فهارس الخ)

<u>المحور الثالث</u> : دراسة مستقبلية (آفاق وسائل حديثة الخ) .

رئيس الملتقى د. لحرش أسعد المحاسن جامعة الجلفة

رئيس اللجنة العلمية

د. حمادي نورالدين جامعة الجلفة .

***<u>أعضاء اللجنة العلمية</u>*:**

أ.د.بوزيدي كمال	جامعة الجزائر
أ.د.مبروك زيد الخيل	جامعة الاغواط
د.خوجة ناصر	جامعة الجلفة
د.حمام زهير	جامعة الجلفة
د. أسعد المحاسن لحرش	جامعة الجلفة
د. فشار عطاءالله	جامعة الجلفة
د. خالدي خيرة	جامعة الجلفة
د. عزالدين مسعود	جامعة الجلفة
د.بن داود إبراهيم	جامعة الجلفة
أ. شلالي رضا	جامعة الجلفة
أ.بشيري عبد الرحمن	جامعة الجلفة

كلمة رئيس اللجنة العلمية: الدكتور حمادى نور الدين

السيد رئيس الجامعة ، السيد رئيس الملتقى ، زملائي الأساتذة ، إخواني الطلبة ، أيها الحضور الكريم السلام عليكم

أما بعد : إن الحديث عن المخطوطات ، هو حديث عن تراث الأمة و إبداعاتها عبر الزمن .

و لاشك أن المخطوط هو مرآة للعطاءات العربية و الإسلامية على مدى التاريخ ، و هنا يمكن أن نميز بين أربعة مراحل مرت بها المخطوطات العربية :

1. مرحلة الاستكشاف : نقل الكتاب المخطوط الى مطبوع.
2. مرحلة الاجتهاد : إخراج النصوص.
3. المرحلة التجارية : تسابق دور الطبع لإخراج الكتب.
4. مرحلة نعيشها اليوم : مرحلة التدقيق العلمي.

و هذه المرحلة أدت الى ظهور علماء مختصين في حزمة المخطوطات انبثقت عنها علوم منها :

- علم صناعة المخطوط كوديكولوجيا CODICOLOGIE.
- علم النقد الجيني CRITIQUE GENETIQUE للمخطوط و هو علم يهتم بتحليل المخطوط منذ نشأته كفكرة الى أن أصبح واقعا .

و إذا كان علم الفيلولوجيا يعنى بدراسة النصوص الأدبية دراسة علمية ، فإن علم صناعة المخطوط كوديكولوجيا هو علم جديد حتى بالنسبة للغرب ، و أول كتاب في الموضوع وضعه البلجيكي جاك لومير JAQUE LOMMERT في أواخر 1980 ، و قبل ظهور مصطلح الكوديكولوجيا كانوا يستعملون مصطلح PATEOGRAPHIE ،(PATIO) : القديم (GRAPHIE): الكتابة "علوم الكتابة القديمة" ثم اقتصر مؤخرا على الخطوط القديمة في حين أن كوديكولوجيا : هي دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية حية ، و لا يستطيع الفيلولوجي أن يحقق نصًا ما لم يحدد الظروف المادية التي نشأ فيها ، و لهذا دعا البعض الى استبدال مصطلح كوديكولوجيا بعبارة أركيلوجية الكتاب .

أيها السادة الحضور :

إن أول مؤسسة لدراسة المخطوطات أنشئت في باريس 1937 "معهد النص و تاريخ النصوص" من دون أن تكون هناك أي مبادرة عربية.

و إذا كانت معارف علم المخطوط قد استقرت لدى الفرس ، فإنه ما زال ضبابيا عندنا.

و لأجل ذلك يأتي هذا الملتقى الدولي الأول حول علم صناعة المخطوط الواقع و الآفاق ليجيب عن الإشكالية التالية :

هل لهذه العلوم الحديثة جذور في تراثنا العربي ، و هل يمكن اعتبار مثلاً: كتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي" الذي تحدث فيه عن عدد من مواد الكتابة و أدواتها إرهاصًا لهذا العلم؟

. ما مدى الاستفادة من التقنيات و البحوث الغربية في خدمة المخطوطات العربية ، في عالمنا العربي و الإسلامي؟

. ما العلاقة بين علم المخطوط و الفهرسة ؟

. ما مكانة صناعة التسفير و فنونها ؟

. ما هي خصائص المخطوطات العربية و آفاقها المستقبلية ؟

لأجل هذه التساؤلات ، و غيرها يتشرف مخبر المخطوطات بجامعة زيان عاشور بأن دعا نخبة من الباحثين من الدول العريقة الشقيقة من السعودية و مصر ، الأردن ، و تونس و المغرب ، و من الجامعة الوطنية ليقدموا إسهاماتهم في هذا المجال .

و في الختام الشكر الموصول للسيد رئيس الجامعة و من ورائه لكل الطاقم الإداري الذين بذلوا كل ما في وسعهم لإنجاح فعاليات هذا الملتقى .

و الشكر أيضًا للسادة الأساتذة المحاضرين الذين نتشرف بالاستماع الى مداخلاتهم ، و لكل من حضر ملتقانا هذا .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

الدكتور حمادى نور الدين: رئيس اللجنة العلمية

فهرس المقالات

آفاق دراسة المخطوط بين الضّيق والسّعة:المخطوط الإباضي أنموذجا في المكتبات الخاصة في معاقل الإباضيّة بالجزائر وتونس وليبيا.

د.سناء الباروني

جامعة مندوبة تونس

إنّ مجادلة السّائد في التّعامل مع المخطوط[1] بالمغرب الإباضي موقف نقديّ يخترق المألوف، وأفق منهجي ومعرفي يتخطّى المتداول بحثا عن الجديد وتوقا للبديل في تحيين المعرفة بإرث مادي وفكري ضاربة جذوره في القدم من أجل ثقافة حيّة متطوّرة.

ونوجّه عنايتنا في هذا العمل إلى الفحص والاستقراء ثمّ النّقد للمخزون الإباضي في شكله المخطوط من خلال انموذجه بالجزائر وتونس وليبيا سعيا لطرح آليّات نظر جديدة كإضافات ملائمة ومطلوبة للتّعامل مع هذا النّوع من المؤلّفات بما هي فضاء لا يزال بكرا في العديد من جوانبه.

وإذا كان المخطوط الإباضي المغاربي بوادي ميزاب الجزائري وجزيرة جربة التونسيّة وجبل نفوسة الليبي هو وعاء لمضمون فكري وحضاري مشترك له مميّزاته وخصوصيّاته، فإنّه في شكله موضوع معرفة أخرى لها قوانينها ومميّزاتها وخصوصيّاتها أيضا.ذلك أنّ سيرورة حياة هذا المخطوط ليست سوى انعكاس لسيرورة فكر ظهرت أسس مدرسته منذ النّصف الثّاني من القرن الأوّل للهجرة في خضمّ أحداث الفتنة الكبرى وما عقبها من وقائع كانت وراء ظهور الفرق الإسلاميّة [2].والإباضيّة واحدة من بين تلك الفرق التي أدلت بدلوها عقائديّا وسياسيّا وفكريّا على وجه الخصوص منذ ذلك الزّمن، وقد صان أتباعها الّذين انحدروا من صلب المحكّمة [3] أصول فكرهم ومبادئهم ونشر أئمّتهم[4]تعاليم الدّين عبر حملة العلم الذين جابوا الأمصار مشرقا ومغربا لنشر أصول مذهبهم عقيدة وفقها.

---

[1]–المخطوط هو كلّ مصنّف أو تأليف قديم كتبه مؤلّفه بخط يده أو عن طريق غيره كأحد تلاميذه أو النّساخ المعاصرين له أو الّذين جاؤوا من بعده. والمخطوط العربي هو الكتاب المخطوط بخط عربي سواء أكان في شكل لفائق أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس. ر، عبد السّتّار الحلوجي: المخطوط العربي.مكتبة الصّباح، الرياض، الطبعة الثانية 1989، ص 15.

[2]–عن الجذور التاريخية للإباضية ر، سناء الباروني: البعد الحضاري لنماذج من الفقه الإباضي: دار الجويني للنّشر تونس ط2 2011، ص ص: 6- 18

[3]– " السّبب الذي له سمّوا محكّمة إنكارهم الحكمين وقولهم لا حكم إلاّ لله " الأشعري: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين. ج1/ ص 207.

[4]– من أئمّة الإباضيّة المؤسّسين لدعائم المذهب: جابر بن زيد (21-93هـ/ 642-712م)وعبد الله بن وهب الراسبي (ت38هـ/658م) وعبد الله بن إباض (ت86هـ/ 705م) وأبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة(145هـ/762م).

وقد كانت المخطوطات الإباضيّة ولا زالت السجلّ الحافظ لتلك الأصول وأمسكت بناصية انتظام كلّ النّتاجات الفكريّة ونقلت نواميس الحراك التّاريخي والسياسي والاجتماعي والعلمي والمعرفي الذي عاشه أصحابها عبر الأزمنة .

ومنطلق معالجتنا ورؤيتنا لآفاق دراسة المخطوط الإباضي بين الضّيق والسّعة هو حضاري، وهو ممّا نعتبره محسوما في تحديد قيمة الإرث الإباضي المخطوط، ولكنّه لامناص من مجرّد التذكير ببعض الحقائق التّاريخيّة التي من خلالها نقف على الخصائص الفارقة في تاريخ المعرفة والفكر الإباضيّين والذي نلج إليه من خلال الإرث المخطوط باعتباره السّياج الحاضن لمقوّمات المذهب الإباضي وفي ذات الوقت هو مفتاحه شكلا ومضمونا،، وباعتباره كذلك سجلاّ حافظ الأصول فكريّة أهمّ سماتها أنّها ذات أبعاد حضاريّة واسعة ملموسة في الكثير من جوانبها على أرض الواقع [1]، وهو ما من شأنه أن يجعل هذه الأصول في أمسّ الحاجة إلى الاستقراءات وتفجير مكنوناتها التي حافظ عليها أصحابها عبر الأجيال فكريّا وسلوكيّا، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ باستدعاء المصنّفات المخطوطة استدعاءً سببيّا بماهي الدّال على مدلولات الفكر الإباضي وبما هي أيضا الوجه الماديّ هذا لفكر في خصوصيّاته ليصبح البحث في إشكالية المخطوط قائما على فكرة التعاقد الضمني بين حيثيات الواقع الذي يأوي هذا الموروث وهو الأفق الضيّق الذي يكشف لنا الحراك القائم إزاء المتون المخطوطة وبين ماهو متاح نظريّا وإجرائيّا وهو الأفق الواسع الذي يمكن أن تدركه ديناميكية التفاعل مع تلك المتون.

ولعلّ من بديع خواصّ جنس المخطوطات عموما والإباضية خصوصا أنّها تمثّل في الآن ذاته مادّة فحص وأداة للدّرس فيه ومنه وعليه.وهذا الصّنف من المؤلّفات لا يمنع من حيث المبدإ والإجراء أن تصطنع من خلال ظروف بيئته مناهج نظر جديدة وأدوات قراءة حديثة توجّه إلى ابتكار أصناف لمباحث علمية وثقافية تضيف للسّائد المألوف وتتوسّل بالجديد العلمي في الحفاظ على الجنس من المؤلّفات والنّصوص.

و قدتجلّت أولى صور هذا الحفاظ في الأوساط الإباضيّة بالمعاقل التي حدّدنا [2] في وجهة منه ماديّة، من خلال الحفاظ على الإطار المرجعي لتاريخهم وفكرهم.فكانت المخطوطات على اختلاف مواصفاتها ومواضيعها وأزمنتها وحتّى أماكن تواجدها عيارا ثابتا لا حدود لمسؤوليّته في صيانة الموروث الفكري وفي بناء المعرفة عن الفكر الإباضيالتي لا تفتأ أن تتراكم من جيل إلى جيل بأقلام إباضيّة وأخرى غير إباضيّة. ويتّسع بنا المقال لو أردنا عرض مختلف المخطوطات الإباضيّة التي اكتنزت أصول الفكر الإباضي،ولكنّ المقام يضيق بنا ولامناص لأيّ مسترشد أو باحث في الفكر الإباضي من إطلالة على بعض الفهارس يمكن أن تهديه للتعرّف على أهمّها دون ادّعاء حصرها أو الإحاطة بها كلّها[3]، تثبت غزارة الموروث الفكري المخطوط بالمغرب الإباضي، وتثبت إلى جانب ذلك أنّ

---

[1] –ر، دائرة المعارف الإسلاميّة: الطبعة العربيّة: فصل الخوارج: م 8/ ص 474.

[2]– وادي مزاب بالجزائر، جزيرة جربة بتونس وجبل نفوسة بليبيا.

[3]–**ر مثلا**: فهرس المكتبة البارونيّة بجربة على الموقعالالكتروني : Al-Barouni.com. ر أيضا مخطوطات جبل نفوسة على الموقع www.taddart.org

المخطوط الإباضي باعتباره جزءا لا يتجزّأ من المخطوطات العربية، وبوصفه وعاءً ماديّامن ورقٍ ومدادٍ ونسخ وتجليدٍ، وممّا عدا النَّص من بيانات توثيقية أوما يُعرف بخوارج النّص، هو مجال بحث علمي لايزال بحاجة إلى الكثير من الجهود.

ولعلّه يكون من نافل القول التّذكير بشراكة العلاقات التّاريخيّة والفكريّة بين إباضيّة جنوب الجزائر وهم أهل وادي مزاب وبين إباضية جبل نفوسة بليبيا وبين إباضية تونس وهم أهل كلّ الجنوب التونسي قديما وأهل جزيرة جربة إلى اليوم. فكانت متون المصنّفات المخطوطة في هذه المعاقل الجغرافيّة الثّلاثة وحتّى في بعض أشكالها مثل الرّسائل[1] والرّدود [2] مرآة عاكسة لبصمات تلك الشّراكة وذلك الامتداد المشترك تاريخيّا وسياسيّا وفكريّا وحضاريّا، وفي الآن نفسه هي شكل من المصنّفات تقدّم للمستقرئ والمحقّق فيها والنّاقد حصيلة من الإبداعات والجهود العقليّة وصورا من البنيات الذهنيّة داخل لغة عربيّة فصحى تفاعل أصحابها من شيوخ الإباضيّة وأئمّتهم وعلمائهم على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم مع مقتضيات عصورهم ووحاجيات المحيط الذي عاشوا فيه ونقائص المجتمع الذي توجّهوا إليه بالخطاب المدوّن وحتّى مع مخالفيهم من أصحاب الاتجاهات الفكريّة الأخرى وأئمّة المذاهب الإسلاميّة المختلفة .ولعلّه من المنهج أن نقف على أهمّ مميّزات هذا الإرث المخطوط في بنيته الدّاخليّة قبل أن نوجّه عنايتنا إلى رصد السّائد والمطلوب في الاشتغال به،ووفهم الأسباب المقنعة وغير المقنعة الكامنة وراء موقعه بين الضّيق والسّعة كمجال درس علمي.

ولعلّ أهمّ ما يميّز التراث المغاربي المخطوط في نسبته الإباضيّة أمران اثنان:

أوّلهما أنّه دار في مجمله حول صنفين كبيرين من العلوم:

1- علم مباحث الدّين من عقيدة وفقه وأصول فقه وما يتّصل بهذه العلوم من العلوم الوسائل كاللغة والتفسير والأدب منظومه ومنثوره والمنطق والفلسفة...إلخ

2- علم التّأريخ والسّير والاهتمام بتدوين الطّبقات وذلك صونا لسير الأئمة من مؤسّسي المذهب وبناة المدرسة الإباضية الأوائل إلى من تلاهم عبر الأزمنة من رجال العلم سيّما وأنّ الإباضيّة قاسوا من الإقصاء والتهميش وحتّى الإبادة عبر تموّجات أنظمة الحكم ببلاد المغرب العربي.

أمّا من حيث شكلها العامّ فيمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع كبرى من الأجناس الكتابيّة:

---

[1]– الرّسائل: هي ماكان يبعثه شيوخ الإباضية من جربة ومزاب ونفوسة فيما بينهم من مراسلات تحتوي على أسئلة عقديّة أو طلبا لفتوى فقهيّة... وقد ذكر هذه الرّسائل المبرّد في كتابه: الكامل في اللغة والأدب. مكتبة المعارف. بيروت. ج2/ ص ص 176- 180.

[2]– الرّدود: تحتوي على جوابات المشائخ والعلماء في خصوص الأسئلة والاستفتاءات المطروحة عليهم أو في الردّ على رسائل من غير الإباضية. ونذكر منها على سبيل المثال: رسالة الردّ الناكثة وأحمد بن الحسين لعمروس بن فتح (ق2هـ/ 8م) أو رسالة الردّ على المخالفين لعبد الله بن أبي عثمان سعيد الصدغياني (ق 7هـ/ 13م). هذه الردود موجودة بالمكتبة البارونية بجربة ضمن مجموع مخ

- **المناظرات والرّدود**:وهي غالبا ماكانت في الدّفاع عن آراء المذهب الإباضي ومقالاته ردّا على التهجّمات والطّعون التي طالت الرؤى العقديّة كجوابات الإمام جابر بن زيد[1] وكمناظرات عبد الله بن إباض مع الخوارج وغيرها.
- **الدّواوين والموسوعات**[2]: وهي مرحلة البدايات في تأصيل قواعد المذهب الفقهية وكان التصنيف فيها مجهودا جماعيّا تعمّق من خلاله اشتغال أئمة الإباضية بمباحث الدّين تأصيلا وتعليلا.

–الكتب والمصنّفات: وهي مرحلة النّضج في الفكر الإباضي.وهنا كان التصنيف الفردي حيث ظهر في كلّ عصر من كان يجمع بين التصنيف والتدريس أو من يطرح ما أصّله السابقون من أئمة المذهب الأوائل طرحا لا يخلو من جدّة وتوّجه هؤلاء في كتاباتهم إلى تنضيد كلّ مراحل التفكير العقدي والاجتهاد الفقهي منذ ظهور الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية وكانوا يخطّون الأسفار وينسخون أو ينسخ عنهم قرّاؤهم الذين كانوا يعون وعيا صارما بقيمة التّدوين نهجا أساسيا للحفاظ على الهويّة والتوجّهات الفكرية والحضارية بحيث انبرت المخطوطات المتزايدة في كمّها تبين أنّ العلم والمعرفة سبيلا سلكته عقول وأقلام مبدعيها لتعزيز وجودهم الحضاري وأنّ المخطوطات الحاوية لتلك العقول والأقلام قد تجمع إلى جانب وظيفتها الإخباريّة عن واقع الإباضيّة أداء الوظيفة الإبداعيّة.

–الشروح والحواشي والتعليقات[3]: هي مرحلةبلغت ذروة النّضج والغزارة في المادّة الفكريّة الإباضيّة، وانساق المصنّفون يشرحون المتون ويحشّون عليها ويعلّقون، بل بلغ بهم التّرف الفكري كما بلغ بغيرهم إلى أن اختصروا الشّروح وشرحوا المختصرات.

–الرّسائل والرّدود والجوابات[4]: وهي كثيرة ومختلفة المواضيع وعادة ما توفّر بين أيدي المتقبّل نصوصا إباضيّة متنوّعة كأدلّة إقناع أوبراهين يحاجج بها صاحب الرسالة أو الردّ الطّرف المتقبّل.

كما يمكن أن نميّز من حيث مقاصد المصنّفات المخطوطة بين ثلاثة أنواع كبرى:

المصنفات الاجتهادية التأصيلية[5] والمصنفات التعليميّة [1] ثمّ المصنّفات الدّفاعيّة.[2]

---

[1]– مخ بالمكتبة البارونيّة الحشّان جربة ضمن مجموع من ص ص 63 –80. بكلّ ص 24 سطرا. المقاس: 12/17 صم.

[2]– أهمّها ديوان العزّابة في القرن 4هـ/10م الذي ألّفه من سبعة الفقهاء بغار مجماج بجربة. ر، أحمد الشمّاخي: سير المشائخ.ط حجريّة القاهرة: 1301/ 1883 ص ص 400– 402: ر، أيضا فرحات الجعبيري: نظام العزّابة عند الإباضيّة الوهبيّة بجربة: المعهد القومي للآثار والفنون. المطبعة التاريخيّة 1975. ص ص 186 –170.

[3]– هي كثيرة نذكر من أشهر أصحابها محمّد بن عمر بن أبي ستّة (ق11هـ/ 17م) المشهور بالمحشّي لكثرة حواشيه.

[4]– نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: رسالة في مبادئ عزّابة غرداية: مخ بمكتبة با عمارة بقرية مليكة بغرداية 8 ص. دت. وقد أشار إليها لويكي في دائرة المعارف الإسلامية فصل حلقة: الطبعة الجديدة ص 100. ردّ أحمد الشمّاخي (928هـ/1522) على تبغورين بن عيسى الملشوطي(ق6هـ/12م): **مخ** بالمكتبة البارونيّة 52 ص بكلّ صفحة 24 سطرا. المقاس: 12/17.5 صم. د.ت.

[5]– ديوان الأشياخ مرجع سابق ص 6.

غير أنّه حريّ بنا في ضوء الوعي العميق بجسور التواصل بين الموروث الفكري الإباضي الليبي التونسي الجزائري أن نعرض لنقاط عريضة ثابتة وأخرى متحوّلة في المخطوطات الحاوية لهذا الإرث الفكري المشترك انطلاقا من تحديدنا لأصناف المراس القائمة فيها من قبل الباحثين قبل أن نطرح آفاقا مطلوبة تجاهها وأوّلها هو:

_ أنّ المخطوط الإباضي مرآة محيطه الذي ظهر فيه والذي وجد فيه: ذلك أنّ كلّ مخطوط يمكن أن يكون قد ظهر في وسط جغرافي ولكنّه حفظ في مكان مغاير، فهو عبارة عن بطاقة تعريف فيها جوانب جليّة وأخرى مشفّرة عن الوسط الذي وجد فيه، والباحث ههنا المهتمّ بدراسة أي مخطوط كان، مطالب بتوثيق الجليّ وإجلاء الخفيّ عن المخطوط الذي بين يديه فيفحص ظروف ظهوره ويستقرئ ظروف المحيط الذي حافظ عليه عهودا طويلة وهذا ما يتساوق مع مقاصد عمله باعتبار أنّ بحثه يروم إنتاج المعرفة على نصّ قديم في شكله ومحتواه مميّز في صورته الماديّة أكثر أحيانا من تميّزه في صورته المضمونيّة.

وتكون أولى منطلقات العمل حينئذ هو الاهتمام بهذا الصّنف من المؤلّفات في نسيجها الخارجي.وهنا تكون الدّراسة علميّة بحتة تعنى بمكان وجود المخطوط وبوصف سبل الحصول عليه ثمّ تكون العناية بالمواصفات من مقاس ونوع خطّ وعدد صفحات وعدد أسطر وعدد الأوراق الناقصة وعدد المتآكل منها وذكر الناسخ ومكان النسخ وتاريخه وما تصدّر به المخطوط وما اختتم به من كلام صاحبه أو ناسخه....، بيد أنّ افتقار العديد من المخطوطات لأهمّ البيانات المؤطّرة لحركة ظهوره ونسخه وبيان تاريخه ومكانه ما يدعو اليوم إلى توظيف علم النقد الجيني للمخطوط[3] وهو العلم الذي يهتمّ بتحليل سيرورة المخطوط منذ ظهوره فكرة إلى غاية أن أصبح واقعا مخطوطا وذلك باستثمار مختلف نسخ المخطوط الواحد المكتوبة بخط المؤلف.و لعلّ توظيف هذا النّقد الجيني هو ما سيسعف نقائص العديد من المخطوطات الإباضيّة للإحاطة بكلّ أسباب النّشأة والكشف عن ظروفها وهو ما سيضيف لما هو كائن في المخطوط بالفعل كلّ ما هو صائر فيه بالقوّة.وهذا ما سيثري في اعتقادنا خفايا دقيقة عن الأصول الإباضيّة التي اضطربت في تدوينها كتب الملل والنّحل أو التي بقيت بحاجة لمزيد الدّعم والإقناع في كتابات الباحثين المطّلعين على المصادر الإباضيّة المخطوطة والذين أعوزتهم أحيانا ضبابيّة بعض البيانات فيها.

_ أنّ المخطوط الإباضي عالم مخصوص في شكله ومضمونه باعتبار أنّ أصحاب الفكر القائم فيه كانوا أقليّة كابدت الكثير من الإحن والفتن ممّا يجعل فكرهم وهو قائم إلى يوم الناس هذا ذا قوّة في شعائره وشرائعه،

---

[1]– على سبيل المثال أبا عمرو عثمان المارغني السّوفي (ق6هـ/12م) كتاب السّؤالات: مخ بالمكتبة البارونيّة. خط مغربي واضح: 323 ص.18 سطرا بكلّ صفحة. (16.5/ 13صم) دون ذكر الناسخ ولا تاريخ النّسخ.

[2]هي كثيرة نذكر منها رسالة أبي عبد الله الصّدغياني (ق7هـ/ 13م) لأهل وارجلان: مخ بالمكتبة البارونيّة. 22ص. 25 سطرا بكلّ صفحة. المقاس 16/ 12 صم تاريخ النسخ: 1226/ 1811.

[3]–**علم النقد الجيني**: هو علم يهتمّ بتحليل سيرورة المخطوط منذ ظهوره فكرة إلى غاية أن أصبح واقعا مخطوطا وذلك باستثمار مختلف نسخ المخطوط الواحد المكتوبة بخط المؤلف.

ويجعل بذلك الوعاء الحاوي لمقوّمات هذا الفكر وهي المخطوطات النادرة يزداد كلّما تقدّم الزّمن قيمة ماديّة وروحيّة.ولعلّ ندرة بعض هذه المخطوطات قد يجعل حجم المسؤولية أثقل في كيفية التعامل معها.

ـ أنّ المخطوط الإباضي بالجزائر وتونس وليبيا هو جزء من كلّ إسلامي حضاري، وفي ضوء هذه العلاقة الاحتوائيّة، يكون عزل هذه المخطوطات أو استثناؤها من الكتابات والدّراسات الشّاملة لفكر الفرق والمذاهب سببا في جعل جزء من الإرث الإسلامي مبتورا.

ـ أنّ المخطوط الإباضي هو عصارة أزمنة متفاعلة: زمن أوّل عاصر هذا المخطوط في نشأته وظهوره تلته أزمان حافظت فيها أجيال الإباضية على إرث استوفى الديناميكية الفكرية والإبداعية التي عرفها الفرقة الإباضية منذ ظهورها لكنّها تظلّ دائما وأبدا لمتابعة مسؤولة لصيانة تلك الدّيناميكيّة من الضّياع والتّلف أو من الحجب والنّسيان.

ـأنّ المخطوط الإباضي يختلف شكل تواجده بين معاقله الإباضيّة فالمكتبة الخاصّة بجربة مثلا هي ما يقابل الملكية الخاصّة للمخطوطات بوادي مزاب أي أنّ المخطوط قد يكون في حوزة عائلة معيّنة تخصّص لها غرفة يمكن أن تزار بإذن قيّم من تلك العائلة ولا يمكن لأي كان نيل المخطوط أو استنساخه إلا بصعوبة كبرى وهو حال المكتبة البارونيّة ومكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بجربة.بينما يتّسع مفهوم المكتبة الخاصة بمزاب ليكون المكان المخصّص لاستقبال القرّاء أو الباحثين وتمكينهم مباشرة أو بوساطة خفيفة من استنساخ المخطوط كمكتبة الشيخ اطفيّش ومكتبة عمّي سعيد الجربي بغرداية وغيرها .أمّا عن الملكية الخاصة للمخطوطات بوادي مزاب فهي قائمة عند المزابيين بكثرة [1] تتوارث العائلات المخطوطات أبا عن جدّ وقد تبقى هذه المتون رهينة البيوت ولا ترى مجالا للاستثمار والإفادة إلاّ من أهلها إذا كانوا من أهل العلم.ولا مناص هنا من حملات توعويّة لصيانة هذه المخطوطات المتقادمة سنة بعد سنة من التّلف أو تلاشي الأوراق البالية فيها وذلك بتحسيس أصحابها بضرورة جعلها محلّ العناية اللازمة لمثل هذا الصنف من المؤلفات دون أن ينتزع حقّ ملكيّتها منهم.

أمّا الحال بجبل نفوسة بليبيا فلا هو من هذا ولا هو من ذاك في جربة ووادي مزاب، باعتبار أنّ المخطوطات الإباضية عند أهل الجبل ما فتئ أصحابها يجمعونها اليوم لإخراج ما بقي منها إلى النّور بعد تغييب كامل عن الأنظار بسبب المضايقات السياسية التالدة التي أودت بإتلاف الكثير من المخطوطات أو حجزها ولكنّ نصيبا منها كتبت له السّلامة في صلب الأقدار التي تحفظ الإنسان وغير الإنسان.

ولكن إذا أردنا أن نحدّد إشكاليّة المصنّفات المخطوطة في هذه الأوساط وأزمة التّعامل معها ماديّا ومعرفيّا، كان لزاما من الوجهة المنهجيّة أن ننظر بمجهر الزّمن المكبّر لما هو مسكوت عنه أو ماهو مجهول لدى الكثير من النّاس، ذلك أنّه بغير هذا المجهر يمكن أن تضيع أزمة المخطوط الإباضي في غمار النّظرة اللاّموضوعيّة وغير الشفّافة، أو تقع أسيرة ضيق النّظر في الكشف عن وسط فكري ثريّ بتراثه ومخزونه في شكله المخطوط، أو يقف

[1]ـ ر، الملحق آخر العمل ص: 19

الكلام عند مستوى سرد النّقائص المعروفة وغضّ النّظر عن النّفاذ إلى لبّ المشاكل التي عاشها ويعيشها الإرث الإباضي المخطوط.

ومجهرنا هذا سيكشف لنا بمرآته التاريخيّة المقارنيّة والنقديّة أنّ أزمة المخطوط الإباضي حكمتها حُجُبٌ من صنفين:

1- حُجُب الشّروط السّياسية المؤطّرة لوضع فكري وحركية ثقافيّة عاشت في ظلّها الأوساط الإباضية بليبيا وتونس.فإباضيّة جبل نفوسة حجبوا المخطوطات وغيّبوها في ظلّ نظامهم السياسي السّابق الذي كان قامعا بشدّة للتراث الفكري الإباضي وذلك حرصا منهم على بقائها وخوفا من أن يتلف ما بقي لهم من إرث أجدادهم وفكر علمائهم وتحبيرات مشائخهم.

أمّا في تونس فقد كان الوضع عند الإباضية فيها أقلّ سوءا من إخوانهم بالجبل، لكنّ المراقبة كانت بدورها محكمة وشديدة على كلّ من يزور مكتبة إباضيّة خاصّة،حتّى أحجم أصحاب تلك المكتبات – وهي قليلة مقارنة بمثيلاتها في الجزائر – في مدّ يد العون للباحثين وطلبة العلم.ولذلك بقيت المخطوطات حبيسة الرّفوف عهودا طويلة باستثناء بعض البحوث الأكاديمية التي استغلّت جزءا يسيرا من المخطوط القيّم والنّادر الموجود فيها سيّما في المكتبة البارونيّة بقرية الحشّان بجربة.

2- حُجُب الإمكانيات الماديّة والتي تشترك فيها معاقل الإباضية بالجزائر وتونس وليبيا.

والمقصود بالإمكانيات الماديّة هو عدم توفّر أرضيّة مناسبة للوصول إلى المخزون الإباضي المخطوط واستثماره إجرائيّا،فلا مكتبات عامة تحتويه،ولا الخاصّة قادرة على استقبال الباحثين وتمكينهم من الاطّلاع والاستفادة.فبقاؤه رهين الرّفوف والخزائن الخاصّة قد أضفى ضلالا من الجهل وغيوما من الضبابيّة حول حقيقة هذه المخزون وحول قيمته التّاريخية والفكريّة في غير الأوساط الإباضيّة.و بقي في الأوساط الإباضية كمتحف لآثار السّلف وإبداعات الأجداد نادرا ما يفتح، وكموروث تتناقله الأجيال دون وعي بما يكتنزه من غزارة مادّة وزخم فكر. ولامناص أنّ امتداد هذا الحال من الجمود الذي يعيشه المخطوط الإباضي سينغمس مضمونه في قطيعة معرفية قد يصعب بعد ذلك رتقها لو تواصلت وامتدّت.

وفي ضوء هذا المنظور الحضاري الذي على اقتضابه لا مناص منه في هذا العمل، وفي ضوء ما كشفه لنا من القيمة الاستراتيجية التي يحظى بها المخطوط في جماع المخزون الفكري الإباضي، نلج إلى **النّقد الموجّه لطالب المخطوط الإباضي وللمطلوب منه:**

تجيئ هذه الانتقادات من منطلق واقع معيش في الأوساط الإباضية الحاضنة لمخزون ثريّ من المخطوطات القديمة والنادرة. والمقصود بطالب المخطوط هو كلّ باحث يروم الحصول على مصنّف مخطوط إما لاعتماده مادّة

بحث أو للاستشهاد به أو حتّى لمجرّد مطالعته والاطّلاع عليه أمّا المطلوب منه فهو كلّ فرد أو مجموعة امتلكت مكتبة خاصة كالمكتبة البارونيّة بجربة أو الكتبات الخاصة بجبل نفوسة بالقطر الليبي [1]

وننتهي في آخر مراحل عملنا هذا إلى المنظور الاستشرافي المأمول في التعامل مع المخطوط بالمغرب الإباضي، وهو تعامل يفرض جدلا مخصوصا بين نقائص الفكر الإباضي المخطوط وبين الوضع المعرفي والعلمي الجديد الذي غدا عليه الإباضيّة اليوم وقد أصبح يفرض طرائق مجدّدة ومضيفة في استثمار هذا الإرث المخطوط تلتقي مع ما يتمّ في ساحة المخطوطات العربية الأخرى.

ونلخّص هذا المنظور الاستشرافي في العنوان التّالي:

المخطوط في المغرب الإباضي: من أسئلة الانحسار إلى مغامرة الانفتاح الفاعل والمضيف.

فالمخطوط الإباضي يجيئ ههنا أرضيّة للتواصل المغاربي وحافزا معرفيّا للإبداع الفكري والأدبي يحمل على الاستلذاذ المعرفي المضيف، ويثير فضول غير العارفين بحقيقة الفكر الإباضي وأصوله، ويغذّي العارفين روحيّا وثقافيّا.

وهذا العنوان إنّما وضعناه انطلاقا من استقلاليّة المخطوط الإباضي وإمكانات متونه واغتناء فحوى نصوصه فبالإضافة إلى التّالد بما يخدم قضايا الواقع ويثري المنظومة الفكرية الإباضية كجزء لا يتجزّأ من منظومة الفكر والحضارة العربيّة الإسلاميّة.

ونقترح صياغة لعدد من الأعمال والبرامج الإجرائية الضروريّة للتعامل مع المخطوطات الإباضية بمنهج هو رهين التجديد العلمي والانتقال من سطح البناء العلوي للمخطوط إلى عمقه وذلك بوضع مفاتيح جديدة تيسّر كلّ إجحاف من الباحثين لخوض مغامرة البحث في هذا المخزون المتواري خلف الأقنعة النسبيّة للنحل والمذاهب والفرق.

أوّلا لابدّ من إيجاد نوعيّة من الفهارس الجديدة تضيف إلى جانب بيان مواصفات المخطوط العناصر التالية:

أوّلا: وضع مقدّمة موجزة لكلّ مخطوط: وتتلخّص وظيفة المقدّمة فيما يلي:

في مساعدة الباحث وتهيئته لدراسة محتوى المخطوط وذلك بإبراز أهمّيّة موضوعه وعلاقته المباشرة أو غير المباشرة بمستجدّات الواقع الثقافي والبحث العلمي مع تحديد موقع الموضوع الذي يحتويه ذلك المخطوط بين المخطوطات السابقة واللاحقة له في نفس الموضوع طبعا مع إمكانيّة اقتراح المدّة المناسبة لدراسة كلّ مخطوط بما يعين الباحث على حسن التخطيط لإنهاء عمله وتقديمه.

ثانيا: تحديد نطاق الدّرس في كلّ مخطوط: ويحدّد نطاق هذا الدّرس المتاح حول المخطوط في ضوء محتواه ونوعه (عقيدة – فقه – أصول فقه – أدب– سير – فكر سياسي....) أي بيان الدراسات التي أجريت حول هذا المخطوط واقتراح جدول من المواضيع التي يمكن إجراؤها عليه

[1]– انظر الملحق في آخر العمل ص 19-20.

ومن الممكن أن يحتوي تحديد هذا الجدول جملة من الأسئلة التي لا يتاح الإجابة عنها إلاّ بدراسات وبحوث جديدة حول هذه المخطوطات.

ثالثا: بيانأولويّة بعض المخطوطات دون غيرها للفحص والنّظر والاعتناء وفق حاجات الساحة الفكرية والمعرفية للمجتمع ووفق حتّى حجم الدّراسات حولها.

رابعا: تحديد أولويات الاشتغال على كل صنف من المخطوطات فهنالك مخطوط هو في حاجة إلى تحقيق وهنالك ما هو بحاجة إلى عمل مقارني أو إلى عمل نقدي أو إلى التعريف به أو إلى إنتاج المعرفة عليه إلى غير ذلك من آفاق الدّرس الأكاديمي والدّرس العلمي بصفة عامة

خامسا: توفير الإمكانيات الماديّة والمعرفيّة لتشجيع طلبة العلم على مراس المخطوطات سيّما وأنّ جلّ الطلبة اليوم يفضّلون الاشتغال على المطبوع لصعوبة التعامل مع المخطوط وما يشترطه من ومن أهمّ ما يمكن إجراؤه لتذليل هذه المخاوف من الاهتمام بالمخطوط ولقليل نسبة الإحجام عن دراسته هو تكوين فرق بحث يشرف عليها مختصّ في تحقيق المخطوطات

يهيّئ فيها الطلبة والباحثين الجدد لاكتساب الخبرة المعرفيّة في الاهتمام بالمخطوط مبحثا علميا وفكرياّ، فضلا عن دور هذه الورشات في كونهاسبيلا لربح الوقت واقتصاد الجهود غير الممنهجة والمؤطّرة لترتقي بالباحث إلى مستويات الإتقان في العمل التحقيقي أو غيره وتنمّي لديه القدرة على مزيد الإبداع في صلب المخزون المخطوط.

ويحقّ لنا أن نختم الحديث عن آفاق دراسة المخطوط الإباضي من الجزائر مرورا بتونس إلى ليبيا لنفتحه، فبناءً على ما رأينا في صلب هذا العمل نقف في الخاتمة على أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها وجماعها أنّ المخزون الإباضي المخطوط لا يزال مجال مساءلات بكر شكلا ومضمونا ولا سبيل لاستكناه المضمون دون الوعي بقيمة الشّكل الذي يجعلنا نتساءل اليوم بمزيد من الوعي والمسؤولية ما هي حدود المراس الجديد لهذا الشكل المخطوط في ظلّ تطوّر مناهج البحث من ناحية وفي ظلّ ضعف الإمكانات المادية من ناحية أخرى ؟ وإلى أيّ مدى سيبقى المخطوط الإباضي متأرجحا بين آفاق الضيق والسّعة وكيف سينعكس ذلك على مردود هذا المخزون وموقعه في الثقافة العربية الإسلامية ؟

ولكنّ هذا العمل وهو يروم في الحقيقة لأن يكون الفاتحة التي بها نستشرف مسالك جديدة في مراس المخطوط الإباضي والتفاعل معه معرفيّا وماديّا فهو يوجّه دعوة ابتكار غير المألوف في فهرسة المخطوطات وفي تحقيق شكله وهيئته، فإذا استقامت مناهج جديدة في إثبات مواصفات دقيقة لكل مخطوط إباضي سيتحقّق إنتاج معرفة على الجوهر يفيد الدّرس التأريخي والتحقيقي والنّقدي والمقارني واللغوي واللساني.إذ إنّ تعميق كلّ ما يخصّ الشّكل والوعاء الخارجي للنصّ سيخلق آفاق درس جديدة تثري ما كتب عن الإباضية وتولّد ممّا حبّره علماؤهم أجناس من القراءات النقديّة الجديدة.

ملحق بأهمّ المكتبات الحاوية للمخطوطات الإباضية
بوادي ميزاب وجبل نفوسة وليبيا
أهمّ المكتبات الخاصّة بوادي مزاب

غرداية: مكتبة عمّي سعيد (عمومية)

مكتبةمحمّد بن أيّوب الحاج سعيد(عائليّة)

مكتبة أبو إسحاق اطفيّش (خاصّة)

قرية بني يزجن: مكتبة القطب (خاصة)

مكتبة حاج صالح لعلي (عائليّة)

مكتبة بن دريسو (عائليّة)

مكتبة آل يدّر (عائليّة)

قرية مليكة: مكتبة با عمارة (عائليّة)

قرية العطف: مكتبة إروان (تابعة للمسجد)

قرية بنّورة: مكتبة السّلف (تابعة للمسجد)

مكتبة الثّبات (تابعة للمسجد)

أهمّ المكتبات بجبل نفوسة

مكتبات جبل نفوسة ومعظمها في إطار الملكية الخاصة للأفراد والعائلات

-جناون/جادو ــــــ مكتبة أحمد القلال

-جادو مكتبة عمرو عبد الرحمان ماليو.

-طرابلس/كباو ــــــ د.صلاح سعيد الباروني تحصل على رخصة إنشاء مكتبة وهو في صدد إنشاء مكتبة لتراث عائلة البارونيين.

-جادو ــــــ مكتبة عائلة عيسى أحمد المقصي من عائلة العز

-جادو ــــــــــــــ مكتبة عمرو المقصي عن طريق ابنه أفلح.

-الرحيبات مرساون ــــــمكتبة علي ميلود

-جادو/مزغورة ـمكتبة بيد د.احمد عمرو الفساطوي

-كباو ــــــــــــمكتبة الشيخ عمرو بن مسعود الكباوي بيد ابنه أيوب الكباوي ــــ

-جادو ــــــــمكتبة الباحث عمرو سعيد بغني تحت 12يفرن ــــــــــمكتبة محمد خليفة مادي يفرن ــــــــــــــمكتبة يونس قضقاض ـ

-جناون/جادو ــــــــــــــمكتبة الشيخ سعيد أيوب ـ

-جناون/جادو ــــــــــمكتبة أيوب بن أمحمد في جناون.

-جادو ـــــــــــمكتبة عمر بن مليو من جادو منطقة مزو.

-جناون/جادو ــــــــــالأستاذ سعيد العزابي شاعر من جناون ملم بما هو موجود من المخطوطات.

-يفرنــــــــــــــ مكتبة الباقور بني منيع قرب يفرن.

-يفرن_مكتبة عائلة الشيخ العارف مانه من يفرن بواسطة السيدة سالمة عمرو بغني.

-مرساون ـــــــــــــــمكتبة المرساوني

-جناونــــــــــــــــــ في منطقة جناون بحوزتها مجموعة مخطوطات حاول الشيخ علي يحي معمر الدخول إليها ولكن لم يفلح.

أهمّ المكتبات بجربة

مكتبة الباروني بقرية الحشّان (خاصة)

مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب بقرية غيزن (عائلية)

مكتبة أل البعطور بقرية والغ (عائلية)

مكتبة الشيخ فرحات الجعبيري بتونس العاصمة (عائلية)

وتوجد العديد من العائلات الأخرى المالكة للمخطوطات وراثة.

الحماية القانونية للمخطوطات في التشريع الوطني والقانون الدولي

بقلم الأستاذ حتحاتي محمد

جامعة الجزائر

تشكل المخطوطات -التي يحلو لبعض المستهينين بعظمة التراث- أن يسميها الكتب الصفراء أهم عناصر الكشف عن الماضي الحضاري للأمم فهي التي ساعدت المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ في تقديم المشروع الإنساني للعلاقات البشرية وفي انتشار العلوم وتقدم المدنيات، ولا أدل على ذلك من مسيرة الإبداع الفكري لامتنا، حيث قدر بعض المتخصصين عدد المخطوطات العربية والإسلامية بأكثر من أربعة ملايين مخطوط في شتى المجالات والعلوم تتوزع عبر أكثر من 100 دولة[01].

تمتلك الدول العربية 13 بالمئة منها بينما يتوزع الباقي على تركيا وإيران ومكتبات الدول الأوربية والهند وباكستان [02]، وقد تضررت المخطوطات العربية والإسلامية كثيرا بفعل الفتن الداخلية والخلافات المذهبية التي انتشرت في بعض فترات التاريخ الإسلامي كما طالتها أيادي المستعمرين في التاريخ الحديث ولا أدل على ذلك من الإبادة التاريخية للتراث العراقي من طرف المحتلين الغربيين.

كما فقدت الكثير من المخطوطات أهميتها بفعل الكوارث الطبيعية والعوامل المناخية وانعدام الصيانة والحفظ، وقصد توفير الحماية اللازمة للتراث الثقافي فقد اعتنى المشرع الوطني والقائمون على المنظمات الدولية المتخصصة بإيجاد آليات قانونية وترتيبات تقنية للمحافظة على ارث البشرية، حيث وصل الأمر بالمجتمع الدولي إلى اعتبار المساس بالممتلكات الثقافية جريمة حرب يعاقب عليها القانون الدولي.

وعلى ذلك سنتطرق لموضوعنا عبر البحث أولا عن الحماية التي أوجدها المشرع الجزائري للمخطوطات باعتبارها ممتلكات ثقافية منقولة.

ثم نسهب الحديث عن الحماية المتوفرة دوليا خاصة في حالات النزاع المسلح، والإجراءات الرادعة التي وردت في الأنظمة الأساسية للمحاكم الدولية وبعض الحالات التي فصلت فيها هذه الهيئات القضائية في مواضيع الانتهاكات المتصلة بالمخطوطات عبر العالم.

وفي الأخير سنتطرق إلى الجهود التي تبذلها المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية في مجال تشكيل رأي عام يهتم بحماية الممتلكات الثقافية عموما والمخطوطات بصفة خاصة.

أولا: – الحماية القانونية للمخطوطات في التشريع الوطني

تمثل المخطوطات اهم مكونات التراث الثقافي للأمة الجزائرية وقد عرف المشرع الجزائري التراث الثقافي [03] وافرد له قانونا خاصا بالحماية وهو القانون رقم 98-04 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو 1998، حيث جاء في مادته الثالثة تصنيف للممتلكات الثقافية المشمولة بالحماية، والتي تتشكل من:

الممتلكات الثقافية العقارية

الممتلكات الثقافية المنقولة (والتي تضم المخطوطات)

الممتلكات الثقافية غير المادية

وتعتبر المخطوطات جزءا من الممتلكات الثقافية المنقولة المشمولة بالحماية القانونية والإدارية والمذكورة بالمادة 50 من القانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي، وباعتبارها ممتلكات ثقافية منقولة تستفيد المخطوطات الموجودة بالإقليم الوطني للدولة من:

إجراءات التصنيف والتسجيل:

يتم التصنيف والتسجيل في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية، بمبادرة منه، أو بناء على طلب من أي شخص يرى مصلحة في ذلك، ويمكن أن تسجل كذلك في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي، بعد استشارة لجنة الممتلكات الثقافية في الولاية المعنية، متى كانت للمخطوط قيمة هامة من الوجهة التاريخية أو الفنية أو الثقافية على المستوى المحلي.

يتولى الوزير المكلف بالثقافة أو الوالي، حسب القيمة الوطنية أو المحلية للمخطوط، تبليغ قرار التسجيل في قائمة الجرد الإضافي للمالك العمومي أو الخاص الذي يحوز الممتلك الثقافي المعني.

تترتب على تسجيل أي ممتلك ثقافي منقول في قائمة الجرد الإضافي جميع آثار التصنيف لمدة عشر (10) سنوات وينتهي تطبيقها إذا لم يتم تصنيف الممتلك الثقافي المنقول بانقضاء هذه المهلة.

ويعتبر التصنيف والتسجيل أول خطوة قانونية نحو حماية المخطوط عن طريق إكسابه نوعا من الأهمية حيث نص القانون المتعلق بحماية التراث الثقافي في مادته 53 على انه تنشر الممتلكات الثقافية المنقولة، المصنفة بقرار من الوزير المكلف بالثقافة في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

يجب أن يبين في قرار التصنيف نوعية الممتلك الثقافي المنقول المحمي، وحالة صيانته، ومصدره، ومكان إيداعه، وهوية مالكه أو مقتنيه أو حائزه وعنوانه، وكل معلومات أخرى تساعد على تحديد هوية الممتلك الثقافي المعني.

يتولى الوزير المكلف بالثقافة إبلاغ قرار التصنيف للمالك العمومي أو الخاص.

وتأكيدا للحماية المضمونة للمخطوط يشير القانون 98-04 إلى انه يجب على الحائز الصادق النية لمتلك ثقافي منقول مصنف، أو مالكه، أو المستفيد منه، أو المؤتمن عليه، والذي يحتفظ بالانتفاع به، أن يتولى حمايته وحفظه وصيانته، وحراسته.و كل إخلال بالواجبات المرتبطة بالانتفاع بممتلك ثقافي منقول مصنف ينجر عنه بقوة القانون إلغاء الانتفاع.

يمكن الوزير المكلف بالثقافة في حالة اعتراض المالك أن يرغمه على ذلك بجميع الوسائل (المادة 56)

وقد أنشئت على مستوى المكتبة الوطنية الجزائرية مصلحة خاصة بالمخطوطات والمؤلفات النادرة تتيح للباحثين الوصول إلى المخطوطات الوطنية عن طريق بطاقة الفهرسة والتصنيف المتكونة من الرقم العام والذي من خلاله يتم التعرف على المخطوط، وهو بمثابة رقم خاص بها لا يمكن استخدامه لأي مخطوطة أخرى بأي حال من الأحوال،

كما وضح المرسوم التنفيذي 311/03 المؤرخ في 17 رجب 1424 الموافق 14 سبتمبر 2003 أشكال وشروط وكيفيات إعداد وتسيير الجرد العام للممتلكات الثقافية المحمية وأشار إلى انه يقصد بالجرد العام تشخيص وإحصاء وتسجيل مجموع الممتلكات الثقافية المحمية التابعة للأملاك العامة والأملاك الخاصة للدولة والولاية والبلدية والتي تحوزها مختلف المؤسسات والهيئات التابعة للدولة أو المخصصة لها طبقا للتنظيم المعمول به.

كما تخص أيضا الممتلكات الثقافية المحمية التي تكون ملكية أشخاص طبيعيين أو معنويين خاضعين للقانون الخاص.

أما المخطوطات التي من الممكن ان تكون تابعة لوزارة الدفاع الوطني فتكون محل جرد خاص يحدد بموجب قرار مشترك بين الوزير المكلف بالثقافة ووزير الدفاع الوطني.

وبشان المخطوطات الموجودة خارج البلاد فتكون محل جرد تحدد كيفياته بقرار مشترك بين الوزير المكلف بالثقافة ووزير الشؤون الخارجية ومتواجدة على مستوى الممثليات الدبلوماسية والقنصلية الجزائرية بالخارج.

تتم مراجعة القائمة العامة للممتلكات الثقافية بمراعاة ما يأتى:

-الممتلكات الثقافية التي كانت محل إجراءات الحماية التي ينص عليها القانون خلال العشرية الماضية،

- الممتلكات الثقافية العقارية التي أصابها تدمير يستحيل ترميمه،

- الممتلكات الثقافية المنقولة (من ضمنها المخطوطات) التي أصابها تلف حسب الحالات المنصوص عليها في المادة 66 من القانون رقم 98-04 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو سنة 1998 والمذكور أعلاه،

– الممتلكات الثقافية العقارية والمنقولة المسجلة في قائمة الجرد الإضافي والتي لم يتم تصنيفها نهائيا كما هو مبين في الفقرة 2 من المادة 10 من القانون رقم 98-04 المؤرخ في 20 صفر عام 1419 الموافق 15 يونيو سنة 1998

تقديم المساعدة التقنية من المصالح المختصة:

إن التسجيل والتصنيف يضع على عاتق الحائزين من الأشخاص العموميين أو الخواص واجب صيانة المخطوط المصنف وحراسته وفي الحالة التي لا يستطيع فيها الحائز الخاص توفير ما يلزم من اجل الصيانة والحراسة فان القانون المتعلق بحماية التراث الثقافي انشأ لفائدته إمكانية طلب المساعدة التقنية إذ تنص المادة 55 منه على الحق في طلب المساعدة التقنية من المصالح المختصة في الوزارة المكلفة بالثقافة للحفاظ على جميع المخطوطات ذات القيمة، وفي الحالة العكسية فان أي تقصير ينجر عنه إدماج المخطوط في المجموعة الوطنية بعد قرار يصدره الوزير المكلف بالثقافة عقب استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية ويخص هذا الإجراء الحائزين الخواص، بل نلحظ ان القانون المتعلق بحماية التراث قد شدد في مادته 57 على حماية ومتابعة وضعية المخطوطات عن طريق الصلاحية المحفوظة للوزير المكلف بالثقافة لتفقد المخطوطات المصنفة والتحري بشأنها قصد صيانتها والحفاظ عليها عن طريق ايفاد لجان مراقبة تضم رجال الفن المؤهلين لهذا الغرض.

وفي الحالة التي يستغني فيها الحائزون الخواص للمخطوطات عن المساعدة التقنية فان تحويل المخطوطات المصنفة أو المسجلة في قائمة الجرد الإضافي لأغراض الترميم أو الإصلاح أو أية عملية أخرى ضرورية للحفظ تتم بناء على ترخيص مسبق من مصالح الرقابة التابعة للوزارة المكلفة بالثقافة، أما إذا كان الترميم والإصلاح سيتم خارج البلاد فان ذلك يمر عبر استصدار ترخيص كتابي من الوزير المكلف بالثقافة.

استخدام المخطوطات خارج التراب الوطني:

يحظر التشريع الوطني منعا مطلقا تصدير المخطوطات المحمية قانونا انطلاقا من التراب الوطني أيا كان مصدرها، غير انه ولأغراض المبادلات الثقافية أو العلمية أو التظاهرات الدولية فان نظاما خاصا قد اعتمد لتنظيم عملية (التصدير المؤقت) التي يشرف عليها الوزير المكلف بالثقافة عن طريق نظام التراخيص.

الإجراءات الردعية المتعلقة بحماية المخطوطات:

تتميز الحماية الوطنية للمخطوطات بكونها حماية معززة حيث يشير القانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي إلى انه يمكن لكل جمعية تأسست قانونا وتنص في قانونها الأساسي على السعي إلى حماية الممتلكات الثقافية أن تنصب نفسها خصما مدعيا بالحق المدني فيما يخص مخالفات أحكام

هـذا القـانون، وقـد تنوعـت العقوبـات الـواردة في هـذا القـانون حسـب جسـامة المخالفـة ويمكـن تعـدادها فيما يلي:

01- يعاقب بالحبس من سنتين (2) إلى خمس (05) سنوات، وبغرامة مالية من 100.000 دج إلى 200.000 دج أو بإحدى العقوبتين فقط، دون المساس بأي تعويضات عن الأضرار ومصادرات، عن بيع أو إخفاء مخطوطات مصنفة أو مسجلة في قائمة الجرد الإضافي.

02- يعاقـب كـل مـن يتلـف أو يشـوه عمـدا المخطوطـات المقترحـة للتصـنيف او المصـنفة أو المسـجلة في قائمـة الجـرد الإضـافي، دون المسـاس بـأي تعـويض عـن الضـرر، بـالحبس مـدة سـنتين (2) إلى خمـس (5) سـنوات، وبغرامـة ماليـة مـن 20.000 دج إلى 200.000 دج وتطبـق العقوبـة نفسـها علـى كل من يتلف أو يدمر أو يشوه عمدا مخطوطات مكتشفة أثناء أبحاث أثرية.

03- يترتـب علـى التصـرف، دون تـرخيص مسـبق، في مخطـوط مصـنف أو مسـجل في قائمـة الجـرد الإضافي إلغاء عقد التصرف دون المساس بالتعويضات عن الأضرار.

04- يتعـرض كـل مـن يصـدر بصـورة غـير قانونيـة مخطوطـا مصـنفا أو غـير مصـنف، مسـجلا أو غـير مسـجل في قائمـة الجـرد الإضـافي لغرامـة ماليـة مـن 200.000 دج إلى 500.000 دج، وبـالحبس مـن ثلاث (3) سنوات إلى خمس (5) سنوات.

وفي حالة العود تضاعف العقوبة.

و يتعـرض للعقوبـة نفسـها كـل مـن يسـتورد بصـورة غـير قانونيـة أي مخطـوط يعـترف بقيمتـه التاريخيـة أو الفنية أو الأثرية في بلده الأصلي.

05- يعاقـب بغرامـة ماليـة مـن 50.000 دج إلى 100.000 دج كـل مـن ينشـر في الـتراب الـوطني أو خارجـه أعمـالا ذات صـبغة علميـة يكـون موضـوعها وثـائق غـير مطبوعـة محفوظـة في الجزائـر وتخص التراث الثقافي دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة.

و يمكن الجهة القضائية، فضلا عن ذلك، أن تأمر بمصادرة العمل المنشور.

علمـا بـان القـانون قـد ذكـر في مادتـه 92 الأشـخاص المؤهلين للبحـث عـن مخالفـات أحكـام هـذا القانون ومعاينتها، فضلا عن ضباط الشرطة القضائية وأعوانها، الأشخاص الآتي بيانهم:

- رجال الفن المؤهلون بصورة خاصة حسب الشروط المحددة في التنظيم المعمول به،
- المفتشون المكلفون بحماية التراث الثقافي،
- أعوان الحفظ والتثمين والمراقبة.

وللإشـارة، لقـد كانـت الكتـب والوثـائق بمـا فيهـا المخطوطـات مـن الضـحايا الأولى للاحـتلال الفرنسـي.فقـد شـاهد "أدريـان بـير بـروجير" مدينـة قسـنطينة وهـي تسـقط علـى يـد المارشـال "كلوزيـل" في نـوفمبر 1837، كمـا شـاهد عبـث الجنـود الفرنسـيين بالمخطوطـات الكثـيرة.فركـز "بـير بـروجير" إهتمامـه

علـى جمـع المخطوطـات مـن الأمــاكن العامــة، وسـط الـدمار والتحريـق، حيـث اسـتطاع أن يجمـع مـن مكتبـات المدينـة حـوالي 800 مخطـوط أنقـذها مـن التلـف.غـير أنـه وجـد صـعوبة كبـيرة في نقلهـا إلى الجزائـر العاصـمة، فقـد كانـت وسـائل النقـل مخصصـة في تلـك الفـترة للجرحـى، ممـا أدى إلى ضـياع أغلبهـا في الرحلـة مـن قسـنطينة إلى الجزائـر ومـا وصـل منهـا إلى العاصـمة أضـيف إلى المجموعـة الـتي أحضـرها فيمـا بعـد مـن تلمسـان، معسـكر والمديـة.وبهـذا تكونـت المجموعـة الأولى للمكتبـة الوطنيـة الـتي تعتـبر أهـم مجموعـة موجـودة بـالجزائر ابتـداء مـن تـاريخ تأسـيس المكتبـة الوطنيـة الجزائريـة عـام 1835.وقـد سـعت المكتبـة الوطنيــة الجزائريــة بعــد الاســتقلال إلى تطــوير القســم العــربي لــديها، بعــد أن كــان مهمــلا في الفــترة الاستعمارية وتبنت فكرة جمع المخطوطات من المكتبات العامة والخاصة.(04)

لـذلك فقـد أكـد أيضـا ممثـل الحكومـة (الـوزير المكلـف بالثقافـة) إبـان تقـديم مشـروع القـانون المتعلـق بحمايــة الــتراث الثقــافي بمجلـس الأمـة يـوم 06مـاي 1998 تأكيـده علـى ايـلاء اهتمـام خـاص بالمخطوطـات علـى أسـاس برنـامج الحكومـة لإنشـاء مركـز المخطوطـات بـأدرار، وهـو المركـز الـذي تم إنشـاؤه بالفعـل سـنة 2005 ولـه علاقـة وظيفيـة مـع المكتبـة الوطنيـة مـن أجـل معرفـة الكنـوز أو المخطوطـات الموجـودة عنـد المـواطنين أو عنـد الأفـراد، أو تلـك الموجـودة عنـد الزوايـا والمسـاجد والمؤسسـات والعمـل علـى وضع حوار وعلاقات ثقة مع كل هاته الهيئات من اجل:

الجرد العام للمخطوطات.

بتنقية المخطوطات من الفيروسات المعدية، كما هو معروف في شأن الوثائق المكتبية.

وضــع المقــاييس العلميــة والتقنيــة للجــرد لــدى البــاحثين والجــامعيين، وفســح المجــال أمــام الجامعــة والعلمـاء بصـورة عامـة، لاقتنـاء هـذه المخطوطـات والتعامـل معهـا، ممـا يسـمح بالتـأريخ الـوطني مـن جهـة، واسترجاع المخطوط إلى الذاكرة الوطنية من جهة ثانية.

وفي الختــام تجــدر الإشــارة إلى إن بعــض الــدول العربيــة قــد اعتمــدت قــوانين خاصــة بالمخطوطــات مـؤخرا نظـرا للخصوصـية الـتي تتمتـع بهـا المخطوطـات ضـمن الممتلكـات الثقافيـة؛ ومـن امثلـة ذلـك القـانون الـذي اقـره مجلـس الشـعب المصـري بشـان حمايـة المخطوطـات والـذي يحمـل رقـم 08 الصـادر بتـاريخ 23 صفر سنة 1430 الموافق 18 فبراير سنة 2009.

كمــا ان جامعــة الــدول العربيــة وفي إطــار اهتمامهــا بتوثيــق الــتراث العــربي المخطــوط قــد انشــات معهــد المخطوطــات العربيــة وهــو جهــاز خــدمات علميــة متخصــص مــن أجهــزة المنظمــة العربيــة للتربيــة والثقافــة والعلــوم (إحــدى منظمــات جامعــة الــدول العربيــة)، يُعــنى بــالتراث العــربي المخطــوط بمختلــف أصعدته؛ جمعًا وإتاحةً، صيانةً وترميمًا، فهرسةً وتعريفًا، دراسةً وتوظيفًا.

يقــوم المعهــد علــى تجميــع نصــوص الــتراث وييســر تــداولها، ويســاعد علــى صــيانة المخطــوط العــربي وحفظه.ويكشـف عـن المخبـوء مـن الـتراث بالفهرسـة والتعريـف، ويشـارك وينسـق عمليـة الـدَّرس العلمـي

للكتاب المخطوط؛ تحقيقًا ونشرًا، وتوظيفًا للمعرفة الإنسانية المعاصرة، معتنيًا بجانبيه المادي (علم المخطوطات) والمعنوي (التحقيق والدَّرس).

تأسس المعهد سنة 1946 ملحقًا بالدائرة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية (التي تأسست نفسها سنة 1945)، باسم **"معهد إحياء المخطوطات"**.ثم حصل المعهد على استقلاله عن الدائرة الثقافية سنة 1955، حتى أُلحق سنة 1969 بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.وأستمر عمل المعهد بالقاهرة حتى سنة 1979، ثم انتقل بعدها إلى تونس وظل بها حتى أوائل سنة 1981، ثم إلى الكويت حتى سنة 1990، وأخيرًا أستقر في القاهرة بداية من سنة1991 حتى الآن.

ثانيا: الحماية القانونية للمخطوطات في القانون الدولي ' في حالات النزاع المسلح '

في البداية تجدر الإشارة إلى ان نشأة الحماية فيما يخص حماية المخطوطات وغيرها من الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح هي من قواعد القانون العرفي؛ فمبدأ التمييز بين الأهداف العسكرية والممتلكات المدنية يشمل جميع قوانين الحرب وأعرافها، لا سيما القواعد المتعلقة بسير العمليات العدائية.

وهكذا فإن اتفاقيتي لاهاي لعام 1899 و1907 تحرمان " تدمير ملكية العدو أو حجزها، ما عدا في الحالات التي تدعو ضرورات الحرب إلى ذلك." المادة 23 (ز) من لائحة قوانين وأعراف الحرب البرية، ملحق الاتفاقية المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية المؤرخة في 18 أكتوبر/تشرين الأول 1907 في لاهاي، والممتلكات الثقافية بصفتها ممتلكات مدنية هي محمية بموجب جميع هذه الأحكام بوضوح.ويحظر استخدامها لأغراض عسكرية كما يحظر مهاجمتها عن قصد.وينبغي توخي الحيطة أثناء الهجوم والدفاع لتفادي تعريضها للخطر، وأخيراً يحظر نهبها.

غير أن هذه الحماية العامة التي تسري على جميع الممتلكات المدنية لا تكفي اليوم لضمان حماية الممتلكات الثقافية التي هي جزء من تراث البشرية.وبحكم طبيعتها الخاصة وما تمثله بالنسبة للإنسانية فقد تقرر منحها حماية خاصة.

ولتلافي وقوع أعمال التدمير العمدي للمخطوطات وغيرها من الممتلكات الثقافية، رأت الدول أنه من الضروري اعتماد اتفاقية خاصة لحماية الممتلكات الثقافية.ومن هنا جاءت نشأة اتفاقية لاهاي لحماية الممتلكات الثقافية في حال النزاع المسلح في 14 مايو/أيار 1954، وقد أقرت المعاهدة في هولندا بعد التهديم الذي لحق بالممتلكات الثقافية بسبب الحرب العالمية الثانية، تعتبر هذه المعاهدة الدولية الاولى من نوعها في تخصصها بحماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاع المسلح تطبق على المباني والآثار بما فيها الآثار الهندسية والفنية والتاريخية والمواقع الأثرية والأعمال الفنية **والمخطوطات والكتب** وغيرها من القطع ذات الأهمية الفنية أو التاريخية مهما كان أصلها أو أصحابها، وحيث أن جميع الدول ليست ملتزمة بهذه الاتفاقية فقد أدرج المؤتمر الدبلوماسي حول إعادة تأكيد وتطوير القانون الدولي

الإنساني الذي يطبق على النزاعات المسلحة الذي عقد في جنيف من عام 1974 إلى عام 1977، في البروتوكولين الإضافيين مادة تتعلق بحماية الممتلكات الثقافية.

وفيما يلي نص المادة 53 من البروتوكول الأول:

"تحظر الأعمال التالية، وذلك دون الإخلال بأحكام اتفاقية لاهاي المتعلقة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح المبرمة في 14 مايو/أيار1954 وأحكام المواثيق الدولية الأخرى الخاصة بالموضوع:

(أ) ارتكاب أي من الأعمال العدائية الموجهة ضد الآثار التاريخية أو الأعمال الفنية أو أماكن العبادة التي تشكل التراث الثقافي أو الروحي للشعوب؛

(ب) استخدام مثل هذه الممتلكات في دعم المجهود الحربي؛

(ج) (اتخاذ مثل هذه الممتلكات محلا للهجمات الانتقامية." لا تشير هذه المادة إلى حظر نهب الممتلكات الثقافية.

وليس في ذلك مفاجأة فالواقع أن البروتوكول الإضافي يكمل اتفاقيات جنيف.إلا أن المادة 33 من اتفاقية جنيف الرابعة تنص بالفعل على حظر النهب، وينطبق هذا الحكم على جميع الممتلكات المدنية، بما فيها الممتلكات الثقافية.

وتنص المادة 16 من البروتوكول الثاني أيضاً على حظر ارتكاب أي عمل عدائي موجه ضد الممتلكات الثقافية واستخدامها لدعم المجهود الحربي.

اقر البروتوكول الثاني عام 1999، ودخل حيز التطبيق في 09 مارس 2004 وهو يدعم المعاهدة بإعادة تأكيد حصانة المخطوطات وغيرها من الممتلكات الثقافية في زمن الحرب أو الاحتلال وبتقرير المسؤولية الجنائية الفردية لأولئك الذين يلحقون ضررا بالممتلكات الثقافية عموما، ويحدد أيضا، **مفهوم الضرورة الحربية القصوى** التي تسمح ببعض الاستثناء فيما يخص التعرض للممتلكات الثقافية، ويشكل أخيرا لجنة مؤلفة من 12 دولة منظمة إلى المعاهدة لحماية الممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح وهي مسؤولة عن ضبط احترام بروتوكول 1999 ومنح الحماية المدعومة ودراسة طلبات المساعدة الدولية.

كما اقر البروتوكول الثاني نظاما جديدا للحماية عرف بنظام **الحماية المعززة** نظرا لعدم نجاح نظامي الحماية العامة والحماية الخاصة الذين أوردتهما اتفاقية لاهاي 1954 في تحقيق الحماية المنشودة للممتلكات الثقافية في حالات النزاع المسلح وقد ساهمت منظمة اليونسكو في اعتماد هذا النظام وتوجيه المجتمع الدولي للعمل على إيجاد حماية إضافية معززة عند توافر شروط معينة حددتها المادة العاشرة من البروتوكول الثاني لسنة 1999 وهي:

أ) أن تكون تراثاً ثقافياً على أكبر جانب من الأهمية بالنسبة إلى البشرية.

ب) أن تكـون محميـة بتـدابير قانونيـة وإداريـة مناسـبة علـى الصـعيد الـوطني تعـترف لهـا بقيمتهـا الثقافية والتاريخية الاستثنائية وتكفل لها أعلى مستوى من الحماية.

ج) أن لا تسـتخدم لأغـراض عسـكرية أو كـدرع لوقايـة مواقـع عسـكرية، أن يصـدر الطـرف الـذي يتولى أمر مراقبتها إعلاناً يؤكد على أنها لن تستخدم على هذا النحو.

للإشـارة فـان اتفاقيـة لاهـاي لسـنة 1954 تلـزم الأطـراف السـامية المتعاقـدة باتخـاذ تـدابير في وقـت السـلم لصـون الممتلكـات الثقافيـة الواقعـة في أراضـيها مـن الآثـار المتوقعـة لنـزاع مسـلح.ويُكمـل البروتوكـول الثـاني هـذا الالتـزام مـن خـلال الـنص علـى أن تتخـذ الأطـراف تـدابير معينـة، عنـد الاقتضـاء كمـا أن الأطـراف ملزمـة بـأن تقـوم إلى أقصـى حـد مسـتطاع بإبعـاد الممتلكـات الثقافيـة عـن جـوار الأهـداف العسـكرية أو بتـوفير حمايـة كافيـة لهـا في موقعهـا.كمـا يتعـين علـى الأطـراف أن تتجنـب إقامـة أهـداف عسكرية على مقربة من ممتلكات ثقافية.

وقـد جـاء البروتوكـول الثـاني لسـنة 1999 مقـررا لأول مـرة أحكـام المسـؤولية الجنائيـة الفرديـة الأمـر الـذي اعتـبره الـبعض تطـورا كبـيرا لقواعـد المسـؤولية الدوليـة عـن انتهـاك أحكـام الحمايـة المقـررة للممتلكـات الثقافيـة في فـترات النـزاع المسـلح وواحـدا مـن الانجـازات الـتي حققهـا هـذا البروتوكـول في مجـال القـانون الدولي الإنساني.[05]

ضف إلى ذلك أن النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية يعرف جرائم الحرب كما يلي:

.."تعمـد توجيـه هجمـات ضـد المبـاني المخصصـة للأغـراض الدينيـة أو التعليميـة أو الفنيـة أو العلميـة أو الخيريـة والآثـار التاريخيـة شـريطة ألا تكـون أهـدافاً عسـكرية ". المـادة 8،2ب، و8، 2.يشـمل الحظر الأعمال المرتكبة في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية

كمـا أن النظـام الأساسـي للمحكمـة الجنائيـة الخاصـة بيوغسـلافيا يعاقـب علـى الإخـلال باتفاقيـة لاهـاي لسـنة 1954، وقـد أدانـت الـدائرة الابتدائيـة للمحكمـة المـتهم **بلاسـكيتش** بتـاريخ 3 مـارس سـنة 2000 بمجموعة من الجرائم كان من بينها تدمير الممتلكات الثقافية والمؤسسات الخاصة بالعبادة[06].

وفي تطـور غـير مسـبوق أكـد المـؤتمر الـدولي الثلاثـون للصـليب الأحمـر والهـلال الأحمـر لعـام 2007 علـى حمايـة المخطوطـات خـلال النزاعـات المسـلحة، وذلـك باعتبـار الاعتـداء عليهـا يشـكل احـد **الانتهاكات الخطيرة للقانون الدولي الإنساني**[07]

ويعـود تحـرك المجتمـع الـدولي لتشـديد التجـريم الـدولي لهـذه الأعمـال بعـد الانتهاكـات الخطـيرة الـتي حـدثت بالخصـوص في العـراق أثنـاء وبعـد الغـزو الانغلـو أمريكـي، حيـث تم تـدمير المكتبـة الوطنيـة في بغـداد، وسـلب وحـرق المتحـف الـوطني العراقـي ووقـف المخطوطـات التـابع لـوزارة الأوقـاف ودار الوثـائق في شـارع حيفـا والمركـز الثقـافي العراقـي [08]، وقـد وصـف احـد علمـاء المخطوطـات العـراقيين مـا حـل بخـزائن المخطوطـات في العـراق بأنـه: أبشـع حقـد حملـه إنسـان علـى أخيـه الإنسـان، اذ نهـب اللصـوص مـن الغـزاة

وغيرهم 60000 مخطوطة نادرة في دار صدام للمخطوطات لوحدها ناهيك عن حرق 30 صندوقا حديديا من المخطوطات المصورة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد[09].

كما نقلت العديد من مخطوطات المكتبة اليهودية القديمة التي كانت تخضع لإشراف المخابرات العراقية إلى إسرائيل بالتعاون مع الجيش الأمريكي الغازي الذي سهل وصولها إلى مركز ارث يهود بابل في تل أبيب حسب تأكيدات باحث إسرائيلي تناقلتها الصحافة السنة الماضية.[10]

ونظرا لتفاقم ظاهرة اللصوصية فقد اهتمت المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية على المستوى الدولي بمسالة إعادة المسروقات من المخطوطات إلى دولها الأصلية وتبذل في ذلك جميع جهودها بالتعاون مع الدول والمنظمات والجمعيات المختصة، ومن ذلك نذكر الجهود التي تبذلها اللجنة الدولية للدرع الأزرق التي تأسست سنة 1996 واتخذت من شعار اتفاقية لاهاي لسنة 1954 رمزا لها حيث يمثل الدرع المدبب من الأسفل والمكون من قطاعات منفصلة ذات لون ازرق وابيض شعار للاتفاقية وللمنظمة من اجل تمييز الأعيان الثقافية في أوقات النزاع المسلح، تناضل اللجنة من اجل العمل على حماية التراث الثقافي الذي تتهدده الحروب والكوارث الطبيعية وشبكتها المنتشرة عبر أنحاء العالم هي شبكة تمثل المكافئ الثقافي للجنة الدولية للصليب الأحمر تضم ممثلين عن خمس منظمات غير حكومية، وهي:

- المجلس الدولي للأرشيف
- المجلس الدولي للمتاحف
- المجلس الدولي للمباني والمواقع الأثرية
- الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات
- مجلس تنسيق جمعيات الاراشيف السمعية والبصرية

ورغم كل هذه الإجراءات المتخذة على الصعيد الوطني والدولي فان حماية المخطوطات ثقافة يجب ان تتجذر في ذهنيات الشعوب والحكومات على حد سواء.

كما يجب على الحكومات تكثيف التنسيق من اجل استعادة خزائن المخطوطات المنهوبة فالمخطوط مثله مثل الكائنات الأخرى لا يستطيع البقاء سوى في بيئته التي نشا فيها.

قائمة المراجع

01- وكالة الأنباء السعودية، 2009/03/31

02- الدكتور عبد الكريم بن عبد الرحمن، جريدة الاقتصادية الالكترونية، عدد 5650 1430/4/04

03- تعرف المادة الثانية من القانون 98-04 التراث الثقافي بأنه: (يعد تراثا ثقافيا للأمة، في مفهوم القانون، جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة، الموجودة على ارض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا)

04- موقع المكتبة الوطنية الجزائرية على الانترنت

05- الدكتور محمد سامح عمرو، الحماية المعززة للممتلكات الثقافية في فترات النزاع المسلح، مجلة الإنساني، ص 14

06- د جاسم زور، حماية الأعيان الثقافية في القانون الدولي الإنساني، الملتقى الدولي الخامس لحرب التحرير الجزائرية والقانون الإنساني، 09 نوفمبر 2010، جامعة الشلف.ص

07- قرارات المؤتمر الدولي الثلاثون للصليب الأحمر والهلال الأحمر، معا من اجل الإنسانية، ص 103، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف

08- د محمد فهاد الشلالدة، القانون الدولي الإنساني، منشاة المعارف، الإسكندرية، 2005، ص 271

09- د ماهر ياسين الفحل، مخطوطات العراق وأحداث الاحتلال (دراسة استكشافية)، مقال منشور على الانترنت في موقع دار الحديث.

10- شبكة الرشيد نت، 2011/05/05 (موقع إخباري عراقي)

فهرست الكتب والمخطوطات التلمسانية في كتاب "نفح الطيب"لأبي العباس المقّري.

أ.د:عبد الجليل مصطفاوي

جامعة تلمسان

هذه المداخلة قراءة في أهمّ الكتب والمخطوطات التلمسانية التي ذكرها أبو العباس المقّري(ت 1041هـ) في "نفح الطيب".فقد وجدت أنّ هذا العلاّمة اعتمد، في إنجاز مصنّفه الموسوعي الذائع الصيت، على مصادر كثيرة المادة متنوّعة المواضيع.فقد زخر بعدد كبير من المخطوطات التلمسانية المتنوّعة التخصّصات؛ من أدب ولغة وصرف وبلاغة وفقه وحديث وتفسير وتراجم وتصوّف وغيرها.وقد تردّدت أسماء كثير من العلماء التلمسانيين في هذه الموسوعة الثقافية؛ منهم من نقل عنهم نصوصاً طويلة كجدّه المقّري والمرازقة، ولا سيما الحفيد، ومنهم من أومأ إلى كتبهم دون وصفها أو التعليق عليها.وقد حرصت على الوقوف عند كل المخطوطات التي ورد ذكرها في هذه الموسوعة الفكرية.

وآمل أن يكون هذا العرض أحد الحوافز التي تحرّك همم الباحثين والمهتمّين للنظر في تراثنا الزاخر ونفض الغبار عن كنوزه وذخائره، ولا سيما طلبتنا في الدراسات العليا المقبلين على بحوث أكاديمية.

1- عائلة المرازقة:

أشاد المقّري كثيراً بهذه العائلة التي وقّعت تراث تلمسان ببصماتها، ولوّنت تاريخها بمآثرها وإسهاماتها الفذة؛ ولا سيما ابن مرزوق الحفيد الذي طارت شهرته في الآفاق، في مشرق الوطن العربي ومغربه، وتنوّعت تآليفه فشملت مختلف المعارف والعلوم.فقد خصص المقّري الباب الثالث من (نفح الطيب) للحديث عن مشايخ لسان الدين بن الخطيب الذين قال عنهم بأنهم "هداة الناس ونجوم الملّة "(1)، ومنهم:

أ- أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب، المعروف بالجدّ:

وهو"محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجيسي التلمساني، يُكْنَى أبا عبد الله، ويلقّب من الألقاب المشرقية بشمس الدين "(2).وقال عنه تلميذه لسان الدين:" سيدي وسند(*) أبي، فخر المغرب، وبركة الدول، وعلَم الأعلام، ومستخدم السيوف والأقلام، ومولى أهل المغرب على الإطلاق "(3)، وقد أطال في مدحه والإشادة بفضله وعلمه وحسن خصاله، وأفاض في ذكر مناقبه التي لا تحصى(4).

ولد في تلمسان عام أحد عشر وسبعمائة للهجرة (711هـ)، وقال ابن خلدون أنه ولد في عام عشرة وسبعمائة للهجرة كما سمع من لسانه(5).وقد ذكر له المقّري التآليف التالية:

1. شرح العمدة: قال إنه يقع في خمسة أسفار، وهو شرح جليل جمع فيه بين ابن دقيق العيد والفاكهاني(6).

2. شرح الشفاء: وهو شرح في الطب لم يكمله، كما نصّ على ذلك المقّري.

3. شرح الأحكام الصغرى لعبد الحق: وهو كتاب في الفقه لم يصفه المقّري.

4. إزالة الحاجب لفروع بن الحاجب:وهو شرح على ابن الحاجب في الأصول والفقه.

5. الفهرست: وهو مخطوط في السير والتراجم.

ب– ابن مرزوق الحفيد:

وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني.قال السخاوي في تعريفه:" هو أبو عبد الله، يعرف بحفيد ابن مرزوق، وقد يختص بابن مرزوق "[7].ولد في تلمسان عام سبعمئة وستة وستين للهجرة (766هـ)، ومات بمصر في عام ثمانمئة واثنتين وأربعين (842هـ).وهو من أكثر المرازقة علماً وفضلاً وتصنيفاً[8].

قال عنه المقّري بأنّه:" البحر الإمام المشهور، الحجة، الحافظ، العلاّمة، المحقّق الكبير، النَّظَّار، المطّلع، المصنّف المنصف، التقي، الصالح، الناصح الزاهد، العابد، الورِع البركة، النبيه القدوة، المجتهد الأبرع، الفقيه الأصولي، المفسّر، المحدّث، الحافظ، المسند الرواية، الأستاذ المقرئ، المجوِّد، النحوي، اللغويّ، البياني، العَروضي، الصوفي، الأوّاب، الصالح، العارف بالله، الآخذ من كل فنّ بنصيب، الراعي في كلّ علم مرعاه الخصيب..."[9].

وقد أفاض المقّري في عدّ مناقبه وعلمه وفضله وصلاحه، وقال أنه شيخ الإسلام، وأنّ الزمان لا يسمح بمثله؛ فقد كان " آية في تحقيق العلوم، والاطلاعِ المفرط على النُّقول، والقيامِ التامّ على الفنون بأسرها"[10].

وقال عنه تلميذه الولي أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي بأنه كان رقيق القلب، سريع البكاء، كثير الخشوع والخضوع، وكان" من أولياء الله الذين إذا رُؤُوا ذكر الله "[11].له تآليف كثيرة، منها ما أتمّه ومنها ما لم يتمّه.وقد سردها المقّري كما يلي:

<u>**أولاً:**</u> له ثلاثة شروح على البردة:

أ . الشرح الأكبر، وسمّاه (إظهار صدق المودّة في شرح البردة).قال عنه المقّري:"واستوفى فيه غاية الاستيفاء، وضمّنه سبعة فنون في كلّ بيت "[12].

ب . الأوسط: لم يذكر تسميته.

ج . الأصغر: وسمّاه (الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب).وهو شرح تناول الجانبين النحوي والبلاغي في البردة.

<u>**ثانياً:**</u> له أرجوزتان في علم الحديث وهما:

أ . كبرى وسمّاها (الروضة).

ب . صغرى وسمّاها (الحديقة)، وهي رجز مختصر للروضة.

<u>**ثالثاً:**</u> أنوار الدّراري في مكرَّرات البخاري.وهو كتاب في الحديث لم يصفه المقّري.

رابعاً: وذكر له في الفقه كتباً هي:

أ . المقنع الشافي.وهو رجَزٌ في الميقات مشتمل على ألف وسبعمئة بيت، هكذا وصفه المقّري.

ب . الدليل المومي في ترجيح طهارة الكاغِد الرومي.

ج . مختصر الحاوي في الفتاوي.وهو مختصر الحاوي لابن عبد النور.

خامساً: وله في النحو والبيان والمنطق:

أ . نهاية الأمل في شرح الجمل.

ب . تلخيص المفتاح، وهو رجز نظمه في حال صغره ـ كما ذكر المقري ـ في النحو والبيان.

ج . رجز جمل الخونجي[**].وهو كتاب في النحو.

د . رجز اختصار ألفية ابن مالك.

و . تمهيد السالك إلى شرح ألفية ابن مالك.قال المقري إنه شرح عجيب، وهو متداول.

هـ . المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج.قال عنه بأنه جاء " في كراسة ونصف، أجاب به أبا القاسم بن سراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية "[13]، ولسنا ندري ما حجم هذه الكراسة وما عدد صفحاتها.

سادساً: وله في التصوف:

أ . أنوار اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين.

ب . النصح الخالص في الرد على مدّعي رتبة الكامل الناقص.ذكر المقري أنه جاء في " سبعة كراريس، ردّ به على معاصره الإمام أبي الفضل قاسم العقباني في فتواه في مسألة الفقراء الصوفية لما صوّب العقباني صنيعهم وخالفه هو "[13].

ج – المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية. لم يصفه ولم يعلّق عليه.

سابعاً: وذكر له في التفسير:

– تفسير سورة الإخلاص.

ثامناً: وله في السِّيَر والتراجم:

أ– النور البدري في التعريف بالفقيه المقْري.قال المقّري:" وقد ألّف عالم الدنيا ابن مرزوق تأليفاً استوفى فيه التعريف بمولاي الجد سمّاه: النور البدري في التعريف بالفقيه المقْرِي "[14].

ب– مناقب شيخه المصمودي.

تاسعاً: وذكر له في التاريخ:

– المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن.وهو كتاب يؤرخ لحكم أبي الحسن المريني.وكان المقري في مواضع من كتابه يختصره بـ (المسند الصحيح).

عاشراً: وذكر له أيضاً:

أ- اغتنام الفرصة في محادثة عالِم قفصة.قال عنه: " وهو أجوبة عن مسائل في فنون العلم وردت عليه من علاّمة قفصة أبي يحي بن عقيبة فأجابه عنها "[15].ولم يوضّح المقّري طبيعة العلم المذكور.

ب- الروض البهيج في مسائل الخليج. لم يصفه ولم يعلّق عليه.

وقد قال المقري في ختام سرده لهذه المصنّفات: " وهذه كلها تامة "[16].ثم عرض بعد ذلك التآليف التي لم يكملها المرزوقي الحفيد، وهي مؤلفات توزّعت بين النحو والفقه والعقيدة والحديث والسيرة.ونحن ذاكروها بحسب موضوعاتها كما يلي:

أولا: في الفقه والحديث:

أ- المتجر الربيح والسعي الرجيح والمرْحب الفسيح في شرح الجامع الصحيح. لم يصفه.

ب- المنزع النبيل في شرح مختصر خليل.وهو كتاب في الفقه لم يصفه.

ج – شرح كتاب الطهارة.قال إنه في مجلّدين.

د –كتاب الفرائض. لم يصفه.

هـ- الدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم. لم يصفه.

و– وذكر المقري أن له أجوبة وفتاوى " على المسائل المنوّعة سارت بها الركبان شرقاً وغرباً بدواً وحضراً.وقد نقل المازوني والونشريسي منها جملة وافرة "[17].

ثانياً: وله في النحو:

أ- إيضاح السالك على ألفية ابن مالك.

ب - شرح شواهد شُرَّاح الألفية إلى باب "كان".

ج- شرح ابن الحاجب. لم يصفه، ولعله أن يكون في الفقه بحسب ما مرَّ بنا.

د- شرح تسهيل ابن مالك.

ثالثاً: وله في العقيدة:

أ- عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد.

ب - الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات.

رابعاً: وله في السيرة:

- إسماع الصمّ في إثبات الشرف من قبل الأمّ.

2- عائلة المقّريّة:

إنّها عائلة فاضلة نزلت بتلمسان على زمان الشيخ أبي مدين شعيب ؛ فقد ذكر المقّري، نقلاً من خط جده، هذا القول: " وكان الذي اتخذها من سلفنا قراراً، بعد أن كانت لمن قبله مزاراً عبد الرحمان بن أبي بكر علي

المقري صاحب الشيخ أبي مدين الذي دعا له ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبيّن، وهو أبي الخامس فأنا محمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان "[18].

وقد كان واحد منهم، وهو جدّ المؤلف،من أساتذة لسان الدين بن الخطيب.قال المقّري:"ومن أكابر شيوخ ابن الخطيب، رحمه الله تعالى، جدي الإمام العلاّمة قاضي القضاة بحضرة الخلافة فاس المحروسة أبو عبد الله "[19].

وقد مدحه لسان الدين فقال:"هذا الرجل مشار إليه بالعُدوة الغربية اجتهاداً ودُؤوباً وحفظاً وعناية واطلاعاً ونقلاً ونزاهة، سليم الصدر، قريب الغَوْر، صادق القول، مسلوب التصنع، كثير الهَشّة، مفرط الخفة، ظاهر السذاجة، ذاهب أقصى مذاهب التخلّق، محافظ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة.. "[20].وقد أشاد بعلمه وفضله وصلاحه وورعه وتقاه.وقال عنه الونشريسي بأنه كان " عالماً عاملاً، ظريفاً، نبيهاً، ذكياً، نبيلاً، فهماً، متيقظاً، جزلاً، محصّلاً "[21].وذكر الونشريسي بأنه توفي في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى من عام سبعة وخمسين وسبعمئة بمدينة فاس، ثم نقل إلى تلمسان[22].

أ – المقّري الجد:

تبحّر في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والأخبار والآداب والتاريخ.وذكر المقّري المؤلف أن لجده تآليف كثيرة، وهي:

1- **نظم اللآلي في سلوك الأمالي**: والظاهر أنه من كتب التراجم.ويفهم من كلام المقري المؤلف أن المخطوط مفقود ؛لأنه عرّف شيوخ جده من كتاب الإحاطة الذي نقل بدوره من كتاب الجد ؛ لأن المقري لو كان بيده كتاب جده لنقل منه.

2- **القواعد**: قال أنه اشتمل على ألف ومئتي قاعدة، وأن موضوعه الفقه و الأصول.وقال الونشريسي بأنه:"كتاب عزيز العلم، كثير الفوائد، لم يسبق إلى مثله، بيد أنه يفتقر إلى عالم فتّاح "[23].وذكر المقري أنه رأى نسخة منه بمصر عند بعض أصحابه، وهو ما أوقفه بعض المغاربة بالأزهر المعمور.وقد نقل طرفاً منه – في حدود الصفحة – يتعلّق بعمل القضاة في قرطبة، وانتقال ذلك إلى أهل المغرب[24].

3- **الطُّرَف والتحف**: وصفه المؤلف بالقول:" غاية في الحسن والظَّرْف "[25].وقال عنه الونشريسي: " وقد وقفت على بعضه فرأيت العجب العجاب "[26].بيد أنهما لم يذكر موضوعه وتخصصه.

4- **اختصار المحصِّل**: قال بأنه لم يكمله.

5- **شرح جمل الخونجي**: وهو كتاب في النحو لم يكمله.

6- **عمل من طَبَّ لمن حَبَّ**[***]: قال عنه " وهو بديع في بابه، مشتمل على أنواع: الأول فيه أحاديث حكيمة كأحاديث (الشهاب) و(سراج المهتدين) لابن العربي، والنوع الثاني منه الكليات الفقهية على جملة أبواب الفقه في غاية الإفادة، والثالث في قواعد وأصول، والرابع في اصطلاحات وألفاظ، قال الونشريسي: وقد أطلعني

الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الخالق على نسخة من هذا الكتاب،فتلطفت في استنساخها فلم يسمح به،انتهى.

قلت: وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان، وهو فوق ما يوصف، وفيه يقول مولاي الجد رحمه الله تعالى:

هذا كتابٌ بديعٌ في محاسنه ضمّنتُه كلَّ شيء خِلته حَسَنا

فكل ما فيه إن مرّ اللبيب بهولم يشُمَّ عبيراً شام منه سَنَا

فخذه واشدد به كفَّ الضنين وذُدْ، حتى تحصِّله عن جفنك الوَسَنَا

وهذه الأبيات كافية في وصف هذا الكتاب ؛إذ صاحب البيت أدرى بالذي فيه"(27).فهو كتاب جامع؛ فيه الفقه والأصول، وفيه التصوف، وفيه اللغة أيضاً.

7- **المحاضرات**: قال في شأنه "وفيه من الفوائد والحكايات والإشارات كثير"(28)، وقال أنه ملك منه نسختين بالمغرب.وقد نقل منه نقولاً تدل على أنه كتاب في التصوف والتوحيد والتراجم ؛ إذ ترددت أسماء كثير من الصوفية وأهل الكلام.وقال في ختام حديثه عنه:" وفي آخر هذا الكتاب ما صورته: فهذه جملة تراجم، وفيها مَقْنَع لمن أراد المحاضرة، أو تنميق مجالس المناظرة، وكان الفراغ من جمعها في آخر يوم من شعبان المكرّم من عام سبعة وخمسين وسبعمئة "(29).ومعنى هذا أن المقري الجد ألف هذا الكتاب في آخر حياته فضمّنه خلاصة تجاربه.

8- **الحقائق والرقائق**: قال عنه بأنه من أشهر كتبه في التصوف.ونقل منه نقولاً فاقت عشرين صفحة، وقال في ختامها:" انتهى ما تعلق به الغرض من كتاب الحقائق والرقائق لمولاي الجد الإمام،سقى الله عهده صوْب الغمام.وما ذكرته من كلامه غيض من فيض، وقُلٌّ من كُثْر، ويكفي من الحليّ ما قلّ وستر العنق "(30).

9- **شرح لغة قصائد المغربي الخطيب**: وهو شرح لم يصفه ولم يعلق عليه،والظاهر من عنوانه أنه قراءة لغوية في قصائد هذا الشاعر.

10- **شرح التسهيل**: كتاب في النحو لم يصفه المؤلف.

11- **حاشية مختصر ابن الحاجب**: وهي حاشية في الفقه، قال المقري بأنها بديعة جداً وفيها " أبحاث وتدقيقات لا توجد في غيرها، وقد وقفت عليها بالمغرب "(31).

12- **النظائر**: وهو كتاب لم يصفه.

13- **رحلة المتبتل**: وهو كتاب في التصوف، لم يصفه المؤلف.

14- **إقامة المريد**: وهو كتاب في التصوف، لم يصفه المؤلف.

15- **كتاب المحرِّك لدعاوى الشر من أبي عنان**: لم يصفه ولعله كتاب في التاريخ.

ب – المقري المؤلف:

لقد ألف أبو العباس المقري عديداً من الكتب،وذكر منها في نفح الطيب المصنفات التالية:

1. روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: وهو كتاب في الأدب والتراجم كما يوضح المؤلف[32].وذكر الدكتور إحسان عباس أنه طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1964م بتحقيق عبد الوهاب بن منصور[33].
2. أزهار الرياض في أخبار عياض، وما يناسبها ممّا يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض: أشار إليه بهذه التسمية الكاملة في مواضع من نفح الطيب[34].ونقله بهذا العنوان(أزهار الرياض في أخبار عياض) في موضع واحد[35].ونقله مختصراً هكذا(أزهار الرياض) في مواضع أخرى من كتابه[36].وقد قال عنه بأنه انتشر في مراكش ونسخت منه نسخ عديدة. وهو كتاب محقق ومطبوع.
3. إضاءة الدُّجُنّة في عقيدة أهل السنة: وهي منظومة شعرية في العقيدة.قال الدكتور إحسان عباس بأنها طبعت بمصر سنة 1304هـ بهامش شرح العقيدة السنوسية للشيخ عليش[37].
4. فتح المتعال في مدح النعال: وهو كتاب جمع فيه أشعاراً مدح بها نعل الرسول الأكرم ع،وذكر الدكتور إحسان عباس أنه طبع بالهند، ولم يذكر سنة الطبع.وأشار إلى أن نسخة من رجَز للمؤلف في هذا الكتاب عن النعال الشريفة مخطوط برقم 565 بالخزانة العامة بالرباط.

ومن الكتب التي نوى المقري أن يؤلفها، ولم يتيسر له ذلك الكتب التالية:

1. روضة التعليم في ذكر الصلاة والتسليم على من خصه الله تعالى بالإسراء والمعاينة والتكليم: وهي قصائد تنظم في مدح الرسول على حروف المعجم[38].
2. نَشْق عَرْف دمشق/ أو/ مَشْق قلم المدح لدمشق: وهو كتاب نوى أن يؤلفه ويذكر القصائد التي مدحت بها دمشق، ولم يستقر على عنوان بعينه.يقول في هذا الشأن:"وماعددناه من القصائد والمقطوعات في مدح دمشق الشام فهو غيض من فيض، وفي نيتي أن أجمع في ذلك كتابا حافلا أسميه (نشق عرف دمشق) أو (مشق قلم المدح لدمشق) "[39].
3. أنواء نيسان في أنباء تلمسان: وهو كتاب نوى أن يؤلفه عن بلده تلمسان.يقول:"وقد كنت بالمغرب نويت أن أجمع في شأنها كتابا ممتعا أسميه (أنواء نيسان في أنباء تلمسان) وكتبت بعضه، ثم حالت بيني وبين ذلك العزم الأقدار "[40].
4. إتحاف السيادة بضوابط حروف الزيادة: وهو رسالة في الصرف قدّر فيها ضبط حروف الزيادة والتراكيب التي ذكرت في ذلك[41].

3- مخطوطات تلمسانية أخرى:

وقد ذكر المقري مخطوطات أخرى لعلماء من تلمسان كان لهم شأن في تراث هذه المدينة العريقة.ومنهم:

أ- شهاب الدين بن أبي حجلة التلمساني الشهير:

وقد ذكر له المقري المصنفات التالية:

1. ديوان الصبابة: وهو كتاب مشهور في التصوف والمعرفة الإلاهية. وقد ورد ذكره في نونية الفقيه والأديب الأندلسي عمر، صاحب الأزجال الطويلة التي طلب فيها إجازته في إقراء بعض كتب لسان الدين، ومنها ديوان الصبابة، فقال:

ولا تنس ديوان الصبابة والصَّفا لإخوان صدق في الصِّبا إخوان

وقد أشاد به لسان الدين في رسالة طويلة، وعرض بعض محتوياته. وذكر المقري أن للسان الدين كتاباً في التصوف هو (روضة التعريف بالحب الشريف) وقال: "وهذا الكتاب غريب المنزع، وعارض به ديوان الصبابة لابن أبي حجلة"[42].

2. منطق الطير.
3. الاعتراض على العارف بالله ابن الفارض.
4. السكردان.

وهي كتب لم يصفها المقري، ولكن الظاهر أن منزعها صوفي خالص.

ب– ابن العباس التلمساني:

حينما تحدث المقري عن شيوخ ابن مرزوق الكفيف (ت901هـ) قال: "...ومن شيوخ العلامة ابن العباس التلمساني وغيره"[43]. وقد ذكر له مؤلفاً واحداً هو:

الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الانصراف: وهو مصنف في النحو والصرف.

ج – الشيخ أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت 772هـ):

ذكر له التآليف التالية:

1- المفتاح في أصول الفقه.
2- شرح الجمل الخونجية، وهو كتاب في النحو.
3- شرح العمدة لابن عاشر، وهو كتاب في الفقه.

والكتابان الأخيران شرحهما، مثلما مرّ بنا، أكثر من واحد من علماء تلمسان.

د– أبو إسحاق التلمساني:

ذكر المقري أن أبا إسحاق التلمساني هذا هو أحد شيوخ أبي عبد الله بن بكر، وأنه قد أجازه. وابن بكر هذا هو أحد شيوخ لسان الدين بن الخطيب. وقد ذكر له المقري مصنفاً واحداً هو:

–الرجز في الفرائض: نقل عنه قوله في الغدر، في معرض حديثه عن الذين تنكروا للسان الدين وغدروا به، فقال: "ويرحم الله أبا إسحاق التلمساني صاحب الرجز في الفرائض حيث يقول:

الغدر في الناس شيمة سلفت قد طال بين الورى تصرُّفُها

ما كلُّ من قد سرَتْ له نِعَمٌمنك يرى قدْرَها ويعرفُها

بل ربّما أعقبَ الجزاءَ بهامضرّةً عز عنك مصرفُها

أما ترى الشمسَ كيف تعطف بالنو ر على البدر وهو يكسفها "[44]

هـ – أبو عبد الله بن صاعد التلمساني:

ذكر له كتاباً واحداً هو:

– النجم الثاقب فيما لأولياء الله تعالى من المناقب: وقد نقل المقري منه كلاماً عن الشيخ الولي العارف بالله الحاج أحمد بن عاشر دفين سَلاَ، وهو أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي، الولي الزاهد المشهور بالمناقب والأحوال [45].كما نقل عنه حديثاً طويلاً عن الولي الصالح أبي مدين شعيب[46]. ولا شك أن الكتاب في ذكر أولياء الله من الصالحين والزهاد والصوفية.

وخلاصة القول أن هذه الكتب والمخطوطات، التي أ لمّ بها المقّري وذكرها في موسوعته " نفح الطيب"، تحتاج منا إلى جهود مضاعفة وإلى اهتمام مطرد لقراءتها، ونفض غبار السنين عنها لما تحمله في ثناياها من ذخائر وكنوز علمية لا تقدر بثمن، لأن مؤلفيها أفنوا فيها أعمارهم بدأب وصدق، لا يبغون سوى وجه الله وخدمة كتابه المعجز. وعسى أن يقيض الله عز وجل من يقوم بقراءتها وإخراجها للناس.

الهوامش:

---

[1]نفح الطيب:189/5.

[2] نفسه:5:/391.

[*]هكذا وجدتها في النفح، ولعلّها "سيّد".

[3]نفح الطيب:391/5.

[4]ينظر نفح الطيب:391/5.

[5]ينظر نفح الطيب:412/5.

[6]ينظر نفح الطيب: 418/5.وهو " العمدة في الحديث " للوليّ ابن عاشر أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي، نزيل سَلا.وقد قال ابن قنفذ في حقّه " ولم يكن قوتُه إلا من نسْخ العمدة في الحديث...إلى أن توفّي في سنة سبعمئة وخمس وستين " نفح الطيب:493/6-494.

[7]نفح الطيب:428/5.

[8]ينظر ترجمته نفح الطيب،المجلد الخامس، بدءاً من الصفحة420.

[9]نفح الطيب:420/5.

[10]نفسه:421/5.

[11] نفسه:425/5.

[12]نفسه:429/5.

[**]هو أفضل الدين الخونجي، ولي القضاء بمصر في سنة 711هـ. ينظر النفح:247/5.

[13]نفح الطيب:429/5.

[13]نفسه:429/5-430.

[14]نفسه:204/5.

[15]نفسه: 429/5.

[16]نفسه: 430/5. ولعل هذه المخطوطات محفوظة في إحدى مكتبات المغرب أو تونس أو القاهرة أو البلاد الأروبية تنتظر من يخرجها إلى الناس.

[17]نفح الطيب: 430/5.

[18]نفسه: 204/5.قال أبو العباس الونشريسي:" ومقّرة– بفتح الميم، بعدها قاف مفتوحة مشدّدة – قرية من قرى بلاد الزّاب من أعمال أفريقيا،سكنها سلفه، ثم تحوّلوا إلى تلمسان، وبها ولد الفقيه المذكور وبها نشأ..." ينظر النفح: 280/5.

[19]نفسه: 203/5.

[20]نفسه: 208/5.

[21]نفسه:208/5.

[22]نفسه: 280/5.

[23]نفسه: 284/5.

[24]نفسه: 556/1–557.

[25]نفسه: 280/5.

[26]نفسه: 280/5.

[***]وقد ذكر كتاباً بهذا العنوان أيضاً للسان الدين بن الخطيب. ينظر النفح: 98/7.

[27]نفح الطيب: 285/5.

[28]نفسه:285/5.

[29]نفسه:309/5–310.

[30]نفسه:328/5.

[31]نفسه:310/5.

[32]ينظر نفح الطيب:350/5 و59/6 و81/7.

[33]ينظر النفح:11/1.

[34]ينظر:474/2 و121 و22/5 و148/6.

[35]ينظر:593/2.

[36]ينظر:30/2 و52 و589 و489/4 و523/5 و150/6 و159 و171/7 و346.

[37]ينظر نفح الطيب:12/1.

[38]ينظر النفح: 48/7.

[39]نفح الطيب:484/2–485.

[40]نفسه:135/7.

[41]ينظر النفح:455/3 وما بعدها.

[42]نفح الطيب:100/7.

[43]419/5.

[44]نفح الطيب: 120/5.

[45]ينظر نفح الطيب: 492/6.

[46]نفسه:136/7.

نحو مكننة ورقمنة المخطوطات المغربية

د.لحسن تاوشيخت

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية / الرباط

تقديم:

يتوفر المغرب على رصيد وثائقي مهم من المخطوطات يتجاوز 200.000 مخطوط، يعكس عمق الاهتمام بالمخطوط لدى المغاربة عبر تاريخهم إنتاجا وصناعة ومعرفة.ويتميز هذا التراث بغناه وتنوعه، سواء على المستوى المعرفي أو على المستوى الجمالي.

يتوزع هذا التراث المخطوط بين مكتبات عامة كالخزانة الحسنية والمكتبة الوطنية بالرباط وخزانة القرويين بفاس وخزانة ابن يوسف بمراكش والخزانة العامة بتطوان...، وبين مكتبات وقفية كخزانة الجامع الكبير بمكناس وخزانة الناصرية بتمكروت وغيرها...، وبين المكتبات الجامعية كخزانة جامعة محمد الخامس بالرباط...، ومكتبات خاصة في ملك مؤسسات وعائلات كالسقاط وكنون...

ومواكبة منها للتطور المعلوماتي، عملت المكتبة الوطنية المغربية على مكننة تراثها المخطوط بنقله من الفهرسة اليدوية إلى فهرسة إلكترونية تستجيب للمعايير الدولية باعتماد نظام معلوماتي، كما بدأت المكتبة الوطنية في رقمنة هذا الرصيد ووضعه في بوابتها الإلكترونية تسهيلا للإطلاع عليه وتيسيرا للولوج إلى المعلومة.وسيحاول هذا العرض أن يبرز أهم الخطوات المبذولة في هذا الانتقال من المحافظة والمناولة التقليديتين للمخطوط إلى خلق مكتبة رقمية متعددة الوسائط لخدمة القارئ عن بعد.

الرصيد المخطوط

النوعية	العدد
العناوين	34000
المجلدات	13473
الوثائق المصورة	5700
المخطوطات المرممة ترميما كاملا	94
اللوحات المخطوطة	12
التوراة	02
المخطوطات العبرية	37
المخطوطات المفهرسة	% 65
المخطوطات المصورة	9000
المخطوطات المرقمنة	320
مخطوطات في حالة جيدة	% 40
مخطوطات في حالة متدهورة	280
مخطوطات في حالة متآكلة	% 10
مخطوطات مزخرفة	% 10
مخطوطات مغلفة (مرممة) بالبلاستيك	880

1. مكتبات المخطوطات بالمغرب[1]:

يتوزع الرصيد الوثائقي للتراث المخطوط بين مكتبات عامة وخاصة، منها: الخزانة الحسنية بالرباط، المكتبة الوطنية بالرباط كذلك، خزانة القرويين بفاس، خزانة ابن يوسف بمراكش، الخزانة العامة بتطوان، خزانة الجامع الكبير بمكناس، وهناك خزانات تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمكتبات التابعة لبعض الزوايا المنتشرة عبر أقاليم المغرب، إضافة إلى مكتبات خاصة في ملك أفراد وعائلات.

الاسم	الانتماء	عدد المخطوطات
المكتبة الوطنية للمملكة المغربية	مؤسسة عمومية	34000عنوان
الخزانة الحسنية بالرباط	القصر الملكي	15000 عنوان
المكتبة العامة والوثائق بتطوان	وزارة الثقافة	3500عنوان
خزانة القرويين بفاس	وزارة الثقافة	6000عنوان
خزانة ابن يوسف بمراكش	وزارة الثقافة	1840عنوان

[1] تاوشيخت (لحسن): "المكتبة الوطنية للمملكة المغربية"، دليل جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق 1429 هـ - 2008 م. الرباط، منشورات وزارة الثقافة 2008 ص 41 – 57 (ص 46-47)

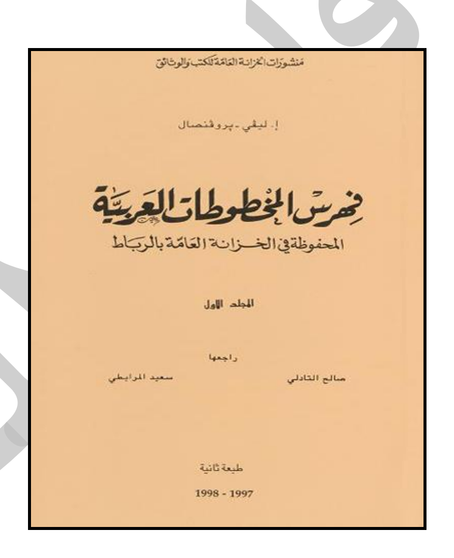
خزانة الجامع الكبير بمكناس	وزارة الثقافة	
مكتبة الإمام عل ي بتارودانت	وزارة الثقافة	172عنوان
مكتبة الأوداية بالرباط	وزارة الثقافة	43عنوان
خزانة تامكروت قرب زاكورة	وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية	
خزانة أبي سالم العياشي قرب الريش	الزوايا	1900 عنوان
مكتبة محمد السادس بإفران	جامعة الأخوين	
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط	جامعة محمد الخامس الرباط أكدال	
مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية	شبه عمومية	
خزانة تناغمالت قرب أزيلال	وهبت للخزانة الحسنية	
مكتبة عبد الله كنون بطنجة	خاصة ومفتوحة للعموم	
مكتبة محمد داود بتطوان	خاصة ومفتوحة للعموم	
مكتبة بنسودة بفاس	أهديت للمكتبة الوطنية سنة 2010	
المكتبة الصبيحية بسلا	خاصة ومفتوحة أمام الباحثين	
مكتبة ابن غازي أو محمد المنوني بالرباط	مكتبة ابن غازي أو محمد المنوني بالرباط	
مكتبة محمد بنعزوز حكيم بتطوان	خاصة	
مكتبة إبراهيم الكتاني بالرباط	خاصة	
مكتبة الحجوجي بالدار البيضاء	خاصة	
مكتبة السقاط	خاصة	

1. الفهارس:

تعتبر الفهارس البوابة الأولى التي يلج إليها الباحث لمعرفة الموجود من المخطوطات ومكان وجودها والكيفية الأيسر للحصول عليها.ومن أجل تمكين المهتمين بالمخطوطات المغربية عامة والمحفوظة منها خاصة بالمكتبة

الوطنية، يأتي هذا العمل المتواضع ليرسم المجهود الكبير الذي أُنجز في مجال فهرسة المخطوطات بالمكتبة الوطنية منذ انطلاقة هذا العمل على يد لفي-بروفنصال سنة 1920 وإلى غاية اليوم حيث بدأت هذه المهمة تكتسي طابعا إلكترونيا أكثر منها ورقيا تماشيا مع الطفرة المعلوماتية وتسهيلا للباحث للوصول إلى المعلومة وبدون وساطة وبدون حاجة إلى التنقل.وتجدر الإشارة بالتالي أن كل الفهارس التي صُدرت عن مخطوطات المكتبة الوطنية ويبلغ عددها اليوم تسعة، فضلا عن فهرس مخطوطات مكتبة دير الإيسكوريال والتي توصلت المكتبة الوطنية بنسخة منها على الميكروفيلم.وتوجد نسخ رقمية منها على الموقع الإلكتروني للمكتبة الوطنية "في خانة المكتبة الرقمية" http://bnm.bnrm.ma:86/Arabe/catalogue_des_manuscrits.aspx

أ. **الفهرس الأول لمخطوطات المكتبة الوطنية**[1]: بدأت العناية بجمع وفهرسة المخطوطات العربية المغربية منذ سنة 1920 حيث وضع لها ليفي بروفنسال كشفا ضمن مجموعة مطبوعات معهد الدراسات العليا المغربية في الجزء الثامن الذي طبع بباريس سنة 1921 تحت عنوان "**فهرسة أسماء الكتب المخطوطة المحفوظة في خزانة المدرسةالعليا للغة العربية واللهجات البربرية بعاصمة رباط الفتح المحروسة**".ويقع هذا الفهرس في 306 صفحات من الحجم المتوسط ما عدا كشاف العناوين، وقد قام بمراجعته كل من صالح التادلي وسعيد المرابطي [الطبعة الثانية، 1997 – 1998].وبلغ عدد هذه المخطوطات المفهرسة والمبوبة بحرف الدال 531 مخطوطا.



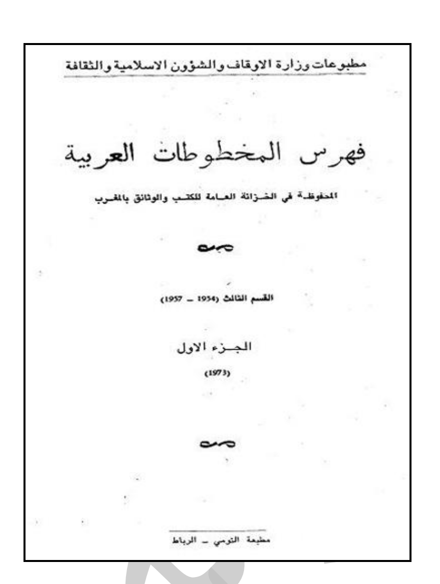
ب) **الفهرس الثاني للمخطوطات**[2]: خرج سنة 1953 ويضم حوالي 1189 مخطوطا رقمت ما بين رقمي 532 و1720 بفضل ما استلمته الخزانة العامة من خزانة زاوية الشيخ ماء العينين بفاس ومن خزانة قصر مولاي عبد الحفيظ بطنجة ومن مكتبة قنصل فرنسا بالرباط ومن القسم الاجتماعي المغربي ومن بعض الكتبيين

[1]) ليفي-بروفنصال (إ): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد الأول. راجعها صالح التادلي وسعيد المرابطي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 1997 (345 صفحة)

[2]) صدر هذا الفهرس في مجلة هسبريس في الجزء 12 لسنة 1931 [ص 106 – 133].

المغاربة.وقد اعتنى الأستاذ بلاشير والدكتور رونو بوضع فهرس موجز للمخطوطات التي دخلت الخزانة العامة ما بين سنتي 1929 و1930 وهي التي تحمل الأرقام من 959 إلى 1056 في السجل العام.

ج) **الفهرس الثالث**[1]: صدر سنة 1973 ويشتمل على المخطوطات التي دخلت إلى الخزانة العامة ما بين سنتي 1945 و1957 وعددها 600 مخطوط بوبت بحرف الدال من رقم د 1722 إلى رقم د 2321 مع إضافة بعض الأرقام الأخرى التي لم تدرج في الفهرسين السابقين، وبذلك يكون مجموع المخطوطات المدروسة 1926 مخطوطا قسمت إلى مجلدين: اهتم الأول بوصف 1056 مخطوطا المرقمة من 2766 إلى 3721 والتي تناولت مواضيع علوم القرآن ومصطلح الحديث والتوحيد والمنطق والوعظ والتصوف.أما المجلد الثاني فيضم وصف 960 مخطوطا مرتبة من 3722 إلى 4681 والتي توزعت حسب الفنون.


مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة

فهرس المخطوطات العربية

المحفوظة في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب

القسم الثالث (1954 – 1957)

الجزء الاول

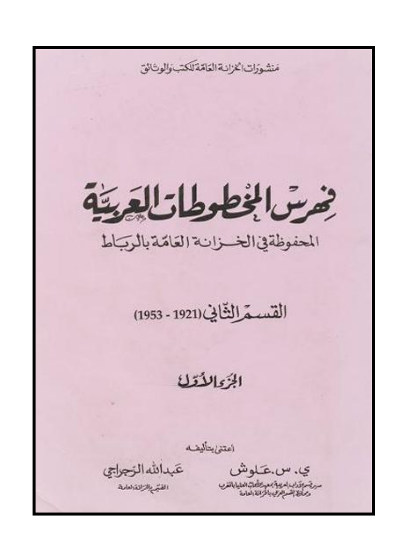
(1973)

مطبعة التومي – الرباط

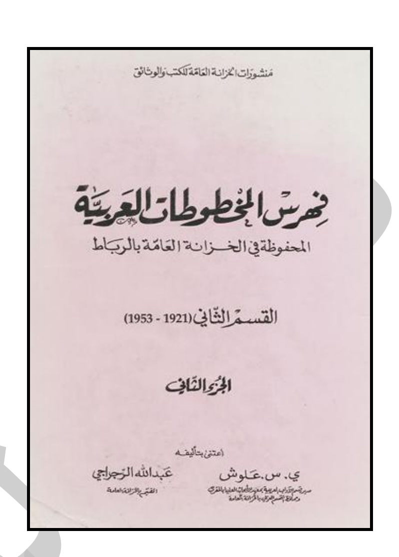
د) **الفهرس الرابع [الجزء الأول من القسم الثاني]**[2]: الذي ألفه كل من ي.س.علوش وعبد الله الرجراجي [صدرت الطبعة الثانية منه سنة 2001] تناول المواضيع التالية: المصحف الكريم، القراءات، التفسير، الحديث،السيرة النبوية، التوحيد، التصوف، الأذكار، الفقه، النحو، اللغة، العروض والبيان.ووضع للمخطوط رقمان بارزان يشير الأول إلى الرقم الترتيبي للفهرس والثاني يؤكد رقم المخطوط في السجل العام.

[1]) المشرفي (محمد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثالث (الجزء الأول) الرباط، مطبعة التومي الطبعة الأولى 1973 (407 صفحة)

[2]) علوش (ي.س) الرجراجي (عبد الله): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الأول)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (469 + III صفحة)



ه) الفهرس الرابع [الجزء الثاني من القسم الثاني][1]: الذي قام بإنجازه كذلك كل من ي.س.علوش وعبد الله الرجراجي [صدرت الطبعة منه سنة 2001] اتبع نفس منهجية الجزء الأول ولم يختلف عليه إلا في المواضيع المتناولة.

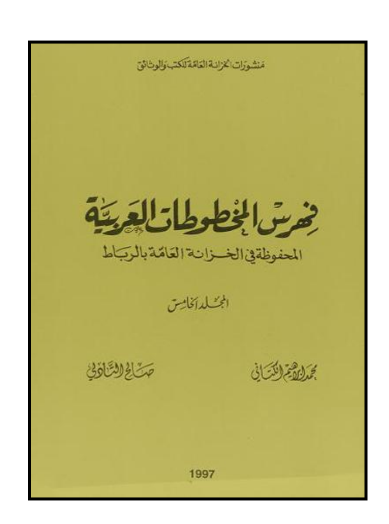


و) الفهرس الخامس[2]: الذي أشرف عليه كل من محمد إبراهيم الكتاني وصالح التادلي [الطبعة الأولى 1997] تناول 914 نصا مخطوطا من مجموعة حرف الدال والمرقمة من 3722 إلى 4635 والتي تم ترتيبها وفق الترقيم العربي وهمت كل الفنون.

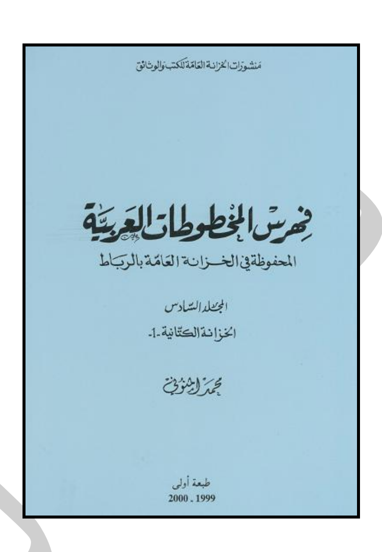
---

[1]) علوش (ي.س) الرجراجي (عبد الله): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. القسم الثاني (الجزء الثاني)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 2001 (451 صفحة)

[2]) الكتاني (محمد إبراهيم): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد الخامس، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1997 (376 صفحة)



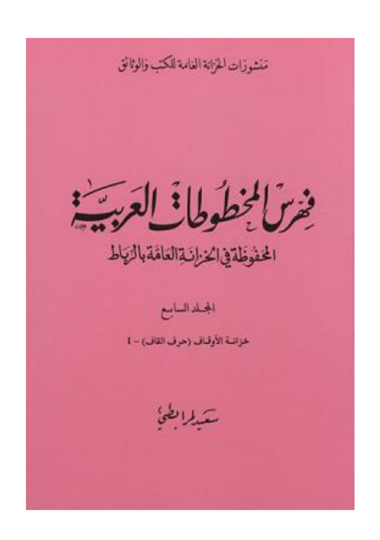
ز) **الفهرس السادس1**: الذي أشرف على إنجازه الأستاذ محمد المنوني [الطبعة الأولى 1999 – 2000] اهتم بقسم الخزانة الكتانية التي نقلت إلى الخزانة العامة سنة 1959 وفيه تم دراسة 404 مخطوط من فئة حرف الكاف وفق التسلسل التاريخي لوفاة المؤلف وحسب المنهجية المتبعة في فهرسة المخطوطات العربية.



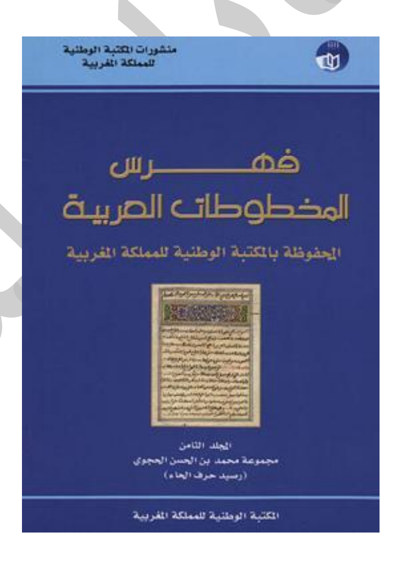
ك)**الفهرس السابع**[2]: الذي ألفه سعيد لمرابطي [الطبعة الأولى 2002] يهم وصف 270 مخطوطا من قسم وزارة الأوقاف (حرف القاف) من بين 1215 عنوان دون احتساب المجامع التي تتألف من أكثر من مخطوط والتي كانت موزعة قبل أن تودع بالخزانة العامة في مكتبات تابعة للمساجد والمدارس والزوايا.

[1]) المنوني (محمد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السادس (الخزانة الكتانية -1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 1999-2000 (214 صفحة)

[2]) لمرابطي (سعيد): فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط. المجلد السابع (خزانة الأوقاف / حرف القاف -1-)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2002 (458 صفحة)



ل)الفهرس الثامن[1]: وفيه تم كشف النقاب عن خزانة العلامة محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الذي كان ضليعا في علوم الشريعة والأدب والتعليم والسياسة بل وكان مطلعا أيضا على الثقافة الغربية وخاصة على الفلسفة اليونانية.ويتضمن هذا الفهرس على ما مجموعه 545 عنوان اعتمد في فهرستها على المنهج الوصفي الذي يرتكز على تقديم كل المعلومات والبيانات الممكنة من حيث الرقم الترتيبي ورقم المخطوط وعنوان المخطوط واسم المؤلف وجملتي بداية ونهاية المخطوط وعدد الأوراق أو الصفحات والمسطرة ونوع الخط وتاريخ التأليف والنسخ وحالة المخطوط المادية وذكر التمليكات والنسخ المتوفرة والمصادر المعتمدة.كما يتضمن هذا الفهرس فهارس المؤلفين والمؤلفات والنساخ والمصادر والمراجع والمحتويات.



م)الفهرس التاسع[2]: يهم مخطوطات مجموعة محمد بن جعفر الكتاني وعددها 477 عنوانا فضلا عن الفهارس(قيد الطبع).وقد أُتبعت فيه نفس المنهجية في الفهرسة كما هو الشأن في فهرس الحجوي من حيث تقديم

[1]) قسم المخطوطات: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط. المجلد الثامن (مجموعة محمد بن الحسن الحجوي)، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2009 (537 صفحة)

[2]) قيد الطبع، توجد نسخة إلكترونية له بموقع المكتبة الوطنية (المكتبة الرقمية)

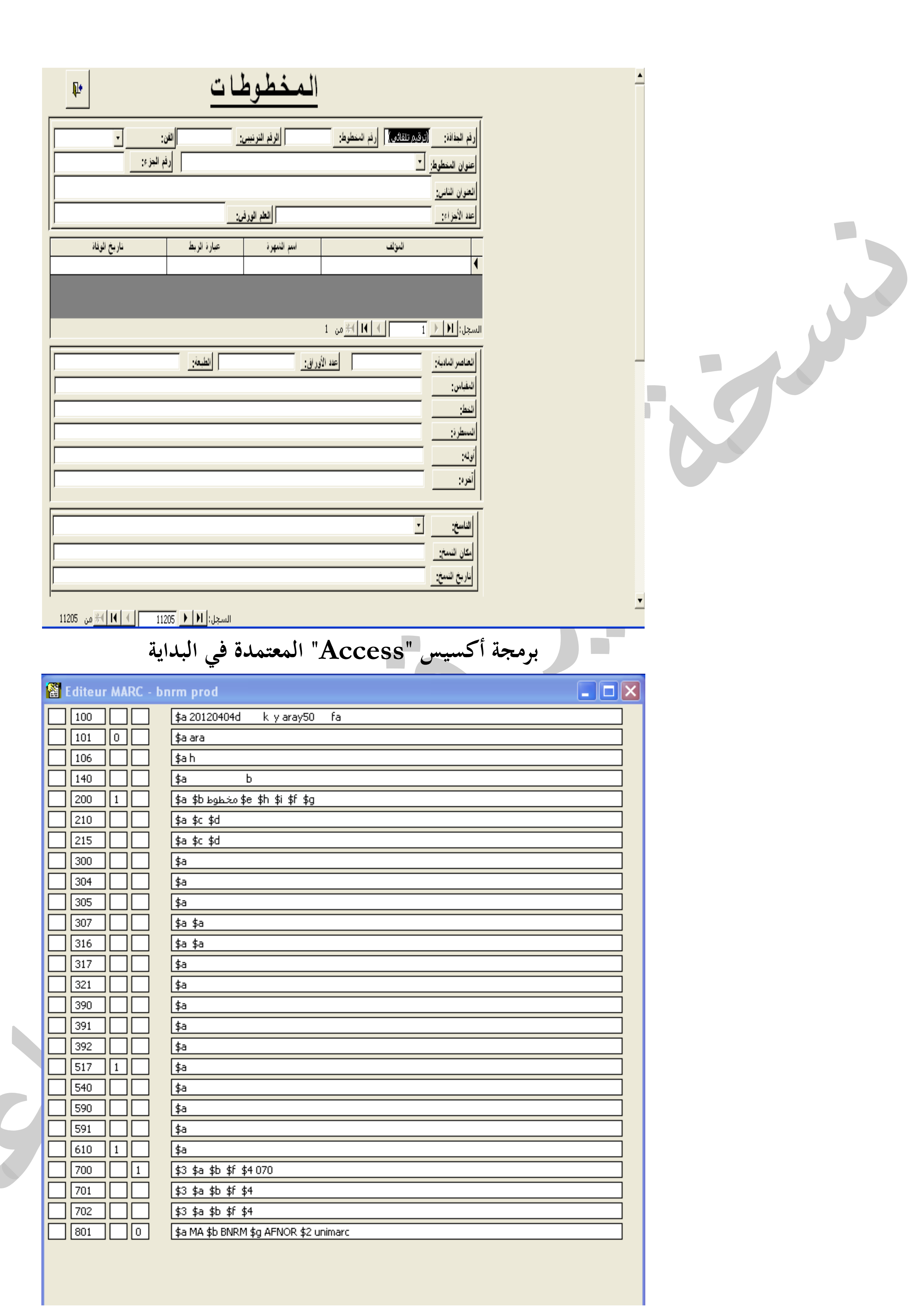
كل المعلومات والبيانات الممكنة من حيث الرقم الترتيبي ورقم المخطوط وعنوان المخطوط واسم المؤلف وجملتي بداية ونهاية المخطوط وعدد الأوراق أو الصفحات والمسطرة ونوع الخط وتاريخ التأليف والنسخ وحالة المخطوط المادية وذكر التمليكات والنسخ المتوفرة والمصادر المعتمدة.كما يتضمن هذا الفهرس فهارس المؤلفين والمؤلفات والنساخ والمصادر والمراجع والمحتويات.

3. مكننة فهرسة المخطوطات:

تمكن فهارس المكتبة الوطنية والببليوغرافيات، من الوصول بسرعة للوثيقة أو المعلومة المبحوث عنها، سواء داخل المكتبة أو عبر الفهرس الإلكتروني.ويجد الباحث في فهرس المكتبة الوطنية رصيدا وثائقيا هاما، كمرحلة أولى، يشمل على الكتب الموجودة بالمكتبة الوطنية، إضافة إلى عدد مهم من الخرائط والتصاميم، وأيضا المخطوطات والوثائق المرقمنة.

وتمكنت المكتبة الوطنية من إنجاز فهرس موحد ومتعدد اللغات، حيث يضم الوثائق القديمة والجديدة، ويساهم في البحث والتواصل والمحافظة على الرصيد الوثائقي.وقد اعتمدت في ذلك في بداية الأمر على نظام أكسيس « Access » من خلال البرمجة أسفله، قبل أن تقتني نظاما معلوماتيا من صنف فريتويا« virtua » واعتمادا على برمجة موحدة « Unimarc »كما هو مبين أسفله.

يمكن فهرس المكتبة من تحديد الرصيد المخطوط الذي تزخر به المكتبة الوطنية.وهو على شكل فهرس يدوي يتكون من مجموعة من الجذاذات وعلى شكل فهرس رقمي عبر الأنترنيتو يمكن استعماله عن طريق البحث عن عنوان المخطوط أو اسم المؤلف أو موضوع.والمخطوطات المحفوظة صنفت حسب الفنون وفق تصنيف ديوي العشري الذي يقسم علوم المعرفة إلى عشرة أقسام.



برمجة أكسيس "Access" المعتمدة في البداية

البرمجة الموحدة "Unimarc" المعتمدة حاليا

2. المحافظة على التراث المخطوط المغربي [1] :





تشكل المختبرات أهم مكونات المكتبة الوطنية، حيث يتم فيها صيانة المخطوطات من خلال عمليات المعالجة والترميم والمحافظة عليها والتعريف بها وتيسير الاستفادة منها، إلى جانب تسفير المخطوطات والكتب. وتتكون هذه المختبرات من:

أ. مختبرالترميم: يتوفر على معدات حديثة، منها ما هو مرتبط بالتنظيف، وإزالة الأحماض، وإضافة الطلاء المقوي، والتنشيف والتسوية، وإصلاح التمزيقات، ورتق الخروم، وإعادة التركيب، وإزالة البلاستيك عن المخطوطات. ويكون الترميم إما يدويا أو ميكانيكيا ووصل عدد المخطوطات المرممة لحد الآن حوالي 35 مخطوطا







ب. مختبر التصوير على الميكروفيلم: ويضم آلات لتصوير المخطوطات على الميكروفيلم سواء باللونين الأبيض والأسود "الإيجابي أو سلبي" أو بالألوان، وقام المختبر بتصوير حوالي 7000 مخطوط فضلا عن تصوير مخطوطات خزانة القرويين والخزانة الحسنية وخزانة ابن يوسف بمراكش وخزانة أبي سالم العياشي ومخطوطات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات.

[1]) تاوشيخت (لحسن): المرجع السابق (ص 53-56)

النوعية	العدد	
جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق	1775	تصوير المخطوطات على الميكروفيلم
الخزانة الحسنية بالرباط	1003	
خزانة القرويين بفاس	485	
خزانة أبو سالم العياشي "الحمزاوية"	235	
خزانة ابن يوسف بمراكش	163	
دار الحديث الحسنية	100	
الخزانة العامة بتطوان	99	
خزانة الجامع الكبير بمكناس	70	
الأوقاف	1200 (في طور الإنجاز)	

ج.ورشة التسفير: وتتم عملية تسفير المخطوطات أو الكتب النادرة بالطريقتين اليدوية والآلية، لكن ما يميز هذه الورشة، كونها تشتغل بحرفية تقليدية نادرة، سواء بالنسبة للطريقة المغربية أو المشرقية أو الغربية في تجليد المخطوطات وترميم أغلفتها.



5- رقمنة المخطوطات:

أضحت الرقمنة مشروعا استراتيجيا للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وذلك بهدف مواكبة التطور السريع للمعلومات وإلى خلق مكتبة رقمية متعددة الوسائط لخدمة القارئ عن بعد من جهة ومن جهة ثانيةإعادة الاعتبار لرصيدها الوثائقي والمحافظة عليه وتسهيل الاطلاع على محتوياته عبر الشبكة العنكبوتية، خاصة إذا علمنا

أن رصيد المكتبة الوطنية يتميز بمضامين نادرة بل وفريدة ورائعة وبعضها معرضا للإتلاف في أي وقت، ثم إن هذا الرصيد أصبح الإقبال عليه ملحا وكبيرا من طرف القراء والباحثين.

وفي هذا الصدد تمكنت المكتبة الوطنية بفضل مساهمة ورعاية مؤسسات إنتاجية وطنية من تجهيز مختبرا للرقمنة يعتبر الرائد على الصعيد الوطني، وهذا ما ساعدها على إطلاق عملية واسعة لرقمنة رصيدها الوثائقي وبالتالي تنمية رصيدها الرقمي عبر بوابتها الإلكترونية.ويتكون هذا المختبر من:

- جهاز سكانير حجم A2 لرقمنة المخطوطات والمطبوعات الحجرية والكتب والمجلات...
- جهازسكانير حجم A1 لرقمنة المؤلفات ذات القياسات الكبيرة مثل الجرائد والخرائط والتصاميم...
- جهازين معلوماتيين "Serveurs" لتدبير المكتبة الرقمية ولحفظ البيانات الرقمية من جهة ولمعالجة هذه البيانات ووضعها على الشبكة الإلكترونية من جهة أخرى.

وهذا ما سمح للمكتبة الرقمية المغربية بمنح مستعمليها بكل حرية وبالمجان، قاعدة بيانات متنوعة وغنية تشتمل على حوامل مختلفة كالمخطوطات والمطبوعات الحجرية والكتب النادرة والمجلات والخرائط والتصاميم والصور والبطاقات البريدية إلى أخره...هذه القاعدة يتم تحيينها وإثرائها بشكل تدريجي ومنتظم.

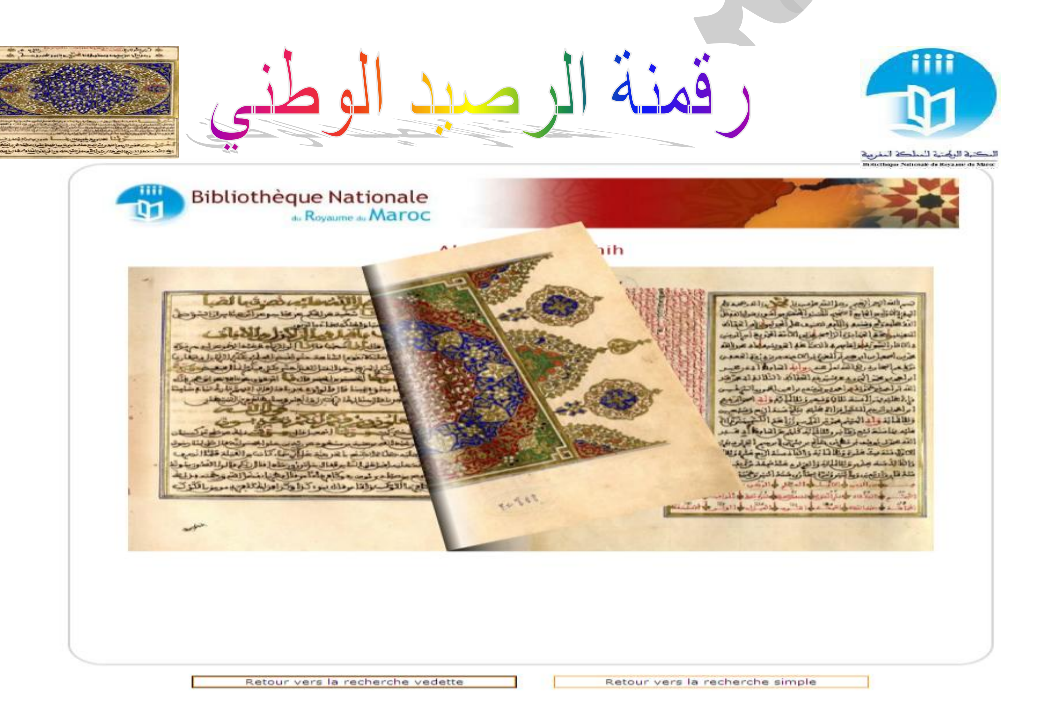
من أجل التعريف بالتراث الوثائقي الوطني وتثمينه، ولتوسيع دائرة المستفيدين منه، فإن المكتبة الوطنية اتخذت جملة من التدابير، منها إحداث بوابة المكتبة الرقمية المغربية لتمكين الجمهور الواسع من الوصول إلى الوثائق المرقمنة عن بعد، وتوسيع نطاق الخدمات.ومن بين أهداف المكتبة الرقمية:

- تثمين الرصيد الوثائقي الغني المحفوظبالمكتبة الوطنية ؛
- حفظه وصيانته، وذلك بوضع نسخة رقميةبديلة لهذا الرصيد ؛
- تسهيل وتشجيع الاطلاع عليه من قبلالباحثين باختلاف مشاربهم وصفتهم الواقعية أو الافتراضية ؛
- خلق خدمات توثيقية عن بعد، والمساهمة في لا تمركزها.

وبفضل ذلك أصبحت المكتبة الوطنية تتوفر على بوابة إلكترونية وظفت فيها تقنيات حديثة ومتطورة على شاكلة التصفح الألي « turn-page »، وضعت من خلالها رصيدا وثائقيا ثريا رهن إشارة روادها.ويشتمل الرصيد الرقمي الحالي على:

* 100 مخطوط
* 31 مطبوع حجري
* 21 كتاب
* 740 عدد من أصل 17 مجلة
* 1200 وثيقة أخرى من صور وخرائط ومجموعات متخصصة...


مساعدة | للاتصال بنا | موقع المكتبة | خريطة الموقع
Français | عربي
المكتبة الرقمية المغربية
المكتبة الوطنية للمملكة المغربية
الاستقبال
تقديم
بحث بسيط
بحث مفصل
بحث الدوريات
فهرس المكتبة
مكتبة الوطنية للمملكة المغربية تطلق نسختها الرقمية. وتقد
الوثائق المرقمنة
مخطوطات
مطبوعات حجرية
كتب
مجموعات خاصة
- خرائط
- صور فوتوغرافية
مجلات
جرائد
ذخائر المكتبة
مختارات من المخطوطات
مختارات من الخرائط
مختارات من المجموعات الخاصة
كنوز المكتبة
صور
فهارس المخطوطات
فهارس المخطوطات المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية
الجديد بالموقع
أنفاس
مجلات إلكترونية
المكتبة الوطنية تتيح لكم الولوج إلى الباقات الإلكترونية الآتية :
Jstor
Aluka
Revues.org
Persée
Erudit
DOAJ
مواقع هامة
المكتبة الرقمية الفرنسية
الشبكة الرقمية الفرنكوفونية
مكتبة الاتحاد الأوروبي الرقمية
جرائد وطنية
مخطوطات عربية
المكتبة الرقمية العالمية
مقالات
Google books
الاستقبال | إتصل بنا | خريطة الموقع
جميع الحقوق محفوظة للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية 2011


رقمنة الرصيد الوطني
Bibliothèque Nationale du Royaume du Maroc
Retour vers la recherche vedette
Retour vers la recherche simple

صناعة معجم المخطوطات اللغوية لأعلام الجزائر

– الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية –

الأستاذ: حاج هني محمد

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

مقدمة:

ازداد الاهتمام بعلم صناعة المعاجم في الآونة الأخيرة زيادة كبيرة، وأصبح العلم يدرس في كثير من الجامعات والمعاهد الغربية والعربية أيضا، ومن القضايا التي يعنى بها هذا العلم هو صناعة معاجم موضوعية عامة كانت أو مختصة لعلوم ومعارف تراثية وحديثة.

ومن بين هذه المعاجم اللغوية؛ هناك ما يسمى حاليا بمعاجم المخطوطات العربية التي تمثل بدورها امتدادا لمعجم فهارس المخطوطات، فما طبيعة هذا المعجم؟

1. تعريف معجم المخطوطات:

هو معجم يعرف بالمخطوطات الصادرة من أنحاء شتى في العالم، هدفه حصر كل ما صدر من المخطوطات العربية وغير العربية في جميع العلوم والمعارف؛ وهذا المعجم هو جزء من مشروع يضطلع به معهد المخطوطات العربية لإصدار معجم شامل ومتجدد للمخطوطات العربية المتوفرة في المكتبات والمعاهد، حيث يعد " مادة أساسية لمشروع فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات العالم "[1]، ولصناعة هذا النوع من المعاجم لابد من تبني منهجية" تشتمل على خمس خطوات رئيسة هي: جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل وترتيبها طبقا لنظام معيّن، وكتابة المواد، ثم نشر النتاج النهائي"[2]، " فالمعاجم أدوات معرفية تزود مستعملها بمعلومات محددة هو بحاجة إليها"[3].

وفكرة صناعة معجم للمخطوطات اللغوية الخاصة بأعلام الجزائر لن يؤثر في تطوّر المعجمية العربية، أو يغير مسارات صناعة المعجم العربي الحديث والمعاصر، بل إنه ضرب من المعاجم المتخصصة المصنفة للمخطوطات اللغوية الجزائرية في مختلف المجالات المعرفية والفروع المنبثقة عليها، "والمكتبة العربية في حاجة إلى أصالة التراث "[4] الدفين لإحيائه وإبراز ما أنتجته العقليات القديمة في شتّى المعارف والعلوم.

2. مادته:

ومما لاشك فيه أنّ المادة هي هدف أيّ صانع للمعجم، يشرحها، ويضبطها، وما إلى ذلك من الأمور التي تتضافر، وتتعانق من أجل التعريف بما يرد تحت المداخل، فبالإمكان القول أنّ المدخل أو المادة تعتبر" المكون العمدة"[5] للمعجم، "وهو العمود الفقري لأيّ عمل" يسعى لصناعة أي معجم من المعاجم"[6] فقد حددت معاجم المخطوطات اللغوية طبيعة مادتها – مداخلها– سلفا، عندما حددت مجالها بأنّها متوفرة على دراسة المخطوطات اللغوية، وهي بذلك معاجم خاصة أو متخصصة في جرد وإحصاء المخطوطات الجزائرية، وأعلامها ومحققيها،

وحتى العلوم المختلفة التي تناولتها تلك الكتب التراثية في حقول أدبية ولغوية أو حتّى فقهية وأخرى علمية...وغيرها من العلوم والمعارف، أو عبر مسارها التاريخي، ونسخها المحققة وفهارسها.

فالمخطوطات اللغوية لأعلام الجزائر مثلا، هي بمثابة معيار المحتوى أو المضمون والمقصود به" محتوى المادة اللغوية الموجودة في مداخل المعجم"[7].

3. أهدافه:

وعلى ما يبدو أنّ معجم المخطوطات اللغوية كمعجم مختص يسعى لتحقيق الغايات المميزة، فهو يساعد أهل الاختصاص على معرفة نوع وطبيعة وشكل المخطوط؛ وتحديد حقله اللغوي، مما يسهل في عملية التحقيق والفهرسة للمحترفين والقراء غير المختصين على السواء، وبذلك من الممكن أن تنجح هذه المعاجم الخاصة بالمخطوطات اللغوية في تحقيق صفة الشمول، أو التغطية الكاملة للتراث المحقق وغير المحقق، وكذا مصطلحاته المتعلقة بالتحقيق والفهرسة والنسخ.

فضلا عن تدريب الباحثين من محققين ومفهرسين ونساخ،" وشغلهم أوّلا بالأسهل المفيد تحضيرا وإعدادا لهم، للانتقال بهم إلى الأصعب الأفيد"[8]، وهو التحقيق والفهرسة والنسخ.

كما يسمح بجمع جهود العلماء الجزائريين السابقين في مجال علم المخطوط، وبيان المراد من وضعها، وتبيان العلوم وحقولها المعرفية الخاصة بها، ثمّ وضعها رهن إشارة المهتمين موثقة ومصنفة للاستفادة منها نحو تحقيقها أو حوسبتها في معاجم إلكترونية متخصصة.

إضافة إلى تيسير إعادة إحياء التراث الجزائري المخطوط.

4. مميزاته:

لابدّ أن يراعي صانعوا هذا النوع من المعاجم المتخصصة أمورا لاختيار معجم المخطوط وهي:

– أن يحتوي على مواد لغوية مختلفة، لأنّ جمع المخطوطات وفهرستها ليست غاية لذاتها، بل لخدمة التراث العربي الأصيل الذي ألفت فيه من جهة، والصناعة المعجمية من جهة أخرى.

– التوثيق بمراجعة المصنفات المعنية بأسماء المؤلفين ومؤلفاتهم، ومنها مصنفات قديمة مثل:، أو مصنفات حديثة، "والتأكد من نسبة المخطوط إليه، وذلك بالإطلاع على حال المؤلف والتأكد من بروزه في أحد العلوم، ومعرفة مكانته وسط المؤلفين، والتعرف على مؤلفاتهم"[9].

– كما تختلف معاجم الموضوعات– مثل معجم المخطوطات اللغوية– عن المعاجم اللغوية العامة؛ بعدد من الفوارق المميزة أهمها:

– " ترتب معاجم المخطوطات بناء على الموضوع(المخطوط)، وما يتناوله؛ أما المعاجم اللغوية العامة فإنّ حروف المعجم هي الأساس في الترتيب.

– كما تهدف معجم المخطوطات اللغوية إلى إمداد المحقق أو المفهرس بلفظ أو عنوان يختمر في ذهنه، أما اللغوية فتهدف إلى شرح ألفاظ غامضة المعنى"[10].

5. القارئ المستهدف:

إن هذا النوع من المعاجم المتخصصة يسمح بالإطلاع السريع على كتب التراث اللغوي الجزائري المخطوط، مع إمكانية اختزال الزمن في عملية الجرد المنهجي انطلاقا من الجمع، والتصنيف والتعريف بالأعلام، والمدونات التي يوفرها هذا المعجم، وبالتالي تسهيل عملية تحقيق المخطوط اللغوي الجزائري، والكشف عن هذا التراث الدفين بأيسر الطرق.

6. معجم المخطوطات اللغوية الجزائرية وتحقيق التراث:

إن جعل التراث العربي محققا ومفهرسا في ميادين الصناعة المعجمية، يبقى غاية لتلبية حاجات الحياة العصرية، والمساهمة في إعادة إحيائه ونشره في كتب يسهل تداولها، عن طريق وضع منهجيات محكمة لبناء معاجم مختصة بالتراث المخطوط، وما تتطلبه هذه الصناعة من جهود مبذولة من قبل المعاجميين والمحققين والمفهرسين، وكافة الهيئات المختصة من مجامع لغوية ومكتبات عالمية، ومعاهد مخطوطات وطنية ودولية، ذلك لتتبع ما تذخره من أعمال فكرية وعلمية متنوعة، قصد نشرها والتعريف بها، ذلك لأن العلاقة بين المخطوط والتراث كعلاقة الابن البار بوالده، والعروة الوثقى بينهما تكون في صناعة معجم لهما لربط صلات التعاون والتنسيق مع كافة الجهات المعنية بصناعة المعجم والمعجمية، وصناعة المخطوط وتحقيق التراث الجزائري.

7- التعريف بالأعلام:

يرتبط الأمر في التعريف بأصحاب المتون من المخطوط بقضايا التحقيق، ومع أهمية الأعلام التي تقع في بؤرة اهتمام المحققين والمفهرسين لهذه المخطوطات، فهم" يمثلون أكبر صعوبة قد يواجهها صانعوا المعاجم"[11] المختصة بالتراث في هذا المجال من الصناعة المعجمية، علما أنّ من أوجب الواجبات وأولى المسؤوليات التي ينبغي أن يتصدى لها أهل الاختصاص؛ هي جمع ما تفرق من مخطوطات هذا التراث، وبذل كل جهد ممكن لتقصي الحقائق حول واضعي ومؤلفي هذه الأخيرة، حتى تحملها الأجيال اللاحقة في أحسن صورة وأنصرها، وهنا تبرز عدّة أسئلة على جانب كبير من الأهمية أولها: من أصحاب هذه المخطوطات؟ والثاني: كيف يتم التعريف بهؤلاء؟

هنا نلمس عصب المشكلة الفقيه في الصناعة المعجمية للمخطوطات اللغوية وغيرها، مثلا:" الزواوي 676هـ- 1287م إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي، أبو اسحق، فقيه، زاهد من أهل زواوة، نشأ في بجاية، ورحل إلى المشرق، فلقي أكابر العلماء كالرشيد ابن عوف وعز الدين بن عبد السلام وغيرهما، ذكره صاحب: عنوان الدراية، وقال: " كان حسن الحديث مستطرف الرواية، بديع الحكاية له نظم حسن، وكلام في النثر مستحسن توفي في بجاية سنة 676هـ"[12].

8. التعريف بالمصنفات:

إنّ المصنفات؛ أي المخطوطات باعتبارها مواد للمعجم، يمكن تعريفها من خلال عدّة مصادر لعل أبرزها عامل التمليكات، والتي "تعتبر من المصادر الهامة لاستقاء المعلومات عن المخطوط في بعض الأحيان، فمن اسم العلم الذي يملك المخطوط يمكن تحديد تاريخ نسخ المخطوط، وكذلك من اسم المكتبة التي تقتني المخطوط أمكن تحديد مكان نسخ المخطوط، فقد يعفي اسم المالك أو اسم المكتبة من عناء البحث"[13]، وما يبقى من أعمال سيستغلها المعاجمي في صناعة معجم المخطوطات المختص، بعد أن يقوم بجرد ما توفر منها داخل وخارج البلاد، ليصنفها وفق حقولها اللغوية أو العلمية، أو وفق أعلامها أو أماكن نسخها وتواجدها، أو الفترة الزمنية التي خطت فيها هذه الكنوز التراثية، وربما يصنفها تبعا للملامح المادية للمخطوط العربي؛ أي الفهرسة وذلك بـ:

– تبيان صفحة العنوان في كل مخطوط من المخطوطات.

– الوقوف على المقدمة لاستقراء نتائج تتعلق بسبب تسمية صاحب المخطوط لكتابه، والأهداف والدوافع التي دفعته إلى التأليف، وذلك طبعا بالنسبة لكل مخطوط عثر عليه لاستيفاء مصادره.

– الخاتمة وذلك ليتبين منها المعاجمي والمحقق على السواء تاريخ الانتهاء من تأليف المخطوط، وبالتالي تصنيف بقية المخطوطات تاريخيّا، "وقد تسمى الخاتمة في بعض الأحيان بجرد المتن colophon"[14]، وخاصة في المخطوطات المتأخرة؛ إذ تعتبر الخاتمة مصدرا غنيا من مصادر الحصول على المعلومات عن المخطوطات المفهرسة مما يسهل عملية تصنيفها.

– أو من خلال اطلاع صانع هذا النوع من المعاجم على الفصول والعناوين الفرعية في كل مخطوط لغوي، فمن الطبيعي أن يجهد هذا الإجراء التطبيقي المفهرس والمعاجمي اللذان يحاولان الحصول على ملخص لفصول الكتاب أو أبوابه، " ولعل هذا ما يؤدي إلى أن تستغرق عملية الفهرسة– لوحدها– للمخطوط الواحد زمنا طويلا قد يصل إلى عدّة أشهر أو سنوات"[15].

– مسطرة المخطوط: باعتبارها معيارا موحدا لوصف المخطوط العربي، وإحصاء عدد أوراقه إذا كان غير مرقم.

– الملخص: يمكن لواضعي المعاجم المختصة بالتراث المخطوط، وبخاصة المخطوطات اللغوية لأعلام الجزائر أن يسجلوا خلاصة مركزة عن موضوع المخطوط، وذلك إذا لم يتضح موضوعه من أيّ سياق آخر في الشكل التالي: – المخطوط بحث في فقه اللغة.

أو — يدور حول علم البلاغة عند العرب[16].

9. التعريف بالحقول المعرفية:

والمقصود بها تعريف المخطوطات وفق العلوم اللغوية التي تتناولها، كألفية بن معط التي تعدّ مخطوطا لغويّا جزائريا موضوعه علم النحو، وهناك مخطوطات أخرى لعلوم البلاغة نحو: الجوهر المكنون في الثلاثة فنون لعبد الرحمن الأخضري، ومخطوطات علم الصرف.

10. منهج بناء المعجم:

أ. المقدمة:

دعا الكثير من الدارسين إلى ضرورة تبني منهج محدد في بناء المعاجم، ونصّ معظمهم على أن يبدأ كل معجم من المعاجم العامة أو المتخصصة أو غيرهما بمقدمة هادية إلى ما فيه، نظرا لأهميتها ودورها في الصناعة المعجمية، وأكدت الدراسات المعاصرة أنّ هذه الدعوة كانت تقليدا جرى عليه الأقدمون من مصنفيّ المعاجم؛ حيث " جرى أصحاب المعاجم منذ القدم على أن يقدموا بين يدي معاجمهم تصديرا أو مقدمة"[17]، فقد يصنع أصحاب معاجم المخطوطات اللغوية مقدمات لمعاجمه، تتفاوت في المعلومات التي تحتويها والوظائف التي ستشير إليها، ولعل أهم ما تتناوله مقدمة معجم المخطوطات اللغوية لأعلام الجزائر ما يأتي:

- تعريف المخطوط ومكانته في حفظ تراث الأمة.
- ذكر خصائص معجم المخطوطات أهمّ وظائفه.
- بيان الرموز والاختصارات الواردة في المعجم.
- تحديد الغاية من تأليفه.
- الإشارة إلى القارئ المستهدف لهذا المعجم.
- توضيح منهج بناء المعجم.
- بيان طريقة الاستفادة والبحث في متن المعجم، وفق وضع قائمة الإرشادات والتوجيهات المساعدة على استخدامه.
- ذكر مصادر المعجم.

هذه جملة من المبادئ التي يجب " أن تضم مقدمة المعجم معلومات أساسية"[18]تعين الباحث والقارئ معا.

ب. الرموز والمختصرات: أصبحت الرموز والمختصرات تحتل مكانا هاما في تقنيات المعاجم وصناعتها، ولوظائفها المتعددة وأهدافها المنهجية، لعل أبرزها" الإيجاز والترتيب واقتصاد الوقت والمساحة والجهد، وهي قديمة في الكتابات العربية المختلفة"[19].

وباستقراء المعاجم الحديثة للمخطوط أو فهارس المخطوطات من حيث مدى استثمارها لهذه الرموز والمختصرات، وأنواعها المختلفة وطرائق استعمالها، نقف على النماذج التالية:

(0)، (:)، /، //، –، " "، (م)، (ص)، (ح)...الخ.

لابدّ لصانع معجم المخطوطات اللغوية أن يضع فهرس الفهارس، الذي يضم كلّ المواضيع والعلوم المتعلقة بالمخطوطات التي جمعها في هذا الكتاب الجديد، مرتبة ترتيبا ألفبائيا بحسب عناوينها، أو أسماء مؤلفيها إن وجدوا، أو حتى أسماء المحققين إذا تمّ تحقيقها مع الإشارة إلى تلك التي لم تحقق بعد.

ولربما يستخدم المعاجمي خطة أخرى لترتيب فهرس الفهارس انطلاقا من التاريخ، أو المكان الذي عثر فيه على المخطوط، وهذا حتي يتيسر له الأمر لابتكار رموز ومختصرات لها، ولن يتأتى له ذلك إلاّ بمساعدة المفهرس والمحقق له، ذلك لأنّ " مخطوطات التراث العربي الأصيل تزخر بالرموز التي ابتدعها أجدادنا من المؤلفين والنسّاخ"[20]، وقد كانت معروفة لديهم فوضعوها بكلّ إحكام ودقة متناهية، فاتفقوا على مواضيع استعمالها وعلى أشكالها، فلا مناص للمعجمّي إذا أن يغيّر منها أو يستغني عنها وهو يقوم بصناعة معجم المخطوطات.

11. مصادر المعجم:

تتنوع مصادر الجمع في بناء معجم المخطوطات اللغوية الجزائرية، لكون المخطوطات في الجزائر مفرقة في المساجد والزوايا والمكتبات العامة والخاصة، وللقيام بمسح شامل لما خلفه علماء الجزائر في مجال الدراسات اللغوية، لابد من الرجوع إلى:

1. فهارس المكتبات العامة التي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات اللغوية الجزائرية، ومن ذلك:
2. فهارس المكتبات الخاصة ولاسيما في المناطق الغنية بالمخطوطات، كخزائن المساجد والأفراد في جهات مختلفة من الجزائر منها: طولقة، بوسعادة، أولاد جلال، وادي ميزاب، البرواقية، وأدرار.
3. الكتب المهتمة بيبليوغرافيا الأعلام العربية ككشف الظنون لحاجي خليفة، معجم المطبوعات لسركيس، معجم المؤلفين لكحالة، أو البيبليوغرافيا الخاصة بأعلام الجزائر قديما مثل: عنوان الدراية للغبريني، والبستان في أولياء وعلماء تلمسان لابن مريم التلمساني، والدرّة المصونة في علماء وصلحاء بونة لأحمد بن قاسم البوني، أو الحديثة منها: كمعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض، وتعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي، وفهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث للشيخ بشير ضيف، والمصنفات اللغوية والأدبية للأعلام الجزائرية عبر القرون لمختار بوعناني، وغيرها.
4. كتب تاريخ الجزائر كتاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي.
5. الرسائل والأبحاث الأكاديمية في مجال تحقيق المخطوط.
6. المجلات والدوريات المهتمة بمجال الدراسات اللغوية القديمة.

12. الكشافات:

والتي من شأنها تسهيل عملية البحث في المعجم المتخصص من خلال تزويده بعدة كشافات، تتيح للباحث عدة طرائق للكشف عما يبحث عنه:

أ) فهرس الأعلام مرتب ترتيبا ألفبائيا حسب اسم الشهرة.

ب) فهرس العناوين مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

ج) فهرس المجالات اللغوية والأدبية، وذلك بجعل المخطوطات المنتمية إلى كل حقل على حدة؛ فهناك مخطوطات الصرف، مخطوطات للنحو، وأخرى للبلاغة، وأخرى للعروض وهكذا، والشيء نفسه بالنسبة لحقل الدراسات الأدبية إذ تصنف في مجموعات على شاكلة: مخطوطات الشعر، مخطوطات الخطابة، ومخطوطات أدب الرحلة...الخ.

د) فهرس النسّاخ نشير فيه إلى أسماء نساخ المخطوط الواحد وفق ترتيب زمنيّ، حسب تعدد النسخ للمخطوط الواحد.

ه) فهرس الأماكن يحدد أماكن تواجد النسخ، مع الإشارة إلى أرقام جردها وتصنيفها في الخزائن والمكتبات.

و) فهرس أوائل المخطوطات يحدد فيه بداية المخطوط؛ وذلك حتى يسهل تمييزه عن المخطوطات الأخرى المتشابهة.

ز) فهرس أواخر المخطوطات يحدد نهاية المخطوطات، لأنّ نهايته تتضمن عدّة معلومات تساعد على تحقيقه، حيث " تحتوي الخاتمة اسم الناسخ وأحيانا مكان النسخ، وفي أحيان كثيرة يذكر تاريخ النسخ في اليوم والشهر والسنة الهجرية"[21].

ويتطلب إنجاز هذا النوع من المعاجم تضافر الجهود بين عدّة اختصاصات؛ فاللغويون يحددون مجالات الدراسة من خلال ضبط حقول اللغة والأدب، وما يتفرع عنهما من فروع معرفية، أما المعجميون فيسهمون في وضع تصور منهجي يبنى عليه هذا المعجم المختص، في حين يشارك المفهرسون في توفير كشافات بأسماء الأعلام الجزائرية في الدراسات اللغوية والأدبية، حتى تكون مداخل للمعجم، وأخيرا يأتي دور المحققين في تحديد العنوان المطلوب بنسخه المتعددة بغية تحقيقه، وجعله في متناول الدارسين.

خاتمة:

إنّ بناء هذا المعجم المختص – على الرغم من صعوباته- سيكون له الأثر البالغ في حماية التراث اللغوي الجزائري والتعريف به داخل الوطن وخارجه، كما سيسمح هذا العمل بإخراج الكنوز اللغوية الدفينة في رفوف المكتبات والزوايا والمساجد من غياهب الظلام وعبث الرطوبة والحشرات إلى نور الوجود من خلال التحقيق والنشر.[22]

الهوامش:

[1]- إصدارات لغوية ومعجمية، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، العدد22، الرباط، 1982م- 1983م، ص: 344.

[2]- علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، جامعة الرياض، الرياض، ط2، 1991م، ص:3.

[3]- المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان،ط1، 2003م، ص: 23.

[4]- المعجم العربي تطور وتاريخ في ضوء نظريات علم الدلالة لدى المحدثين، البدراوي زهران، دار الآفاق العربية، الجزائر، ط1، 1430هـ- 2009م، ص: 25.

[5]- ينظر: تراث المعاجم الفقهية في العربية، دراسة لغوية في ضوء أصول صناعة المعجم والمعجمية، خالد فهمي، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 2005م، ص: 191.

[6]- ينظر: المرجع السابق، خالد فهمي ص: 191.

[7]- المرجع السابق، ص: 193.

[8]- دراسات مصطلحية، مجلة معهد الدراسات المصطلحية، عدد خاص بندوة مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات الحديثية، العدد4، 1426هـ- 2005م، فاس، المغرب، ص:152.

[9]- ينظر: مناهج البحث العلمي ومناهج تحقيق المخطوطات للطلبة الجامعيين والباحثين، عز الدين شريفي، دار شريفي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 2005م، ص: 45.

[10]- ينظر: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، ط2، 1994ن، ص: 19-20.

- ينظر: صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ- 1998م، [11]ص: 117.

12- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1971م، ص: 13-14.

13- ينظر: الفهرسة الوصفية للمكتبات، المطبوعات والمخطوطات، شعبان عبد العزيز خليفة، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، مصر، د.ط، ص: 400.

- المخطوطات والتراث العربي، عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1422هـ- 2002م، ص: [14]194-195.

15- ينظر: فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا، تنسيق وتحرير: فيصل الحفيان، ندوة قضايا المخطوطات2، معهد المخطوطات العربية، 1999م، ص: 393.

16- ينظر: الفهرسة الوصفية للمكتبات، المطبوعات والمخطوطات، شعبان عبد العزيز خليفة، ص: 420.

[17]- صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، ص: 105.

18- الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات، محمود فهمي حجازي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1، العدد40، 1398هـ- 1988م، ص: 95.

19- تقنيات التعريب بالمعاجم العربية المعاصرة، حلام الجيلالي، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 1419هـ- 1999م، ص: 263.

[20]- ينظر: مناهج البحث العلمي ومناهج تحقيق المخطوطات، عز الدين شريفي، ص: 40.

21- المخطوطات العربية فهرستها علميا وعمليا، فضل كليب وفؤاد محمد عبيد، مراجعة وتحرير: محمود أحمد أتيم، تقديم: محمد بحيص، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1426هـ- 2006م، ص: 39.

المخطوطات في أسس جمعها وبنائها (دراسة في مناهج تحقيقها وضبطها)

د/محمد حجازي

جامعة باتنة

مدخل نظري:

تهتم الأمم قاطبة بالحفاظ على تراثها، بجمعه وإثرائه وتلقينه للأجيال، حتى يبقى التواصل قائما بين منظومات التفاعل المعرفي الجيلي.وأهم ذلك كله، نظام المخطوطات في أصل المحافظة والجمع والضبط؛ حتى يستقيم التفاعل والاستفادة بين أبناء الأمة والقراء.

ولأهمية ذلك، انبرت المؤسسات العلمية والمعرفية، على مختلف مستوياتها ومسئولياتها، بالاهتمام الكبير لعمليات التحقيق والدراسة والجمع والطبع...وكل ما يشكل عملية المنهجة، للإخراج العلمي الأكاديمي الدقيق للمخطوطات والأسفار القديمة.

وطبعا، فإن تطبيق المناهج يُعد السبيل الذي يوجِّه بإحكام ودقة وتمحيص عمليات التحقيق، التي تتناول التراث العلمي الذي صنعته الأمم، وتعاقبت حوله الأجيال، وفق منهج التواصل والعطاء وتعميم الفائدة والاستفادة.

وهذا ما يشير إليه- د- عبد الباسط محمد حسن بقوله: ً إن الدراسة المنهجية العلمية الدقيقة، في تناول البحوث والتحقيقات، إنما هي للوصول إلى إظهار الحقائق وتوصيلها إلى القراء، والتحقق من مضامين التراث بمخطوطاته وبحوثه، حتى نتمكن من تعميم الاستفادة منها والتحقق من معارفها وصحتها هي أيضاً .[1]

وبطبيعة الدراسة والحال، تظهر مكامن المعرفة والتواصل مع الحقائق الثابتة المميزة لكل فترة من فترات التاريخ وصيرورته وحقائقه.

وهل يمكن اعتبار قول (باختين) عن الكتابة، يصلح أن يتماشى مع المخطوطات وطرائق تحريرها وتحقيقها وأبعاد ذلك حين يقول: ً الفن الذي يعيش في صيرورة دائما، ولا يزال غير مكتملٍ ً.[2]

وتعتمد الشعوب في تقويم إنِّيَّتها وبنائها المجتمعي، على هذا الزخم المعرفي الإنساني، الذي يحقق رغبة البقاء والتواصل، وهذا ما عليه الشعوب المتحضرة، مثلا: ً في بلاد الغرب اعتمدوا أساسا على العلوم الاجتماعية، لفهم واقع مجتمعاتهم واستعمالهم للعلوم الاجتماعية والإنسانية والقيم المعرفية الموروثة، ارتكازا على التناول العلمي والمنهجي لمعالجة ظواهر الحياة اليومية، وهذا لن يتم دون البحث الميداني والتعاطي مع الموروث الحضاري المنسوخ في السجلات والمكتباتً.[3]

---

[1]-أصول البحث العلمي- مكتبة وهبة- القاهرة- ط 1982- ص 124

[2]-عبد الملك مرتاض- تقنيات السرد-عالم المعرفة- الكويت-عدد 240-ص 47

[3]-بتصرف / موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة/ بوزيد صحراوي- دار القصبة- الجزائر-ط2004- ص 3

1-دراسة في المفاهيم:

يعد تفسير ابن جني للغة، على أنها وسيلة التواصل بين الناس لأداء أغراضهم وتدبر شؤون حياتهم.على أنه التعريف والتفسير الذي يصب في خانة المتداول الدلالي لصيرورة اللغة وتراكيبها ونصوصها ووجودها أساسا؛ كون العملية تتميز بالأداءات المعرفية الموصلة إلى حركية التواصل وتوظيف المعارف ومهارات الكتابة والتميُّز فيها، والإقدام على ترسيخ مفاهيم العلوم ومصطلحاتها ودلالاتها، والأنساق المعرفية التي تحاول شرحَ ومنهجَة المعارف والعلوم والآداب، بما يكفل الفهم وتحقيق الغايات.

وتلك فطرة الله تعالى في خلقه، أن علم سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...حين تحقق وعد الحق بالخَلْق والخلافة في الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.(1)

وحكمة تعليمه سبحانه وتعالى لآدم، أنه سيستخلفه في الأرض ليعمرها، ويترك آثارا كلما تعاقبت الأجيال وتآلفت مع المتغيرات الحياتية، التي تسعى من خلال العلم والمعرفة؛ إلى تحقيق أدوات الاستخلاف في الأرض والتواصل مع أبعاد الحياة ماضيا وحاضرا ومستقبلا، كلما تماشى ذلك مع سنن الكون.

إن تلك التسجيلات والقراءات للحياة، مبعثها الثراء اللغوي والمعرفي والتنوع في العطاء والإبداع وكل مواطن الكتابة، والقراءة والنسخ والتسجيل؛ والسبب الرئيس أنها: " تتشكل من تفاعل شبكة العلاقات المعرفية والاجتماعية والتوترات والنجاحات والإخفاقات، وكل ما يشكل حياة الناس من التشابه والاختلاف، ومن الثغرات العامة والخاصة؛ لأنها مجال الدراسات في القديم والحديث، وهي في كل ذلك تَطَلُّع لصناعة التاريخ والمجد والثراء فيه " .(2)

لكون السلوك العقلي أداة لصناعة الأفكار وإنتاجها، وقراءة الماضي بتأريخه والحاضر بتسجيله والمستقبل بتطلعاته: " فقد اعتنى العلماء والباحثون بنشر الكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله...وكذا مقابلة الأصول والمرويات والسَّمَاعات...فكانوا أن اتقنوا غاية الإتقان، وسجلوا حياتهم غاية التسجيل والحفظ...."(3)

فمهمة التسجيل والكتابة، من أجلِّ المهمات التي حفظت لنا مسيرة الإنسانية وأبدعت في مقابلتها وتمكينها في حرص أكيد، من أجل البقاء الاجتماعي والمسيرة الحياتية، والانصهاروالانبهار المستقبلي.

---

[1]-سورة البقرة- الآية 31

[2]-بتصرف – د- اسماعيل زردومي- محاضرات في السرد- السنة الدراسية 2009-2010م- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة باتنة- الجزائر

[3]-بتصرف – إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر - دمشق- ط1- 1423هـ-2003م-ص 9

إن ذلك يحتاج إلى منهج أكيد ودال، حتى يتسنى ضبط الأفق المعرفي للتراث الإنساني المتعدد الجوانب والمنثور في أركان الزوايا والمساجد والقلاع التراثية المتنوعة والمتعددة.وكون المنهج هو السبيل الذي يجب تداركه ومعرفته، لصيانة التحقيق وإظهار المخطوطات إلى الوجود على وجهها اللائق والمشرف علميا وأدائيا وإجرائيا.(1)

ولمعرفة هذه القياسات الآلية التي تحقق للنص القديم ظهوره الفعلي والمعرفي العام لدى القراء، يمكن الحديث حينها عن المنهج وكيفية صناعة النص وإخراجه في أيسر صورة ممكنة، حتى يتمكن القارئ والباحث من الفهم ومعرفة الاتجاه الذي يستحوذ عليه المخطوط، وكَمْ المعارف التي يحويها، حتى يتلازم ذلك مع التحقيق وفق مقاييس المناهج وضوابطها الآلية المتبعة للنص والفهارس والحواشي...وكل ما يشكل مستويات الطرح في النسخة (المخطوط).

وعليه فإن المنهج في اللغة هو الطريق.والمنهاج: الطريق الواضح، هكذا في لسان العرب، يقول تعالى:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا..."،وانهج الطريق: وضُح واستبان وصار نهجا واضحا بيِّنا، وأورد قولا ليزيد بن الحذَّاق العبدي، يقول فيه:

ولقد أضاءَ لك الطريقُ وأنْهَجَتْ*** سُبُلُ المكارم والهدى تعدي

أي: (تعين وتقوي).

وأورد حديثا للعباس يقول فيه: (لم يمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى ترككم على طريق ناهجةٍ)، يريد واضحة بينةٍ.

وفي المعنى نفسه، يقال أيضا: اعملْ على ما نَهَجْتُهُ لكَ، أي: (رسمته وصممته لك) (2).

وفي القاموس المحيط، جاء المعنى بقوله:" النَّهجُ: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج، ونَهَجَ وضَحَ وأوضَحَ، والطريق سلكه.استنهج الطريق: سلك مسلكه..."(3).

وفي معجم مقاييس اللغة، جاء مصطلح: (نهج) بالمعاني التالية:

المنهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج.والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج، وأتانا فلان ينْهجُ، إذا أتي مبهورا منقطع النَّفَس (4).

ولهذا الاعتبار اللغوي لمدلول المناهج، وجب الاتجاه نحو توضيح الطريق الذي من أجله يقام البحث أو يظهر التحقيق حول مؤلف ما من المؤلفات، التي هي محل الدراسة والتحقيق والبحث، بمعنى هو: السبيل الذي يسلكه الباحث قصد إنجاز مشروع علمي يتضمن حزمة من الآليات المنهجية، التي تساعد على تحقيق غرض

1-ينظر- د- رمضان عبد التواب – تحقيق التراث(أساليبه وأهدافه)- مجلة قافلة الزيت- عدد فبراير – 1976م

2-ابن منظور- قدمه/ الشيخ عبد الله العلايلي- أعاد بناءه على الحرف الأول: يوسف خياط- دار الجيل- بيروت- دار لسان العرب بيروت- مادة: (نهج)- مج6- ص 727

3-الفيروز آبادي- دار الجيل بيروت- المؤسسة العربية للطباعة – بيروت- مادة (نهج) باب الجيم- فصل النون-جـ1- ص 218

4-ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) – تح/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر بيروت- مادة: (نهج) جـ5- ص 361

البحث والتحقيق حول مؤلف من المؤلفات أو قضية من القضايا؛ قصد إزالة الغموض عنها وفتح الآفاق المعرفية حولها من أجل الوصول إلى النتائج والأهداف التي من أجلها جاء البحث.

إذ يُعَد البحث أو التحقيق في نظر بعضهم، بأنه:" تقديم الدليل والبرهان والأسباب المرجّحة لإيجاد الطريقة الصحيحة في التعريف بالنص أو النسخة أو الموضوع، ثم تصور مايُتصور ويقع، ونقد ما يوجب النقدَ."[1]

وبالنسبة للتحقيق وعلاقته بالمناهج، فهو الإطار المعرفي الذي يقوم على ضوابط معرفية تقترحها مناهج تحقيق المخطوطات على المحقق؛ ليضطلع بدور علمي ومعرفي فعال، قصد إخراج المخطوط إلى حيز الوجود الفعلي للكتاب والنسخ، حتى يسهل وصوله إلى يدي القارئ لتعميم المعرفة، وإخراج كنوز العلوم والمعارف، التي تزخر بها ذاكرة الأمة والأوطان:" وانطلاقا من حتمية انعدام الكمال في أي منهج، فإننا لا نصل من حيث المبدأ إلى أي منهج، وأثناء الممارسة التطبيقية أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية والتحقيق المتواصل، لمنح العمل الأدبي المنجز شيئا من الشرعية، وشيئا من الدفء الذاتي معاً ."[2]

فالتحقيق في جانبه اللغوي، يعني:" حقَّق؛ الحقُّ: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق.والحقُّ: ليقينُ، وحق الأمرَ: يحقه حقا وأحقَّه: كان منه على يقين، تقول: حقَقْت الأمر وأحققته: إذا كنت على يقين منه.وفي الحديث:" لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيبَ مسلما بعيبٍ هو فيه".يعني خالص الإيمان ومحضَهُ وكُنهَهُ.وحاقَّه في الأمر مُحاقَّةً وحِقَاقًا: ادعى أنه أولى بالحق منه.وأنا حَقِيقٌ على كذا: أي حريص عليه.وصبغتُ الثوبَ صَبْغًا تحقيقًا أي مشبعاً.وثوب محقَّقٌ: عليه وشْيٌ على صورة الحُقَقِ.وثوبٌ مُحَقَّقٌ: إذا كان محكم النسج، قال الشاعر:

لسَربَلَ جِلدَ وجه أبيكَ، إنَّا *** كَفيناكَ المحقَّقَة الرِّقَاقَا

وأنا حقيقٌ على كذا، أي حريص عليه" .[3]

ويتحدث بعضهم عن المعنى اللغوي أيضا للتحقيق، فيقولون عنه: "التصحيح والإحكام.قال ابن الأعرابي: أحققت الأمر إحقاقا: إذا أحكمته وصححته.وعن المخطوطة قولهم:" كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتابا أو وثيقة أو نقشاً ."[4]

ويهدف التوثيق والتحقيق إلى:" صيانة المصنفات والمخطوطات والدقة في نقلها بعيدا عن العبث والتحريف والتزوير" .[5]

---

[1]-برجستراسر (مستشرق ألماني) – أصول نقد النصوص ونشر الكتب– تقديم د- محمد حمدي البكري- دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية – ص 54-55

[2]-د- عبد الملك مرتاض– التحليل السيميائي للخطاب الشعري- منشورات إتحاد الكتاب العرب- دمشق- ط 2005- ص 11

[3]-ينظر/ ابن منظور– لسان العرب المحيط-(مصدر سابق)- مج 1-مادة: (حقق) – ص 680-683

[4]-د- محمد التونجي– المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات- عالم الكتب بيروت- ط1-1986

[5]-أياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر- دمشق- ص 33

والغرض الأكيد من التحقيق والعمل به، هو المحافظة على المخطوطات من حيث: ً العناية العلمية، وإخراجها إلى القارئ في أقرب صورة ممكنة من أصلها الذي كتبه المؤلف، إذا لم يمكن وضعها في صورة مطابقة لذلك ً.[1]

وفي الجانب الاصطلاحي المفاهيمي، يعني الوصول بالإرث المعرفي الإنساني إلى حيويته وتواجده الفعَّال داخل المنظومة العلمية والأدبية والشرعية التي يحتاجها الإنسان، كمنطلقات تربط البعد الجِيلِي لعملية التواصل القراءاتي والتلاقح المعرفي.

وعليه فإن تحقيق المخطوطات يعني من ضمن مفاهيمه: ً إظهار الكتب المخطوطة مطبوعةً، مضبوطةً، خالية نصوصها من التصحيف والتحريف، مخدومة في حلةٍ قشيبة، تيسر سبل الانتفاع بها؛ وذلك على الصورة التي أرادها مؤلفوها أو أقرب ما تكون إلى ذلك، ولا يدرك الأمر إلا بعناء وصبر على البحث والتمحيص ً.[2]

وقد أكد أهل العلم من الذين كتبوا في قضايا التحقيق والنصوص والمواد المدرجة ضمن هذا الإطار، بأنه: ً أقوال المؤلف الأصلية، لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقات ً.[3]

والمخطوطات بمفهوم عام هي: ً ما بقي من التراث الإنساني مدونا بالكتابة اليدوية على اختلاف لغاتها، ويراد بتحقيقها كل ما يتعلق بالعناية العلمية بها، من توثيق نسبتها إلى مؤلفيها والتثبت من صحة عناوينها وملاحظة ما عسى أن يكون دخيلا على متنها أو ناقصا منه، ومقابلة نُسخها، وتخريج اقتباسها ً.[4]

بمعنى أنها منظومة متكاملة لها إطارها الزماني والمكاني، حيث تستوعب زمنها وما قبله، ويمكن أن تؤثر في واقع الناس عن طريق التأثير والتأثر، لكونها أداة علمية معرفية تجاوبت مع أنساق الحياة، وصنعت تفاصيل لها وجنبات من أطرها وخلاصاتها.

2-أسس الجمع والبناء في منظومة المخطوطات:

تعتمد المنظومات العلمية في بلوغ مراميها المقْصدية إلى إنتاج المعرفة، وبعث البحث العلمي بأوجهه المنهجية الدقيقة، حفاظا على التوازن المعرفي، وتأكيدا لأحقية التواصل مع معارف الأجيال باستخدام الخبرات السابقة واللاحقة؛ حتى يتم ضبط المفاهيم الدلالية للأسس المقومة للتواصل الثقافي: ً إن المعرفة العلمية، هي نوع من الثقافة تسمح برؤية التفاصيل والاستماع والتواصل بانضباط وإحكام أكثر، والتحقق من طبيعة ما نعتقد أننا قد كشفنا عنه من خلال الدراسة والبحث والتحقيق ً.[5]

---

[1]-عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة- كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب- ط1989م- ص 65

[2]-أياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- (مرجع سابق)- ص 19

[3]-الصادق عبد الرحمن الغرياني- تحقيق نصوص التراث- مجمع الفاتح للجامعات- طرابلس- ليبيا- ط 1989م- ص 07

[4]-عبد الحميد عبد الله الهدامة - ورقات في البحث والكتابة- (مرجع سابق)- ص 65

[5]-بتصرف- موريس أنجرس- منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- (مرجع سابق)- ص 47-48

ومن هنا تأتي أهمية الدراسات التي تعتمد منهج التحقيق والضبط للنصوص والمخطوطات، التي جاءت عن أصحابها من الإرث القديم، والتي كتبت وفق ظروف عصرهم وبمداد قلمهم، وخط أياديهم، وخلاصات معارفهم، واستنتاجات عقولهم، وبواعث عواطفهم...إنها امتدادات معرفية، تحتاج إلى الدراسة والتوقف عند محطاتها وأبجديات المعرفة فيها.وهنا تكمن بواعث الإقدام وبذل الجهود من أجل القراءة والمقابلات بين النسخ، والاهتداء إلى التقريب بين الشرط الدقيق للكتابة، والشرط الرابط للمعاني والمفاهيم: " إن البحث عندما يُجرى بتدقيق منهجي ووضوح علمي، إن على مستوى طرح الإشكالية فيه، أو تتبع نسخ المخطوطات للتدقيق والإخراج، إنما كل ذلك يكشف عن الرهانات المعيارية والأخلاقية للظواهر المدروسة أو المحقَّقة بطريقة مشابهة لما يقوم به علماء علم الأحياء في إنتاج المعرفة والمحافظة على الحقائق". [1]

ومن أجل ذلك، حرص علماء المنهجية على إدارة معرفة التحقيق للمخطوطات، وجلب الاهتمام إليها وحولها، كونها المعرفة النابضة للتواصل الاجتماعي، الهادف إلى التمكين من ثقافة التواصل، وتحفيز الأجيال على الارتباط بالإرث الثقافي والمعرفي، الذي يُعد في الأساس هوية الأمة، وشخصية الأجيال التي تحاول معرفة الأنا من خلال الآخر (الماضي)، الذي تآكل مادة وبقي روحا وفكرا ومعرفة!..والبحث العلمي، ليس بدعة على العرب والمسلمين، فلقد نبغ علماء في شتى العلوم والفنون، ولا زالت مؤلفاتهم وأبحاثهم وآثارهم تملأ الدنيا، وقد لا يتسع المقام للإفاضة في أفضال هؤلاء في فروع العلوم المختلفة: "ولكن يكفي الإشارة إلى دورهم المنهجي الذي أفاد البحث العلمي، وأدى إلى تحقيق الرقي والتقدم، الذي يجني العالم ثماره الآن، وذلك بعد الإضافة والتطوير، وتعاقب جهود العلماء على مر السنين". [2]

وإشارة كهذه، تعطي الدلالات الأكيدة والمتميزة، للجهد الذي يبذله الباحث المحقِّق من أجل الوصول بالمعرفة إلى أسمى غاياتها، كونه يُفني أجزاء من حياته،من أجل إخراج وتوثيق المعرفة للأجيال والقراء على حد سواء، وهذا الذي يحقق مجتمع العلم والمعرفة، والتجاوب مع تحقيق الذات، عن طريق التعاطي مع جهد العلماء وأهل الدراية من المنهجيين والكتاب والمحققين، ويمكن القول في هذا الخصوص: " إن علماءنا وضعوا لبنة البحث العلمي الأولى، وشاركوا في تصميم أسسه، كما أفاضوا في الكتابة والتأليف، واتبعوا الملاحظة والتدقيق والتمحيص، وتميزوا بالدقة والموضوعية والقياس والمقابلة، وكلها عوامل أساسية للبحث والتحقيق العلمي السليم والمميز". [3]

ولعل هذا الاتجاه الثقافي، يقودنا إلى الحديث عن حقيقة المعترك الحياتي الذي يعيشه الإنسان والذي يصنعه بأفكاره وعواطفه وخيالاته؛ لأنه بذلك إنما يصنع حياته بتعبير المفكر محمد أركون، حين يتحدث عن فاعلية الإنسان في صناعة الحضارة، والتميز بالتواصل العلمي الحقيقي بين الماضي الثري والحاضر المتنوع، يقول: " الإنسان

[1]-ريمون كيفي- لوك فان كمبنهود- دليل الباحث في العلوم الاجتماعية- تر/ يوسف الجباعي- المكتبة العصرية- بيروت- ص 46

[2]-مصطفى حلمي- مناهج البحث في العلوم الإسلامية- مكتبة الزهراء- القاهرة- ط1- 1984- ص 07

[3]-بتصرف- د- محمد شفيق- البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث)- المكتب الجامعي الحديث- ط1- 1405هـ- 1985م- ص 10

معجزة عظيمة (الباحث) جديرة بأن ينْصَب كل الاهتمام عليها، ومن الضروري أن يكون هذا الإنسان (المثقف) مسؤولا عن صنع حياته بأسرها، (الماضي- الحاضر- المستقبل).[1]

بتعبير مطاع صفدي، هو نقل الإنسان من حياة التاريخ وثقافته ومعارفه، إلى حياة الحاضر وصناعة المستقبل، كونه يتعامل وفق نواميس المعرفة، وحقائق العلم وتجذُّره وتواصله بين الأجيال، إن على مستوى الوعي بالذات وما أنتجت من معارف، أو الوعي الجمعي المرتبط بثقافة القيم والعادات والتقاليد والأخلاق والهوية، ومستوى الإبداع الفني والفكري...إن كل تلك القيم المعرفية تتساوق وفق منطلق التحقيق والرغبة في البناء العلمي، الذي يُمكِّن المعارف من التواصل والتجديد والتكامل، بما يؤسس هوية حضارية متميزة.[2]

وإذا كان الأمر نظريا يتعلق بعملية التواصل، فإن ذلك يقتضي جملة من الإجراءات المنهجية التي تُعَد اللبنات الأساسية، التي توجه وتساعد الباحث نحو تشكيل مفهوم وطريقة دقيقة لضبط إمكانات المعرفة وإلى تحقيقها وإخراجها للقارئ والمكتبة عموما.إن ذلك الجهد يحتاج إلى معرفة وحكمة، ودربه وممارسة، ليثمر المبتغى منه والمعوَّل عليه في آن واحد: أصبح البحث العلمي أولوية (والتحقيق أهم فروعه) لدى كافة الشعوب والأمم المتقدمة منها والنامية، لأن البحث العلمي يُعوَّل عليه كثيرا في رسم السياسات وخلق الثروات واكتساب المهارات، وأصبح مدى تقدم الشعوب يقاس بمدى ما تُخصصه له من دخلها القومي .[3]

إن أسس جمع المخطوطات وبنائها، يندرج في هذا التقويم العام، الذي يستند إلى أفكار علمية، وتطبيقات منهجية، ينحصر إطارها في تفعيل التاريخ، بمعنى تفعيل الزمان والمكان والإمكانات والجهد...حتى يتسنى البناء الفعلي للمخطوطات على صناعة وحضور الفعل العلمي الأكاديمي المتميز، حتى تكون المخطوطة حين إخراجها وبروزها لرفوف المكتبات، ذات قيمة من ناحية موضوعها، وذات مصداقية من ناحية ضبطها ومقابلتها بالنسخ الأخرى، وإخراجها على الوجه الذي يحقق لبنة التفاعل العلمي المتميز بالمصداقية والحضور المثمر للموضوع أو القضية، التي تطرحها المخطوطة محل الدراسة والتحقيق: إن ضبط المخطوطة والتحقق من ذلك، له حرمته وأمانته.وواجب المحقق أن يؤديه كما وجده في النسخة الأم .[4]

إن مهمة التحقيق، تحتاج إلى مزيد من الصفات الدالة والمتميزة في المحقق، حتى يفي بغرض المعرفة وإخراجها بالشكل الدقيق والمتميز، وذلك بكونه يتميز بأكثر من معرفة دقيقة حول علوم اللغة وعلوم المعاني ودلالات التراكيب، ومقابلات الشواهد والتناص فيها إلى غير ذلك مما يمكنه من الدراسة والحرص المكين والشديد للدراسة

[1]-فارح مسرحي- الحداثة في فكر محمد أركون- منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم- بيروت- ط1- 1427هـ- 2006م- ص 28

[2]-بتصرف-نقد العقل الغربي- الحداثة وما بعد الحداثة- مركز الإنماء القومي- بيروت- ط1- 1990- ص 63

[3]-فضيل دليو وآخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة منتوري قسنطينة- ط1999-دار البعث- قسنطينة- الجزائر- ص 11

[4]-عبد السلام هارون- قواعد تحقيق المخطوطات- ص 74

والمقابلات والتصحيح والتخريج.لذلك انبرى لهذه المهمة علماء أجلاء: " اعتنوا بالكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله، ونقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة ".[1]

3- قواعد وضوابط التحقيق:

إذا كان الأمر قد تعدى جوانب التأسيس والأهمية، فإن الفعل التحقيقي يحتاج إلى ضوابط منهجية، تأخذ بيد المحقق نحو إنجاز مهمته العظيمة واليسيرة ولاشك، كونه يسعى إلى خدمة العلم والمعرفة، بتطابق الجهد وفق التميز والصبر الذي لابد منه، كون عملية التحقيق يمتاز صاحبها، بالمثابرة والحرص الشديد على التثبت والإدراك والإقدام أيضا.

وتتوزع المهام الأساسية للباحث والدارس المحقق، على أكثر من جانب ودراية واستقصاء وتأكيد ومعرفة...إنها أولويات فيها تقديم وتأخير حسب الحاجة والمنطلق: " وتلك الدقة تحتاج إلى صبر وتكاليف من الجهد والمال والوقت، ينفقها المحقق في طلب نسخة ثانية، أو في قراءة كلمة غاب وجه صواب قراءتها... ".[2]

على المحقق أن يدرك قبل اقتحام هذا الميدان، أن العملية تحتاج إلى جهد الباحث في البحث، وإلى جهد المحقق في البحث والدراسة أيضا ؛ إنه جهد مضاعف يتدارك بالعلم والصبر له ومن أجله، وهذا ما يُعرف: " بجهد المحقق المبذول في إعداد النص للتحقيق والنشر، وتتبع عمله في ضبط النص، والتعليق عليه وتوضيحه ".[3]

ولكون المنهجية العلمية، تقتضي من الباحث عموما والمحقق خصوصا، أن يتدارك جهده بوضع جملة من التساؤلات، قبل الإقدام على العمل الذي يود الانخراط فيه، للمشاركة في صناعة المخطوط وإخراجه للقارئ، حتى يبلغ مبلغه المقبول من حيث صحة المعارف المقدمة، والتأويلات الراجحة التي تضمن على الأقل كمًّا معرفيا من القبول والتوازن.

وهذه التساؤولات، يمكن أن تأتي بالصياغات التالية:

1- ما الإشكالية التي يطرحها الموضوع محل الدراسة؟

2- ما البناء الذي اعتمده الكاتب أو الناسخ من أجل بناء موضوعه؟

3- ما أوجه الاستدلال والمساءلات في فرضياته؟

4- ما القيمة التي يطرحها الموضوع، في مجال التخصص الذي رامه صاحب المخطوط؟

5- ما الذي يمكن أن يجنيه المحقق والقارئ من موضوع المخطوطة؟ (بمعنى الأهداف والنتائج من التحقيق).

هي أسئلة البداية كما يُعَّبر عنها بلغة التخطيط المنهجي؛ غير أن الأمر لا يتوقف عند حدود هذه المساءلات بطبيعة الحال، وإنما يتعدى إلى ما يسمى في العرف المعرفي المنهجي، بالأهداف المتوخاة من البحث، والتي تتمحور حول النقاط التالية:

---

[1]-إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- (مرجع سابق)- ص 9

[2]-عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة-(مرجع سابق)- ص 67

[3]-إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات (مرجع سابق) – ص83

أ- الأهداف العامة من التحقيق.

ب- الأهداف الخاصة من التحقيق.

ج- الفرضيات والتوقعات.

د- البناء الهيكلي العام، في مستويات الحفظ والإتقان.

هـ- التماثل والتشابه والتوافق، بين النسخ والتقديرات.

وهذه الفرضيات والتوقعات، تسير منهجيا وفق الأنساق التالية:

1- تحديد قيمة المخطوطة.

2- تحديد الأبواب أو الفصول التي بنيت على أساسها، مع ذكر العناوين الأساسية والفرعية، حتى يتمكن المحقق من إثراء عمله العلمي، بإقناع الآخر والتمكن من عقله وعواطفه.

3- تحديد النقاط الإرتكازية في المخطوطة محل الدراسة، والكيفيات التي تُعتمد لغرض التحقيق وغرض الدراسة.

ولتحقيق هذا المقصد، فإن الدارسين في حقول المنهجية، يُضَمِّنون قضايا التحقيق جملة من الخطوات، التي لا بد منها قبل الشروع في التحقيق والدراسة، وذلك بالمقتضيات التالية:

1- تحديد النسخة محل التحقيق، باستعراض التساؤلات والمحطات المنهجية السابق ذكرها.

2-التحقق من المخطوطة المراد دراستها، وأنها لصاحبها المدرج اسمه في غلافها؛ لأن ذلك يحقق غرض التوثيق في إعادة المخطوطة لمؤلفها الحقيقي، حتى يتمكن المحقق من رسم صورة واقعية وفعلية لمخطوطه، وهذا يتطلب منه مقابلتها بأكثر من نسخة، ويشترط في هذا السبيل نسختين على الأقل، بخط صاحبها أو من ناب عنه من كُتابه أو أحد أفراد عائلته...إلخ.

3-التحقق من سنة المخطوطة ومكانها وورقها ونوع مدادها في كل الصفحات، حفاظا على مصداقيتها وتميزها وحقيقتها: التعرف على المداد وتغيراته والناسخ وتاريخ النسخ ومكانه...إلخ.[1]

4-التحقق من العنوان في دلالته وشموليته، والمطالب التي يتوخاها الكاتب من خلال وضعه لعنوان نسخته ومصنفه.

5-معرفة أماكن وجود نسخ المخطوطة، حتى يتم الوصول إليها ومقابلتها ببعضها.

6-التأكد من عدم تحقيق المخطوطة، وإذا كان ولا بد من إعادة تحقيقها، فإن ذلك يتطلب البرهنة على نقص في التحقيق السابق، أو وجود أخطاء فيالمتن أو الحواشي تُحرِّف مسار المخطوطة عن غرضها وأصلها الذي من أجله جاءت وألفت.

---

[1]-ورقات في البحث والكتابة -(مرجع سابق)- ص 65

7–التأكد من صحة القراءة، ومعرفة نوع الكتابة (كالخط المغربي مثلا)، حتى يتسنى للمحقق قراءة الكلمات وضبطها ومعرفة مواقعها، والتدرج في ذلك بقدر ما تمليه الحاجة، وما يفرضه ظرف المخطوطة والتحقيق.

8–أن يكون المحقق من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تطرحه المخطوطة، أو له قابلية ليتواصل مع ذلك الفهم والعلم؛ حتى يحصل المراد وتتحقق فيه نتيجة الجهد الذي بذله من أجل المعرفة والتحصيل.

9–الشروح والتعليقات التي يقدمها المحقق، تتطلب جهدا إضافيا لجهد التحقيق؛ وهذا بالاستعانة بالمصادر والمراجع التي تخدم غرض الموضوع الذي جاءت فيه المخطوطة.

10–العودة إلى ذوي الاختصاص من المشرفين والعاملين في حقل التحقيق من أهل العلم والدراية والدربة والممارسة، حتى يحصل الباحث على كل ما يرشده ويعينه في عمله العلمي المتميز، وخاصة المشرف على العمل العلمي الذي تبنى المشروع مع الطالب.

إن هذا القدر من الجهد والتواصل الفكري والمعرفي، يحقق إلى حد كبير درجة من الاتساع وفقه حاجيات المثقف، وصنع إرادة التواصل مع الجذور الثقافية وبناء ذات تنطلق من معطيات تاريخية، مجدت العلم وخدمته وصنعت حضارة المعرفة، وأبدعت في تحقيق متطلبات وحاجة القراء وأهل المعرفة والعلم.

إن طبيعة المخطوطات، تحمل دلالة وجوهر صناعة الأنا، والتركيبة المتميزة في خصوص الأبعاد المجتمعية المتعددة، وفق منطلقات الحياة الدينية والثقافية والسياسية...إلخ

ومن هنا تأتي أهمية الجمع والتحقيق والدراسة والطبع، في إثراء المكتبة بمختلف صنوف العلوم والمعارف، وهذا منبعه الينابيع التراثية من مخطوطات ومؤلفات لها موطئ قدم في ساحة التأليف وصنوف الثقافات، وهذا من أجلِّ المهمات وأعظمها في عالم صناعة الإنسان مشيد المستقبل والحضارة.

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم

[1]– أصول البحث العلمي– مكتبة وهبة– القاهرة– ط 1982

[2]– عبد الملك مرتاض– تقنيات السرد–عالم المعرفة– الكويت–عدد 240

[3]– موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية– ترجمة/ بوزيد صحراوي– دار القصبة– الجزائر– ط2004

[4]– د– اسماعيل زردومي– محاضرات في السرد– السنة الدراسية 2009–2010م– كلية الآداب واللغات– قسم اللغة العربية وآدابها– جامعة باتنة– الجزائر

[5]– إياد خالد الطباع– منهج تحقيق المخطوطات– دار الفكر – دمشق– ط1– 1423هـ–2003م

[6]– د– رمضان عبد التواب – تحقيق التراث(أساليبه وأهدافه)– مجلة قافلة الزيت– عدد فبراير – 1976م

[7]– ابن منظور– قدمه/ الشيخ عبد الله العلايلي– أعاد بناءه على الحرف الأول: يوسف خياط– دار الجيل– بيروت– دار لسان العرب بيروت– مادة: (نهج)– مج6

[8]- الفيروز آبادي- دار الجيل بيروت- المؤسسة العربية للطباعة – بيروت- مادة (نهج) باب الجيم- فصل النون- ج1

[9]- ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) – تح/ عبد السلام محمد هارون- دار الفكر بيروت- مادة: (نهج) ج5

[10]- برجستراسر (مستشرق ألماني) - أصول نقد النصوص ونشر الكتب- تقديم د- محمد حمدي البكري- دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية

[11]- د- عبد الملك مرتاض- التحليل السيميائي للخطاب الشعري- منشورات إتحاد الكتاب العرب- دمشق- ط 2005

[12]- د- محمد التونجي- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات- عالم الكتب بيروت- ط1-1986

[13]- أياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر- دمشق

[14]- عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة- كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب- ط1989م

[15]- الصادق عبد الرحمن الغرياني- تحقيق نصوص التراث- مجمع الفاتح للجامعات- طرابلس- ليبيا- ط 1989م

[16]- ريمون كيفي- لوك فان كمبنهود- دليل الباحث في العلوم الاجتماعية- تر/ يوسف الجباعي- المكتبة العصرية- بيروت

[17]- مصطفى حلمي- مناهج البحث في العلوم الإسلامية- مكتبة الزهراء- القاهرة- ط1- 1984

[18]- د- محمد شفيق- البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث)- المكتب الجامعي الحديث- ط1- 1405هـ- 1985م

[19]- فارح مسرحي- الحداثة في فكر محمد أركون- منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم- بيروت- ط1- 1427هـ- 2006م

[20]-نقد العقل الغربي- الحداثة وما بعد الحداثة- مركز الإنماء القومي- بيروت- ط1- 1990

[21]- فضيل دليو وآخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة منتوري قسنطينة- ط1999-دار البعث- قسنطينة- الجزائر

[22]- عبد السلام هارون- قواعد تحقيق المخطوطات

علم صناعة المخطوطات (إطلالة على مفهومه وموضوعاته)

أ.داودي مخلوف

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه، وبعد:

تعد المخطوطات ذاكرة الأمة،وتراثها التليد في مختلف مجالات العلم وفنون المعرفة الإنسانية،و تعبير صادق عن ماضيها المشرق الذي نسجه أسلافنا ببنات أفكارهم، وصاغوه بمداد كلماتهم،يتجلى فيها عناصر هويتنا،وقيم حضارتنا ورسوم مآثرنا،وبراهيننا على عظيم الخدمة التي قدمتها الحضارة العربية الإسلامية للحضارة الإنسانية في مختلف المجالات العلمية والمعرفية.

لكن للأسف أن هذا الإرث العظيم الذي نفتخر به هو اليوم يقبع جانب كبير منه في سراديب النسيان،تعبث به أيادي الزمان العادية.

إن هذه الحالة المزرية التي عليها تراثنا المخطوط قد ساهمت فيها كثير من العوامل، ولعل أهمها غياب الرؤية المعرفية والتناول العلمي المؤسسي الذي حال دون إخراج كثير من نصوصه إلى الواقع المعرفي الاستنباطي.

لقد وجدت مبادرات فردية من قبل بعض الباحثين لتحقيق بعض المخطوطات؛ ولكنها ظلت جهوداً مبعثرة تعرض بعضا منها لكثير من النقد وهم أهل عذر في ذلك بل ومشكورين.

إن الواجب إزاء تراثنا المخطوط يفرض على الهيئات المختصة والباحثين تبني إستراتيجية شاملة، واعتماد منهجية علمية في حفظ التراث المخطوط، وإخراجه إلى السياقات المعرفية،وتناوله على ضوء ضوء معطيات علم صناعة المخطوطات.

إن هذا العلم يدرس كل ما هو خارج عن النص فيدرس المظهر المادي للمخطوطات أي يتعامل معها كقطع مادية مكونة من أوراق وجلود ومداد وغير ذلك من المواد التي تدخل في تراكيب وعائه كما أنه ويضع لها خريطة تفصيلية من خلال فهرستها كوديكولوجيا .

لقد اعتمد الغرب في دراسة مخطوطاته قواعد هذا العلم،في حين بقي مجهولا لدى كثير من باحثينا والهيئات المهتمة بدراسة المخطوطات؛ حيث اقتصر اهتمامهم على النص والمحتوى دون الجانب المادي للمخطوط مما ترتب وجود بطاقة تعريفية هزيلة في الدراسات والكتابات المتعلقة بالمخطوطات لهذا العلم.

إني أريد من خلال هذه المقالة البحثية –على الرغم من القحط المعرفي في التعريف بهذا العلم والذي وقفت عليه من مطالعاتي المتواضعة –أن أكشف ولو بشكل سطحي عن ماهية هذا العلم وموضوعاته وأهميته في عملية تحقيق التراث وصيانته وفق الخطة التالية:

أولا: تعريف علم صناعة المخطوطات ونشأته التاريخية، ويتضمن:

1- تعريفه باعتبار مفرداته

2- تعريفه باعتباره علما

3- نشأته التاريخية

ثانيا: موضوعاته،ويحتوي على:

1- الفهرسة

2- الجوانب المادية للمخطوط

3- حفظ وصيانة المخطوط

ثالثا: أهمية علم صناعة المخطوطات،ويحتوي على مايلي:

1- أهميته في إحياء التراث

2- أهميته في القضايا المعاصرة

أولا: تعريف علم صناعة المخطوطات ونشأته التاريخية

علم صناعة المخطوطات مركب إضافي يحتاج في تعريفه إلى اعتبارين:الاعتبار الأول تعريفه بحسب الإضافة،والاعتبار الثاني بحسب العلمية.فوفق الاعتبار الأول يفتقر إلى تعريف مفرداته التي ركب منها لغويا،ووفق الاعتبار الثاني أن علم صناعة المخطوطات نقل عن معناه الإضافي وجعل علما على الفن الخاص به فيحتاج إلى تعريفه باعتباره علما.

1. تعريفه باعتبار مفرداته:

قبل تعريفه كعلم ورسم حدود موضوعاته لابد من البحث عن مدلولات المفردات التي صيغ منها عنوانه في اللغة وهي مفردتاه: صناعة،ومخطوط.

قال الزبيدي: (علم اللغة هو المتكفِّل بإظهار الأسرار وإبراز الخفايا لافتقارِ العلوم كلِّها إليه لتوقف المرَكّبات على المفردات لا محالة)[1].

صناعة: مأخوذة من فعل صنع: صنعه يصنعه صنعا، فهو مصنوع وصنع: عمله. وقوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)[2] دليل على الصنعة كأنه قال صنع الله ذلك صنعا.

والصناعة:حرفة الصانع،وعمله الصنعة،والصناعة: ما تستصنع من أمر[3].

ولفظة الصناعة الغالب استعمالها على أفعال الجوارح كأعمال الحرفيين لكن قد أطلقت هذه اللفظة على أعمال العقل فكثيرا من اللغويين يلصقون هذه اللفظة على فن من فنون المعرفة فيقولون:صناعة الشعر والعروض والإعراب وغير ذلك.

المخطوط: لم تذكر القواميس العربية القديمة كلسان العرب لابن الخطيب ونظائره كلمة مخطوط ولقد عزى السبب الكاتب السيد النشار إلى أنه لم يكن في عصرهم غير الكتاب المخطوط ولم يتعاملوا إلا معه فقد تكون

معرفتهم الشائعة به أغنتهم عن تعريفه،وذكر أن القاموس البستاني هو أقدم قاموس ورد فيه ذكر لمصطلح مخطوط حيث أرجع اشتقاقه إلى فعل خط بالقلم وغيره،خط يخط خطا أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية [4].

ولقد وردت كلمة خط بهذا المعنى في القرآن الكريم:(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[5].أي يقول: ولم تكن تكتب بيمينك[6].

والخط عند الكفوي في الكليات:كل مكان يخطه الإنسان لنفسه[7].

أما الدلالة الاصطلاحية لكلمة مخطوط فقد وردت له تعريفات كثيرة بعبارات مختلفة إلا أنها متفقة في المعنى مع تفاوت في إحكام صناعة التعريف فمن ذلك:

عرفه المعجم الوسيط: المخطوط هو المكتوب بالخط لا بالمطبعة وجمعه مخطوطات والمخطوطة: النسخة المكتوبة باليد.

يؤخذ على هذا التعريف أنه مجمل يوجب خفاء المعنى، حيث عرفه بمصطلح النسخة الذي بدوره يحتاج إلى تعريف.

وعرف الحلوجي المخطوط بأنه: (الكتاب المخطوط بخط عربي ؛سواء أكان في شكل لفائف أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أوكراريس)[8].

هذا التعريف قد اقتصر غلى ما هو شائع، أو متعارف عليه في الوقت الحاضر من إن المخطوط ما جاء على شكل كتاب كتب بخط اليد وبلغة عربية.ولا يتناول تعريفه الرسائل والعهود، والصكوك، والوثائق[9].

وعرف بأنه: (هو كتاب لم يتم طبعه بعد،أي أنه مازال بخط المؤلف أو ناسخ غيره، أو أخذت عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصور بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي) [10].

وكلمة المخطوط هي ترجمة لكلمة Manuscrit الفرنسية التي ظهرت مع الطباعة في مقابل كلمة مطبوع [11].

أما في اللغة انجليزية فيسمى Manuscript التي تعني في قاموس Collieŕs Dictionary الكتاب أو الوثيقة المكتوبة باليد،أو بالآلة الكاتبة،وخاصة قبل عصر الطباعة[12].

2. تعريف علم صناعة المخطوطات باعتباره علما:

عرفه أحمد شوقي بنين: (هو علم يبحث في تاريخ المكتبات وفي مصادر المخطوطات وفي الفهرسة وفي الوقفيات والتملكات وفي النساخة والمنسوخات وفي الجوانب المادية للمخطوط وفي كل ما هو خارج عن النص (Ex-libris))[13].

الملاحظ من التعريف أن الكوديكولوجياCodicologie هي علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف، أي أنه يعنى بدراسة العناصر المادية للكتاب متمثلة في: الورق–الحبر والمداد–التذهيب–التجليد، وأيضا حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات، وكل مادون على صفحة الغلاف (الظهرية) من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات وبلاغات ومعارضات ومطالعات وتملكات وتقييدات ووقفيات،

ومايسجل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفونColophon (قيد الفراغ من كتابة النسخة) من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنسخة المنقولة عنها، وكذلك معرفة المصدر الذي جاءت منه النسخة والجهة التي آلت إليها، وما على النسخة من أختام وماشابه ذلك، وقد أطلق الأوروبيون عليها اسم خوارج الكتاب -Ex librls[14].

3. نشأته

أما نشأته فقد ادعى الأوربيون أنه نشأ في فرنسا ويعود الفضل في تأسيسه إلى كلّ من شارل سمران (Charles Samaran) وألفونس دان (Alphonse Dain). فابتكر الأوّل مصطلح كوديغرافيّا "Codigraphie" بدون أن يحدّد بشكل دقيق معناه.أمّا دان فابتكر المصطلح الثاني "Codicologie" (علم المخطوطات) واستعمله أوّل مرّة سنة 1944، خلال إعطائه دروسًا في مادّة علم اللغة اليونانيّة (Philologie grecque)، وبقي المصطلح غير متداول إلى سنة 1949، حيث نشر كتابه الشهير الذي حمل عنوان "المخطوطات" (Les manuscrits)، وأعلن فيه ابتكاره لهذا المصطلح.وحدّد معنى المصطلح الجديد[15].

والحقيقة عند استقراء النصوص والآثار والمعاجم نجد أن أسلافنا قد عرفوا معظم القواعد المتعلقة بهذا العلم؛إذ كانوا يهتمون بالوصف المادي للمخطوط،وكيفية صناعة مواده،وغير ذلك مما هو خارج عن نص المخطوط ومحتواه، ولا أدل على ذلك مؤلفات أذكرها على سبيل المثال ككتاب الفهرست لابن النديم،والتيسيرفي صناعة التسفير للأشبيلي،والمقدمة لابن خلدون،وصبح الأعشى للقشقلندي وغيرهم كثير.

ثانيا: موضوعاته

إن علم المخطوطات Codicologie هو علم يهتم بالمخطوط كقطعة مادية دون أن ينقذ إلى النص فموضوعاته تتصل بالجوانب المادية للمخطوط ولقد حصرها الحلوجي في ستة عناصر تمثل الركائز الأساسية لعلم المخطوطات وهي:تاريخ المخطوط،والكيان المادي للمخطوط،وتقييم المخطوطات ومعايير تقييمها التي قد تعتمد على التقاييد النصية الموجودة في النسخ، والحفظ والصيانة،وأساليب التعقيم والترميم والتصوير،والفهرسة والضبط الببليوجرافي،والتحقيق والنشر[16].

وعلى ضوء كلامه يمكن حصرها إجمالا في ما يلي:

1. الفهرسة: اختلف علماء الغرب في تحديد الفهرسة بالنسبة لعلم الخطوطات أو الكوديكولوجيا. فألفونس داين Alphons Dain جعلها عنصرا من عناصر علم المخطوطات، ومنهم من اعتبرها فنا قائما بذاته يتداخل ويتكامل مع علم المخطوطات[17].

والذي ذهب إليه النشار أن الفهرسة Catalogage تمثل جزء هاما وأساسيا من أجزاء علم الكوديكولوجيا، يقدم بيانات عن محتوى المخطوط وعن الشكل المادي له والإشارة إليه باعتباره كائنا في حد ذاته[18].

نعود إلى مصطلح الفهرسة،لغة ماخوذة من الفهرس، بالكسر الكتاب الذي تُجْمَعُ فيه الكتب، مُعَرَّبُ فِهْرِسْت، يقال:قد فهرس كتابه[19].

أما في الاصطلاح فلها دلالات اصطلاحية كثيرة عند أهل كل فن، والذي يهمنا في بحثنا هو دلالتها الاصطلاحية في علم صناعة المخطوطات. فالفهرسة الكوديكولوجية تتمثل في جمع كل البيانات والمعلومات المهمة المتعلقة بالمخطوط كقطعة مادية على ضوء معطيات علم الكوديكولوجيا ومن أهم هذه البيانات تحديد مصدره ورحلاته بين الخزائن والمكتبات عبر العصور، ووصف وعائه، وتحديد نوع النسخة ومكان نسخها والنساخة والنساخ، ونوع الخط وغير ذلك من العناصر الأساسية التي توصلنا في النهاية إلى وصف دقيق للمخطوط واعطائه بطاقة كوديكولوجية قد تتقاطع مع بطاقة المفهرس في بعض البيانات إلا أنها تتناول هذه البيانات بصفة معمقة على أسس علمية.

2. الجوانب المادية للخطوط:

يدرس علم الكوديكولوجيا الجوانب المادية للمخطوط،ويمكن إجمال مكونات المخطوط المادية فيما يلي:

- مواد كربوهيدراتية: ممثلة في الأوراق، والبرديات، واللواصق النشوية.
- ومواد بروتينية: ممثلة في الجلد والرق واللواصق الغروية.
- ومواد يكتب منها: ممثلة في الأحبار[20].

3. حفظ وصيانة المخطوطات:

الحفظ والصيانة جانبان متكاملان لحماية المخطوط من التآكل والتدهور الذي يتعرض إليه بمرور الأيام،فمفهوم الحفظ معناه تهيئة الظروف المحيطة بالمخطوط في أي مكان يتواجد فيه،بما يضمن سلامته من أي إصابات حشرية أو ميكروبية،أو حتى آدمية،ومنع انتقال العدوى إليه من مخطوط مصاب.

في حين أن مفهوم الصيانة يعني معالجة وإزالة الإصابات التي حدثت فعلا لبعض المخطوطات.كجفاف أوراقها، أو تبقعها أو تحجرها أو إصابتها بالحموضة أو التلوث الغازي أو الحشرات أو الفطريات[21].

ثالثا:أهمية علم صناعة المخطوطات

1. أهميته في إحياء التراث

يستمد علم صناعة المخطوطات أهميته من أهمية المخطوط نفسه فهو جزء هام من التراث بل عده البعض هو التراث نفسه، وبالتالي فكثيرا ما يتم الخلط بين كلمتي التراث والمخطوط على أنهما بمعنى واحد ولا يتأتى الفصل إلا بعد معرفة معنى التراث.

أ. **التراث لغة:** أصل التاء فيه واو. تقول ورثت أبي، وورثت الشيء من أبي، أرثه بالكسر فيهما، ورثا ووراثة وإرثا[22] فكلمة التراث مأخوذة من فعل (ورث)، يقال: ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا وميراثا.

ذهب ابن الأعرابي إلى أن الورث والورث والإرث والوراث والإراث والتراث بمعنى واحد [23].

وكلمة التراث جاء بها التنزيل في موضع واحد في سورة الفجر،قال تعالى: وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا)[24].

ب. التراث اصطلاحا

لقد عرف البعض التراث بمعنى المخطوط فعرفوه بأنه:ما تركه السابقون من كتابات وكتب خطوها بأيديهم أو نسخها النساخ على إمتداد القرون الحضارة العربية الإسلامية[25].

والصحيح أن المخطوطات وإن كانت تعد جزء هاما من التراث ووجهه الظاهر لكنه لايعبر عن كل التراث، بل التراث يشمل كل ما خلفه الأجداد من عقائد وأخلاق وآداب، وتقاليد وعادات، وأمثال، ومآثر ومناقب وآثار وكل الأشياء المادية والمعنوية.

ويمكن تقسيم هذا التراث في الجملة إلى ثلاثة أقسام:

أ. مروي مسموع

ب. عملي ممارس

ج. مدون مكتوب(المخطوطات)

وأصح هذه الأقسام طريقا في النقل، وأصدقها حديثا في الرواية، وأقومها قولا في الدراية، الأخير منها[26].

ويتم إحياء التراث أي المخطوط حسب وجهة نظر يوسف زيدان بأمرين اثنين لعلم المخطوطات دور كبير فيهما:

الأمر الأول: تحقيقه ونشره

مازال تراثنا في مختلف مجالات العلم وصنوف المعرفة الإنسانية يحتاج من يأخذ بيده لينتشله من أقبية المكتبات العالمية ليخرجه إلى عالم النور وليدونه على صفحة الواقع،ولقد قصرت دونه الهمم،وضاعت كثير من الجهود،ومن قام بالتحقيق مرة لاعتبارات مختلفة فإنه لايعاود الكرة لبعد الطريق الموصلة إلى المخطوط وكثرة مشاقها.

فتراثنا لايزال مجهولا بحكم الواقع الإحصائي، وذلك لأن إحصاء مانشر من تراثنا –محققا أو بدون تحقيق – ومقارنته بمالايزال مخطوطا، وبما ضاع من الزمان ؛يدل على أن نسبة المنشور المعلوم من التراث لا يزيد على 5 % من مجموع التراث أو أقل من ذلك[27].

إن نشر المخطوطات لا يمكن أن يكون علمياً وموضع ثقة، إلا إذا اعتمد المحقق الأصول والقواعد المتبعة في التحقيق والنشر من جهة ومن جهة أخرى الإستعانة بمعطيات علم الكوديكولوجية فعلم التحقيق وعلم الكوديكولوجية يلتقيان في نقطة التفتيش عن المخطوطات وفهرستها والبحث في مظانها حيث يعتبر المرحلة الأولى في الدراسة بالنسبة للكوديكولوجي الذي يهتم بالمخطوط كقطعة مادية أو بالنسبة للفيلولوجي الذي يسعى على نقد نص المخطوط ونشره[28].

فالكوديكولوجي يمهد الطريق للمحقق ويوفر له كثيرا من المراحل،ويختزل له أشواطا من الزمن،فهو الذي يرسم له خريطة تفصيلية تبين تضاريس المخطوطات،ويقوم بعملية وصف دقيق لمواد بنائه،وصيانته،وحفظه،وتسهيل

إتاحته من خلال فهرسته،وغير ذلك من العمليات التي في مجموعها تساهم في وضع نصوص المخطوطات في السياق المعرفي.

الأمر الثاني:حفظه وصيانته

إن محنة المخطوط كانت في القديم تتجسد في الحروب والإحراق والإغراق والتلف جراء عوادي الزمن.

أما في عصرنا الحالي فيضاف إليها قضايا أخرى ستساهم بلاشك في ضياع هذا التراث العظيم،وهنا تظهر أهمية علم صناعة المخطوطات فمن ضمن مجالاته حفظ وصيانة المخطوطات اللذان تطور مفهومهما ووسائلهما بفعل التكنولوجية التي أوجدت أنظمة كثيرو ووسائل حديثة متعددة لحفظ وصيانة ا لمخطوطات ومن ذلك صيانة المخطوطات عبر تصويرها عن طريق التصويرالعادي أوالميكروفيلم أوالترقيم Digitisation وتسمى هذه العملية بإعادة التشكيل.إبراهيم شبوح ص16أوتوفير جو صحي للمخطوطات عبر وسائل حديثة أو المعالجة الكيميائية أو غير ذلك مما أوجدته التكنولوجيا الحديثة من تقنيات ووسائل في مجال حفظ وصيانة المخطوطات(29).

2.أهميته في القضايا المعاصرة:

أ. في مواجهة خطر العولمة:

إن العولمة سمة من سمات هذا العصر؛ فالعالم يعيش في وشيجة مترابطة ومتشعبة من العلاقات المتبادلة، والأفكار والقيم والعادات،وأنماط معيشية وسلوكية وغير ذلك ؛فلم يعد أحد في منأى عن التأثير والتأثر.

والحقيقة الماثلة أن المدنية الغربية هي التي تصوغ العالم اليوم وتصبغه بصبغتها وتجرفه بسيل عارم من قيمها.

وإزاء هذا الوضع يرى يوسف زيدان أن التراث العلمي يعد – ويقصد بذلك المخطوطات لأنها رأس الأمر فيه–بالنسبة لنا اليوم —عنصرا ذا فعالية مؤكدة في مواجهة خطر العولمة...صحيح أن بحث التراث العلمي العربي الإسلامي لن يقدم لنا إجابات عن تساؤلات العلم الحالية،ولن يصوغ مخترعات تكنولوجية متقدمة.ولا نظم معلومات.لكن هذا التراث من شأنه تهيئة العقول والنفوس للمعرفة العلمية لأن العلم قبل كل شيء: منهج تفكير–ومن شأنه الإقلاع عن النزعة الدونية التي تسيطر على الوعي العربي اتجاه الغرب(30).

إن علم صناعة المخطوطات قد اوجد حالة ديناميكية في عملية تحقيق المخطوطات ونشرها وحفظها وصيانتها مما سيمكن من تعزيز المنظومة القيمية والثقافية للأمة، ويعطي لها منطقا فصيحا تتحاور به مع الثقافات الأخرى، وإضافة معرفية تتفاعل مع الواقع ويستشرف بها المستقبل.

ب. في مواجهة النوازل الفقهية:

من المعلوم أنّ الوقائع غير متناهية، أمّا النصوص الشرعية فهي متناهية، ولقد استجدّت كثير النوازل، ومن المعلوم أيضا أنّه لابد لكل نازلة من ضمها لنطاق الفقه وذلك باستنباط حكم شرعي وللوصول إلى الحكم الصحيح لابد للمجتهد الناظر من أن يلتزم بضوابط عامة متفق عليها استخرجها الفقهاء من نصوص الشرع وأن يتبع خطوات علمية تساعده على تحري الصواب في استنباط الأحكام الشرعية للوقائع الحادثة.

ومن ضمن مدارك الحكم على النازلة **التكييف**:أي تصنيف الواقعة تحت ما يناسبها من النظر الفقهي ويتم ذلك وفق هذا الترتيب:

1. البحث في النصوص الشرعية عن حكمها.
2. **التخريج** وهو إلحاق المعاملة المستجدة بما يشبهها من المعاملات السابقة لمعرفة ما إذا كان يمكن ضمها إلى إحداها التي تنطبق عليها طبيعتها لتأخذ حكمها وتلحق أثارها بها.

والتخريج أيضا هو البحث عن سوابق فقهية للمسألة في كتب الأولين. وهنا تظهر أهمية المخطوطات في العلوم الشرعية أو العلوم التي لها علاقة بها كعلوم اللغة وعلم الكلام إذا عرفنا أن أكثر المخطوطات من هذا النوع من العلوم، فالمخطوطات تراث الأمة المتبقي الذي يحتاج إلى من ينشره في الواقع الاستنباطي وعليه فمن السائغ القول أن الفقه الإسلامي لم يستوف نصابه بعد.

الخاتمة

إن أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث في هذا الموضوع،وأهم التوصيات المقترحة تتمثل فيما يلي:

-إن علم صناعة المخطوطات لم يحض ببطاقة تعريفية شافية لحدوده وموضوعاته ومناهجه..وهذا نظرا لنقص الكتابة فيه.

-أهميته البالغة والأكيدة في تحقيق التراث، ونشره،وحفظه وصيانته على أسس علمية رصينة.

-شهود صحوة في العالم العربي والإسلامي في الاهتمام بالمخطوطات ولكنها صحوة تعوزها في أكثر الأحيان المنهجية العلمية.

أما أهم التوصيات فهي:

-العمل على بناء هيكل علم المخطوطات النظري،بتعريف مصطلحا ته، وتحرير قواعده، وإرساء أصوله، وتحديد مجالاته..

-جعل علم صناعة المخطوطات تخصصا أكاديميا يدرس في الجامعات.

-إقامة ملتقيات علمية في التعريف بهذا العلم وأهميته في تحقيق التراث، واستخراجه وحفظه.

الهوامش

[1] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965. (ج63/1).

[2] سورة النمل، الآية، (88)

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط3، 1999(ج419/7).

[4] السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دارالثقافة العلمية، الإسكندرية، 1997.ص.5.

[5]سورة العنكبوت، الآية (48).

[6] الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، تفسير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، محمود شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ج424/18).

[7] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/2، 1998، ص.414.

[8] الحلوجي، عبد الستار، المخطوط العربي، مكتبة مصباح، جدة، ط/2،1989.ص.15.

[9] المسفر، عبد العزيز بن محمد، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض، 1999.ص68.

[10] فهمي سعد، طلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/1، 1993.ص.13.

[11] أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، ط/1،2003.ص212.

[12] المسفر، عبد العزيز بن محمد، المخطوط العربي وشيء من قضاياه. ص.68.

[13] أحمد شوقي بنين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، كلية الآداب بالرباط، المغرب، ط1، 1994، ص.33.

[14] أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 1997.(ج2/1).

[15] نقلا عن الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

[16] الحلوجي، عبد الستار، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، القاهرة، مصر، 2004، ص. 16-17.

[17] فيصل الحفيان، فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ص.34.

[18] أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، (ج533/2).

[19] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م. (ج236/2).

[20]مصطفى مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوط علما وعملا، عالم الكتب، القاهرة، ط2002، ص.19.

[21] المرجع نفسه، ص.83.

[22] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ج295/1).

(23) ابن منظور، لسان العرب، (ج15/266).

(24) سورة الفجر،الآية(19).

(25) يوسف زيدان، التراث المجهول (إطلالة على عالم المخطوطات)، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص.11.

(26) عزالدين بن زقيبة، لمحة تاريخية عن التراث الإسلامي، بحث مقدم من طرف في الدورة التأهيلية الثانية لتحقيق المخطوطات المنعقد من 2011/03/20 إلى 2011/03/31، إشراف مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ص.2.

(27) يوسف زيدان، التراث المجهول (إطلالة على عالم المخطوطات)، ص.11.

(28) أحمد شوقي بنين، علم المخطوطات والتحقيق العلمي، ص.33-34.

(29)لمعرفة المزيد من هذه الأنظمة والتقنيات الحديثة ينظر. كيف نصون مخطوطاتنا، المركز الوطني للتراث المخطوط، الرباط، 1998، ص.34 وما بعدها، مصطفى مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوط علما، ص.83 ومابعدها.

(30) أكرم أمين أبو كرم، حاتم السيد مصيلحي، عاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية) دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1، 2001، ص.36.

المخطوط العربي تاريخه تطوره ومقومات صناعته

أ.دربيخ نبيل
جامعة سكيكدة

مقدمة:

إن تاريخ الأمة العربية وتراثها حافل بالإنجازات والأعمال التي أتت بالخير للإنسانية جمعاء، وأعظم ما خلفته الأجيال الماضية المؤلفات التي وضع فيها العلماء أفكارهم وعلومهم وتجاربهم وابداعاتهم والتي ما زالت مرجعا للكثير من العلماء والباحثين في مختلف التخصصات والعلوم، وتتمثل هذه المراجع في المخطوطات العربية المتواجدة في مختلف مكتبات العالم بشرقه وغربه وشماله وجنوبه، حيث لا نكاد نجد مكتبة لا تحتوي على مخطوطات عربية قديمة.

نظرا إلى اهمية الرصيد المعرفي العربي المخطوط ظهرت العديد من الدراسات والبحوث والتخصصات التي تهدف إلى دراسة المخطوطات العربية والتعريف بها وفهرستها وتحقيقها وصيانتها وترجمتها، خاصة تلك الدراسات التي قام بها مستشرقون مهتمون بالتراث العربي والإسلامي، وإظهار مدى تأثيره على تطور العلوم ومساهمة العرب في نشر العلم والمعرفة، ويمكن أن نقول انه لا يوجد تراث عالمي حضي بالاهتمام بالبحث والدراسة فيه كالتراث العربي المخطوط.

من هذا المنطلق جاء اهتمامنا بموضوع المخطوطات العربية ونشأتها وتاريخها وتطورها، محاولة منا ان نساهم في إحياء التراث العربي المخطوط وبعثه من جديد خاصة وأن هذا المجال من الدراسة والتخصص لا يلقى رواجا في واقعنا المعاصر نظرا لتأثر هذا الجيل بالتكنولوجيا والابتعاد عن كل ما هو تقليدي ورقي، في حين أن الغرب اعطى العناية بهذا الجانب وأنشأ في ذلك معاهد وجامعات تهتم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وكيفية صيانتها ودراسة الحضارات القديمة خاصة الحضارة العربية الاسلامية نظرا لمعرفتهم الكبيرة بقيمتها وفضلها الكبير على تطور المجتمعات الغربية، وعلى المستوى العربي لا يمكن ان نغفل دور المعهد العربي للمخطوطات الذي يعنى بالتراث العربي بمختلف أصعدته ؛ جمعا إتاحة صيانة ترميما وفهرسة وتعريفا، دراسة وتوظيفا،[1] أو مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي الذي يقوم بمهام ترميم وحفظ المخطوطات كما يقوم بتكوين متخصصين في هذا المجال، هذا بالإضافة إلى مختلف المعاهد والأقسام المتواجدة على المستوى العربي مساهمة منها في المحافظة على التراث العربي المخطوط ونقله إلى الأجيال اللاحقة.

---

[1] الموقع الرسمي لمعهد المخطوطات العربية،
http://www.makhtutat.net/index.php?option=com_content&view=article&id=125&Itemid=97

نحاول من خلال دراستنا التطرق إلى نشأة المخطوط ومراحل تطوره بداية بظهور وسائل الكتابة التقليدية من جلود ورقوق وبردي، مرورا بظهور صناعة الورق ومساهمته في انتشار المخطوط والخط العربي، وصولا إلى عصر الطباعة، كما نتطرق إلى اهم مواصفات المخطوطات العربية ومكوناتها المادية، ومواضيعها المختلفة كما نتطرق إلى فهرسة وتصنيف المخطوطات وطرق المحافظة عليها عن طريق الصيانة والترميم، وحمايتها من التزوير عن طريق التحقيق.

تعريف المخطوط:

لم تكن كلمة مخطوطة المستخدمة حاليا معروفة منذ القديم اطلاقا بمعناها اللغوي أو الاصطلاحي، إذ اطلقت اصطلاحات وأسماء أخرى عرفت بها المخطوطة حيث استخدمت بدلا منها (كتاب، سفر، مجلد، رسالة، جزء) وغير ذلك من المصطلحات، والغريب أن المعاجم العربية القديمة مثل لسان العرب وتاج العروس لم تورد هذه الكلمة ضمن مواردها ولم تتعرض لها بالشرح الوافي، وجاء في كتاب محيط المحيط ان المخطوط مأخوذ من خط بالقلم وغيره، خط يخط خطا" أو كتب او صور اللفظ بحروف هجائية [1] كما جاء في في كتاب أساس البلاغة للزمخشري استخدام هذه الكلمة في قوله: " خطط، خط الكتاب يخطه (ولا تخطه بيمينك)، وكتاب مخطوط فهو لا يعني بها المصطلح الذي نطلقه على الكتاب المكتوب بخط اليد، بل يعني أنه مكتوب أي منسوخ.

وقد ظهرت كلمة مخطوط في العصر الحديث لتقابل كلمة مطبوع بعد دخول الطباعة في حركة التدوين والتأليف والنشر وأصبحت تطلق على نسخة الكتاب التي خطها المؤلف او غيره بالمخطوط أو المطبوعة التي طبعتها آلات الطباعة، ومن هذا المنطلق أشار ابراهيم مصطفى في معجمه الوسيط إلى تعريف آخر ضمن هذا المعنى إذ يقول: " أنه المكتوب بالخط لا بالمطبعة، وجمعه مخطوطات، والمخطوطة النسخة المكتوبة بخط اليد "، ثم توالت التعريفات اللغوية والاصطلاحية عليها وكان اجماع بين القواميس المتخصصة في المكتبات على ان المخطوط هو " الكتاب المكتوب بخط اليد لتميزه من الخطاب أو الورقة أو أي وثيقة أخرى خاصة تلك التي كتبت قبل عصر الطباعة [2] وبعضهم صاغ تعريفا جامعا لكل التعريفات السابقة إذ يقول: " المخطوط من اوعية الفكر المكتوبة بخط اليد كتبها مؤلف او ناسخ ويتضمن فكر مؤلف في موضوع معين من موضوعات العلوم، كتبت على ورق أو رق أو طين، والمقصود بالمخطوط العربي هو نسبة إلى اللغة التي كتب بها وليس إلى البلاد العربية، وهو المخطوط الذي كتب بلغة عربية قبل عصر الطباعة في شكل لفائف أو صحف ضمت إلى بعضها البعض على هيئة دفاتر أو كراريس، ويشمل هذا المفهوم على أربعة تعاريف أساسية:

- أن يكون المخطوط كتابا، أي أن الرسائل والوثائق والعهود والنقوش والمواثيق والمدونات الموسيقية خارجة عن إطار هذا التعريف.

---

[1] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، بيروت، مكتبة لبنان، 1970، ج 10، ص 563.

[2] أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات**، انجليزي – عربي، الرياض، دار المريخ، 1988، ص7.

- أن يكون الكتاب مخطوطا، أي ان النسخ المرقونة على الآلة الكاتبة وكذلك النسخ المصورة على المصغرات الفلمية هي خارج حدود هذا التعريف، (لكن يرى البعض ان هذا النوع داخل ضمن المخطوطات) خارجة عن نطاق هذا التعريف.
- أن يكون كتب قبل عصر الطباعة مع اختلاف انتشار الطباعة من قطر عربي إلى آخر ومن عصر إلى آخر، أي ان النسخ المخطوطة بعد انتشار الطباعة واستقرارها هي خارجة عن حدود هذا التعريف ويمكن ان نطلق عليها بالمخطوطات الحديثة لتميزها عن المخطوطات العربية القديمة.
- أن يكون المخطوط بخط عربي بصرف النظر عن مكان النسخ عربيا كان ام غير ذلك.[1]

تطور المخطوط:

لقد مر المخطوط بمراحل مختلفة حسب ظروف وطبيعة حياة الإنسان في القديم فاختلفت ادوات الكتابة وخطوطها وتنوعت بين جلود وطين وبردي وأوراق، كان المخطوط عبارة عن ألواح للطين كتبت عليها بواسطة مسامير نسبة إلى الكتابة المسمارية، كما ظهر المخطوط المكتوب على جلود الحيوانات بحبر تقليدي الصنع، كما ظهر المخطوط المكتوب على سعاف النخيل وأوراق البردي، وارتبط المخطوط بمجموعة من المميزات التي تجعله يختلف عن بعضه حتى جاء ظهور الورق وصناعته مما أعطى للمخطوط شكل واحد ومميزات أحسن.

ويمكن ان نلخص تطور المخطوط من خلال المراحل التالية:

المرحلة قبل الورقية:

قبل ان يعرف العرب صناعة الورق (في منتصف القرن الثاني الهجري) استخدموا مواد كثير للكتابة فكتبوا في العصر الجاهلي على العسب والكرانيف والعظام، واللخاف، والمهارق وهي جميعها مواد مشتقة من بيئة صحراوية.[2] وكانت هذه المواد متوفرة وسهلة الحصول عليها، وكذا العظام والنخاف فهي الحجارة البيض، كما استخدم العرب الجلود ومنها ثلاثة انواع الرق وهو ما يرقق من الجلود، والأديم وهو الجلد المدبوغ الأحمر، والقضيم وهو الجلد الأبيض، والمهارق وهي جمع مهرق وهو ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ويسقل ثم يكتب فيه وهو فارسي الصنع، كان يجلب من خلال قوافل التجارة، كما تعتبر هذه الوسائل هي نفسها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلافائه الراشدين لكتابة القرآن والاحاديث الشريفة، وفي عهد عمر بن الخطاب استخدم العرب مادتين جديدتين هما القباطي والبردي، والقباطي هو نوع من النسيج المصري كان يتخذ من الكتان أو وكانت هذه المادة التي عرفها العرب بعد فتح مصر أسهل في الكتابة من كل المواد السابقة، اما ورق البردي المصري فقد كانت المادة الجديدة التي فرضت نفسها على الكتابة العربية وانتقلت بها إلى مرحلة جديدة وخطت بها خطوات واسعة نحو الانتشار والشيوع وكانت اكثر المواد المستعملة لدى الامويين.

---

[1] السيد السيد النشار، **في المخطوطات العربية**، الاسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1997، ص 6.

[2] العسب جمع عسيب وهي السعفة او جريدة النخل، والكرانيف هي أصل السعفة والغليظ الملتسق بجذع النخل.

مرحلة صناعة الورق:

عرف العرب الورق في العصر العباسي، بعد أن كان قد ظهر في الصين، وأول ما ظهر كان سنة 751 م في زمن الرشيد، وذلك عندما فتحت سمرقند وكانت جيوش الصين قد حاولت طرد العرب منها ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ووقع في الأسر حوالي عشرون ألفا منهم وكثيرون منهم كانوا يجيدون صناعة الورق، فتعلمها منهم العرب وأسسوا مصنعا للورق في سمرقند بمعاونة هؤلاء الأسرى، ومن هناك كان التجار ينقلونه إلى بغداد ومن ثم إلى المدن الاسلامية وراج ورق سمرقند وانتشر انتشارا عظيما، واستعمل العرب الورق في الكتابة بدل الجلود لأنها تقبل المحو والإعادة والتزوير بخلاف الورق فإنه متى محي منه فسد، وانتقل الورق إلى الشام ثم فلسطين منذ منتصف القرن الرابع ومنها انتقلت تلك الصناعة إلى مصر والمغرب العربي والأندلس.

لم يكن الورق المستخدم في صناعة المخطوطات العربية نوعا واحدا، وإنما تعددت انواعه فهناك الورق السليماني نسبة إلى سليمان بن راشد، والورق الجعفري المنسوب إلى جعفر البهكي، والطلحي المنسوب إلى طلحة ابن طاهر وهكذا تعددت أنواع الورق وتسميتها نسبة إلى صناعها.ويبدو أن ظهور الورق في البيئة العربية واستعماله في الكتابة لم يؤدي إلى اختفاء الرقوق، إلا أنها لم تكن تستخدم بكثرة وكانت في طريقها إلى الاختفاء وذلك لما تميز به الورق من عنها وفي هذا المجال قال الجاحظ على الرقوق أنها: " جافية الحجم، ثقيلة الوزن، إن أصابها الماء بطلت وإن كان يوم لثق (كثير الندى) استرخت، وإن نديت استرسلت فامتدت، ومتى جفت لم تعد لحالها إلا مع تقبض شديد وتشنج قبيح، وهي انتن ريحا وأكثر عقدا وعجزا، أي كثيرة العروق المنعقدة، وأكثر خياطا وإسقاطا والصفرة إليها أسرع وسرعة انسحاق الخط فيها أعم، ولو أراد صاحب علم أن يحمل منها قدر ما يكفيه في سفره لما كفاه حمل بعير " وهذه العيوب التي عددها الجاحظ للرقوق لم تكن في الورق وكان.[1]

أداة الكتابة: كان العرب يكتبون مخطوطاتهم بأدوات مختلفة فقد تطورت هي الأخرى بتطور العصور وتغير الظروف التي مرت بها المجتمعات العربية، كانوا يستعملون قبل الاسلام آلات حادة ينقشون بها كلماتهم في الحجارة كما كانوا يكتبون بمادة طباشيرية أو فحمية او رصاصية، أما القلم وقد يسمى المزبر أو اليراع فقد كتب به العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، وكانت الأقلام في بادئ الامر تصنع من السعف او القصب إذ كان يقص ويبرى أو يقلم – لذلك سمي بالقلم- ويعد القلم أشرف آلات الكتابة وأعلاها منزلة.

من اجل الكتابة لابد من توفر القلم وكذلك الحبر أو المداد الذي يكتب به وقد سمي مدادا لأنه ما تمد به الدواة للكتاب، وسمي أيضا حبر نسبة إلى الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة، وكان العرب يجلبون الاحبار من الصين، كما كانوا يصنعونه في بلادهم من مواد كثيرة بعضها نباتي وبعضها معدني، وبعضها الآخر من اصول حيوانية كعسل النحل والزاج والصمغ والدخان والكافور..وغيرها وكانت تستعمل هذه المواد بمقادير مختلفة، وقد

[1] البسيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 11.

ميز العرب بين المداد الذي يناسب الكتابة على الرقوق، والذي يناسب الكتابة على الورق ولكل طريقته في التصنيع.[1]

مكونات المخطوط العربي:

يتكون المخطوط من أركان أساسية كما حددها القدماء وتتمثل في المكونات المادية من مداد (حبر)، وخط، وتجليد، هذا الذي يمكن من تحديد الزمن والعصر الذي كتبت فيه او المنطقة الجغرافية المنتمي اليها.

المضمون: أو ما يسمى بمنهجية المخطوط التي كانت سائدة منذ البدايات الاولى للتأليف مثل:

1. ورقة العنوان: حيث لم يكن في القديم يخصصون صفحة خاصة بالعنوان، ولعل بعضهم يترك الصفحة الأولى فارغة وذلك خوفا من عبث الأيادي والتلوث من كثرة استخدامها او لتجليدها وزخرفتها، او لذكر بعض الإضافات والقراءات والوفيات والولادات أو بعض الفوائد المنقولة عن كتب أخرى.[2]
2. المقدمة: يتكون مضمون المخطوط من مقدمة إذ لا يخلو أي مخطوط من مقدمة حيث أن المخطوطات العربية يكون بدئها بالبسملة والحمد والدعاء والصلاة على النبي (ص) ثم يسترسل في موضوعه وتتكون المقدمة من امور عديدة تكشف عن خفايا وأسرار المخطوط وهي عنوان المخطوط وكثيرا ما نجد المؤلف او الناسخ يضع في مقدمته بعنوان المخطوط، ومن خلال هذا العنوان اكتشف علماء البيبليوغرافيا كثيرا من المخطوطات، كما نجد في المقدمة اسم المؤلف او الناسخ إذ يشير إلى اسم المؤلف إذا لم يذكر المؤلف فيها ليخرجها من مجال التشابه مع كثير من المخطوطات المتشابهة في الاسم، كما تتضمن المقدمة أيضا على موضوع الكتاب حيث يذكر المؤلف الموضوع الذي سوف يبحثه او يتضمنه المخطوط، كما يتكلم فيها عن المنهج المتبع والذي يعتمده في مخطوطته وتقسيمه إلى أبواب وفصول وما الذي سيتناوله في كل باب، ويتناول المؤلف في مقدمته الهدف من تأليف هذا الكتاب والقصد من ورائه والحقيقة التي جعلته يهتم بهذا الموضوع والاهتمام به، ويمكن معرفة بداية المخطوط من خلال القراءة حيث نستطيع ان نميز ما اضافه الناسخ في بدايته عما كتبه المصنف، ونتأكد من عنوانه واسم مؤلفه إن كان مسجلين في صفحة العنوان او من خلال مقابلة مع نسخة أخرى، وتتضمن المقدمة عنوان آخر للمؤلف حيث يمكن أن يذكر المؤلف والتي من خلالها نستطيع معرفة هذا المؤلف او التمييز بينه وبين شخصيات أخرى تتشابه معه في الاسم كما يمكن ان تتضمن أسماء أساتذته وتلامذته وطلبته حيث يذكر المؤلف في مقدمته أسماء أساتذته عن طريق إجازاته وسماعه لهم فضلا عن ذكر تلامذته على أساس انهم طلبوا منه أن يصنف لهم في موضوع معين.

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 14.

[2] حسين حهاد الحساني، المرجع السابق، ص 121.

3. الخاتمة: تعد خاتمة المخطوط ذات اهمية بالغة حيث لا تقل في فائدتها عن بداية المخطوط ومقدمته وذلك للمعلومات المهمة التي تتضمنها هذه الخاتمة ويمكن ان نجد فيها الأمور التالية:

- عنوان المخطوط: من خلال الخاتمة نكتشف عنوان المخطوط، إذ لم يكن له عنوانا معينا في مقدمته او لم يكن له ورقة خاصة بعنوان المخطوط
- اسم المؤلف سواء ذكره المؤلف نفسه او الناسخ، إذ نجد في نهايته كمل كتاب....لمؤلفه...[1]
- نهاية المخطوط يرد في بعض المخطوطات عبارة تدل على الانتهاء من النص مثل عبارة تم الكتاب أو هذا آخر الكتاب، أو تم الجزء الأول، إلى غير ذلك من العبارات التي تشير إلى الانتهاء من المقصود.
- الناسخ وتاريخ النسخ والخاتمة، وتحدد لنا تاريخ نسخ المخطوط ومكان نسخه والشهر والسنة، وفي بعض الاحيان يحدد التاريخ بما مضى من الشهر او مات بقي منه، وفي بعض المخطوط نجد تحديد بداية الكتابة بالمخطوط ونهاية الكتابة فيه،
- مصادر المؤلف: ونجد في نهاية المخطوط ذكرا لمصادر المؤلف الذي اعتمد عليها في تأليف مخطوطه
- ما يصحح في تاريخ وفاة المؤلف، وفي الخاتمة أحيانا ما يصحح خطا وقع فيه المترجمون لمؤلف هذا المخطوط عن تاريخ وفاته، وذلك إذا ذكر المؤلف تاريخ تأليفه للمخطوط.
- حادثة تاريخية: قد يرد في نهاية المخطوط ذكر حادثة يؤرخ بها الناسخ او المؤلف هذه النسخة فيقول مثلا: عند خروج الجيوش المصرية من دمشق.

ولعل امورا أخرى يمكن ان تكون في خاتمة المخطوط منها مثلا عصر المؤلف، اسم المنسوخ له، عنوان كتاب آخر للمؤلف، سبب تسمية المخطوط، تاريخ التأليف وغيرها...[2]

الهوامش: ويطلق عليها أيضا " الحواشي" وهي المساحات الفارغة التي تترك حول المثن في صفحات المخطوط، وعادة ما تكون هذه المساحات متساوية في المخطوط الواحد وذلك لتساوي عدد الاسطر وتوازيها كما تكون متناسبة مع حجم صفحات المخطوط، كلما زاد حجم الصفحة زادت حجم الهامش والعكس صحيح.[3]

التسطير: اهتم كتاب المخطوطات بالشكل العام للمخطوطات إضافة إلى اهتمامهم بالترتيب العلمي له وتوثيق معلوماته، وذلك لإخراج المخطوط في صورة جميلة ومتكاملة في كافة الجوانب، ولهذا اهتموا بعملية التسطير

---

[1] عزت ياسين أبو هيبة، **المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989، ص 45.

[2] حسين جهاد الحساني، **المخطوط العربي تأريخه صنعته تطوره**، مجلة ينابيع تصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية في النجف الأشرف، العدد 23، 2008، ص 122.

[3] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 29.

وجعل الخط في شكل مستقيم، ولعل الطريقة الفنية التي كانت متبعة في التسطير في الضغط على أماكن السطور في الصفحة بمواد تترك أثرا ولا تؤثر على الورقة، ويزول أثرها عند الانتهاء من الكتابة بعد فترة وجيزة.

علامات الترقيم: من المتعارف عليه أن علامات الترقيم الحالية والمعروفة لدينا هي (النقطة، الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، والأقواس الشارحة وغيرها..) وهي لم تستخدم فعليا إلا في وقت قريب جدا وهو في الغالب بداية القرن الرابع عشر الهجري، لكن علامات الترقيم التي كانت معروفة عند العرب في المخطوطات القديمة تتمثل في الدائرة (O) التي تفصل بين كلامين أو حديثين لتسهيل استخراج المقصود منه، ونجد بالإضافة إلى الدائرة، الفاصلة (،) والنقاط الثلاث (:.) هذه الأخيرة التي كانت تستعمل في أول بيت الشعر وفي آخره وأحيانا في وسطه، إضافة إلى علامات أخرى كالدائرة المنقوطة والتي على شكل حرف هاء بالإضافة إلى استعمال النقطة.ومن المتعارف عليه في المخطوطات أنها كانت تستعل اكثر الدوائر العادية والدوائر المنقوطة لتحل محل العلامات المعروفة حاليا.[1]

الاختصارات: بالإضافة إلى الاختصارات والرموز التي كان يضعها النساخ عند تصويب الأخطاء التي تنتج بسبب سهو أو تكرار، اعتاد المؤلفون والنساخ على اختصار صيغ الاخبار والتحديث لتكرارها في كتب الحديث والتاريخ على وجه الخصوص، وجرت العادة لدى المحدثين باختصار ألفاظ في كتبهم حسب ما هو متعارف عليه لديهم مثال: كلمة حدثنا تختصر بـ (ثنا)، أو اختصار كلمة البخاري بـ (خ) ومسلم بـ (م)، ويشترط على هذه الاختصارات في إحدى الكتب او يشير إليها الناسخ في مقدمته كي يفهمها القارئ ومن الممكن أن تتشابه هذه الرموز في كتاب مع كتاب أخر ويكون المعنى المرجو منها مختلف لهذا فمن الواجب أن تذكر تلك الاختصارات ومعناها والمغزى منها في مقدمة المخطوط.

التصويبات والإضافات: إن كتابة المخطوط ليس بالأمر السهل خاصة لما يقع فيه الناسخ من اخطاء وجب مراجعتها وللحرص على إخراج المخطوط بدرجة عالية من الصحة والضبط فهو يراجع كتابه بعد الانتهاء من نسخه لتصويب وتصحيح ما اخطا فيه أو إضافة ما نسيه، وقد اعتبر العلماء مراجعة النسخة شرطا من شروط النسخ، وحتى يحافظ النساخ على الشكل العام لمنظر الكتابة في المخطوط، فقد اخترعت عدة طرق لتصحيح الاخطاء منها (الكشط أو المحو أو الضرب)، وهناك عدة طرق لها كما هناك بعض الإضافات التي يمكن ان يكون قد نسيها النساخ.

الزخرفة الجمالية والتذهيب:

عرفت المخطوطات العربية بعض الزينة والزخرفة خاصة تلك الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية التي تضاف بعد الانتهاء من النسخ لتضفي عليه ناحية جمالية ليس لها علاقة بموضوع المخطوط، وبما ان الاسلام لا يشجع على تصوير الأشياء الحية اتجه الفنانون إلى إفراغ مواهبهم الفنية وإنشاء عناصر زخرفية، وأوجدت مبادئ

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 33.

جديدة أثمرت نوعا من الزخارف، وهذا ما تجسد في المصاحف المزخرفة التي وصلت إلينا، حيث تتضمن الأشكال الهندسية والنباتية التي اصبحت فنون زخرفية خاصة بالعرب والمسلمين أطلق عليها الأوروبيون اسم " الأرابيسك"، وقد امتدت الزخارف إلى كتب أخرى وخاصة كتب السيرة وعلوم الدين وأخذت أوائل ابوابها وفصولها ونهاياتها تحلى بمثل هذه الزخارف، وهذه الانواع من الزخارف لم تنتشر انتشارا كبيرا إلا في القرون الخامس والسادس والسابع هجري، وكان العصر المملوكي من العصور الذهبية التي كثرت فيها هذه الفنون الزخرفية والخطية.[1]

وقد ادرك العرب والمسلمون ان الخط العربي يتصف بالخصائص التي تجعله عنصرا زخرفيا يحقق الأهداف الفنية، وكثيرا ما استعمل الخط استعمالا زخرفيا بحتا دون الاهتمام بالمضمون المكتوب وكان الخط الكوفي (لأن خطوطه العمودية والأفقية عنصرا يمكن استغلاله من الناحية الزخرفية

أما التذهيب هو استعمال مادة الذهب في كتابة وتزيين أوائل المخطوطات وأواخرها او جلودها او اجزاء منها أو جميعها، ومن الممكن ان يكون الذهب المستعمل في النقوش أو زخارف الجلود على شكل ورق الذهب أو صفائحه، وفن التذهيب من فنون الكتاب التي ازدهرت ازدهارا كبيرا على مر عصور المخطوطات، والمصاحف كانت اول الكتب التي نالت عناية كبيرة في هذا الفن ومن ثم اخذت بعض كتب علوم الدين الاسلامي والأدب، والمعروف ان الخطاط كان ينهي كتابة المخطوط تاركا الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال الهندسية والنباتية المذهبة او تنقش فيه صور ذات صلة بنصوص معينة في المخطوط.[2]

مواضيع المخطوطات العربية:

لم يكن للعرب قبل الاسلام علم مدون أو فن ولا أدب مكتوب، وكانت الروايات والأشعار والأخبار والأنساب تتداول بينهم شفاهة خلال عمليات التجارة، وهكذا كان الانسان في الجاهلية يحيا ويموت دون ان يترك اثرا لأفعاله وآماله، ولما جاء الاسلام ونزول الوحي كان الصحابة يحفظون القرآن في أذهانهم وبعد موقعة اليمامة خاف أبو بكر الصديق على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمعه في طرس [3] واحد، وشكلت لجنة لهذا الغرض وكتب القرآن على رق، فكان المصحف هو اول كتاب عربي يدون كاملا [4].

بعد تدوين القرآن الكريم في المصاحف وبعد انتشار المسلمين في الأقطار التي فتحوها واتساع الآفاق العلمية والثقافية امامهم، وتزايد الخبرات والتجارب بدءوا في تدوين العلوم الأخرى وإن كان تاريخ البداية هنا غير معروف، اتسعت بذلك دائرة التدوين والتأليف والترجمة لكل ما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتدت

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 54.

[2] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 56

[3] الطرس في اللغة يعني الصحيفة التي تمحى وتكتب

[4] السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص 18.

ايضا إلى القصص والأخبار والتاريخ واللغة والأدب والعلوم البحتة والعلوم التطبيقية، إلى ان بلغت ذروتها في خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهكذا يدا التراث العربي المخطوط يزداد انتشارا وازدهارا في وقت الذي كانت أوروبا تعيش في ظلمات عصورها الوسطى

انتشر المخطوط انتشارا واسعا بعد اختراع الورق وأثر ذلك على مضمونه وسبل وصوله من المؤلفه إلى قارئه حيث ظهر طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة وصناعة الكتب أطلق عليهم اسم الوراقين.[1]

فهرسة وتصنيف المخطوطات العربية:

إن سر بقاء المخطوطات العربية للأجيال المقبلة والمحافظة عليها ليس في صيانتها وحمايتها من التلف فقط بل بالتعريف بها والإشارة إلى مكان تواجدها في المكتبات من خلال تصنيفها وفهرستها، وإن ما يميز المخطوطات العربية عن غيرها انها احتفظت بكل خصائصها ومقوماتها واستعصت على التحريف والتبديل وجعلت من المخطوط العربي الأكبر عمرا والأكثر عددا، وتعد الفهرسة إحدى اهم الوسائل التي تساعد على حفظ المخطوطات إذ أن الهدف منها هو جعل اوعية المعلومات في مكان يحتويها لتسهيل عملية البحث عنها والاستفادة منها، لهذا اهتم المتخصصون في هذا المجال بتوفير بعض الوسائل المتمثلة في الفهرسة والتصنيف والتي من خلالها يتم ضبط العناوين وإعطاء البيانات الواصفة لها.[2]

إن فهرسة المخطوط ليس كغيرها من فهرسة كتب أخرى نظرا لما تتطلبه من مهام وأتعاب لمفهرسها، وتعد عملية فهرسة المخطوط من العمليات الشاقة إذ لا يوجد تقنين معين بل كل مكتبة تحتوي على مجموعة من المخطوطات تجري فهرستها بطريقتها الخاصة [3]، وتقع على عاتق مفهرس المخطوط مسؤولية كبرى ذلك ان لكل مخطوطة قيمتها وخصائصها التي تميزها عن غيرها من الكتاب الواحد كنوع الورق وحجمه وعدده ونوع الخط والمداد واسم الناسخ وتاريخ النسخ وما قد يضاف إلى ذلك أن المخطوطات غالبا ما تكون في مكتبات بعيدة عن الباحث ليس من السهل عليه أن يبلغها ليفحصها بنفسه، ومن ثم لابد أن يقدم له الفهرس الذي بين يديه بيانات تفصيلية تساعده في التعرف على ما يحتاجه بدقة.[4] ويجب ان تتوفر مجموعة من المواصفات في مفهرس المخطوطات من بينها، أن يكون على ثقافة واسعة ومعرفة بعدة علوم مساعدة، مثل علم الخطوط، وعلوم الببيليوغرافيا وغيرها، لأنها تركز على وصف المخطوط وصفا علميا دقيقا من الناحيتين الخارجية (المادية)، والداخلية (الفكرية) [5]

---

[1] السيد السيد النشار، المرجع السابق، 19.

[2] حسين جهاد الحساني، المرجع السابق، ص 122.

[3] عزت ياسين أبو هيبة، **المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989. ص 36.

[4] عبد الستار الحلوجي، **المخطوطات والتراث العربي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002، ص 29.

[5] كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، **عاشق المخطوطات – قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية** –، القاهرة، دار أمين للنشر والتوزيع، 2001، ص 39.

للتصنيف أهمية كبيرة على غرار الفهرسة متمثلة في حصر الإنتاج الفكري المخطوط بموضوعاته المختلفة وجمعها مع بعضها البعض، ويعد تصنيف المخطوطات اصطلاحا ضم المخطوطات المتعلقة بموضوع معين من موضوعات العلوم مع بعضها البعض وجعل لكل واحدة منها خانة معينة، فتكون مثلا كتب الفقه على جهة وعلوم القرآن وكتب الطب..إلخ، ولابد ان يكون للمصنف ثقافة عامة ودراية واسعة بالتراث العربي والإسلامي، وقد اختلف طرق التصنيف في الماضي والحاضر، وقد اشتهر تصنيف المخطوطات في المكتبات على الشكل التالي:

القرآن الكريم وعلومه، الحديث الشريف وعلومه، اللغة العربية آدابها وعلومها، العقائد وأصول الدين، الكيمياء والعلوم الطبيعية، الفلك وعلومه، الحساب (الرياضيات)، التاريخ السيرة والجغرافيا، التراجم، الطب وعلومه، الفلسفة وعلومها، العلوم الغربية، الفقه الاسلامي، أصول الفقه، الأخلاق والتصوف.[1]

حماية وصيانة المخطوطات العربية:

إن التطرق لدراسة المخطوطات العربية ومكوناتها ونشأتها وتطورها يجرنا إلى موضوع مهم يتعلق بحماية هذه المخطوطات وصيانتها كي تحافظ على شكلها الاصلي وان هذا العنصر يتطلب دراسة منفصلة بحد ذاتها، والملاحظ أن أي دراسة تتناول موضوع المخطوطات لا تهمل هذا العنصر نظرا لكونه مكمل في دراسة المخطوط وفي هذا المجال عقدت ملتقيات ودراسات على أعلى مستوى واستعملت الوسائل التقليدية والتكنولوجية لعملية حفظ المخطوط العربي وصيانته، فنجد ان مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي عقدت مؤتمرها الثالث في لندن تحت عنوان " صيانة وحفظ المخطوطات الاسلامية "، كما تناوله مصطفى مصطفى السيد يوسف وهو حاصل على ماجستير في صيانة المخطوطات في كتابه "صيانة المخطوطات علما وعملا ".

لمعرفة طرق حماية وصيانة المخطوطات لابد من تحديد مكوناته إذ اختلفت حسب نوع وطبيعة المادة المستعملة في صناعة المخطوط ويمكن إجمالها في ما يلي:

- مواد كربوهدراتية ممثلة في الأوراق والبردي واللواصق النشوية.
- مواد بروتينية ممثلة في الرق والجلد واللواصق الغروية.
- مواد ممثلة في الأحبار التي يكتب بها (صبغات كميائية، معدنية أو عضوية) [2]

وتتأثر كل هذه المكونات بمجموعة من العوامل التي تؤدي إلى تغيير شكل المخطوط وتقادمه ومن بينها العوامل الجوية مثل الرطوبة النسبية والحرارة والتلوث، والأكسدة الضوئية، والتعرض للحشرات والميكروبات وتغير

[1] حسين جهاد الحساني، المرجع السابق، ص 123.

[2] مصطفى مصطفى السيد يوسف، **صيانة المخطوطات علما وعملا**، القاهرة، عالم الكتب، 2002، ص 35.

الضغط الجوي والاهتزاز.[1] بالإضافة إلى تدخل الإنسان السلبي وتأثيره على شكل المخطوط مع حساسية هذه المخطوطات لتقادمها.

وتختلف طرق ترميم وإصلاح المخطوط حسب حالته الموجودة عليه فهناك مخطوطات تظهر عليها أعراض مثل:

- جفاف الورق وتقصف أحرفها وانتشار الثقوب والقطوع على هوامش ونصوص المخطوط.
- انتشار البقع اللونية الكيميائية والبيولوجية على الصفحات المكتوبة وجلود الأغلفة.
- التصاق الصفحات وتآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة، وبهتان لون الاحبار ومواد الكتابة..إلخ.[2]

كما يمكن ان نقوم بحفظ المخطوطات من خلال توفير الظروف الملائمة للحفظ لكي لا تتسرب العوامل السابقة إلى المخطوط الغير مصاب أو ما يسمى بالوقاية عن طريق النظافة المستمرة لمكان الحفظ والتهوية، والتحكم في عناصر البيئة المحيطة من حرارة ورطوبة عن طريق وضع أجهزة ضبطها [3].

تحقيق المخطوطات:

لا شك أن حماية وصيانة المخطوطات لا ترتبط فقط بالجانب المادي للمخطوط وحفظه من التلف لكنها ترتبط بما يمكن أن يلحق المخطوط من أدى في موضوعه ومحتواه بقصد من اجل تحريف معناه وبغير قصد نظرا لصعوبة قراءته وعدم فهم مكوناته، ويدور معنى كلمة تحقيق لغويا حول إحكام الشيء وصحته، والتيقن والتثبت، ولا شك أن هذه المعاني لها ارتباط وثيق بالمدلول الاصطلاحي، ويعرف عبد السلام هارون علم التحقيق بأنه علم يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه وضبط نصه أو متنه وكان أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.[4]

وتعد كلمة تحقيق هي أكثر المصطلحات شيوعا في وقتنا المعاصر، وقد استعمل بعض الدارسين ألفاظا أخرى مثل " قرأه وشرحه "، " تحقيق وشرح"، " حققه وضبط غريبه وعلق حواشيه"..، وقد اجمع أغلب الدارسين أن واجب المحقق أن يجمع الأصول الخطية، والمفاضلة بينها لاختيار أفضلها (بخط المؤلف أو قرأت عليه، أو نسخت في عهده أو عهد قريب منه)، والمقابلة بين النسخ وضبط النصوص والتعليقات والهوامش والفهارس التحليلية والكشافات كما يقوم بكتابة مقدمة التحقيق التي يذكر فيها قيمة المخطوط وأهميته المعرفية والعلمية

---

[1] صري اسكندر، **حفظ وصيانة الكتب والورق والمخطوطات والبردي والرق الاسلامية**، سلسلة مؤتمرات الفرقان رقم 3، أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة

الفرقان للتراث الاسلامي، لندن 18-19 نوفمبر 1995، تحرير ابراهيم شبوح، 1995، ص 127.

[2] مصطفى مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص 42.

[3] مصطفى مصطفى السيد يوسف، المرجع السابق، ص 85.

[4] كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، المرجع السابق، ص 53.

وأسباب تحقيقه ونشره، وتناول مؤلف الكتاب، والمخطوطات التي اعتمد عليها في التحقيق والمنهج المتبع في التحقيق.[1]

خاتمة:

يعد الكتابة في موضوع المخطوطات والتراث العربي عامة موضوعا يحتاج إلى الكثير من البحث والجهد والوقت نظرا لكثرة وغزارة الإنتاج العربي عبر العصور السابقة خاصة وأن الحضارة العربية والإسلامية أكبر مساهم في نقل المعرفة والأعمال العلمية والمحافظة عليها، ويبرز ذلك من خلال المخطوطات المتوفرة في مكتبات العالم، وقد عمل الباحثين العرب على التعريف بالمخطوط العربي من خلال وضع فهارس وبيبليوغرافيات تعرف بالمخطوطات العربية المتواجدة في هذه المناطق، وظهرت بذلك فهارس للمخطوطات المتواجدة في مختلف مكتبات العالم ونظمت خرجات علمية وبحثية من اجل اكتشاف التراث المنتشر هنا وهناك وإعداد فهارس خاصة بها والتعريف بها ووصفها وصفا يسهل على الباحث معرفة مضامينها، والجدير بالذكر أن تطور تكنولوجيا المعلومات يمكن أن يساهم في حفظ تراثنا العربي المخطوط عن طريق إعادة تصويره وحفظه بطريقة متطورة عن طريق المصغرات الفيلمية والنسخ الالكتروني والتصوير الفوتوغرافي، كما يمكن نقله والتعريف به باستغلال الفهارس الإلكترونية والمحسوبة أو بنشرها وإتاحتها على شبكة المعلومات والإنترنت.

إن تطور المخطوطات العربية جاء كنتيجة لتطور وسائل الكتابة، وتطور العلوم المختلفة كما أن القرآن الكريم ساهم في تدوين وكتابة المخطوطات العربية في مختلف العلوم حيث صاحب تدوين القرآن وانتشاره تدوين علوم أخرى ساهمت في تطوير وتنوير الانسانية، ويبقى العالم مدين للتراث العربي في نقله للمعرفة الإنسانية، كما أن حفظ هذا التراث العربي مسؤولية تقع على عاتق كل منتمي لتاريخ هذه الأمة وتراثها خاصة مع ظهور تهديدات جديدة للتراث العربي المخطوط منها الحروب المقصودة على تاريخ هذه الامة وحضارتها من أجل طمس ومحو تاريخها وهويتها.

قائمة المراجع:

1- بطرس البستاني، **محيط المحيط**، بيروت، مكتبة لبنان، ج 10، 1970.

2- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات**، انجليزي عربي، الرياض، دار المريخ، 1988.

3- حسين جهاد الحساني، **المخطوط العربي تأريخه صنعته تطوره**، مجلة ينابيع تصدر عن مؤسسة الحكمة للثقافة الاسلامية في النجف الأشرف، العراق، العدد 23، 2008.

4- سماء زكي المحاسني، **دراسات في المخطوطات العربية**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، .1999

[1] محمد التونجي، **المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات**، القاهرة، عالم الكتب، (د ت)، ص 184.

5- السيد السيد النشار، **فن المخطوطات العربية**، الاسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1997.

6- عبد الستار الحلوجي، **المخطوطات والتراث العربي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002.

7- مصطفى مصطفى السيد يوسف، **صيانة المخطوطات علما وعملا**، القاهرة، عالم الكتب، 2002.

8- عزت ياسين أبو هيبة، المخطوطات العربية فهارسها فهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.

9- محمد التونجي، **المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات**، القاهرة، عالم الكتب، (د ت).

10- كرم أمين أبو كرم وحاتم السيد، **عاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية)**، القاهرة، دار أمين للنشر والتوزيع، 2001.

جهود حماية مخطوطات وادي مزاب وقراءة وصفية لفهارسها.

أ.زهير باباواسماعيل

جامعة غرداية

توطئة:

يعتبر المخطوط ذاكرة الأمة، وتأويل حاضرها، واستشراف مستقبلها، كما يعدّ مؤشرا صريحا على مكانة الثقافة في المجتمعات التي تعتني بها، ودليلا على حراك ثقافي وعلمي في الأمة في أحقاب زمنية متعاقبة.وركيزة أساسية في بلورة كيان الأمة وتحديد هويتها.فإنه « لم تقم نهضة جادة في أمة من الأمم إلا سبقتها دعوة ملحة إلى إحياء الماضي وبعث التراث بعثا صحيحا والبناء عليه والإضافة إليه...والمستقبل ما هو إلا الماضي مرورا بالحاضر».[1]

ووادي ميزاب -كغيره من عديد مناطق العالم الإسلامي- يتميز برصيده الثري من نفائس المخطوطات، حيث يقدر إجمالي مخطوطات وادي ميزاب بأكثر من 8000 مخطوط، لا يزال أغلبها حبيس خزائن المكتبات الخاصة والعامة، وقد أحصى الباحث محمد الحاج سعيد حوالي 114 مكتبة بوادي مزاب.وإذا علمنا أن الحاج سعيد أنجز إحصاءه سنة 1992م، وأنه قد تم اكتشاف بعض خزائن الكتب الخاصة والتي لم تدخل في الإحصاء، وخزائن أخرى لم تزل طي الخفاء فإن عدد المكتبات يكون أكثر بكثير مما ذكر.[2]

وإحساسا بأهمية العناية بالتراث الفكري للمنطقة والمتمثل في مخطوطاتها فقد بُذلت جهودٌ معتبرة منذ بداية القرن الماضي من قبل أشخاص وهيئات عامة وخاصة لخدمته؛ بتصويره وتصفيفه ثم فهرسته؛ تيسيرا لمهمة الباحثين والدارسين لتراث المنطقة والجزائر عموما، بأبعادها الجغرافية والدينية والثقافية.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية إبراز بعض من هذه الجهود، والقيام بقراءة وصفية لبعض الفهارس التي أنجزت إلى حد كتابة هذه الأسطر.

أولا: الجهود الفردية والجماعية لخدمة المخطوط بوادي مزاب:

1- **الجهود الفردية:** والمتمثلة في الأعمال التي قام بها باحثون مستقلون اهتموا بالتراث في بدايات القرن الماضي:

أ.جهود أبي إسحاق إبراهيم اطفيش (1886-1965م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش ولد ببلدة بني يزقن بغرداية سنة 1886م، أخذ مبادئ العلوم العربية والشرعية على يد عمه القطب اطفيش (ت: 1332هـ-1914م) في مسقط رأسه.

عرف أبو اسحاق في الأوساط السياسية والثقافية بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي الذي نفاه من الجزائر إلى تونس، وعرف بنشاطه ذاك في الأوساط التونسية، وما لبث أن جاءه قرار النفي والإبعاد من السلطات الفرنسية على أن يختار أي بلد يشاء، فاختار مصر.

وفي القاهرة وجد المجال واسعا للتكوين والتبحر في كل مجالات الحياة، فنشط في ميدان السياسة والفكر وقام بأعمال جليلة في الصحافة، وتحقيق التراث، والتأليف، إلى جانب نشاطه الاجتماعي مع الجمعيات الخيرية ذات التوجه الإصلاحي الإسلامي.

إن عزيمة أبي إسحاق القوية وإرادته الصلبة مكّنته من إنقاذ نفائس التراث الإسلامي المغربي منه خاصة، ونشره محققا، مستغلا المنصب الذي شغله بدار الكتب المصرية بالقاهرة، حيث أسندت إليه وزارة الداخلية المصرية في سنة 1359هـ/1940م مهمة الإشراف على قسم التصحيح وتحقيق التراث بدار الكتب المصرية.[3] ومن أهم تلك المؤلفات التي طبعت وحققت على يديه نذكر ما يأتي: [4]

1- تراث شيخه امحمد بن يوسف اطفيش:

- شرح كتاب النيل وشفاء العليل، والذي يعد حاليا مرجعا للدارسين في الفقه الإباضي، وقد وقف أبي إسحاق على طبعه وصححه وذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.

- كتاب الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، وهو كتاب في الفقه المقارن، قام أبي إسحاق بطبعه والتعليق عليه، كما صدّر الكتاب بمقدمة تعريفية عن حياة المؤلف، وكان ذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.

- كتاب شامل الأصل والفرع، الذي ألفه القطب في آخر حياته في جزئين، وقد التزم أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه سنة 1348هـ/1929-1930م.

- كتاب الرسم في تعليم الخط، وقد قام أبو إسحاق بتصحيحه وطبعه سنة 1349هـ/1930-1931م.

2- كتب تراثية أخرى:

- كتاب الوضع في الأصول والفقه لأبي زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني النفوسي (ق: 5هـ / 11م)، قام أبو إسحاق بنشر الكتاب والتعليق عليه، كما صدّره بمقدمة تعريفية بالكتاب ومؤلفه، ونبذة عن تاريخ نفوسة.

- رسالة تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، للإمام نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت: 1332هـ/1914م)، طبعها أبو إسحاق بعد أن صححها وعلق عليها وذلك سنة 1344هـ-1925-1926م.

- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام للإمام السالمي،(ت: 1332هـ/1914م)، قام أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه وذلك سنة 1346هـ/1927-1928م.

- كتاب الملاحن للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: 321هـ-933 م)، صححه أبو إسحاق وعلق عليه وذيله بذيل وذلك سنة 1347هـ/1928-1929م.

- مقدمة التوحيد وشروحها للشيخ بدر الدين أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخيت: (ت: 928هـ-1522م) والشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاتي، (ت: 967هـ/1560م).صححها وعلق عليها أبو إسحاق وطبعها سنة 1353هـ/1934-1935م.

ثانيا: جهود السيد الحاج سعيد محمد:

هو السيد محمد بن أيوب بن الحاج سليمان بن الحاج أيوب من عائلة الحاج سعيد من مواليد سنة 1953م بغرداية، نشأ في أحضان عائلة كريمة أنجبت أعلاما ساهمت في تفعيل الحياة الثقافية والفكرية في المنطقة.تتلمذ على يد مشائخ المنطقة كعادة أترابه، وتحصل على شهادة مساعد محاسب من المدرسة التقنية سنة 1982م.

ظهر اهتمام السيد الحاج سعيد بالتراث جليا من خلال احتكاكه بالعلماء والشخصيات المهتمة بالتراث الإباضي من داخل الوطن وخارجه، حيث كانت له عدة لقاءات مع مستشرقين اهتموا بتراث وادي مزاب من هؤلاء:

- البروفيسور تادوش لفتسكي الخبير في المذهب الإباضي وتاريخ البربر.
- د.يوسف فانهس الألماني المختص في الدراسات الإسلامية والإباضية.
- د.روبرتو روبنتشي باحث في المذهب الإباضي ومدرس في معهد الاستشراق في نابولي بإيطاليا.
- د.القس كوبرلي الباحث والمتخصص في المذهب الإباضي.
- د.هرليش ربستك باحث في المذهب الإباضي وتاريخه في شمال إفريقيا في ألمانيا.[5]

ويملك الحاج سعيد محمد مكتبة خاصة جمع فيها نفائس الكتب عن طريق الشراء والإهداء أحيانا، حيث كان يتتبع الأسواق وبخاصة سوق بني يزقن، وكلف دلالا يترقب الكتب المعروضة للشراء وشرائها مهما بلغ ثمنها.كما أثرى مكتبته من خلال تعقّب التركات واقتناء ما يعرض فيها، على غرار مخلفات عمّيه لأمه الشيخ حمو بابا وموسى وشقيقه الحاج محمد، حيث استطاع أن يسترجع ما تسرب من مكتبتيهما بعد وفاتهما.[6]

ومن جهود السيد الحاج جمعه للصور الفوتوغرافية والمستنسخات الآلية لمخطوطات الإباضية من مكتبات ومراكز خارج الوطن، من خلال رحلاته إلى العديد من البلدان العربية والغربية كالمغرب والسعودية وتركيا وإيطاليا وبولونيا وألمانيا وروسيا.[7]

كما شارك في العديد من المعارض والندوات والملتقيات؛ معرّفا بالرصيد الثقافي للمنطقة، ومستنهضا لهمم الباحثين بغية الاهتمام بالتراث وتحقيقه.

يشهد القاصي والداني في المنطقة للسيد الحاج سعيد اهتمامه بشؤون المخطوطات، وكذا وثائق وادي مزاب وتاريخه، إذ يعد مرجعا للباحثين وسندا لهم في سبر أغوار المخطوطات في المنطقة.وكانت ثمرة جهوده إنشاؤه بمعية ثلة من الرجال المهتمين بالمخطوط، لجمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش لخدمة التراث بغرداية، ويشغل حاليا منصب رئيس الجمعية.

2- **الجهود الجماعية:** والمتمثلة في جهود تبنتها جمعيات وهيئات في نهاية القرن والماضي ولا تزال؛ وسنقتصر على الهيئات التي تبنت أعمالا في فهرسة المخطوطات أو تصويرها ومن هذه الجمعيات نذكر:

أ. جمعية التراث بالقرارة:

تأسست الجمعية بفكرة شخصية لدى "الدكتور محمد ناصر"، ثم تبلورت بعد تأييد من بعض مشائخ بلدة القرارة، وتتحصل الجمعية على الرخصة الرسمية في شهر ماي 1989م.

وقد سطرت الجمعية لنفسها منذ تأسيسها برامج طموحة، انطلاقا من أهدافها، والتي من أهمها جمع التراث وترميمه، والحفاظ عليه بالتصوير والتسجيل، والنسخ، والطباعة، والنشر، والمحافظة على التراث الفكري المكتوب.[8]

وفي تسعينيات القرن الماضي تبنت الجمعية مشروعا لفهرسة المخطوطات في إطار عمل جماعي لباحثين، أطلق عليه:"نحو دليل مخطوطات وادي مزاب".حيث استطاع المشروع أن يقنع كثيرا من أصحاب المكتبات بفتح خزائن مخطوطاتها أمام المفهرسين.

فاجتمعت ثلة من الطلبة والباحثين في أيام مغلقة سميت بأيام غار أمجماج،[9] وتمكنوا من إتمام فهرسة حوالي ثماني مكتبات وهي:

1- فهرس عشيرة آل يدر ببني يزقن سنة 1414هـ/1994م.

2- فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية، سنة 1415هـ/1994م.

3- فهرس مكتبة البكري بالعطف، سنة 1414هـ/1994م.

4- فهرس مكتبة إيروان بالعطف.سنة 1995م.

5- فهرس مكتبة عشيرة آل فضل ببني يزقن.سنة 1416هـ/1996م.

6- فهرس مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن سنة 1417هـ/1997م.

7- فهرس مكتبة الشيخ ابن ادريسو ببني يزقن.سنة 1419هـ/1998م.

8- فهرس مكتبة بوعيسى عيسى ببني يزقن.سنة 1415هـ/1995م.

وقد انطلق العمل بمجموعة من أربعة باحثين ثم انضمّ إليهم باحثون فوصل عدد المساهمين في إعداد كل الفهارس إلى عشرين باحث.وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية باشرت في إطار المشروع في فهرسة مكتبات أخرى، إلا أن العملية لم تكتمل لظروف خاصة بالجمعية، وأهمها تعثر التمويل المادي للمشروع، ومن هذه المكتبات نذكر:[10]

1- مكتبة الشيخ إبراهيم متياز ببني يزقن.

2- مكتبة الشيخ محفوظ ببني يزقن.

3- مكتبة القطب ببني يزقن.(وقد شرعت جمعية أبي إسحاق في فهرستها).

4- مكتبة معهد الإصلاح بغرداية.(راجعتها وفهرستها جمعية أبي إسحاق).

5- مكتبة الشيخ باسة بورقلة.(راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).

6- مكتبة بومعقل عيسى بورقلة.

7- مكتبة الشيخ باباوموسى حمو بغرداية.(راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).

8- مكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب بغرداية.(راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).

يعتبر مشروع نحو دليل مخطوطات وادي مزاب بشرى لكل الباحثين في التراث، وفتحا لمكتبات وادي مزاب، وبادرة خير حفّزت العديد من المكتبات على فتح أبوابها للعاملين الفاعلين في خدمة التراث، لما ظهرت ثمار المشروع وأضحت بادية للعيان.كما حملت مؤسسات أخرى على التفكير في ولوج هذا المجال حفاظا على ذاكرة المنطقة من أن تندثر.

ب.قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد:

مؤسسة الشيخ عمي سعيد مؤسسة تربوية غير ربحية تمتد جذورها إلى تاريخ تأسيس حلقة العزابة بالجزائر في بداية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تهتم بتكوين الفرد لأداء واجبه نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه والإنسانية جمعاء، تشرف على التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي للبنين والبنات بتأسيسها لمعهد عمي سعيد سنة 1393هـ - 1973م، كما توفر فرصا للتخصص في العلوم الإسلامية لمرحلة ما بعد الثانوي، بتأسيس قسم التخصص في العلوم الإسلامية سنة 1409هـ - 1988م.[11]

تهتم المؤسسة بالتراث ضمن نشاط مكتباتها التي تحوي آلافا من المخطوطات والكتب؛ خدمة للباحثين، ونشرا لثقافة القراءة في الأوساط.فأنشأت المؤسسة ضمن هياكلها قسما خاصا أطلقت عليه: "قسم التراث والمكتبة"، أسندت له مهمتين:

1- **المكتبة**: والتي أنشئت سنة 1969م، ومقرها الحالي بحي حواشة وسط المدينة، وقد عرفت المكتبة تزويدات واسعة من مختلف المكتبات والشخصيات، خاصة في الآونة الأخيرة، لتصبح من أضخم المكتبات في وادي مزاب، إذ تحتوي على حوالي 9500 كتاب مطبوع، و2000 كتاب مخطوط، وفي مختلف التخصصات العلمية.[12]

2- **التراث**: استشعارا من إدارة المؤسسة بالمسؤولية التاريخية وجهت قسطاً وافرا من جهودها في سبيل خدمة التراث جمعا وحفظا ودراسة وتحقيقاً ونشراً.وكانت كل الأعمال التي أنجزتها المؤسسة في مجال التراث تحمل شعار: "رسالة التراث".ومن المشاريع التي تقوم بها المؤسسة في هذا المجال:

- تحقيق كتابي "قواعد الإسلام" و"قناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي (ت:750هـ)

- جمع وتحقيق جوابات قطب الأئمة الشيح امحمد بن يوسف اطفيش.

- إصدار فهارس وصفية لمخطوطات خزائن المؤسسة وغيرها، حيث قامت مؤسسة الشيخ عمي سعيد بإصدار 9 فهارس للمخطوطات مكتبات وادي مزاب منذ سنة 1423هـ-2002م، بدأته بفهرس لمخطوطات

خزانتها العامة ليصل عملها إلى غاية 1431هـ- 2010م بفهرس لمخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بابهون، وتتمثل الفهارس التي أنجزتها المؤسسة فيما يأتي:[13]

- فهرس مخطوطات الخزانة العامة.(1423هـ-2002م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى (1424هـ-2003م).
- فهرس مخطوطات الخزائن الثلاث: الشيخ صالح بن كاسي، الحاج بكير بوكرموش، الفاضل باحمد أشقبقب، (1426هـ-2005م).
- فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات) (1426هـ-2005م).
- فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم للمشايخ: مامة بنت سليمان بباز، بكير بن عمر موسى واعلي، بكير بن علي موسى واعلي، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ "إروان" بجامع غرداية الكبير (1430هـ-2009م).
- فهرس مخطوطات خزانة باسة بن أم موسى الوارجلاني (1431هـ-2010م).
- فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بابهون، (1431هـ-2010م).

ويتمثل عمل مؤسسة الشيخ عمي سعيد في مجال رعاية وخدمة المخطوط تتمثل في أربعة وظائف وهي:

- الاقتناء والجمع
- الترميم والصيانة
- الجرد والفهرسة
- الحفظ والاستثمار

وتعد هذه الوظائف مراحل أساسية لمشروع بعيد المدى تبنته المؤسسة والذي سيكلّل بدار للمخطوطات لتكون مقرا مناسبا لأعمال رعاية المخطوطات.[14]

ثالثا: جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية:

تأسست "الجمعية" بتاريخ 11 أفريل 1995م، باعتماد رسمي من ولاية غرداية، الجزائر، بوصفها هيئة خيرية علمية، تعمل على تثمين جهود الباحثين في حقل التراث عامة والتراث الإباضي خاصة.

وكانت فكرة إنشاء الجمعية تثمينا لعدة تجارب وأفكار، لعل أبرزها تجربة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (لخبورات)، وهو يشغل حاليا منصب رئيس الجمعية.[15]

تعتبر جمعية أبي إسحاق من المؤسسات الخيرية الرائدة في مجال حفظ التراث، وبالخصوص المخطوط منه، لذا فقد جعلت من أهم أولويات مشاريعها العمل على تأمين رصيد المخطوط في وادي مزاب وصيانته، بغية

اكتشاف الكنوز المغمورة في وادي مزاب وحفظ مخطوطاتها، وديمومة الاستفادة منها، باستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

ولتجسيد المشروع فقد سلكت الجمعية أحسن الطرق التكنولوجية الحديثة والمتمثلة في:

- التصوير الميكروفيلمي (حفظ طويل المدى، حوالي 70سنة) لديمومة المحتويات.
- التصوير الرقمي (حفظ متوسط المدى، حوالي 5 سنوات) لسهولة التداول.

باشرت الجمعية في المشروع خلال موسم 1995-1996م، وقد تم تصوير عدة مكتبات وخزائن منها:

- خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي.
- مكتبة عشيرة آل يدر ببني يزقن.
- مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن.
- مكتبة البكري بالعطف.
- مكتبة قطب الأئمة.
- مكتبة الإصلاح بالراعي بغرداية.

ويشتمل المشروع على خطوات وعمليات تقنية وأخرى علمية، يمكن أن نوجزها في الترتيب الآتي:

أولا: إحصاء المكتبات.

ثانيا: فهرسة المخطوطات.

ثالثا: رقن الفهارس.

رابعا: التصوير الرقمي، أو التصوير الميكروفيلمي.

خامسا: تصفيف الأفلام والأقراص، ومقابلتها مع الفهارس.

سادسا: التصفح الافتراضي في مخطوطات المكتبات، وتسيير المحتويات الرقمية عن طريق برنامج كمبيوتر (برنامج المعصومة لمعاينة المخطوط).[16]

وقد عكف مؤخرا فريق عمل الجمعية على فهرسة مكتبة القطب، بعد أن أصدر فهرسا جرديا لمحتويات المكتبة التي تعد أغنى مكتبة بوادي مزاب، حيث تحتوي على 968 وحدة، والمقصود بالوحدة ما بين دفتي الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، قد تصل أحيانا إلى العشرات.

وترجع أهمية المكتبة إلى الروافد التي استقت منها، وإلى تنوع الفنون التي تحويها، ولا غرو فهي مكتبة عالم جليل، وتشهد لذلك خزانته التي تحوي إنتاجه العلمي الغزير والذي يتنوع بين تأليف مطول ومختصر وبين شرح وحاشية، فضلا عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم ترجع أو تلك التي ربما ضاعت فلم يبق سوى عنوانها.[17]

ثانيا: قراءة وصفية في مضامين بعض الفهارس المنجزة:

سنحاول القيام بقراءة تحليلية وصفية لمضامين بعض الفهارس التي أنجزت، وسنقتصر على ما أنجر من قبل جمعية التراث ضمن دليل مخطوطات وادي مزاب، وكذا الفهارس التي أنجزها قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد ولا يزال.

1- فهارس جمعية التراث:

أشرنا عند حديثنا عن جهود جمعية التراث أنها تبنت مشروع عمل جماعي أطلق عليه "نحو دليل مخطوطات وادي مزاب" أثمر 8 فهارس.متبعة في أغلبها الطريقة الآتية:[18]

- تنظيف المخطوط.
- ترتيب وتنسيق ما اختلط منه إن وجد.
- ترقيم أوراق المخطوط بقلم الرصاص.
- ضبط المعلومات في استمارة المخطوط: (الرقم في المكتبة، عنوان المخطوط، المؤلف، تاريخ وفاة المؤلف، موضوع المخطوط، أول المخطوط، آخر المخطوط، الناسخ، تاريخ النسخ، رقم الجزء، عدد الأوراق، عدد الأسطر، المقاس، كمال المخطوط أو خرمه، حالة الخط ونوعه، لون المداد، ملاحظات أخرى).
- تصنيف المخطوط وترتيبه في المكتبة ترتيبا جديدا.
- استنساخ أهم المخطوطات في المكتبة والتي يخاف تلفها.
- ترتيب استمارات المخطوط ومراجعتها.
- محاولة استخراج المجاهيل من العناوين والمؤلفين...
- تصفيف معلومات الاستمارات في الكمبيوتر حسب مواضيعها.
- إنجاز الكشافات المساعدة.
- كتابة مقدمة للفهرس ثم السحب النهائي.

وفيما يلي قراءة في بعض الفهارس المنجزة:

أ.فهرس مكتبة عشيرة آل يدر ببني يزقن:

ويعد أول فهرس يصدر في إطار دليل المخطوطات وذلك في رمضان 1414هـ الموافق لشهر فيفري 1994م.

يرجع أصل ملكية مكتبة عشيرة آل خالد إلى الشيخ محمد بن باحمد بن يحي (حي في 1351هـ)، وباحمد بن حمو بن يحيى يدر (حي في 1352هـ).

ومعدل عمر المكتبة أكثر من قرنين من الزمن.[19]

يحتوي الفهرس على 259 صفحة، بمجموع 594 عنوان، منها 128 في النظم والقصائد، و466 مؤلفات نثرية، وتحتل المؤلفات الفقهية الصدارة بمجموع 158 عنوان، ثم المواعظ والابتهالات والفضائل في 96 عنوان، والعلوم الرياضية والحديثة ب 70 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 63 عنوان.

ب.فهرس مكتبة آل فضل ببني يزقن:

تمتلك مكتبة آل فضل خزانة من مخطوطات نفيسة في علوم مختلفة، ورغم قدم المكتبة نسبيا وتعرضها في فترة ما إلى نوع من الإهمال إلا أن مجموع عدد المخطوطات الكاملة يبلغ أكثر من نصف المجموع الإجمالي لمخطوطات الخزانة.[20]

ويعتبر السيد موسى بن عمر بن يعقوب بن موسى منشئ المكتبة، وهو الذي أوصى بحبسها، ثم انتقلت إلي أبنائه أبا عن جد والذين ساهموا في إثرائها، كما ساهم في إثراء هذه المكتبة الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي.(ت: 1202هـ-1787م).

وتظهر أهمية المكتبة في تواريخ نسخها التي يرجع أكثرها إلى القرنين 11-12هـ/17-18م، كما يرجع بعضها إلى القرنين 9-10 هـ/15-16م، ويرجع أقدمها إلى 669م.[21]

وقد تم الفراغ من فهرسها بإنجاز من السيد بوراس يحيى وإشراف جمعية التراث وذلك سنة 1416هـ-1996م.فظهر الفهرس في 185 صفحة، اشتملت على 508 عنوان في شتى الفنون منها 98 عنوان في القصائد والنظم، و410 عنوان في الأعمال النثرية.وقد كان للفقه النصيب الأوفر من مجموع المؤلفات ب 125 عنوان، ثم اللغة العربية وعلومها ب 102 عنوان، والعلوم الرياضية الحديثة ب 58 عنوان، والتاريخ والجغرافيا ب 53 عنوان.

ج.مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن:

المكتبة ملك من أملاك عشيرة آل خالد ببني يزقن، تحتوي على خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبار، (ت: 1296هـ-1872م)، وقد كانت عند أحفاد ثم وضعت تحت تصرف العشيرة.

تعتبر أكبر مكتبة شاملة لمخطوطات عمانية مشرقية في المغرب عموما، فمالكها الأصلي الشيخ أزبار جلبها معه من عمان، بعد أن استقر بها لفترة.[22]

لم تصنف المخطوطات في الفهرس حسب مواضيعها كما هو حال الفهارس الأخرى، وإنما اكتفي فيها بكشاف مستقل للمواضيع وضعت أمامها أرقام المخطوطات التي تندرج فيها.كما أن بطاقات المخطوطات رقمت برقم البطاقة وليس بالصفحات.

وقد تم الفراغ من وضع الفهرس في ذي القعدة من سنة 1417هـ يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1997م.وقد اشتمل على 282 عنوان منها 152 كتاب في الفقه، و33 كتاب في اللغة العربية وعلومها، و28 كتاب في العقيدة وعلم الكلام.

وأقدم نسخة في المكتبة هي لكتاب "سبوغ النعم" وهو لمؤلف مجهول، تم نسخها في 900هـ من قبل زايد بن يسفاو الوسياني.

د.فهرس مكتبة الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو ببني يزقن:

تحتوي المكتبة على خزانتين:

الأولى: خزانة الحاج صالح بن سليمان ابن ادريسو.

الثانية: خزانة الحاج عمر بن صالح ابن ادريسو.

أصل المكتبة هي للشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ-1896م)، بها جل مؤلفاته، إضافة إلى اقتناءات مختلفة، ثم انتقلت إلى ابنيه سليمان وصالح اللذين ساهما في إثرائها، وهي حاليا عند حفيديه الحاج صالح بن سليمان والحاج عمر بن صالح.

وتتميز المكتبة بكتب مطبوعة وبأعداد هائلة للجرائد الأسبوعية للشيخ أبي اليقظان.[23]

والفهرس لم يكتمل في إطار عمل جمعية التراث وقد أخذ زمام الأمور من بعدها الأستاذ ابن ادريسو مصطفى بن محمد ليكتمل العمل في رمضان من سنة 1419هـ يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1998م.[24]

والفهرس يقع في 94 صفحة، ومقسم إلى قسمين، لكل خزانة وضع لها فهرس مستقل.بمجموع 254 عنوان، منها 82 كتاب في الفقه، و32 كتاب في الوعظ والزهد والفضائل، و19 عنوان في العقيدة وعلم الكلام.

ثانيا: فهارس قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية:

استطاع قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد أن يحمل المشعل بعد جمعية التراث لما توقف مشروع دليل المخطوطات، فتمكنت من فهرست 9 مكتبات خاصة وعامة بمدينة غرداية.

وقد كان العمل في بداية الأمر جماعيا في دورات مغلقة، ثم تفرغ للعمل كل من الأستاذ بشير الحاج موسى، مدير قسم التراث والمكتبة، بمعية الخبير في مجال المخطوط الأستاذ يحيى بوراس.

ومما تميز به هذا العمل عن سابقه:[25]

- فصل مخطوطات الأعمال النثرية عن النظمية في الفهرس ووضع كل منهما في قسم مستقل عن الآخر.
- ترقيم المخطوطات على أساس ترتيبها في الخزائن والذي كان على حسب الأحجام.
- وضع ملاحق مشتملة على قوائم للمصاحف والمخطوطات المصورة، والوثائق المستقلة.

وقد تضمنت عملية الفهرسة في أغلب فهارس قسم التراث والمكتبة على الخطوات الآتية:

- تنظيف المخطوط وترتيب أوراقه.
- ترقيم أوراق المخطوط.
- وضع معلومات كل مخطوط في استمارة خاصة.
- ترتيب المخطوطات في الخزانة على حسب الأحجام وترقيمها على تلك الوضعية.
- تصنيف الاستمارات على حسب المواضيع.

- تصفيف محتوى الاستمارات على الحاسوب.
- وضع الكشافات العامة المساعدة.

وفيما يلي عرض لأهم الفهارس المنجزة من قبل القسم:

أ.فهرس الخزانة العامة:

الخزانة هي ملك للمؤسسة وقد كانت في بداية الأمر تابعة للمدرسة القرآنية التي يشرف عليها المسجد الكبير بغرداية.ثم عرفت تزويدات مختلفة على أيدي أعضاء من إدارة المؤسسة، كما تدعمت بمكتبات محبسة وأخرى موروثة لمشايخ منهم: الشيخ بحون فخار تلميذ قطب الأئمة (ت:1394هـ-1974م)، والشيخ إبراهيم كوله تلميذ القطب أيضا (ت: 1363هـ-1944م)، ويوسف تزبينت قاضي المحكمة الإباضية بقسنطينة (ت:1387هـ-1968م).وغيرهم.[26]

ويعتبر فهرس الخزانة العامة أول فهرس ينجزه قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة 1423هـ يوافقه شهر أكتوبر من سنة 2002م.ويضم بين دفتيه 725 عنوانا في 316 صفحة.منها 449 عمل نثري، و276 من الأعمال النظمية.

وكان للمواضيع الفقهية النصيب الأوفر ب 118 عنوان، ثم التاريخ والجغرافيا ب 94 عنوان، والعقيدة وعلم الكلام ب79 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 74 عنوان.

بالفهرس ملحقان أحدهما للمصاحف الشريفة والتي تضم 34 مصحفا، وآخر للمخطوطات المصورة والتي يبلغ عددها 83 مخطوطا.

ويرجع أقدم نسخة في خزانة إلى سنة 697هـ وهو يضم مجموعة من الأحاديث الأربعينية.

ب.فهرس خزانة القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي بغرداية:

تتواجد خزانة القاضي أبي بكر حاليا بجمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية، وضعها أحفاد الحاج بابكر في يد الجمعية بغية فهرستها وتنظيمها.

وقد تكفل قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد بمهمة فهرستها في إطار مشروع القسم، وتم ذلك في رجب من سنة 1428هـ الموافق لشهر أوت 2007م.

ويضم الفهرس 334 عنوانا في 180 صفحة، منها 228 عنوان في قسم الأعمال النثرية، و106 في قسم الأعمال النظمية، ويبلغ عدد المخطوطات الفقهية 86 عنوانا، واللغوية 49 عنوانا.

وتحتوي الخزانة على أقدم نسخة من كتاب المستصفى للغزالي (ت: 505هـ)، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة 552هـ.نسخها علي بن أبي القاسم نصر بن محمد بن أحمد العنزي.

بالإضافة إلى امتلاك الخزانة لمجموعة من النسخ القديمة فإن أهمية المكتبة تعود أيضا إلى تميّزها عن غيرها بعناوين فريدة، وكذا سلامة مخطوطاتها من الخرم والنقص على غير عادة أغلب مخطوطات.[27]

ج.فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير:

أصل الخزانة يعود إلى نشأة دار التلاميذ في زمن الشيخ عمي سعيد الجربي (ت: 898هـ /1492م)، وهو ما أشار إليه صاحب ملحق السير حين ترجم للشيخ عمي سعيد من وجود خزانة بدار التلاميذ بغرداية في القرن 10 الهجري.[28] ثم تزودت عن طريق عدة مصادر منها:

- الوقف والحبس لفائدة الخزانة.
- ضم خزائن أو أقسام منها عند انعدام أحد شروط الواقف.
- ضم الكتب التي لم يعلم أصحابها.
- عمليات النسخ.[29]

وقد تميزت الخزانة عن غيرها من الخزائن بعدة مميزات زادت من أهميتها منها:

- كونها تجربة رائدة للمكتبات العمومية، إضافة إلى عامل السبق، إذ يبلغ عمرها حوالي 5 قرون.
- كونها أقدم مكتبة عمومية بقيت ماثلة إلى العصر الحديث في مزاب.
- هي أكبر مكتبة في قصر غرداية حيث تضم 1303 عنوانا
- كونها أثرا علميا خصبا للنشاط العلمي، والنظام التربوي المعمول به في وادي مزاب والمتمثل في "هيئة إروان" أو هيئة التلاميذ.[30]

تم الفراغ من إعداد الفهرس في شهر ربيع الثاني من سنة 1430هـ الموافق لشهر أفريل من سنة 2009 م، ويقع الفهرس في 584 صفحة ويضم 1193 عنوانا، منها 894 في الأعمال النثرية، و299 في الأعمال النظمية، وقد شغلت المواضيع الفقهية الحيز الأكبر ب 342 عنوان، ثم اللغوية ب203 عنوان، فالعقيدة ب128 عنوان.وقد ذيل الفهرس بملحقين أحدهما للمصاحف الشريفة التي بلغ عددها 110 مصحفا، وأما الثاني فكان لنماذج مصورة لبعض المخطوطات.

وأقدم نسخة بالخزانة لكتاب ديوان الأشياخ (ق5هـ)، تم نسخها في 889هـ من قبل أحمد بن إبراهيم بن عمر المصعبي.

د.فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين بنوح بن أحمد مصباح وصالح بن حمو بابهون بغرداية:

يشتمل الفهرس على خزانتين مستقلتين، قام القسم بفهرستها بعد تقدم بهما أبناء الشيخين، وقد تم الفراغ من فهرسة الخزانتين في سنة 1431هـ الموافق لسنة 2010م.والذي يعتبر آخر إصدار لقسم التراث إلى حد كتابة هذه الأسطر.[31]

يقع الفهرس في 97 صفحة ويضم 119 عنوانا في كلتا الخزانتين، منها 101 عنوان في الأعمال النثرية و18 عنوان في الأعمال النظمية.

وأقدم نسخة في الخزانتين هي في خزانة الشيخ بنوح مصباح وهي لكتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، والتي يعود نسخها إلى 912هـ.

يحتوي الفهرس على ثلاثة ملاحق وهي:

1- المصاحف الشريفة

2- صور لنماذج من المخطوطات

3- قائمة ما بقي من الأوراق المتفرقة المخطوطة التي لم تدرج في الفهرس.

خاتمة:

في ختام هذا العرض يبقى أن نشير إلى أننا حاولنا استعراض نماذج لبعض الخزائن والمكتبات التي تم فهرستها ضمن جهود جماعية لهيئات وجمعيات، وبالتالي لا يعني أننا استوفينا كل أعمال الفهرسة لمكتبات وادي مزاب، فقد ظهرت بعض الجهود الفردية لبعض المكتبات أو الباحثين من الذين شاركوا في فهرسة المكتبات السابقة واستفادوا من تجربتها، ومن هذه الأعمال نذكر ما يأتي:

1- فهرس مكتبة الحاج صالح لعلي ببني يزقن.

2- فهرس خزانة الشيخ ببانو محمد بن يوسف ببني يزقن.

3- فهرس مكتبة الإستقامة ببني يزقن.

4- فهرس مكتبة أوزكري إبراهيم ببني يزقن.

ورغم الجهود التي بذلت ولا تزال في سبيل حماية مخطوطات مكتبات وادي مزاب، وإخراج المخطوط إلى الحياة العلمية ليؤدي دوره الذي أنيط به، وأراده منه مؤلفه؛ إلا أن العديد منها لا يزال حبيس الخزائن، أحكم أصحابه الإغلاق عليه إلى درجة الإضرار به، فكان مرتعا للأرضة، يترقب لحظة الخلاص.

الهوامش:

[1] - ينظر: محمد ناصر بوحجام: ملاحظات حول تاريخنا القديم، (ط2؛المطبعة العربية- غرداية الجزائر، 1998م)، ص: 40.

[2] - ينظر: جمعية التراث القرارة غرداية، فهرس مخطوطات آل يدر الفهرس الشامل لنحو 600 عنوان، 1414ه-1994م، ص: ج، د.

[3] - ينظر أحمد حمو كروم، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش العالم العامل، (ط1؛ جمعية أبي إسحاق – غرداية، 1431هـ-2010م)، ص12-13. جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ"قسم المغرب"، (ط1؛ غرداية: جمعية التراث، 1420هـ-1999م)، رقم: 37.

[4] - ينظر: ابو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تعليق: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، (ط6؛ مكتبة الإستقامة-مسقط، د ت ن)، (مقدمة المحقق، ص3-16) الدكتور محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، (دط، جمعية التراث- القرارة، د ت ن)، ص 21؛ أحمد كروم، الشيخ أبو إسحاق العالم العامل، ص27-29.

[5] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (1426ه-2005م)، ص: ج-هـ،

[6] - ينظر: المرجع نفسه، ص: ج-هـ،

[7] - ينظر: المرجع نفسه، ص: ز.

[8] - ينظر: موقع الجمعية www.tourath.org. التعريف بالجمعية، 2012/03/30.

[9] - ينظر: مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب "دراسة وتحليل"، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث القرارة الجزائ، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008م، ص198.

[10] - ينظر المرجع نفسه، ص207.

[11] - ينظر موقع المؤسسة: www.irwane.org التعريف بالمؤسسة، 2012/03/30.

[12] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، (1423هـ-2002م)، ص: هـ- و.

[13] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بابهون، 1431ه-2010م، ص: أ.

[14] - ينظر المرجع نفسه، ص: ب.

[15] - ينظر موقع المنهاج الخاص بالجمعية: www.elminhaj.org التعريف بالجمعية، 2012/03/30.

[16] - ومؤخرا دخل المشروع ضمن برنامج ONG 2، ينظر: صالح سيوسيو، ورقة حول تجربة جمعية أبي إسحاق في تأمين المخطوط ضمن برنامج ONG2، مجلة المنهاج، علمية متخصصة في مخطوطات الإباضية ووادي مزاب وفي وثائقها الأرشيفية،تصدر عن جمعية أبي

إسحاق لخدمة التراث بغرداية، العدد الأول، محرم 1433هـ-نوفمبر 2011م، ص: 212-213، 219-220، عيسى بن يحيى حمو عبد الله، عضو الجمعية مكلف بالإعلام، تسجيل صوتي بتاريخ: 25-03-2012.

[17] - ينظر: جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث، فهرس جردي لمكتبة الحاج امحمد بن يوسف اطفيش (القطب) بني يزقن غرداية الجزائر، 1430ه-2008م. ص3.

[18] - ينظر مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب، مجلة الحياة، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/ أكتوبر 2008م، ص198-199.

[19] - ينظر جمعية التراث، فهرس مخطوطات آل يدر، ص: ي، ك.

[20] - ينظر: جمعية التراث، فهرس مخطوطات خزانة آل فضل، 1416-1996، ص: أ.

[21] - ينظر: المرجع نفسه، ص: د-هـ، و.

[22] - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبار، القرارة غرداية، 1417ه-1997م. ص: م8، م11.

[23] - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات محمد ابن سليمان ابن ادريسو خزانة الحاج صالح بن سليمان، وخزانة الحاج عمر بن صالح، القرارة غرداية، 1419-1998. ص: 9

[24] - ينظر: مصطفى ابن ادريسو، فهرسة المكتبات والمخطوطات في وادي مزاب، مجلة الحياة، ص: 204.

[25] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات الخزانة العامة، (1423هـ-2002م)، ص: ح.

[26] - ينظر: المرجع نفسه، ص: و-ز.

[27] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، (1428هـ-2007م)، ص: هـ-و، ك.

[28] - ينظر أبو اليقضان إبراهيم: ملحق السير، مخ، (نسخة مصورة) ج1/ص6.

[29] - ينظر: مؤسسة الشيخ عمي سعيد: مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير، أقدم وأكبر خزانة مخطوطات بمدينة غرداية، تقديم: أ.د. إبراهيم بحاز، (1430هـ-2009م)، ص: ق.

[30] - ينظر: المرجع السابق، ص: د.

[31] - ينظر: مؤسسة عمي سعيد: فهرس الخزانتين للشيخين الشيخ بانوح مصباح والشيخ صالح بابهون، ص: أ.

التجربة الجزائرية في فهرسة مخطوطات العلوم الكونية
المكتبة الوطنية أنموذجا

د / شخوم سعدي

-جامعة جيلالي اليابس – سيدي بلعباس

اتجه العلماء المصنفون في المشرق والمغرب خلال الفترة الوسطى إلى وضع مصنفات خاصة بمسيرتهم العلمية، وويضمّنون في هذه الفهرسة أهم ما وقفوا عليه من كتب في مختلف الفنون، وكذا ما أجزوا عليه في كتب ألفت في فن ما وأجازهم عليها شيوخهم وقد سمي هذا عندهم بالبرنامج، أو الفهرسة ؛ ولا تكاد تخلوا فترة من الفترات من هذه العملية العلمية عندهم، ولم تكن الفهرسة تقتصر على الأفراد فحتى الدول كانت تعتني بعملية الفهرسة العلمية الخاصة التي تعني للعالم المنفرد مسيرته العلمية وما ألفه، وتعني في جهة أخرى بعض المكتبات كفهرسة الأمويين للمكتبة الضخمة التي كانت لهم بقرطبة في الأندلس، وقد كانت الفهرسة بمعناها العام عندهم تعني بالتقريب صورة البيبليوغرافيا المتداولة عندهم، سواء الموجودة بين أيديهم أو في غير بلدهم وحتى في الفترات التي سبقتهم.

ومع مرور الزمن كان هناك اتجاهان في الفهرسة، اتجاه التجربة الشخصية والتعامل مع الكتب التعليمية والعلمية وهو ما عرف بالبرنامج، والثاني إعداد قوائم خاصة بمكتبة معينة بذكر أهم معلومات، وإن كان البرنامج أكثر ظهورا من فهرسة المكتبات باعتبار أنه وجه من أوجه الحركة العلمية، فإن فهرسة المكتبات ظلت خافتة مقارنة بالصورة الأولى التي هي أقرب لرصد الكُتبي، وفي الفترة الوسطى كانت فهرسة أو برنامج أبو العباس احمد بن أحمد الغبريني من أهم ما بقي من برامج وقد احتوت على أهم الكتب المتداولة بين العلماء في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، في مختلف الفنون العلمية التي كانت في بجاية إبان حكم الحكم الحفصي المحلي بها (أبو زكريا يحي المنتخب لإحياء دين الله بن إبراهيم (683-698 هـ /) و، قد تطور هذا المفهوم إلى استعمال الثبت كثبت الندرومي، واستعمال الإجازة كإجازة البوني، وظل لفظ الفهرسة مستعملا مثل فهرسة مرويات محمد بن عبد الكريم المغيلي وغيرها، وقد حملت هذه المصنفات أهم ما كان متداولا في الفترة الوسطى من كتب ؛ فهي أعطت صورة للمكتبات.

و المراد من هذه الدراسة هو الإهتمام بمخطوطات علوم الطبيعة والعلوم العقلية دون سواها ؛ وذلك نظر لأن الاختصاصات الأخرى مثل اللغوية والأدبية والدينية والتاريخية نالتها سهام البحث والتقصي من قبل مختصيها، أما هذا الصنف فلم يتوجه إليه الباحثون الجزائريون إلا من باب الإشارة أحيانا، وذلك أن المختصين في هذه الفنون كان تكوينهم – ولازال – باللغة الفرنسية، وتوجههم هو التعامل المباشر مع الدراسات الحديثة دون التعامل مع كتب التراث في هذا الباب ؛ إذ أنهم أقرب إلى فهم بعض المصطلحات والألفاظ المستعملة في هذه

المخطوطات، وغير المختصين سيبذلون جهدا مضاعفا إذا حاولوا، وهو أهم ما يجده الباحث والدارس في هذا الباب إذا لم يكن من المختصين إضافة إلى أنه هناك بعض المصطلحات العلمية المتداولة في الفترة الوسطى والمعاصرة التي لم تعد مستعملة الآن في هذه العلوم تلزم الباحث والدارس العودة إلى أمهات الكتب في هذه الفنون والكتب الإصطلاحية التي ألفت في الفترة الوسطى والمتأخرة منها.

و من أهداف هذا العرض تقييد مضان ومخطوطات هذه العلوم، حتى يتسنى للباحثين —مستقبلا التعامل معها ؛ إما بمزيد من التحليل– عوض الوصف – الذي سيتقصر عليه هذا العرض،و محاولة إيجاد مقاربة علمية تاريخية بين حال هذه العلوم في العصر الوسيط والحديث وبين ما هو متداول من هذه العلوم.

1.المحاولات الأولى للفهرسة واهتماماتها بالعلوم الكونية:

قام الكثير من الدارسين والباحثين والمهتمين بفهارس خاصة بالعلوم المؤلفة في المغرب الأوسط والجزائر [1]، إلا أن القليل اهتم بالعلوم الكونية أو كما يسميها ابن خلدون بالعوم العقلية والطبيعية، فلا نجد دراسة فهرسية أو متابعة لهذه العلوم سواء في العصر الوسيط أو الفترة العثمانية أو حتى تلك الخاصة بالمكتبة الوطنية وغيرها من الخزائن في الجزائر، على غرا ما قام به فؤاد سيزكين في التراث العربي أو كوركيس عواد في مصادره[2] وما قام به سامي خلف حمارنة وصلاح محمد الخيمي بالمكتبة الظاهرية[3] أو محمد العربي الخطابي في فهارس الحسنية[4] وأخيرا ما قام به الدكتور أحمد الطاهري في فهارس الخزانة العامة المغربية، غير أننا لا نجد مثل هذه المحاولات في الجزائر، إذ أن المحاولات الأولى اتجهت إلى الاهتمام العام بالمخطوطات هي في أحسن الأحوال تعتمد المنهج الوصفي، وإذا أردنا تخصيص العرض لهذه المخطوطات، فيمكن القول أن طريقة التبويب هي المظهر الوحيد الذي يمكن من خلاله الحديث عن مثل هذا النوع من الفهرسة، وإضافة إلى ما ذُكر أعلاه من أسباب ضعف التوجه نحو هذا النوع من الفهرسة، فإن قلتها —مقارنة بكتب أخرى خاصة الفقهية–، وبطبيعة الحال فإننا سنجد أن فهرسة فانيون هي من أهم ما صنف في الفهرسة، وذلك للأسباب التالية:

– تعدد أبواب المصنفات في هذه العلوم: الصيدلة والطب والفلك والرياضيات.

– اعتماد المنهج الوصفي والتدقيق فيه بحيث أنه يكفي للباحث الوقوف على فهرسته دون العودة إلى المخطوط الأصلي في غالب الأحيان.

– إعطاء معلومات إضافية حول المخطوط ؛ مثل كونه طبع، أو له مضان أخرى غير المكتبة الوطنية وهكذا.

– التعريف بالمؤلف تلميحا او إحالة إلى مصدر او مرجع.

– كثرة كتب هذه المكتبة مقارنة بالمكتبات الأخرى العامة والخاصة فمجمل عدد المفهرس إلى حدّ الآنّ[5]، وبلغ عددها الإجمالي حوالي تسعين مخطوطا[6].

2.المكتبة الوطنية والريادة في الفهرسة العلمية:

بأخذ الاعتبار بالعامل الأخير يمكن القول بأن المكتبة الوطنية الجزائرية هي أكثر المكتبات الجزائرية المحلية الزاخرة بمخطوطات علوم الطبيعة والعلوم العقلية، ويمكن فهرسة المخطوطات الموجودة بها الخاصة بهذه الفنون مرة ثانية رغم فهرسة فانيون وذلك للعوامل التالية:

- وجود بعض المخطوطات التي لم يتمكن فانيون من معرفة أصحابها فأشار إليها وإلى أسماء أصحابها دون تعريف أصحابها ولا حتى ذكر سنة وفاته –كعادته– ولعل من أبرزها مخطوط " **المنحة القدوسية في الأدوية الناموسية**" لأحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي[7] (القرنان الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) والملفت للانتباه أن هذا المخطوط بخط يد المؤلف مما يمكن اعتباره من نوادر المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية[8].
- كثير من المخطوطات العلمية لم يقم فانيون بفهرستها أو أغفلها ومنها التي قام المفهرس عبد الغني بيوض بفهرستها، مثل اللمع في العلم لصاحبه شهاب الدين احمد بن محمد بن علي[9].

تواصل توافد المخطوطات التي تقتنيها المكتبة الوطنية الجزائرية غما إهداء أو شراء مثل فهرسة مكتبة بن حمودة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، التي نجد ضمنها شرح المنظومة لأبي عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي أو الشنجيطي كما كُتب[10].

- اعتماد الكثير من الجزائريين على المخطوط في التأليف رغم ظهور الطبع، وهذا حتى فترات متأخرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فنجد في المكتبة الوطنية بعض المخطوطات التي ألفت في بداية القرن العشرين مثل مخطوط السيف المسلول في قطع رأس المهدي الجهول لصالح بن المهنا القسنطيني، ونجد في موضوعنا مخطوط في الحساب محمد بن مالك بن محمد الموهوب الزواوي (حيا 1887/1305م) تحفة السرور في أعمال الصحيح مع الكسور، في الجبر.

3. نماذج لبعض المخطوطات العلمية بالمكتبة الوطنية

هذه نماذج لبعض المخطوطات التي لا توجد في فهرس فانيون بالمكتبة الوطنية الجزائرية والملاحظ أن أغلبها ألفت في فترات متأخرة

- تحفة السرور في اعمال الصحيح مع الكسور، في الجبر

–رقمه ح(42).

–محمد بن مالك بن محمد الموهوب الزواوي (حيا 1887/1305م)

–بدايته " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وإلى الله سبحانه عاقبة المور والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا،،،،و بعد فهذه تحفة السرور في اعمال الصحيح مع الكسور بطريق الكسر العشار ينتفع بها المبتدي إن شاء الله ويرجع إليها المنتهي،،،،،"

–نهايته " والسنتيم عبارة عن عشر الواحد الصحيح،،،،، وثلاثة اخماسه ستون وأربعة أخماسه ثمانون كما لايخفى، وبما أشرنا له الكفاية من الكسر حسب العشار حسبما يسر الله،،، والحمد لله رب العالمين"

-رقمه 2503 عدد اوراقه من 1 إلى ق و

-خط مغربي مسطرة مختلفة من ورقة إلى أخرى من 17 إلى 18

-أبعاده 185 ×105 و185 × 103 سم

-خط مغربي بمداد أسود واحمر

-ملاحظة:نسخة أخرى بخط الناسخ عمار بن عيسى بن الطالب

-تبدا ب: " بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبئين،، وبعد سميتها تحفة السرور في أعمال الجمع مع الكسور بطريق كسر العشار في تقييد حسن الشيخ القلصاد(كذا والأصح القلصادي)...لينتفع بها المبتديء ويرجع إليها المنتهي

و له ايضا:

- عروس زفت في اختصار النسبة

-يبدا ب:".....و بعد فهذه (كذا) تقييد سميته سبه؟ عروس زفت في اختصار النسبة للمحاصات إذا كثرت أجزاؤها وتباينت وكذا مسائل الفرائض إذا امتدت فروعها وتشعاعبت (كذا) واستفرقت وهو باب مهم يحتاج إليه الطالب......

و ينتهي ب:"...و معناها على ترتيب العشرة ألف ألف وماية وعشر عشر وجزء من ناية وجزء من ألف وجزء من عشرة فإن كان القياس بالمتر مثلا تقول مُديه ميزاعني عشرة ألف كمل التأليف....و لامعبود سواه "

رقمه 2503ضمن مجموع (رقم02)

عدد الأوراق 31

17 سطرا في كل ورقة

أبعاده 19ّ×12

أو 19،5×12،5

الخط مغربي

جداول على ق 21 وو 22 ظ

مداد احمر واسود

و حسب ما جاء في المخطوط فإن المؤلف كان يعمل ترجمانا لدى السلطات الفرنسية

- نسخة أخرى تحت رقم:2386

لكن بنسخ عمار بن عيسى بن الطالب

كمل من نسخه بتاريخ 17 جمادي الثانية 1309هـ

يبدا ب:" بسم الله الرحمن الرحيم...و بعد فهذه (كذا) تقييد سميته سبه؟ عروس وفت في اختصار نسبة المحاصاة إذا كثرت أجزاؤها وتباينت وكذا مسائل الفرائض إذا امتدت فروعها وتشعاعبت (كذا) واستفرقت وهو باب مهم

و ينتهي:"....و للموصي له الأول اثنان من الصحيح وسبعة وثلاثون سنتما للثاني واربعة عشر سنتما وللثالث واحد صحيح وتسعون سنتم مثل ما للزوجات وللرابع واحد صحيح وثلاثة وأربعون سنتما انتهى"

23 سطرا 19×12سم

جداول ق45 ظ 64 ظ و47 ظ

الخط مغربي

- سهام الربط في المخمس خالي الوسط، لسحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي (حيا 1037هـ / 1627م) وهو في الحساب رقمه **2366**

البداية:" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده إلى ذكره فهم بذلك له حامدون،،،،،،و بعد فيقول العبد،،،،،، قد سألني بعض الإخوان تحديد المغلل في كيفية استعمال المخمس خالي القلب وتصحيح أوتاره فأجبته بعد استخارة......

ينتهي ب:" ......و أسأل التضرع ة الابتهال أن يلغنا من مرضاتنا غاية الآمال بجاه أكرم الخلق على الله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين "

وهو ضمن مجموع من ق1 وجه إلى ق5ظ

أبعاده 21،5سم ×17

24 سطرا في كل ورقة

جداول توضيحية 1 ظهر وق5 و مداد أسود واحمر

تسفير بالورق المقوى

هوامش حول النص

نشرته مكتبة بريل بيلدن في 1233هـ

هذا الكتاب في أسرار الحروف أو علم الجفر

- مباديء السالكين في رجز ابن الياسمين

في الجبر لأحمد بن قنفذ القسنطيني

يبتدأ بـ:" بسم الله الرحمن الرحيم..أما بعد الحمد لله وحده حمد....فإني قصدت هنا شرح رجز ابن الياسمين في الجبر والمقابلة بأمثلة وجيزة تعين الطالب على فهمه وسميته مباديء السالكين في شرح رجز ابن الياسمين والله الموفق للصواب بفضله....

ينتهي بـ ".....كان من جنسه طرح منه وإلا فلا والخارج من هذا المثال المفروض على النحو المذكور ستة كعوب وخمسون سيئا؟ إلا خمسة وثلاثين مالا فقس عليه وفيما أردت كفاية وصلى الله على سيدنا محمد"

الناسخ: علي بن العربي بن حمودة الشريف "

عدد اوراقه 10 ضمن المجموع

أبعاده: 30،2 × 23‘2سم

الخط مغربي

المداد أحمر وأسود

فرغ المؤلف من تأليفه يوم الخميس 4 جمادى الأولى 778هـ

اسم المؤلف	سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر المداوي الونشريسي (حيا 1037هـ / 1627م)
عنوان المخطوط	مفيد المحتاج في شرح السراج
اسم الناسخ	محمد بن عبد الكريم بن محمد البجاب الميلي
رقمه	2694
عدد الأوراق	25 ورقة
عدد الأسطر	27
البداية	بسم الله الرحمن الرحيم....الحمد لله الذي رفع السموات وزيّنها بالنجوم الزاهرات وبعد يقول العبد الذليل المفتقر إلى مولاه الجليل أبو بكر اليديري...ولما ايت تألف الشيخ عبد الرحمن المسمى بالسراج في علم الفلك...."
النهاية	"....و التأليف أحق من التصنيف لأنه يراعى فيه مناسبة الكلام لبعضه بخلاف التصنيف والناظم أطلق التأليف على التصنيف لأنه لم يراعي مناسبة إذا اختبرته....صلاة وسلاما سخرها ليوم القرار"
المداد	أسود واحمر
تاريخ النسخ	ليلة الخميس 20 جمادى الولى 1263 هـ / 1846م
الخط	مغربي

الطبع	طبع هذا الكتاب طبعة حجرية سنة 1314 وفي مصر 1315هـ
اسم المؤلف	شهاب الدين احمد بن محمد بن علي
عنوان المخطوط	اللمع في العلم
إسم الناسخ	
رقمه	2090(بيوض)
البداية	قال شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي عرف(كذا) بان الهاشم....في تأليفه المسمى باللمع في العلم الحساب ما نصه: صفة فتوى في العلم الحساب هل هو واجب أو مندوب..."
اسم المؤلف	محمد بن أبي الحسن علي الصنهاجي
عنوان المخطوط	الصنهاجية
اسم الناسخ	
رقمه	157-"80"
عدد الأوراق	17 /20
عدد الأسطر	
البداية	الحمد لله الذي خلق السموات والأرض
تاريخ النسخ	القرن الثالث عشر الهجري
الخصائص	بها جداول على عرض تلمسان- وهو بمكتبة الزاوية الحمزية وهناك نسخة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1664، وهو يعود إلى القرن الثالث عشر حسب فانيون.
الأبعاد	21،2سم×14،1سم
الخط	
اسم المؤلف	خليل بن إسماعيل الجزائري
عنوان المخطوط	الذخائر النفيسة لدفع الأمراض العويصة
اسم الناسخ	
رقمه	1763
عدد الأوراق	280
عدد الأسطر	17
البداية	نحمدك إلها كتب على نفسه الرحمة

النهاية	
المداد	خط تركي
تاريخ النسخ	القرن الثالث عشر هجري
الخط	
الخصائص	ملخص للفصول الثلاثة الأولى لداوود اللأنطاكي
الأبعاد	21×134،9 سم
اسم المؤلف	التيفاشي (أحمد بن يوسف)
عنوان المخطوط	أزهار الأفكار في خواص الحجار
اسم الناسخ	
رقمه	1502
عدد الأوراق	66
عدد الأسطر	21
الخط	مغربي
الأبعاد	208×155مم

الهوامش:

[1] د/ يمكن العودة غلى مقال:د/ عبد الكريم عوفي، التجربة الجزائرية، ضمن:التجارب العربية في فهرسة المخطوطات (ص-ص:193-270)،ندوة عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تنسيق فيصل الحفيان، طبع معهد المخطوطات العربية – القاهرة،1998.

[2] كوركيس عواد، مصادر النباتات الطبية عند العرب، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1406هـ/1986م.

[3] حمارنة (سامي خلف) و الخيمي (صلاح محمد)، مخطوطات الطب والصيدلة بالمكتبة الظاهرية، مطبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1401هـ/1981م (مجلدان).

[4] قام محمد العربي الخطابي بإعداد أربعة فهارس هي على التوالي:

-فهارس الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات (المجلد الثاني)، به مائتان و ثمانية وثمانون عنوانا،،طبع بالرباط في 1402هـ/1982م بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.

-الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك وأحكام النجوم والجغرافيا، طبع بعد الأول بسنة، وبه خمسمائة وتسعة وثمانون عنوانا لمخطوط مفهرس (مطبعة المعارف الجديدة بالرباط).

-الفهرس الوصفي لمخطوطات المنطق وآداب البحث والموسيقى ونظم الدلوة والفنون الحربية، وجوامع العلوم، والذي يهم في هذا الفهرس وجود مستدرك على الفهرسين السابقين، طبع بمطبعة النجاح الجديدة سنة 1405هـ/1985م.

-الفهرس الوصفي لمخطوطات الكيمياء وتعبير الرؤيا والعلوم الخفية / طبع بعد السابق بسنة (1406هـ/1986م) بمطبعة النجاح الجديدة،و قد فهرس فيه خمسمائة وسبعة وستون مخطوطا.

[5]فكثير من المخطوطات في المكتبة الوطنية لم يتم فهرستها، وذلك أن الكثير مازالوا يتبرعون ببعضها، رصيد المكتبة ي تزايد يقابله فهرسة هي يدوية تعتمد على تجربة عمال المكتبة ومذكرات الطلبة والباحثين.

[6] Emile Fagnan , catalogue général des manuscrits de la bibliothèque nationale d'Algérie ,2e édition (bibliothèque nationale d'Algérie) ,1995 ,p-p:396-418 et ,p-p:486-502.

[7] وهو مجلدان تحت الأول تحت رقم 1768 والثاني 1769 ؛ والأول يتكون من مائة وثلاثة وستون ورقة والثاني من مائة واثنان وستون ورقة، والمسطرة مختلفة فالأول مسطرته 215/337مم والثاني 215/332مم، إلا أن لهما نفس عدد الأسطر.

[8] مقدم (رشيد)،من نفائس ونوادر المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية ونوادرها، مخطوط قيد الطبع، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

[9] فتيحة بونفيخة: الانتاج الفكري الجزائري المخطوط في المكتبة الوطنية: دراسة تحليلية للمخطوطات التي لم تشملها عملية الضبط البيبليوغارفي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق، اشراف الدكتور عبد اللطيف صوفي، معهد علم المكتبات والتوثيق جامعة الجزائر(جزءان)، 1998-1999م.

[10]وهو شرح لنظم في الحساب وتليه ورقة ليست منه في معرفة القبلة والوقت تحت رقم ح(37) هناك رقم بأعلى الكراسة هو 149.

تحقيق عنوان الكتاب؛ نماذج عن مزالق المحققين

أ.شمس الدِّين حمَّاش

المؤسسة: الجامعة الإفريقية أحمد دراية – أدرار.-

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فن تحقيق النصوص يسهم في إخراج الكتاب المحقَّقِّ وفق ما أراده صاحبه؛ من حيث الشكل والمضمون، لذا كان من أهم مقومات تحقيق النصوص ونشرها؛ أن يبذل الباحث جهده، ويستفرغ وسعه، ويركز عنايته على أربعة جوانب قد تكون محل إجماع بين أرباب التحقيق في وجوب مراعاتها واستيفائها، وهي:

1- تحقيق عنوان الكتاب.

2- تحقيق اسم المؤلف.

3- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

4- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه.

ونظرا لجليل قدر، وعظيم خطر تصحيح عنوان الكتاب؛ ما أولاه من الاستحقاق لأن يكون أول أصول التحقيق، وبوَّأه أن يُستفتَح به، وكان العنوان أوَّل ما يواقع أجفان النَّاظر، ويدلُّ على مكنون الكتاب؛ حيث كان شاملا لجميع محاوره غالبا؛ تَعَيَّنَ على مُعَاني التَّحقيق أن يوليَ بالغ العناية لإثبات العنوان الصَّحيح للكتاب، متَّبعا في ذلك مسالك نظرية، وأخرى عملية تهديه إلى مقصوده.

ومع ما عُلِمَ من أهمِّية تحقيق عنوان الكتاب إلا أن جُلَّ من ألَّف في فنِّ التَّحقيق، أو مارسه جَنَحَ إلى بسط قوله، وتسليط عنايته على المحور الرَّابع وهو متن الكتاب، ما أدَّى إلى إغفال المحور الأول المتمثِّل في تحقيق العنوان؛ إغفالا كلِّيا أو جزئيًّا، يظهر أثر هذا القصور في الأخطاء الواقعة في إثبات عناوين كثير من الكتب، بل واشتهارها بين الناس بما مبناه ذاك الخطأ.

وقد تناولت في هذا الموضوع مسألة تحقيق عنوان الكتاب وفق شيء من التَّأصيل النَّظري، الذي يعتبر أساس الدراسة، بالإضافة إلى ذكر نماذج عن الأخطاء الواقعة في إثبات العنوان الصحيح للكتاب.

حقيقة عنوان الكتاب:

قال ابن فارس: عنَّ: العين والنون أصلان؛ أحدهما يدل على ظهور الشيء وإعراضه، والآخر يدل على الحبس.

فالأول قول العرب: عَنَّ لنا كذا يَعِنُّ عُنوناً، إذا ظهر أمامك.

ومن الباب: عنوان الكتاب؛ لأنه أبرز ما فيه وأظهره.يقال عَنَنْتُ الكتاب أَعُنُّهُ عَنًّا، وعَنْوَنْتُهُ، وعَنَنْتُهُ أُعَنِّنُهُ تَعْنيناً.وإذا أَمَرْتُ قلتُ عَنِّنْهُ[1].

ومجمل كلام اللغويين حول معنى العنوان يشمل معنى الظهور، والبروز، فهو كالدليل والسِّمَةِ للكتاب، مُفصح لمضمونه، مسفر عن مكنونه.فمن خلال المعنى اللغوي يمكن تركيب تعريف اصطلاحي لعنوان الكتاب: العبارة المصدَّرة على طرة الكتاب؛ تُمَيِّزه عن غيره، وتَدُلُّ على مضمونه.

وعليه يكون العنوان الصحيح للكتاب هو: العنوان الذي وضعه المؤلف، دون تصرُّف لحقه.

يُعرَفُ من هذا أن ليس للناسخ أو المحقق تغيير العنوان أو جزءً منه لعلة يراها، بل يجب عليه الحفاظ على عنوان المؤلف مهما ظهر فيه من مخالفات تعنُّ للمحقق (كالطول، السجع، الإغلاق..)، يستثنى من ذلك حالة واحدة؛ هي انعدام العنوان، يأتي التفصيل فيها لاحقا.

مسالك تحقيق عنوان الكتاب:

المسلك الأول: أن يثبت العنوان على واجهة كتاب بخط مؤلفه، فهو أقوى مسالك إثبات العنوان لأنه وجد بخط المؤلف الذي هو أدرى بكتابه.

المسلك الثاني: أن يذكر العنوان أثناء الكتاب؛ ويحتمل موضعين:

الموضع الأول: أن يذكر العنوان في ديباجة الكتاب؛ إذ درب المصنفون استهلال كتبهم بذكر سبعة أمور هي من محاسن الاستهلال، منها: ذكر عنوان الكتاب.وهذا النوع مألوف الوقوع.

الموضع الثاني: أن يذكر العنوان في أثناء المتن؛ إذ يحصل من بعض أرباب التصنيف ذكر عنوان الكتاب أثناء المتن، مع إسقاطه في الطرة والخطبة، ولعل السبب في ذلك أن المؤلف لم يستجمع عزمه على اسم معين ابتداءً، فوقع منه أثناء التبييض.

مثاله صنيع الإمام محمد ابن رشد المالكي، الشَّهير بابن رشد الحفيد، والمتوفى سنة 595هـ، إذ صرَّح باسم كتابه المعروف باسم «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في كتاب الكتابة حيث قال: «بيد أن في قوة هذا الكتاب أن يبلغ به الإنسان كما قلنا رتبة الاجتهاد؛ إذا تقدم فعلم من اللغة العربية وعلم من أصول الفقه ما يكفيه في ذلك، ولذلك رأينا أن أخص الأسماء بهذا الكتاب أن نسميه: كتاب بداية المجتهد وكفاية المقتصد»[2].

المسلك الثالث: أن يرد اسم الكتاب في نسخة معتمدة، كأن تحمل إجازة المؤلف، أو قرأت عليه، أو قوبلت على نسخته، أو تكون عليها سماعات، أو تملكات.

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (4/19-20).

(2) كتاب بداية المجتهد (2/388).

المسلك الرابع: أن يسمي المؤلف كتابه في كتاب آخر له –وهو كثير في نوعه–، لكن على المحقق أن يستحضر أنه قد يقع من المؤلف ذكر كتابه على سبيل الإحالة لا الإثبات؛ فيكتفي حينئذ بذكر طرف من العنوان، أو يذكر معناه، أو ما اشتهر به بين الناس، فيلتبس حينئذ على المحقق.

من أمثلة هذا النوع؛ صنيع الشيخ محمد المكي بن عزوز؛ حيث ذكر اسم كتابه في اختلاف الأيمة، في كتاب آخر هو «هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك»، حيث قال: «ومعذرت من خالف الحديث الصحيح من الأيمة، معدودات مفصلات في مواضعها، ويوجد تفصيلها بأمثلتها في رسالتنا المسماة «الفائدة المهمة في سبب اختلاف الأيمة» جوابا لسائل فاضل سألني عن ذلك»[1].

المسلك الخامس: أن يذكر العنوان في آخر الكتاب، شرط أن لا يكون بخط المؤلف، حتى لا يعد من متنه فيدخل فيما ذُكر آنفا.

المسلك السادس: النظر في كتب الفهارس، والمشيخات، والأثبات، والبرامج؛ «كالفهرست» لابن النديم، و«فهرسة ابن خير الإشبيلي»، و«فهرس الفهارس» للكتاني، أو«برنامج الوادي آشي»، وغيرها من كتب الأثبات، أو «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» للحافظ ابن حجر، وغيرها من كتب المشيخات؛ إذ تعتني بذكر أسانيد الكتب المصنفة ومصنفيها.

المسلك السابع: تقصي تراجم المؤلف وتتبع ما كتب عن حياته، حيث عني المترجمون غالبا بذكر بعض كتب المترجم له، مثل كتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي، أو الكتب التي عنيت بذكر عناوين الكتب؛ مثل «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة، وذيله الموسوم بـ «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» لإسماعيل البغدادي، وكتاب «معجم المؤلفين» لرضا كحّالة، وكتاب «الدر الثمين في أخبار المصنفين» لابن أنجب الساعدي.

حالة انعدام العنوان:

يقع لأسباب عديدة: كوفاة المؤلف قبل إتمام الكتاب، أو كونه عبارة عن إملاءات أو سماعات جُمِعت.

في هذه الحالة يتبع المحقق المراحل التالية لإثبات العنوان:

أولا: إذا كان للكتاب أكثر من نسخة مخطوطة، يثبت العنوان الواقع في أكثر النسخ.

ثانيا: يقدم العنوان المرسوم على نسخة أحد تلامذة المصنف، وما عليه سماعات.

ثالثا: يقدم العنوان الأكثر شهرة وتداولا بين أهل الفن، وأصدقهم على مضمون الكتاب.

ولعل كتاب أبي سالم العياشي المالكي يصلح مثالا لهذا النوع؛ حيث لا يعلم من العياشي تسمية كتابه الذي يصف فيه ترحاله، فاشتهر الكتاب في أوساط الباحثين باسم «ماء الموائد» وكذلك أثبت في بعض النسخ الخطية، ومنها ما هو بعنوان «الرحلة العياشية إلى الديار النورانية»، إلا أن جل النسخ تواطأت على تسميته بـ

---

(1) هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك (111).

«الرحلة العياشية»، ولموافقة هذا العنوان مضمون الكتاب ورسمه، جنح محققا الكتاب؛ وهما الدكتوران سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي إلى اعتماده عنوانا للكتاب[1].

أما في حالة وضع المؤلف عنوانين لكتابه؛ نميز بين حالتين:

الحالة الأولى: أن يضع عنوانَين ينتقل عن أحدهما إلى الآخر، فيعتَمِدُ المحقق العنوان الثاني الذي استقر عليه اختيار المؤلف.مثاله صنيع الإمام الشاطبي المتوفى 790هـ، عدل عن تسمية كتابه في علم مقاصد الشريعة بـ «عنوان التعريف بأسرار التكليف»، إلى تسميته بـ «كتاب الموافقات»، حيث قال: «ولأجل ما أودع فيه من الأسرار التّكليفية المتعلقة بهذه الشريعة الحنيفية؛ سميته بـ «بعنوان التعريف بأسرار التكليف»، ثم انتقلتُ عن هذه السّيماء لسند غريب، يقضي العجب منه الفطنُ الأريبُ، وحاصله أني لقيتُ يومًا بعض الشُّيوخ الذين أحللتهم منِّي مَحَلَّ الإفادة، وجعلت مجالسهم العلمية محطًا للرحل ومناخاً للوفادة، وقد شرعت في ترتيب الكتاب وتصنيفه، ونابذت الشّواغل دون تهذيبه وتأليفه؛ فقال لي: رأيتك البارحة في النوم، وفي يدك كتاب أَلَّفْتَهُ فسألتُكَ عنه فأخبرتني أنه: «كتاب الموافقات»[2].

الحالة الثانية: أن يضع المؤلف عنوانين لكتابه أو أزيد، يخيِّر الناظرَ فيه بينها، ففي هذه الحالة يصِّح للمحقق إثبات أحدهما، إلا أن الأولى مراعاة المستفيض عند العلماء من جملة العناوين، حتى لا يلتبس الكتاب على القارئ.

ويحسن بالمحقق أن يثبت العنوان الأكثر شهرة على دفة الكتاب بالبند البارز، ويذيله بالعنوان الثانوي بحجم أصغر منه.

مثاله صنيع الإمام القرافي المتوفى 684هـ، إذ جعل لكتابه في الفروق والقواعد ثلاثة عناوين خَيَّر بينها، حيث قال: «وعوائد الفضلاء وضع كتب الفروق بين الفروع وهذا في الفروق بين القواعد وتلخيصها، فله من الشرف على تلك الكتب شرف الأصول على الفروع، وسميته لذلك «أنوار البروق في أنواء الفروق»، ولك أن تسميه «كتاب الأنوار والأنواء»، أو «كتاب الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية»، كل ذلك لك» [3].

نظيرُه فهرسة أبي سالم العياشي المالكي الموسوم بـ «مسالك الهداية إلى معالم الرواية»، قال: وإن شئت أن تسميها «العجالة الموفية بأسانيد الفقهاء والمحدثين الصوفية»، أو «اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر»[4].

---

(1) الرحلة العياشية (33/1).

(2) كتاب الموافقات، تحقيق مشهور حسن سلمان (10/1-11).

(3) أنوار البروق في أنواء الفروق (72/1).

(4) فهرس الفهارس للكتاني (586/2-587).

أعجب منه صنيع ابن الشَّماع المالكي المتوفى 833هـ، في كتاب رَدَّ فيه على البُرزلي في مسألة «العقوبة المالية»، فوَضَع له عشرة عناوين كلّها من سَجَعات القرون المتأخرة، حيث قال في طالع كتابه: وسميته بـ:

1) مطالعُ التّمام، ونَصائحُ الأنام، ومَنجاةُ الخواصِّ والعَوامّ، في ردِّ القول بإباحة إغْرام ذَوي الجنايات والإجْرام، زيادَةً على ما شَرَع الله من الحُدود والأحْكام.

2) وإنْ شئتَ فسمِّه بـ: النَّصائحُ الجليَّة، في فَضائح القول بتَحْليل الخطيَّة.

3) وإنْ شئت فـ: نُصْحُ البَريَّة، في تخطئة من حَلَّل الخطية.

4) وإن شئت فـ: ردُّ الرَّأي المضلَّل، في الظُّلم المحلَّل.

5) وإنْ شئت فـ: الرِّماحُ الخطيَّة، في دَفع القول بتَحْليل الخطيَّة.

6) وإن شئتَ: العضب الباترة، للآراء الخاسرة.

7) وإن شئت فـ: طِعانُ الأسِنَّة، لمن خالف الكتاب والسنة.

8) وإن شئت فـ: رَمْيُ السِّهام، لمن ضَلَّلَ الحكام.

9) وإن شئت فـ: العَذْبُ السَّلسال، في تحقيق الحق في منع العقوبة بالمال.

10) وإن شئت فـ: نُصْحُ الخُلَفَا، في التحصُّن بحصون الوَفَا، والإعْراض عن مَقالات أهل الغُلوِّ والجَفَا، اتِّباعاً لشريعة المصطفَى[1].

ومثله العباس بن إبراهيم السملالي المتوفى 1378هـ، جعل لكتابه المسمى بـ «الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام» عشرة عناوين يخير الناظر بينها.

أسباب التحريف الواقع في عنوانين الكتب:

تساعد معرفة أسباب التحريف الواقع في عنوان الكتاب؛ في إحكام مسالك التحقيق؛ فإذا شخِّص الداء؛ عرف الدواء.

الضد يظهر حسنة الضد *** وبضدها تتبين الأشياء

السبب الأول: ضياع الورقة الأولى من المخطوط التي عليها العنوان، وانعدام نسخ أُخَر يجبر منها السقط.

السبب الثاني: الانطماس الكلي أو الجزئي للعنوان جراء العوامل الزمنية؛ كالأرضة والتآكل، أو بسبب تحلل الحبر. أما الانطماس الجزئي فيساعد كثيرا على التحقق من العنوان الكامل للكتاب خاصة إذا لم ينطمس اسم المؤلف.

السبب الثالث: أن يكون العنوان مزيفا إما عمدا لترويج الكتاب، أو خطأً للجهل بموضوع الكتاب، فيجد مالك الكتاب أو الناسخ أوراق العنوان ضائعة فيضع عنوانا للكتاب خطأ بحسب علمه، يعرف بلَحظ مغايرة بين ورقة العنوان والكتاب من حيث الخط والنسخ.

---

(1) مطالع التمام لابن الشماع (76).

السبب الرابع: تصرف الناسخ أو المحقق في العنوان طلبا للاختصار إذا كان العنوان طويلا.مثاله كتاب في معرفة الضعفاء لمحمد بن عمرو العقيلي المتوفى 322هـ، وكتابه هذا طبع باسم «الضعفاء الكبير» واسمه الصحيح هو: «كتاب الضعفاء، ومن نُسب إلى الكذب ووضع الحديث، ومن غلب على حديثه الوهم، ومن يُتهم في بعض حديثه، ومجهول روى ما لا يتابع عليه، وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها، وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة مؤلف على حروف المعجم»، وقد نص المحقق على هذا فقال: واسم الكتاب حسب تسمية المصنف..– ثم ذكره–، مع هذا لم يثبته على غلاف الكتاب!

السبب الخامس: تصرف المحقق في العنوان بالتبديل؛ بداعي مواكبة عصر النهضة! حيث يعلم من فترة الانحطاط خاصة اشتهار عناوين مسجوعة، متكلفة السبك، فلم يستعذبها بعض المعاصرين ممن عانوا أمر التحقيق، فجنحوا إلى تغيير تلك العناوين بما يوافق المنهجية العلمية.

مثاله كتاب جلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ، والموسوم بـ «تناسق الدرر في تناسب السور»، فقد جاء عبد القادر أحمد عطا وغيَّر عنوان الكتاب إلى «أسرار ترتيب القرآن»، وعَلَّل ذلك بقوله: «غيرنا عنوان الكتاب بما يتناسب مع العصر، وبُعدًا عن الأسجاع المألوفة في عصر المؤلف!» وهذا صَنيع مِنه غير مرضي، وربَّ عذر أقبح من ذنب!

وقد طبع الكتاب بهذا العنوان؛ وتابعه على هذا الخطأ كلٌّ مِن: عبد الله محمد الدرويش، الذي حقق الكتاب لدى دار الكتاب العربي بسوريا عام (1983م).ومرزوق علي إبراهيم، الذي حقق الكتاب لدى دار الفضيلة بمصر، سنة (2002م).

السبب السادس: تعديل العنوان لاشتماله على مخالفة تظهر للناسخ أو المحقق، مثاله كتاب أبي القاسم الرافعي المتوفى 623هـ، المسمى بـ «العزيز في شرح الوجيز»؛ قال السُّبكي في ترجمة أبي القاسم الرافعي: «صاحب الشرح الكبير المسمى بالعزيز وقد تورع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجردا على غير كتاب الله فقال الفتح العزيز في شرح الوجيز» [(1)].

نماذج للأخطاء الواقعة في عناوين الكتب:

أذكر في هذا المبحث نماذج للأخطاء الواقعة في إثبات عناوين بعض الكتب، مع التنبيه إلى منشأ الغلط وأصله، وقد اقتصرت على المهم من ذلك، وتحاشيتُ تكرار ما انكشف غلطه، وصحح نمطه، رجاء الاندراج في تلك المسالك..

**الكتاب الأول: صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل الجعفي المتوفى256هـ.

أجاد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تحقيق عناوين صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي؛ في رسالة أسماها «تحقيق اسمي الصحيحين، وجامع الترمذي»، أفيد منها أسماء هذه الكتب الثلاثة التي اشتهرت

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى (281/8).

بتلكم العناوين الزائفة.إذ خلص بما عن له من الأدلة إلى تقرير أن اسم كتاب البخاري الصحيح هو: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»[1].

**الكتاب الثاني: صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، المتوفى 261هـ.

طبع صحيح مسلم طبعات عديدة ليس في أحد منها الاسم الصحيح للكتاب؛ على ما حققه عبد الفتاح أبو غدة، حيث خلص إلى تسميته بـ «المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».

**الكتاب الثالث: سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي المتوفى 279هـ.

طبع الكتاب بتحقيق الشيخ أحمد شاكر المتوفى 1377هـ، بعنوان «الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي».

وهذه التسمية خطأٌ محض، لا هي عنوان الكتاب الصحيح، ولا هي مطابقة لمضمون الكتاب ومنهجه.

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في اختصار علوم الحديث تحت عنوان: إطلاق اسم «الصحيح» على الترمذي والنسائي: «وكان الحاكم أبو عبد الله والخطيب البغدادي يسميان كتاب الترمذي «الجامع الصحيح» وهذا تساهل منهما، فإن فيه أحاديث كثيرة منكرة»[2].

. السنن: وهو اسم مشهور للكتاب، ويكثر نسبته إلى مؤلفه فيقال سنن الترمذي تمييزاً له عن بقية السنن.

ووجه هذه التسمية اشتماله على أحاديث الأحكام مرتبة على أبواب الفقه، وما كان كذلك يسمى سنناً، ولكن الكتاب فيه الأحكام وغيرها.ففي هذه التسمية تَجَوُّزٌ بتسمية الكل ببعض أجزائه.

. الجامع: وهو أشهر وأكثر استعمالاً، واشتهر إطلاقه منسوباً إلى مؤلفه فيقال: «جامع الترمذي» ووجه تسميته بذلك: أن الجامع عند المحدثين ما كان مستوعباً لنماذج فنون الحديث الثمانية، وهي هذه: السير والآداب، التفسير، العقائد، الفتن، الأحكام، الأشراط، المناقب، فسُمِّيَ الكتاب جامعاً لاشتماله على تلكم الأبواب.

وهذا الاسم «الجامع» أو «جامع الترمذي» يدل على الكتاب بالمطابقة وذلك:

. لاشتماله على هذه الفنون الثمانية.

. لأنه مطلق عن قيد الصحة، فيطابق حال الكتاب وواقعه، فهو إذن أولى الأسماء بالإطلاق على كتاب الإمام الترمذي فاستحسن أن يسمى الكتاب ويطبع بعنوان «الجامع» فأما من طبع الكتاب بعنوان الصحة مثل «صحيح الترمذي» أو «الجامع الصحيح» فهذا عمل قد أخطأ صاحبه التوفيق، لما ذكرنا فيه من التساهل، ولأنا نخشى أن يقع في اللبس بسببه من لا دراية عنده، فيظن كل أحاديث الكتاب صحيحة، وهو خلاف الواقع».

---

(1) تحقيق اسمي الصحيحين، وجامع الترمذي لعبد الفتاح أبو غدة (9-32).

(2) اختصار علوم الحديث (31).

اسم كتاب الترمذي الذي سماه به مؤلفه هو: «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل».

**الكتاب الرابع: تاريخ المدينة المنورة، لابن شبة النميري البصري المتوفى سنة 262هـ.

قال الشيخ بكر أبو زيد –رحمه الله– في جزء زيارة النساء للقبور: وتاريخ الإمام ابن شبة المطبوع هذا العام عام 1403هـ.باسم «تاريخ المدينة المنورة» تصرف من الناشر، وإلا فإن هذا العنوان لم يكن عند من ذكره، ولم يسمِّه به مؤلفه كما حصل بالتتبع» [1].

**الكتاب الخامس: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد محمد ابن رشد المالكي، الشَّهير بابن رشد الحفيد، والمتوفى سنة 595هـ.

اشتهر كتاب ابن رشد وبلغ الآفاق، وغدا منار هدي يتجلَّى به الأفاضل الحُذَّاق؛ بين شارح ومُخْتَصِر، وناظر ومُقْتَصِر، ومستفيد منه القواعد، ومبرز خلاله الفوائد، كلُّهم ينميه إلى المؤلف بعنوان: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وكذلك طبع بدار المعرفة غير طبعة.إلا أن الاسم الصحيح للكتاب هو: «كتاب بداية المجتهد وكفاية المقتصد»، صرَّح به مؤلفه في كتاب الكتابة حيث قال: «بيد أن في قوة هذا الكتاب أن يبلغ به الإنسان كما قلنا رتبة الاجتهاد؛ إذا تقدم فعلم من اللغة العربية وعلم من أصول الفقه ما يكفيه في ذلك، ولذلك رأينا أن أخص الأسماء بهذا الكتاب أن نسميه: «كتاب بداية المجتهد وكفاية المقتصد» [2].

** الكتاب السادس: إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ؛ لأبي البقاء العكبري المتوفى 616هـ.

قال الدكتور عبد الله الجديع في كتابه المقدمات الأساسية: «هكذا أثبت اسمه في طبعته المصرية، والتي كانت سنة 1389هـ، وصوِّرت في بيروت سنة 1399هـ، وجاء في آخر الكتاب: وهذا آخر ما تيسر من إملاء كتاب «التبيان في إعراب القرآن»[3].

** الكتاب السابع: فتح العزيز في شرح الوجيز، أبو القاسم عبد الكريم الرافعي المتوفى سنة 623هـ.

كذلك طبع، وعنوان الكتاب الذي وضعه مؤلفه هو: «العزيز في شرح الوجيز».حيث قال في مقدمته: «ولقبته بالعزيز في شرح الوجيز، وهو عزيز علي المتخلفين بمعنى، وعند المبرزين المنصفين بمعنى، وربما تلتبس على المبتدئين والمتبلدين أمور الكتاب فيطمعون في اشتمال هذا الشَّرح علي ما يشفيهم..» [4].

---

(1) جزء في زيارة النساء للقبور (04).

(2) كتاب بداية المجتهد (388/2).

(3) المقدمات الأساسية لعبد الله الجديع (373).

(4) مقدمة فتح العزيز مع المجموع للنووي (75/1).

قال السُّبكي في ترجمة أبي القاسم الرافعي: «صاحب الشرح الكبير المسمى بالعزيز وقد تورع بعضهم عن إطلاق لفظ العزيز مجردا على غير كتاب الله فقال الفتح العزيز في شرح الوجيز» [1].

** الكتاب الثامن: مقدمة ابن الصلاح، للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان ابن عبد الرحمان الشَّهْرَزُوري، المتوفَّى سنة 643 هـ.

اشتهر كتاب ابن الصلاح وطارت به الركبان، وصار عمدة المحدثين في سائر البلدان، وعَكَف الناسُ عليه، وساروا بسيره، فلا يُحْصَى كم ناظمٍ له ومُخْتَصِرٍ، ومستدرِكٍ عليه ومُقْتَصِرٍ، ومعارِضٍ له ومنتَصِرٍ، وشارح موضِّح، ومقيِّد مصحِّح، ومنكِّت موشِّح.ولعلَّ قيمة الكتاب؛ قد شغلت الناظرين فيه عن العنوان الصَّواب، فطبع غير مرَّة باسم: «مقدمة ابن الصلاح»، كما طبع باسم: «علوم الحديث»، وطبعته الدكتورة بنت الشاطئ مذيَّلا بكتاب «محاسن الاصطلاح» لسراج الدين البلقيني بعنوان: «مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح».

– إن ابن الصَّلاح قد سمَّى كتابه ونص عَلَى هذه التسمية في مقدمة كتابه فقال: «فحين كاد الباحث عن مشكلة لا يلقى له كاشفاً، والسَّائل عن علمه لا يلقى به عارفاً، مَنَّ الله الكريم تبارك وتعالى، وله الحمد أجمع بكتاب: "معرفة أنواع علم الحديث"، هذا الذي باح بأسراره الخفية، وكشف عن مشكلاته الأبيَّة» [2].

– جاء في نسخة إستانبول المحفوظة في المكتبة السُّليمانية برقم (351)، والتي كان الفراغ من قراءتها عَلَى المصنِّف سنة 641هـ، أي: قبل عام واحد من وفاة المؤلف، والتي حملت خطّه في عدّة مواضع، جاء في صورة السَّماع: «سُمِعَ جميع هذا الكتاب وهو كتاب "معرفة أنواع علم الحديث" على مصنِّفه»، وكَتَبَ ابن الصلاح – رحمه الله– في آخر طبق السَّماع: «صحَّ ذَلِكَ نفعه الله وبلَّغه».

– وكذا جاء ذكره عند غير واحد من أهل العلم، منه ما سطره النَّووي في التقريب إذ قال: «وهذا كتاب اختصرته من كتاب الإرشاد الذي اختصرته من علوم الحديث للشَّيخ الإمام الحافظ المتقن أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن» [3].

** الكتاب التاسع: قواعد الأحكام في مصالح الأنام تأليف الإمام عز الدين بن عبد السلام السُّلمي المتوفى سنة 660هـ.

طبع الكتاب بالمطبعة الحسينية بالقاهرة سنة 1353هـ ؛ بعنوان قواعد الأحكام في مصالح الأنام، وتتايعت الطبعات في تناقله، واشتهر بين الحادرين كذلك.مع أن الكتاب عرف عند الغابرين بـ «القواعد الكبرى» وهو ما أُثبت في بعض نسخه المخطوطة، وجاء في سائر النسخ «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» وهو الأقرب

---

(1) طبقات الشافعية الكبرى (281/8).

(2) معرفة أنواع علوم الحديث ().

(3) تدريب الراوي (61/1).

للصواب، لموافقته مضمون الكتاب.وقد اهتدى إليه الدكتوران: كمال حماد، وعثمان ضميرية ضمن عملهما على تحقيق الكتاب.

** الكتاب العاشر: الفروق، للقرافي المتوفى سنة 684هـ.

أما كتاب القرافي فلم يسلم عنوانه من التحريف ذلك أنه اشتهر بعنوان «الفروق» لمطابقته مضمون الكتاب، واشتهر أيضا بـ «أنوار البروق في أنواع الفروق»، وليس واحد من تلك الأسماء هو عنوان للكتاب، فقد ذكر القرافي أسماء كتابه الثلاثة في المقدمة، إذ قال: وعوائد الفضلاء وضع كتب الفروق بين الفروع وهذا في الفروق بين القواعد وتلخيصها فله من الشرف على تلك الكتب شرف الأصول على الفروع وسميته لذلك «أنوار البروق في أنواء الفروق» ولك أن تسميه «كتاب الأنوار والأنواء» أو «كتاب الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية» كل ذلك لك.

** الكتاب الحادي عشر: القوانين الفقهية، تأليف محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، المتوفى سنة 741هـ.

الاسم الصحيح للكتاب هو «قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية» كما ورد في نسخه المخطوطة، وجاء التصريح بذلك من المؤلف نفسه في ديباجة كتابه إذ قال: «فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية؛ على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه، إذ هو الذي اختاره أهل بلادنا بالأندلس وسائر المغرب اقتداء بدار الهجرة» (1).

** الكتاب الثاني عشر: شرح سنن ابن ماجه، لمغلطاي بن قليج البكرجي المتوفى 762هـ.

كذا طبع الكتاب بدار الباز، وقد قام المحقق بإثبات هذا الاسم دون أي تعليلٍ أو توجيه لعمله ذاك!

هذا الشرح اسمه «الإعلام بسنته عليه السلام» هكذا نصَّ على تسميته مؤلفه مغلطاي في آخر النسخة الموجودة من هذا الكتاب بخطه.

وكذا ذكره المؤلف في كتاب « الواضح المبين» قال في مقدمته: «وسميته «الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين»، وقصدت به إجمام خواطر الناظرين في تصانيفي سِيَما كتاب «الإعلام بسنته عليه الصلاة والسلام» (2).

** الكتاب الثالث عشر: الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث: للحافظ إسماعيل بن عمرو ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة 774هـ.

كتاب ابن كثير في اختصار كتاب ابن الصلاح المذكور آنفا، وسمّى الحافظ كتابه «اختصار علوم الحديث»، وأما ما اشتهر به؛ أعني الباعث الحثيث فهو من تأليف الشيخ أحمد شاكر، والذي وضعه تعليقا على الأصل.

---

(1) القوانين الفقهية (07).

(2) الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين (6ب).

** الكتاب الرابع عشر: الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم اللَّخمي الشَّاطبي المتوفى سنة 790هـ.

طبع الكتاب أربع طبعات مشهورة:

الطبعة الأولى بتعليق الخضر حسين ومحمد حسين مخلوف تحت عنوان الموافقات في أصول الأحكام.

الطبعة الثانية بتحقيق محي الدين عبد الحميد بعنوان الموافقات في أصول الأحكام.

الطبعة الثالثة بتعليق الشيخ عبد الله دراز بعنوان الموافقات في أصول الشريعة.

الطبعة الرابعة بتحقيق مشهور حسن سلمان بعنوان الموافقات.

والاسم الصحيح الذي وضعه المؤلف هو: «عنوان التعريف بأسرار التكليف»، ثم عدل عنه إلى عنوان: «كتاب الموافقات».

قال الشاطبي: «ولأجل ما أودع فيه من الأسرار التَّكليفية المتعلقة بهذه الشريعة الحنيفية؛ سميته بـ «بعنوان التعريف بأسرار التكليف»، ثم انتقلتُ عن هذه السّيماء لسند غريب، يقضي العجب منه الفطنُ الأريبُ، وحاصله أني لقيتُ يومًا بعض الشُّيوخ الذين أحللتهم منِّي مَحَلَّ الإفادة، وجعلت مجالسهم العلمية محطًا للرحل ومناخاً للوفادة، وقد شرعت في ترتيب الكتاب وتصنيفه، ونابذت الشَّواغل دون تهذيبه وتأليفه؛ فقال لي: رأيتك البارحة في النوم، وفي يدك كتاب أَلَّفْتَهُ فسألتُكَ عنه فأخبرتني أنه: «كتاب الموافقات»، قال: فكنتُ أسألك عن معنى هذه التسمية الظريفة، فتخبرني أنك وفَّقْتَ به بين مذهَبَيْ ابن القاسم وأبي حنيفة، فقلتُ له: لقد أصبتم الغرض بسهم من الرُّؤيا الصالحة مصيب، وأخذتم من المبشِّرات النَّبويَّة بجزء صالح ونصيب؛ فإنِّي شرعتُ في تأليف هذه المعاني عازماً على تأسيس تلك المباني، فإنها الأصول المعتبرة عند العلماء، والقواعد المبني عليها عند القدماء؛ فعجب الشَّيخ من غرابة هذا الاتفاق، كما عجبتُ أنا من ركوب هذه المفازة، وصحبة هذه الرِّفاق؛ ليكون أيها الخِلُّ الصَّفِيّ، والصَّديقُ الوفيّ، هذا الكتاب عونا لك في سلوك الطَّريق، وشارحا لمعاني الوفاق والتَّوفيق، لا ليكون عمدتك في كل تحقق وتحقيق» [1].

** الكتاب الخامس عشر: البحر المحيط في أصول الفقه، تأليف بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، المتوفى سنة 794هـ.

اسم الكتاب الصحيح هو «البحر المحيط»، كما صرح المؤلف في المقدمة حيث قال: «وسميته «البحر المحيط» والله أسأل أن يجعله خاصا لوجهه الكريم، مقربا للفوز بجنات النعيم، بمنه وكرمه».وكذا جاء في النسخ المخطوطة التي اعتمدها المحقق عبد القادر عبد الله العاني في إخراج الكتاب، وراجعه الدكتور عمر سليمان الأشقر، إلا أنه طبعه بعنوان «البحر المحيط في أصول الفقه»!

** الكتاب السادس عشر: توالي التأسيس، تأليف الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852هـ.

---

(1) كتاب الموافقات بتحقيق مشهور سلمان (1/10-11).

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتاب «التأصيل»: «تضمين من مقدمة كتاب ابن حجر العسقلاني: «توالي التأنيس لعوالي محمد بن إدريس» المطبوع غلطاً باسم: «توالي التأسيس» كما بينته في «خبر الكتاب»[1].

** الكتاب السابع عشر: أسرار ترتيب القرآن، تأليف جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة 911هـ.

قال السيوطي: «وقد كنت أولا سميته نتائج الفكر في تناسب السور؛ لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه، ثم عدلت وسميته: تناسق الدرر في تناسب السور، لأنه أنسب بالمسمى، وأزيد بالجناس، وبالله تعالى التوفيق، وإياه أسأل حلاوة التحقيق بمنه ويمنه» [2].

وصرح به في كتابه الإتقان في قوله: «النوع الثاني والستون، في مُناسبة الآيات والسُّوَر: وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته «تناسق الدرر في تناسب السور» [3].

أما الاسم الذي طُبع به الكتاب «أسرار ترتيب القرآن» فقد سمَّاه به الشيخ عبد القادر أحمد عطا[4].

** الكتاب الثامن عشر: «الخرشي على خليل»، أو «حاشية الخرشي على خليل» كذا اشتهر الكتاب وطبع مرارا، واسم الكتاب هو «فتح الجليل على مختصر خليل» كذا ورد في سائر النسخ المخطوطة.

** الكتاب التاسع عشر: كتاب عبد الباقي الزرقاني المتوفى سنة 1099هـ، اشتهر شرحه لمختصر خليل بـ «شرح الزرقاني» وكذلك طبع غير مرة، إلا أن العنوان الصحيح للكتاب هو «حسن نتائج الفكر في كشف أسرار المختصر».

وهذا الصنيع شائع عند متأخري المالكية، وما ذكر؛ على وجه التمثيل لا الحصر.

أهم ما نخلص إليه من خلال البحث: إبراز مكانة تحقيق عنوان الكتاب في سلك عملية تحقيق التراث ونشره، كما يعرف أن فن تحقيق النصوص علم مستقل مبني على أصول وضوابط، تلزم مراعاتها لمن أراد خوض غمار التحقيق، كما وُقف على جانب من آثار التحريف السيئة الواقعة في جملة العناوين.

---

(1) التأصيل لأصول تخريج الأحاديث وقواعد الجرح والتعديل (حاشية 17).

(2) أسرار ترتيب القرآن (67/1).

(3) الإتقان في علوم القرآن (369/3).

(4) راجع السبب الخامس من أسباب تحريف العناوين.

التعريف بالبردي العربي.

أ.صخري خرفية

جامعة الجلفة

يزخر العالم العربي بالمخطوطات المتنوعة والتي تحتاج إلى العناية بها، وذلك بتحقيقها وتقديمها إلى القراء وكذلك من أجل التعرف على تاريخ وحضارة الأمم من خلال محتوى المخطوطات ولكن قبل الخوض في مضمون المخطوط وتحقيقه هنالك مرحلة مهمة في التحقيق وهي مرحلة دراسة الجانب المادي من المخطوط وهو ما يعرف بالكوديكلوجيا وهي علم صناعة المخطوط الذي يهتم بكل ما يتعلق بالجانب المادي من المخطوط كالحبر والورق والتجليد وغيرها وقد اخترت أن تكون مداخلتي في المحور الأول من من ملتقى علم صناعة المخطوط وهو الخاص بالتعاريف وذلك بالتعريف بنوع من أنواع الورق المستخدمة في المخطوط وهو البردي.

منذ أن اكتشف الانسان سر الكتابة أصبح يبحث عن وعاء لها وكان أول وعاء للكتابة الحجر وعرف الكتابة في الجلود وهي ما تسمى الرق وعرف كذلك البردي

تعريف البردي:

البرديات العربية» وهى اللفائف التى كانت منسية، ومطوية، حتى بدأ الأوروبيون الاهتمام بها في النصف الأول من القرن العشرين، وجمعوها من أنحاء مصر وخرجوا بها إلى المكتبات الكبرى في أوروبا، وظلت هناك إلى اليوم..ويقال إن متحف فيينا وحده، يقتنى حالياً أكثر من خمسين ألف بردية (مصرية) مكتوبة باللغة العربية.

البردي لغة:

بَرْدِيّة، جمع بَرْديّات وهو:) جنْس نبات مائيّ عُشبيّ من فصيلة السُّعْديّات، يعلو نحو متر أو أكثر، يكثر وجوده في منطقة المستنقعات بأعالي النيل، انتفع به المصريّون القدماء في بناء بيوتهم وسفنهم، كما صنعوا منه ورق البَرْديّ للكتابة عليه.

فالبردي نبات كالقصب تصنع منه الحصر كان القدماء يتخذون من قشره ورقا يكتبون عليه

•عِلْم البَرْديّ / عِلْم البَرْديّات: علم يُعنى بالبرديّ واستعمالاته خاصّة في مجال الكتابة عند قدماء المصريين واليونان والعرب وغيرهم

مما لاشك فيه أن زراعة أي نبات لا تبدأ الا بعد اكتشاف قيمته الاقتصادية، وحيث أن قدماء المصريين أكتشفوا قيمة نبات البردي استخدموه في أغراض شتى أهمها صناعة الورق، لذلك لا يستبعد أنهم بدأوا في زراعة هذا النبات منذ الالف الرابع قبل الميلاد وربما قبل ذلك، وينمو نبات البردي في مياة غير عميقة لا يزيد عمقها عن ذراعين، جذره في عرض يد رجل ممتلئ، طول جذره أكثر من أربع أذرع، وهو في الواقع ينمو على سطح الارض، تتشعب جذوره الرقيقه القصيرة إلى أسفل في الطين، ساقة مثلث يبلغ أرتفاعة عشرة أذرع.

إن ورق البردى كان يصنع من ساق تلك النبتة التي توجد تحت الماء، وبعد أن تزال كانت الساق تقسم إلى شرائح طولية تمتد إلى متر تقريباً أو ثلاث أقدام ثم توضع الشريحة فوق الأخرى بشكل عمودى.وبعد ذلك كانت الشرائح تغمر بمياه النيل ثم تجفف تحت أشعة الشمس وتصقل بعد ذلك وتسوى أطراف الورقة الناتجة أخيراً بحيث لا يتعدى طول الصفحة 25- 30سم.

كان أول استخدام لورق البردي في مصر القديمة وخصوصا في مناطق النيل، وانتقلت بعدها في العصور القديمة إلى فلسطين وصقلية، واستخدم الورق في كل نواحي مناطق البحر المتوسط، وبعض مناطق أوروبا وجنوب غربي آسيا، وقد وصل إلينا من العصر اليونانى والرومانى عدد كبير نسبياً من النصوص المكتوبة على ورق البردى، ومعظم هذه النصوص عثر عليها في مصر.

وإذا كان الأمر يتعلق بنص طويل فقد كانت تلصق عدة صفحات من هذا النوع بحيث يتشكل شريط يتراوح طوله من 6 إلى 10 أمتار، وفى حالات نادرة كان الشريط الواحد يمتد إلى 40 متراً وأحياناً أكثر من ذلك.وقد كان الشريط من هذا النوع يلف حول عود من الخشب أو من العاج كان يدعى "أومفالوس" من قبل اليونانيين و"أمبليكس" من قبل الرومانيين.أما اللفافة من ورق البردى فقد دعيت توموس أو كيليندروس في اليونانية وفوليمون في اللاتينية.

وحسب أحد الجغرافيين من القرن الرابع الميلادى أن ورق البردى كان ينتج في ذلك الحين في الإسكندرية، وضواحيها فقط.وقد كانت الإسكندرية، بالطبع هي الميناء الذي تأتى إليه السفن من بلدان حوض المتوسط للتزود بهذه المادة الثمينة.وفى الواقع لقد كان ازدهار الإسكندرية، الاقتصادى منذ تأسيسها ينبع من التجارة بورق البردى.

وتعد أوراق البردي العربية من أهم المصادر التي يرجع إليها في الدراسات التاريخية فقد استخدموه لتحرير عقود البيع والشراء والزواج واذاعوا به منشوداتهم وأوامرهم الرسمية.

وكان درج البردي يصنع في دور البردي ثم يتناوله الناس عن طريق التجارة ويتالف من عشرين ورق ملصق بعضها ببعض، وعلى الرغم من أهمية الأوراق البردية إلا أنه كثير من مؤرخين التاريخ الإسلامي لا يهتمون بدراسته فضلا عن أن كثيرا منهم لا يعرف أي شئ عن علم الأوراق البردية ويعتبر المستشرق أدولف جروهمان قد وقف جزءا كبيرا من جهوده العلمية لدراسة اوراق البردي والواقع أن الاوارق البردية لما لها من شأن في دراسة الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر الإسلامي آذ انه من بينها نصوصا تتعلق بالجزئية والخراج وإسناد المناصب وانظمة الإدارة وطرق التجارة وبناء العمائر والمساجد وإنشاء الأساطيل واثمان البضائع والبيوت والأراضى الزراعية وفضلا من عقود الزواج والبيع والشراء وإلى ذلك من المكاتبات.

إن هذه الأوراق البردية فضلا عن قيمتها التاريخية بوصفها المراجع الأصلية فهي تمتاز بأنها معاصره حتى للحوادث التي تسجلها وانها محايده، والواقع أن ورق البردي المؤرخ الذي وصل إلينا ينتهى إلى عام 323 هـ في بداية عهد الإخشيديين على حين أن الوثائق المكتوبة على الورق يبدا تاريخها عام 300 هـ وقد ظل إنتاج البردي

حتى سقوط الدوله الطولونيه وعودة البلاد إلى الدولة العباسية وقد انتقلت في ذلك الوقت صناعة الورق من الصين وتوقف إنتاج البردي ويرجع تدهور صناعة قراطيس البردي في العهد الإخشيدي إلى قله العملات الأجنبية الواردة إلى مصر من قله صادرات البردي وقد يتبين لنا مشاركة مواد أخرى متنوعة في الكتابة إلى جوار اوراق البردي وذلك لسد احتياجات الدولة الفنية من مواد للكتابة في الدولة وفى الخلافة فقد استخدم مواد أخري تنافس البردي كالرق والأديم والقضيم وكلها أنواع من الجلود فالرق هو ما يرقق من الجلد ليكتب عليه.

تعتبر وثائق البردي سجلا حافلا لماضينا المجيد ومشعلا مضيء لفترة هامة من تاريخ الأمة العربية وهي تمثل دون شك جزاء هاما من تاريخينا وحضارتنا كما أن هذه الوثائق حافلة بحياة أسلافنا الأدبية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والقومية.

وبعض النصوص التي تضمنتها هذه الوثائقالهامة عبارة عن رسائل أفراد من عامة الشعب إلى الحكام أو الولاة أو التجار أو ذوي القربى، وفيها تتجلى شكاوي الناس وحاجاتهم وتشرح عواطفهم، وتعطي صورة واضحة عن عاداتهم وطريقة عيشهم ومعاملاتهم وأذواقهم حتى التذاكر الطبية ووصفات العلاج من الأمراض، فوثائق البردي العربي تعطي الباحث فكرة كاملة عن مدى ما وصل إليه العرب والمسلمونمن تقدم في شتى مجالات الحياة.

وتحتوي هذه الوثائق من البردي العربي جانبا من الحياة الاجتماعية حيث نجد عقود الزواج التي تعطينا شرحا لقيمة الصداق وتقدم نموذجا لعملية التوثيق وتبين عدد الشهود الذين يشهدون بصحة هذا الزواج وهؤلاء كانت تتراوح أعدادهم ما بين أربعة شهود وأربيعين شاهدا على حسب المنزلة الاجتماعية للعروسين.

إن علماء الغرب قدروا لهذه الوثائق الأصلية من أهمية علمية تمكنهم من معرفة تاريخنا وطريقة حياتنا وعاداتنا ومقومات مفاهيمنا، بل وقفوا منها على جانب كبير من تشريعنا ونظمنا السياسية والاقتصادية بما يحتويها من جوانب مالية وإدرارية في فترات التاريخ المختلفة.

كما اعطتهم وثائق البردي العربي صورة واضحة عن معالم الثقافة العربية وعلوم العرب من أدب وعلوم طب وغيرها.

ولم يكن هذا هو كل ما احتوته نصوص وثائق البردي بل وجدوا أوراقا مدون عليها آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف.

فبواسطة وثائق البردي العربي تمكنت مجموعة من المستشرقين من عمل دراسات ومقارنات على أسلوب الكتابة العربية قديما وحديثا.

فوثائق البردي العربي تعتبر مجالا خصبا لدراسة تاريخ العرب والمسلمين وتعتبر دليلا قاطعا على ما وصل إليه العرب من حضارة وتنظيم ورقي في شتى المجالات.

المراجع:

ــ أوراق البردي العربي مصدر أصيل للتاريخ الإسلامي، د.أحمد الشامي، دولة قطر الدوحة.

ــ دائرة معارف القرن العشرين، مجموعة من المؤلفين، ج2 دار المعرفة، بيروت، ط3: 1973.

ـ دائرة المعارف، المعلم بطرس البستاني، ج5، تهران، (د ت).
ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر، اليعقوبي، دار صادر بيروت، ط: 1961.



القيمة العلمية والحضارية للمخطوط

أ.عاشور بارودي

جامعة باتنة

مقدمة:

إن الداعي إلى خوض الحديث في هذه الفكرة هو قلة الاهتمام عندنا بالمخطوط على الرغم مما يمثله من عصارة الفكر وأمارات العصر وقيمة الجهد الإنساني في الحياة،كونه أعظم جهدا، إضافة إلى أن الناظر إلى الجانب الآخر(خارج الحضارة الإسلامية العربية) تظهر له قيمة الاهتمام العظيم بكل تراث صغير أو كبير، قديم أو حديث، مادي أو أدبي، مما يبين بسهولة بالغة، الفرق الكبير والبون الشاسع بيننا وبين غيرنا.

ولعل الناظر في التراث المكتوب (المخطوط خصوصا) يجد عمق التاريخ وأصالة العادات وفن العمل وعظمة الفكر مما يحتم ضرورة الاهتمام به والاطلاع عليه والمحافظة عليه أيضا وشرحه وتفسيره والاستفادة من مواده وخلاصاته والاهتمام على منواله وتبليغه إلى الأجيال الآتية،لأن في ذلك البناء الحقيقي للإنسان صاحب الحضارة الباسقة والأصلية واليانعة، كما فيه تكريس لخلق وسلوك إنساني يعد الجوهر فيه ألا وهو سيرة البحث والاستكشاف في هذه الحياة، هذا عدا ما ينقله من أخلاق الرجال وحس الانتماء وعظمة الأمة وقوة سلاحها الذي سادت به.و عليه فإن التفريط في هذا التراث المخطوط هو تفريط في الماضي والحاضر والمستقبل، وبالتالي تفريط في الحياة كلها.

وقد تكون حالتنا في الجزائر من أوجع مواجيع هذا الموضوع، نظرا إلى حالة التفريط الشديد التي يعاني منها المخطوط خصوصا في أماكن الزوايا والمعاهد القديمة وحتى بعض المكتبات العامة، وقد يعود ضياع وتلف بعض المخطوط إلى الطبيعة أو عوامل أخرى إلا أن الإنسان في النهاية هو المتهم بلا شك بفقدان الإحساس الرابط بهذا التراث، لأنه في الأصل هو المتحكم في ظروفه الخارجية بنسبة كبيرة.

وعلى هذا الأساس نرى أن هذا الملتقى " المبارك " جاء مناسبا تماما ومحققا ضرورة من الضرورات المستعجلة لعل الضمير يحيى ونعود جميعا مؤسسات وأفراد في عمل منسق وحر إلى الاشتغال العلمي بهذا الموضوع جمعا وتحقيقا ودراسة وتصنيفا وترتيبا واستفادة وتخطيطا للمستقبل.و يحسن بنا المقام أولا في الوقوف عند مفهوم المخطوط ثم تبيان قيمته العلمية والحضارية.

I مفهوم المخطوط:

لغة: في التاج، كتاب مخطوط: مكتوب فيه[1].وفي المعجم الوسيط: المخطوط هو المكتوب بالخط لا بالمطبعة، والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد[2].وواضح من هذا المفهوم اللغوي أهم ركني هذه الوثيقة الأساسية ألا وهما: الكتابة واليد، أو بعبارة اصطلاحية الوسيلة والانجاز، ويعدان–إذن– من أخص خصائصها،و لعل الوسيلة

هنا أن تكون أبرز علامة في الوثيقة، ألا وهي "اليد" بخلاف الآلة، وهذا يدل ببساطة على أن الوثيقة لا تنال اسم المخطوط إلا إذا كانت أساسا مكتوبة باليد لا كتابة بالآلة الراقنة أو الطابعة أو غيرها، وربما يحيلنا هذا مباشرة إلى أصل الخط بداية والذي لا يمكن أن يكون قد تم إلا باليد، وفي هذا إشارة مقصودة إلى عنصر الأصالة في المخطوط بعد ذلك، إضافة إلى ما تعنيه اليد من بعد إنساني يختلف عن بعد الآلة.

أما في الاصطلاح فإن المخطوط هو ذلك الكتاب(المدون، الوثيقة) المكتوب بخط اليد من بدايته إلى نهايته والمتضمن في رقعة واحدة أو صحف عديدة بين دفتين، والمعبر عن موضوع من الموضوعات سواء كان مكتوبا بيد المؤلف ذاته أم كان نقلا عنه بالإملاء، أو السماع، وإن كان المؤلف المكتوب بيد صاحبه أجدر وأوثق، ويكون ذلك من غير زيادة ولا نقصان.

مع الإشارة إلى أن المخطوط قد يكون من قبيل الشروح والتفاسير والتعاليق والزيادات في الحواشي أو غيرها مما يجوز أن يتعرض له المتن الأصلي والزيادة الجديدة حفاظا على المصدر.

إذن فإن المخطوط في المفهوم الإصطلاحي أساسا أن تتميز آلته اليدوية عن آلته الاصطناعية حفاظا على قيمته المعنوية في الجانبين المادي والأدبي.و إلى هذا يعرف عبد الرحمان عبد الحميد المخطوط بقوله": هو كل كتاب قديم تركه مؤلفه بخط يده أو بخط غيره"[(3)].

و يظهر من خلاله أربعة عناصر أساسية تتعلق بالمخطوط ألا وهو:

1- كونه كتابا يعني مجموعة من الصفحات الورقية بين دفتين.

2- القدم، وهذا عنصر زمني لعل المقصود به هو الفصل بين عصر الطباعة وما قبله.

3- الكتابة الذاتية، يعني بخط مؤلف الكتاب نفسه.

4- الكتابة الغيرية ويعني بخط الآخر.

و هذه الكتابة عموما يمكن حصرها في عنصر الوسيلة اليدوية- كما سلف- وإذن فهي العناصر المكونة المخطوط في وظائفية مترابطة.

وهذا المفهوم يعني الصورة النهائية التي يخرج فيها المخطوط، دون الإشارة إلى البنى المادية الأخرى، كالحبر والورق خصوصا فإنهما أيضا ضروريان ويساعدان في تدعيم هيئة المخطوط، ولا شك إذن في أن النوعية الجيدة في الحبر والورق تعطيان صورة ناصعة للكتاب سواء من حيث توضيح القصد من الكتابة أو إطالة عمر المكتوب، وهذا في حقيقة الأمر يحيل مباشرة إلى مسالة عقبات المخطوط أو مشاكله التي يمكن أن تعترضه، وخصوصا تمحيص المادة المكتوبة وحفظها.وهذا ما يجعل في صناعة المخطوط ذاته شروطا أساسية يجب أن تراعى ولعل المؤلف الأصيل أن يشعر بها ويلتزمها باعتبار أن المشتغل بالمسألة العلمية أسير الحقيقة، ولذلك فهو يبذل كل الجهود لإخراج عمله في صورة لائقة شكلا ومضمونا.

أما إذا كان الخطاط أو الناسخ الذي ينسخ كتب غيره، فإن المهمة ستتضاعف والمشقة تزداد حفاظا على المادة وعلى الغير وعلى الذات.

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم المخطوط يكون قد اتسعت عناصره لتشمل المؤلف أو الناقل والورق والحبر والقلم ونوع الخط والمحافظة على المكتوب، وإذن فإن المخطوط في النهاية حلقة من العناصر المترابطة، وبقدر ما تبدو هذه الحلقة مكتملة ومترابطة وشاقة بقدر ما تدل على العمق والأصالة والاجتهاد.

II القيمة العلمية للمخطوط:

إن المقصود بالقيمة العلمية للمخطوط هنا هو مدى ما يحمله من معان في مكتوبه وكذا في منهجه، ذلك أنه كتاب مخصوص في جانب معرفي معين إضافة إلى طريقة عرضه لتلك المادة العلمية.

وإذا علمنا أن القرآن الكريم في الحضارة الإسلامية العربية هو منطلق لجل الكتابات العلمية التالية أدركنا لماذا وكيف تشعبت الدراسات في مختلف الميادين(دينية ودنيوية) ولعل أشهر ما يعرض لنا في هذا المقام هو نسخ القرآن الكريم نفسه، فإن المتأمل في تلك العملية ليدرك قيمة الجهد العلم المبذول، فمع أن الآيات كانت تكتب عند نزولها في مختلف المواضع(جريد النخل، الجلود، صفائح الخشب، الحجارة.......) ناهك عن حفظها في صدر النبي (ص) وصدور الحفاظ إلا أن أبا بكر الصديق جمع القرآن في كتاب واحد، وكان ذلك في منتهى الدقة والأمانة سواء في جانب الحفظة أو جانب الكتبة، فقد اعتمد إذن على إمكانات بشرية منتقاة، وجمع المادة القرآنية في نسخة واحدة حتى يسهل الرجوع إليها ويلم بها.و في عهد عثمان ذي النورين أيضا تمت عملية الجمع الثانية، وكان القصد منها توحيد القراءة والمقروء معا، فانتسخت النسخة الأولى (نسخة حفصة) ووزعت لتعمم، وكانت الآلية هي نفسها المستعملة زمن النبي (ص) أي كتبة الوحي عند رسول الله (ص) وهنا تظهر لنا قيمتان أساسيتان هما:

1. الاعتماد على المصدر الأصلي أي النقل من المواضع المتفرقات إلى النسخة الموحدة زمن أبي بكر، مع مراعاة ما سمح به النبي (ص) من تنوع في قراءة الحرف القرآني (القراءات السبع أو العشر).

2. الاعتماد على جهاز نخبوي في تنفيذ عملية الانتساخ والكتابة وفي هذا المقام يتصدى كتبة الوحي عند الرسول (ص) لاعتبارهم من أمهر الكتبة ليس في الوحي وحده ولكن في الكتابة عموما كعلي بن أبي طالب وأبيّ بن كعب وعثمان بن عفان وخالد بن سعيد ومعاوية بن أبي سفيان [4]، وزيد بن ثابت الذي كان أعلم الكتبة باللغات الأخرى كالعبرانية والسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية [5].

ومن هذا المنطلق باشر العرب الأوائل بعد العهد النبوي والراشدي عملية التعلم والتعليم والتأليف وإبداع العلوم (خصوصا الدينية والأدبية) بمنهج يخضع للرحلة والنقل والسماع والتثبت، وفي ظل هذا السبيل الفائض من الدراسات كان حتما أن تظهر حرفة الوراقين والنساخين، المهتمين بصناعة الكتاب تقنيا بداية من عملية النسخ والكتابة إلى غاية إخراج الكتاب ترتيبا وتصفيفا وتجليدا.و في هذا المجال كان لنقل عادات الأمم السابقة كالهند والفرس والروم دورا بارزا، كما أضفت نفس الإبداع أسلوبا خاصا في الشكل والمضمون معا.

كما تمثل الأدوات المستعملة أساسا.بيّناً في هذه الصناعة وخصوصا ما تعلق بالورق المستعمل في الكتابة والذي كان يأتي في البداية من خارج البيئة العربية من الشرق الأقصى (الصين)[6] وبيزنطة (أو تركيا).و ذلك كله

من أجل تسهيل عملية النسخ وتسريعها.و يلاحظ أن ميزة المخطوط الورقي كانت أكثر انتشارا من غيره نظرا لسهولة التعامل مع هذا النوع من الوسيلة، لأن ورق(البردى والكاغط)، أخف وزنا وأرق صفحة ومن ثم يسهل حمله وتقسيمه وتحجيمه ونقله.و في خطوة أخرى تم تجليد الكتاب الورقي لحفظ المادة الورقية، لأن الجلد ذو خصائص مقاومة وحافظة من آثار الرطوبة والكدمات وعليه فقد روعيت عملية استغلال الخصائص المشتركة لكلا المادتين، وهذه إحدى العبقريات الفنية في الصناعة الكتابية العربية.

و بالعودة إلى صناعة المخطوط من حيث النسخ والكتابة تتبدى القيمة العلمية من خلال الشروط التي تم على أساسها هذا العمل وخصوصا ما تعلق منها بجانب الخطاط أو الناسخ ذلك أن أصل الصنعة يتوقف على مهارة الصانع وإخلاصه وعليه كان المشترط في الوراق الذي يمثل آلة النسخ والطباعة شروطا أهمها(7):

1. أن يكون الوراق على قدر كبير من الثقافة والمعرفة بالعلوم، وخصوصا علوم اللغة كي لا يقع في الأخطاء النحوية والإملائية، والعلم بمواضع الفواصل كي لا يوصل الكلام على طريقة واحدة.

2. العلم بالعلوم الفقهية الشرعية كي يلتزم بالأمانة التي تمنع التزوير والكذب، وكذا الإشارة إلى مواضع الخطأ في الكتاب الأصلي في حاشية الكتاب الجديد.

3. العلم بعموميات المعرفة وهذا حتى لا يقع في الخطأ الكتابي ويميز بين المصطلحات المستعملة في العلوم المختلفة.و الحق أن في هذا الشرط قيمة عظيمة لأنها تسد الثغرة على الاختلاط الذي يمكن أن يحصل بين دلالات الكلمات الموظفة، خصوصا إذا علمنا أن المنطق بوسعه أن يوظف كلمات معينة في حقول مختلفة لكنها بدلالات متباينة تخص السياق المعرفي لذات الحقل، كما قد يحصل في مجالات: الرياضيات، والفقه والنقد وغيرها.

4. أخذ موافقة المؤلف الأصلي أو ناظره، أما إذا كان الكتاب وقفا غير معين فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط بإصلاحه لمن هو أهل لذاك، وفي هذا حفظ للحقوق المادية والمعنوية.

5. يمكن للوراق أن يرفض نسخ الكتاب المضلل، ككتب أهل البدع والأهواء، وكل كتاب لا يتناسب مع عقيدة وفكر الوراق.

6. وفي منهجية الكتابة يبتدئ الوراق بكتابة البسملة ثم يعقب ذلك بحمد الله والصلاة على الرسول (ص) وعند إنهاء الجزء الأول منه أو جميعه بختمه بحمد الله على إتمامه والصلاة على الرسول الكريم (ص)، كما يمكن أن يذكر في الخاتمة مكان الكتابة وزمنها.

7. و من الشروط الدقيقة الصارمة أن الوراق إذا نسخ كتابا من كتب العلوم الشرعية فينبغي أن يكون على طهارة مستقبل القبلة بثياب طاهرة وحبر طاهر.

8. ومن الأمانة العلمية التي هي من قبل الخلق الملتزم والعقيدة الراسخة أن الناسخ لا يجوز له أن يحذف شيئا من الكتاب الأصلي بل أن ينقله كما هو خصوصا إذا حصل على أجرته مسبقا.

9. ومن الشروط الشكلية التي تراعي في المخطوط أن يتم الاتفاق مع الخطاط أو الناسخ على نوع الورق وحجمه ولونه، لأن ذلك يسهل عملية الإخراج المساعدة على قراءة الكتاب وفي الغالب كان مكروها الكتابة باللون الأحمر.

10. أن يكون الخطاط أو الكاتب ذا خط جيد يرسم الحروف بشكل واضح لا يضر بالبصر، وذا معرفة بأنواع الخطوط، وأن يحمل القلم من المرونة ما يساعد على جودة الخط، إضافة إلى الحبر الجيد، وقد سئل أحد الوراقين عما يشتهي فقال:" قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا رقاقا".و لهذه العوامل أثر مباشر في سعر النسخة من الكتاب.

11. ومن تمام الاحتراز أن المؤلف يراقب كتابه قبل إخراجه، وإن كان الكتاب منسوخا فإن الناسخ عليه أن يقابل النسخة الجديدة بالأصلية حتى يقف على مواضع الخطأ والسهو كما يمكنه أن يخرج أشياء في الحاشية بعد أن يترك لها فاصلا عن المتن الأصلي.و من الزيادة في الدقة أن يخصص نثر معين بعملية المراقبة والمراجعة للمؤلفات المنتسخة مثلما فعل الحكم محمد بن أبي الحسن بمقابلة كتاب العين بالتعاون مع أبي علي البغدادي وابن سيده.

وإضافة إلى هذه الشروط الواجب توفرها في شخص الناسخ أو الكاتب أو الوراق فإن طريقة التواتر في رواية وانتقال الكتب تمثل قيمة علمية بارزة في المخطوط وذلك عن طريق السلسلة السندية إلى غاية المصدر الأساسي، ومثال ذلك رواية نسخة أشعار الهذليين من أبي الحسن على بن عيسى بن على بن عبد الله الرماني عن أبي بكر أحمد بن محمد بن عاصم الحلواني عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت275هـ) [8].

وإذا أضفنا مع هذا تلك الشروط التي وضعتها المدرستان البصرية والكوفية [9].في حق قبول الرواية من الرواة، كالعدالة والأمانة والحضور والمشاهدة والسماع والرحلة والإملاء والتدوين وغيرها.تبين لنا مدى الاهتمام العلمي الذي انتقل من المروي الشفاهي إلى المكتوب المخطوط في الصحف، ولعل عملا مثل الذي قام به الخليل بن أحمد ليدل على القيمة التي انتقلت إلى المخطوط بعد الجهد الذي تم أثناء الجمع والفحص، والذي تدل عليه مؤلفاته.

وعلى هذا المنوال سارت الكتب المخطوطة المؤلفة من حيث المنهجية أو الخط أو المحتوى الذي تنوع بحسب ازدهار الدولة الإسلامية وإمارتها في الشرق والغرب، ولعل الصورة التي يقدمها ابن خلدون [10] أن تكون ناصعة فيما يخص مصالح الدول الإسلامية التي تتخذ لها دواوين في شتى القطاعات (العسكرية والسياسية والاقتصادية) وهذا ما يدل على أمرين:

أولهما: أن المخطوط قد اتسعت مضامينه حتى اشتمل على مختلف المعارف والعلوم.

و ثانيهما: هو قيمة تاريخية تتمثل في المخطوط الذي وثق هذه المعارف وأرّخ لها وحفظ مضامينها ومتونها.

غير أن الملاحظة الأساسية في جلّ هذا المخطوط تشكف عن تأثره في أسلوبه كثيرا بالمنهج الديني، ونقصد من ذلك الاحترام المستمد من الدراسات الدينية للمؤلف والكتاب والكتابة عموما.و لعل هذا يرجع إلى أن الدين هو السبب في انتشار الكتابة انتشارا واسعا وفتح مجالات المعرفة مجددا.

وتبقى القيمة العلمية للمخطوط من حيث الخط أنها تتجلى أساسا في هدف التوضيح وتسهيل التبليغ، وخصوصا بعد أن صارت المعرفة الدينية – بمجيء الإسلام – ضرورة حتمية، فقد كان عرب الشمال الدين ورثوا الحضارة العربية قليلي الإجادة للخط بخلاف أسلافهم التبابعة اليمنيين [11].و هذا ما ظهر أثره في تدوين المصحف من قبل الصحابة بخط لم يرق إلى الجودة.إلى أن نزل الإسلام بأرض "الكوفة" فبدأ الاهتمام بالخط وإجادته ثم كانت الحاجة إلى تحسينه أكثر فولد الخط النسخي اللين والمناسب في الوضوح.و هذا ما جعله ينتشر على نطاق واسع حتى رأى أحد الدارسين أنه لهذا السبب "يمكننا إدماج الكتابات العربية ضمن باب اللغات التي اعتمدت الكتابات المستمرة اليدوية للطباعة، باعتبارها أنها اعتمدت الخط النسخي اليدوي خطا مطبعيا أيضا لمرونته ووضوحيته..." [12]

كما تتجسد القيمة العلمية للمخطوط من حيث الخط في النظرة الإبداعية التي صاحبت مسيرته انطلاقا من الكوفة، البلد الأول، ثم تعميم الاهتمام به في المشرق عموما وهذا ما يظهر في اتخاذ المعلمين وسيلة لتعليم الخط ونقل فنونه كما كان يحدث في مصر والشام والعراق.[13]

بينما تقلب الأمر في بلاد المغرب والأندلس بحسب الظروف السياسية والاجتماعية فكان خطا أندلسيا متميزا بالجودة في فترة الازدهار الحضاري، ولكنه انقلب إلى الرداءة بعد أن انفرط عقد الدول والممالك في هذه الجهة[14]. هذا بعض ما يمكن أن تحمله القيمة العلمية للمخطوط.

III القيمة الحضارية للمخطوط:

نقصد بالقيمة الحضارية للمخطوط تلك الأبعاد التي يحملها معه والمتعلقة بكينونة هذه الأمة ووجودها، فهو أثر مادي مشع بالمعاني المحيلة على الوقائع الماضية من عمق التاريخ والجغرافيا والسيرورة الحضارية المليئة بالمتغيرات والمتفاعلات والنتائج والأسباب.

والمخطوط في خضم كل هذا يرصد المعالم ويخزن المدلولات وينتصب شاهدا على العصور.

ولذلك فإن قيمته في هذا الشأن تكمن فيما يقدمه من معلومات عن العصر الذي دون فيه من حيث ظروفه السياسية والاجتماعية وحدوده الجغرافية وأحداثه التاريخية وأشخاصه الفاعلين في الفنون والعلوم والنشاطات العامة.

وعلى هذا نكتشف مسألة بساطة المخطوط أو حجمه وعدده مدى عراقة الفعل الحضاري، أو بساطته، ففي العصر النبوي والراشدي لم تكن المخطوطات إلا مختصرة قليلة العدد ما يدل على بداية تشكل الدولة الإسلامية الجديدة، ولكن بعد توسع هذه الدولة وحلولها في القارات الثلاث وكثرت المؤلفات والكتب المستنسخة وانتشرت دور الوراقة، وصار عدد الدواوين مالا قبل لأحد بإحصائه، فإذا علمنا فقط بعدد هذه الكتب وأماكنها

أوحى لنا ذلك بسعة الرقعة الجغرافية للدولة وعظم انتشار العلوم والمعارف تعلما وكتابة ومدارسة، وهي في النهاية تحيل مباشرة إلى ارتقاء المدنية المتحضرة مثلما يشير ابن خلدون في أكثر من موضع[15].

في شأن هذه القيمة التاريخية الكبيرة للمخطوط يقول إبراهيم جمعة "....و قد أظهرتنا دراسته {الأستاذ جروهمان} لأوراق البردى العربية على كثير من غوامض الحياة في مصر الإسلامية منذ عام 22هـ حتى العصر الفاطمي، وقد كان اكتشاف هذه الوثائق البريدية هاديا عظيم الأثر في جلاء بعض نواحي التاريخ المصري الإسلامي حيث أطلعت المؤرخين على صحائف بالغة الأهمية عرف عن طريقها الكثير من دقائق الحالة الاقتصادية المعيشية والمهنية والإدارية في العصور الإسلامية الأولى [16] فالمخطوط بحق هو صورة العصر الحية المحفوظة في تلك السطور والحروف، والكلمات واللغة والأرقام، وذلك راجع إلى تنوع الدواوين المستعملة في الخراج والعسكر والصدقات ودور المكتبات السلطانية والأميرية والمكتبات العامة والوراقين، وهو في النهاية يعكس الازدهار الذي مس الحضارة الإسلامية ورقيها أثناء تعاملها بمرونة مع سائر الحضارات السابقة مما سمح لها بالاستفادة من عدد كبير من تقنيات التنظيم العام، ومنها التصنيف في الدواوين الرسمية ومنهجها في ذلك.

ومن القيم الحضارية التي تدخل في هذا الجانب احتكاك اللغة العربية باللغتين الفارسية والرومية(اليونانية) في العراق وفي الشام ومصر، وذلك أثناء إنشاء الدواوين ونقلها إلى اللغة العربية[17] فقد كانت تلك الدواوين قبل نزول الإسلام في العراق تدون بالفارسية كما كانت في الشام ومصر باليونانية، ولاشك أن هذا الاحتكاك سمح بمرور عدد من المفردات إلى اللغة العربية والعكس صحيح، إضافة إلى الاستفادة من طرق الكتابة ومنها التبويب، ولعل هذا أن يكون من أهم مصادر الاغتناء اللغوي.

أما في تنوع الموضوعات المعرفية للمخطوط من فلسفية ودينية (دراسات قرآنية وعلم الحديث، الفقه وأصوله...........) وأدبية وتاريخية ولغوية وعلمية ومنقولة(مترجمة،...) فدلالة كبرى على التطور الهائل الواقع في ثنايا الأمة وسريان العلم والتعلم والصنائع المختلفة.

كما يعد الشاهد المادي المتعلق بنوع الورق والورق والبردى والقماش على تطور الأمة وازدهارها.و التقدم نحو ابتكار أيسر السبل لتطويع الكتابة وتسهيلها وتسريع التعامل بشأن الوثائق وتوسيع المدى أمام الكتابة التي صارت أحد أشد اللوازم الحياتية في مفاصل الأمة والدولة، في هذا يعد الورق آخر الابتكارات الممكنة لتحقيق الهدف المنشود.

إضافة إلى القلم الذي نحت من أجود المواد حتى صار لينا مطواعا، ولعل هذا إن يدل من جهة أخرى على مدى استغلال الأمة للعوامل الحضارية المسؤولة عن التنمية وهما الوقت والمادة.

هذا عدا ما يقوم به المخطوط من دور فعال في نقل تراث الأسلاف إلى الأخلاف، فيما يخص العلم والدين والعادات والسلوكات والقيم ومسار الأمة وتوجهها عموما.

فهو إذن الحافظ لروحها والقناة الواصلة بين الماضي وحاضر الأمة، وإذا تذكرنا أن أمة بلا ماض أمة بلا حاضر ولا مستقبل أدركنا قيمة ما يقدمه المخطوط للأجيال الحاضرة عن روح أمتهم، والحقيقة أن المستفاد من

روح هذا التراث المنقول هو عوامل القوة التي أتاحت لهذه الأمة أن تظهر على غيرها وتتفوق ومن ثم وجب تقليدها من طرف الجيل الحاضر، ومن هنا تتولد قيمة حضارية أخرى للمخطوط ألا وهي المهمة الرسالية التي يتبوؤها تجاه أبناء الأمة الجدد إذ يكاد يقوم مقام الدعاة والموجهين.

IV الاهتمام بالمخطوط:

إن الكلام السابق يقودنا بوضوح إلى الحديث عن وجوب الاهتمام بالمخطوط من باب الفريضة لأنه محافظة على العهد واستكمال لمسار النمو والارتقاء ورد الجميل لتلك الأجيال التي أفنت حياتها لصالح خدمة الأمة في جوانبها المختلفة، وإننا إذ نذكر هذا فلابد أن نعبر عن شدة الأسف التي تكاد تخنقنا بسبب ما نعيشه في زمننا من قلة الاهتمام بالتراث عموما وبالمخطوط خصوصا وتركنا الاستفادة من كل الجهود المبذولة في تلك المعارف المودعة في بطون كتب السلف وعدم تطويرها..، هذا التخلي الذي يصل أحيانا إلى حد الإهمال التام بل والاستهتار، ولعل هذا يتجلى في عملية الاندثار التي تقع أحيانا أمام أعيننا دون أن نحرك لها ساكنا فمن آثار بنائية عتيقة تهدم وتطمس وتخرب إلى تحف وقطع نقدية تنهب[18] إلى مخطوطات تتحلل وتبلى وتسرق وهو الفعل الحاصل في عموم البلاد العربية، وقد يكون من بالغ الأسف أن يقع أحيانا ذلك بأيدينا وخصوصا في بلدنا الجزائر– حيث تقرأ في أخبار الصحف بشكل متكرر صورا مختلفة عن الانتهاكات الحاصلة في حق الآثار والتراث عموما، وقد يكون أخطره ذلك الذي يتم عن طريق السياح في صمت رهيب وفي غفلة تامة وقد يكون المستهدف الأول من عملهم هو المخطوط وخصوصا ذلك المتواجد بالزوايا وقصور في جنوب البلاد من بقية آثار القرون الماضية.و مضافا إليه سبب طبيعي آخر وهو الفيضانات التي تأتي من حين لآخر لتجرف أرشيف عشرات من السنين قد يبلغ القرن أو يزيد، كما حصل في غرداية عندما أتلفت سجلات قرن كامل.

إن النزيف الحاصل في هذا المجال خطير جدا وهو كفيل بأن يضعف الأمة إلى حد العجز إن لم يقض عليها وهذا ما يستدعي تدخل المؤسسات مجتمعة بداية من الوزارات المسؤولة الأربع(الثقافة والتربية والتعليم العاليو الشؤون الدينية) إلى معاهد الآثار والمكتبات إلى الشخصيات العامة.والإسراع في إنقاذ ما بقي من أثر للمخطوط بحفظه في صور عديدة بطرق يسيرة أسهلها الطريقة الالكترونية، ثم مدارسته والاستفادة مما فيه بإحياء العلوم النافعة ولغرض ربط الأمة بأصلها.وهو الجهد الذي يستدعي التعاون لأن "دراسة المخطوط مهمة صعبة وهي خاصة بالمحققين لأنها عمل قائم بنفسه، وليس من اليسير أن تقوم بدور المحقق والمؤلف في آن واحد[19].

وإذا تذكرنا ما حل بهذه الأمة من أيام نشأتها إلى زمننا هذا في مسيرة أربعة عشر قرنا، من نكبات ومصائب حلت بتراثها الروحي منذ اجتياح المغول والتتار وثورات الشعوبيين، إلى حملات الصليبيين في الأندلس، شمال إفريقيا وبلاد الشام، إلى زمن الاستدمار في القرن التاسع عشر والذي أصاب الأمة في عمومها.و ما صاحب ذلك كله من دمار لا نظير له في تراث الأمة الروحي من حرق للكتب والمكتبات وقتل للعلماء وتخريب للمعالم ودور العبادات.وطمس تام لمعالم شخصية الأمة إلى يومنا كما هو الحال في العراق الضحية وفلسطين الأسيرة وغيرهما، ليدعونا بقوة كبيرة إلى شد الإزار والوقوف على أطراف الأقدام في هذا المجال.

الهوامش:

(1) تاج العروس

(2) المعجم الوسيط، ص: 244 (خط)، مكتبة الشروق، القاهرة، ط: 4، 1426 هـ، 2005 م.

(3) معالم البحث الأدبي، ص: 144، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1428هـ، 2008 م.

(4) عمر فروخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم إلى آخر العصر الأموي، ص: 145، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 2، 1388 هـ، 1968 م.

(5) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وأدلتها التاريخية، ص: 55، دار المعارف، القاهرة ط: 3، 1966 م.

(6) نفسه، ص:88.

(7) انظر مجمل هذه الشروط في مقال "الوراقون الأندلسيون إشعاع حضاري" ل: فريدة الأنصاري، ص:206، 207، 208، مجلة التراث العربي، فصلية محكمة، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد:113، ربيع الاول 1430هـ، مارس 2009 م، السنة التاسعة والعشرون .

(8) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وأدلتها التاريخية، ص:564

(9) نفسه، ص 429: وما بعدها.

(10) المقدمة، ص 256: - 264، دار الفكر بيروت، ط:1، 1424هـ، 2004 م.

(11) نفسه ص:436.

(12) خالد قطيش، الخط العربي وآفاق تطوره، ص 51:، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

(13) المقدمة، ص:438، 439.

(14) نفسه ص: 439، 440.

(15) نفسه ص: 442.

(16)دراسة في تطور الكتابات الكوفية، ص:57، 58، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969 م.

(17) نفسه، ص:58.

(18) انظر على سبيل المثال جريدة " الخبر" الجزائرية، ليوم 2012/04/03.

(19) علي جواد الطاهر، منهج البحث العلمي، ص:85، المكتبة العالمية، بغداد، ط:7، 1986 م.

واقع المخطوطات في الدول العربية ودور الجامعات في الحفاظ عليها

عبد العزيز ناصري

جامعة غرداية

نبذة عن المخطوطات العربية:

إن العالم العربي يزخر بكثير من المخطوطات المؤلفة في شتى العلوم والفنون، ولكن أغلبها لا توجد في مكتباته، وإنما هي منتشرة في كافة أنحاء العالم والكثير منها في المتاحف والمكتبات الغربية، وهذا نظراً لعدة عوامل، من بينها عدم استقرار العالم العربي في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية...ووقوعه لفترة طويلة في قبضة الاستعمار، ومانهبه هذا الأخير من نفائس المخطوطات أثناء احتلاله للعالم العربي، وعدم معرفة قيمة المخطوط إلا بعد فوات الأوان في العصر الحديث، ولم يهتم العرب بدراسة المخطوط إلا مع بداية القرن التاسع عشر، ولكن الغرب اهتم به منذ فترة طويلة وصرف أموالاً ووسائل من أجل الاعتناء به، وظهر عنده علم خاص بدراسة الشكل المادي للمخطوط، ودرس اللغة العربية وبعث من يهتم بهذا التراث إلى البلاد العربية ويحفظه وينقله إلى لغته، وهذا ما نراه في عمل المستشرقين، فكثيرا منهم من حقق المخطوطات العربية وترجمها إلى لغة بلده قبل أن يكتشفها العرب، ولاينكر جهدهم في تحقيق المخطوطات العربية والاعتناء بها منذ زمن بعيد، وهذا نظراً لأن الحضارة العربية حضارة عريقة ويعود لها الفضل في اكتشاف الكثير من العلوم، فالعالم ابن سيناء(ت429هـ) وهو من أشهر العلماء والمفكرين العرب له إضافات كبيرة في علم الطب والفلسفة وكتابه الشهير (القانون في الطب) ترجم إلى عدة لغات أوربية، وكان للخوارزمي فضل كبير في علم الرياضيات وكذلك جابر بن حيان والذي سمي علم الجبر باسمه، وهكذا أسهم العرب إسهاماً كبيراً في التقدم العلمي والنهضة الحضارية في أوربا في شتى العلوم مثل الرياضيات والفلك والطب والتاريخ والأدب والجغرافيا، وكانت المؤلفات العربية البارزة من المواد الأساسية المقررة على طلبة الجامعات الأوربية حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي مثل كتاب القانون في الطب لابن سيناء،([1]) وكان للعلماء العرب أثر كبير في تقدم الغرب وكانوا جسرا يربط الأمة العربية بماضيها المتقدم ومستقبلها التي تسعى فيه للتقدم والرقي، وهذا بفضل ازدهار هذه الحضارة في القديم ووصولها إلى متاخم أوربا مثل إسبانيا وإيطاليا، وسيطرتها على معظم أنحاء العالم.

عوامل تقدم أوربا في تحقيق المخطوطات:

[1] – المحاسني: سماء زكي, **"دراسات في المخطوطات العربية"** مكتبة الملك فهد الوطنية, طبعة 1999م, الرياض, ص19

يرجع تقدم الغرب في تحقيق التراث ونشره على العالم العربي إلى إنهاء سيطرة الكنيسة على الحكم وظهور ما يسمى بالثورة الصناعية وما نتج عنها من تقدم في عدة وسائل من ظهور الطباعة والآلات الحديثة التي تحتاجها أوربا في الحفاظ على المخطوط والاعتناء به من الضياع، فقد ظهرت المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي على يد العالم الألماني جونتبرج (Gutenberg)، (م1468-1397)، وكان هذا الاكتشاف إنجازاً حضارياً كبيرا ورغم السرية التي أحاط بها جوتنبرج اختراعه، إلا أن الطباعة انتشرت انتشارًا سريعًا في البلاد الأوروبية الأخرى؛ حيث ظهرت الطباعة في روما سنة 1465م، وفي البندقية سنة 1469م، وفي باريس سنة 1470م، وفي برشلونة سنة 1471م، وفي إنجلترا سنة 1474م، وفي عام 1486م عُرفت الطباعة بالحروف العربية، وطبع في عام 1505م في مدينة غرناطة كتابان بالعربية هما: وسائل تعلُّم قراءة اللغة العربية ومعرفتها، ومعجم عربي بحروف قشتالية، بتوجيه من الملك فردينان وزوجته إيزابيلا، ثم انتقلت الطباعة إلى العالم الإسلامي وكانت أول دولة عرفتها هي تركيا عند دخول المهاجرين اليهود إلى الدولة العثمانية فطُبعت التوراة مع تفسيرها في عام 1494م، وانتظر الأتراك صدور الفتوى من السلطان بالطباعة، ثم صدرت الفتوى بطباعة الكتب الأخرى دون المصحف الشريف، ثم صدر الأمر بطباعة المصحف، وانتقلت الطباعة من تركيا إلى البلدان العربية وكانت أول دولة عربية عرفت الطباعة هي لبنان، وهذا يعود إلى سنة (1610م)، عندما أنشئت المطبعة المارونية على يد رهبان دير قزوحية، وكان أول كتاب يطبع فيها هو كتاب (سفر المزامير)، ثم انتقلت إلى سوريا ثم العراق، وبعدها إلى مصر بعد حملة نابليون إليها سنة(1798م)، وتأسيس مطبعة بولاق الشهيرة.[1]

وكانت الطباعة في الدول العربية في بداية الأمر عبارة عن حملة تبشيرية خالصة، واهتم بها النصارى العرب في لبنان، ولم تطبع حينها الكتب الإسلامية نظراً لجدة هذا العمل على العالم العربي، وكان ينظر لها بأنها عبارة عن آلة لتوزيع كتب الأناجيل والتوراة، ولابد من صدور فتوى بجواز طباعة الكتب الإسلامية خصوصاً المصحف الشريف وكتب الحديث، ثم سرعان ما عرف العلماء قيمتها بعد طباعة آلاف الكتب العربية في أوربا على يد المستشرقين، ثم بعد ذلك انتشرت الطباعة في كافة أنحاء الدول العربية.

ويقال إن الطباعة عندما ظهرت في أوربا لأول مرة كان الهدف منها تكثير عدد النُسَخ من الكتاب الواحد لتسهيل قراءته لعدد كبير من الناس، إلا أن هذا العمل قد ظهر عند العرب منذ زمن بعيد، فقد كانت توضع للنسخة الواحدة من المخطوط عدة نسخ، خصوصاً إذا كان هذا الكتاب من الكتب المهمة في علم من العلوم، فعلى سبيل المثال يذكر الجاحظ أن يحي بن خالد البرمكي لم يكن في خزانة كتبه كتاب إلا وله ثلاث نسخ، ويذكر المقريزي أنه كان في خزانة العزيز بالله الفاطمي ثلاثون نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ومائة نسخة من الجمهرة لابن دريد، ومايزيد عن ألف نسخة من تاريخ الطبري.[2]

---

[1] – موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف http://www.qurancomplex.org

[2] – الطناحي: محمد محمود, " **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي**", مطبعة المدني, الطبعة الأولى 1984م, القاهرة, ص30

والدليل على هذا، أن بعض المخطوطات المهمة في الحضارة العربية لاتخلو مكتبة في العالم من وجودها في الشرق والغرب، مثل بعض التفاسير، وكتب اللغة مثل لسان العرب وغيرها، وكانت عملية النسخ، والنساخة مهنة منتشرة في العصور القديمة، وكان للنساخ شأن في تأليف الكتب، وكانت عندهم شروط لهذه المهنة كأن يكون حسن الخط، ولديه علم حتى يستطيع نسخ الكتاب إلا ما شذ منهم، وكانت هذه المهنة بمثابة المطابع في عصرنا الحاضر، ولا تخلو مدينة من المدن الكبرى من وجودها مثل بغداد ودمشق والقاهرة والأندلس وغيرها من الأمصار قديماً.

المخطوطات العربية في العالم:

أشرنا سابقاً إلى أن العالم العربي يزخر على كنز ثمين من المخطوطات القيمة وهو مالا يتوفر لأمة من الأمم، قال القلقشندي المتوفي سنة 821هـ: واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تحصر، لاسيما الكتب المصنفة في الملة الإسلامية فإنها لم يصنف مثلها في ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم[1]، ولكن أغلب هذه المخطوطات ليست موجودة على أراضيه، ومسلوبة منه بطريقة شرعية وغير شرعية، فقد أشار الدكتور أيمن فؤاد في كتابه (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)إلى أن حجم المخطوطات العربية في مكتبات العالم حسب تقدير علماء الاختصاص، بأنه هناك حوالي ثلاثة ملايين مخطوط منتشرة في كافة أنحاء العالم، منها نصف مليون مخطوط من المخطوطات القيمة.[2]

وهذه المخطوطات منتشرة في كافة أنحاء العالم تقريبا، وهي ميراث أجيال كبيرة من الأمة العربية، وأخذت منها في ظرف من الظروف تعرضت له أثناء الاستعمار، وغيرها من الوسائل التي سمحت بخروج هذه المخطوطات من العالم الإسلامي، وتعتبر اسطنبول والأناضول من أهم المناطق في العالم الموجودة بها أكثر المخطوطات، فقد بلغت نسبة المخطوطات بها أكثر من 250ألف مخطوط.[3]

وهذا نظراً لكون تركيا من الدول التي حكمت العالم العربي والإسلامي، وسيطرت على كافة خيراته من الشرق إلى الغرب ومن بينها المخطوطات، ونحن لا ننكر دور الدولة العثمانية في حماية العالم العربي، ولكن هذه الدولة دخلها في آخر عهدها كثير من الضعف بسبب فساد الحكام ونظام الدولة، وسيطرة الاستعمار على أغلب ممتلكاتها، وظهور ما يسمى بالدولة التركية الحديثة بزعامة اليهودي التركي كمال أتاتورك، وكرهه لكل ما هو عربي، وتحويل حروف اللغة التركية من العربية إلى اللاتينية، ووقفت حركة التحقيق والاعتناء بالمخطوطات العربية في عهده، ولم يظهر الاعتناء بها إلا مؤخراً بعد إنهاء حكمه، وسيطرة من لهم غيرة على الأمة الإسلامية في تركيا، رغم أن هذه المخطوطات مأخوذة من الدول العربية التي حكمتها تركيا مثل المخطوطات الجزائرية والمصرية والسورية

---

[1]- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي, **"صبح الأعشى وصناعة الإنشاء"**, دار الكتب المصرية,طبعة 1922, القاهرة, ج1, ص467

[2] – أيمن: فؤاد السيد, **"الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات"**, الدارالمصرية اللبنانية للنشروالتوزيع, الطبعة الأولى 1997م, القاهرة, ج2, ص 509

[3] – المرجع السابق, ج2, ص511

والعراقية وغيرها، ويوجد في مكتبة اسطنبول بعض المخطوطات النادرة والتي يرجع تاريخها إلى العهد الأموي والعباسي، لأن اسطنبول كانت عاصمة الخلافة، ونقل إليها كل ماهو نفيس من المخطوطات العربية، وهكذا أصبحت تركيا من أكبر الدول في العالم التي بها عدد كبير من المخطوطات العربية، وهذا ما جعل بعض المستشرقين أمثال ريتش يقيم في تركيا من أجل التعرف على أكبر عدد من المخطوطات ودراستها، وكذلك هناك مخطوطات عربية في إيران أيضاً، لكونها كانت تابعة للدول العربية والخلافة الإسلامية فترة طويلة من الزمن.

أما أوربا فهناك كثير من المخطوطات العربية موجودة في كل دولة من دول الاتحاد الأوربي تقريباً، فهناك مخطوطات في باريس وأغلبها في المتحف الفرنسي، ولا يخفى دور فرنسا الاستعماري لكثير من الدول العربية مثل المغرب العربي وسوريا ولبنان وحملة نابليون على مصر مما أتاح لفرنسا سرقة معظم المخطوطات العربية، وكذلك إسبانيا فهي الوريث الشرعي لحضارة الأندلس، فقد كانت هناك حضارة رائدة في جميع المجالات، وبعد طرد المسلمين منها وسيطرة النصارى عليها في الحروب الصليبية استولوا على كثير من المخطوطات الإسلامية في هذا البلد، ويقال إن المخطوطات الموجودة في إسبانيا غير مسموح لأي مسلم الاطلاع عليها، بخلاف المخطوطات الموجودة في غيرها من البلدان الأوربية فإنه يسمح بتصويرها ونسخها وتحقيقها.

وهناك مخطوطات معتبرة في برلين وبريطانيا وبلجيكا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية والهند، ومعظم هذه المخطوطات مأخوذة بطريقة غير شرعية من الدول العربية والإسلامية.

جهود المستشرقين في الحفاظ على المخطوطات العربية:

قبل الخوض في عناية المستشرقين بالمخطوطات العربية لابد أن نشير إلى أن كلمة مستشرق هي عبارة عن عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، والمستشرقون جماعة من علماء الغرب، وأغلبهم من الرهبان، مع اختلاف دياناتهم فمنهم اليهود والنصارى والملحدون – وهذا أكبر اختلاف بيننا وبينهم – ومنهم من أسلم فيما بعد،[1] وهناك تعاريف كثيرة للاستشراق والمستشرقين، ولكن هذا تعريف مختصر نكتفي به نظرا لخصوصية هذا البحث، ومن أراد فعليه بكتاب المستشرقون لنجيب عقيقي.[2]

والعلماء مختلفون اختلافا شديدا في الاشادة بهم، فمنهم من أنكر دورهم وجرحهم، ومنهم من أثنى عليهم ومدحهم، وفي الحقيقة أن لهم دورا كبيرا في تحقيق المخطوطات ونشرها لا ينكره منصف في تحقيق المخطوطات والحفاظ عليها، وجل علمائنا يكنون لهم هذا الاحترام والتقدير وفي جهدهم في الحفاظ على تراثنا، وإن كنا نحن أولى بالمحافظة عليه من غيرنا، ولكن هناك عوامل جعلتنا لا نعرف قيمته إلا مؤخراً، ولولا هذا العمل الذي قام به المستشرقون لضاع معظم تراثنا، فأجدادنا تركوا لنا هذه المخطوطات القيمة منتشرة في المساجد والزوايا لكي نستفيد منها نحن والأجيال اللاحقة وهي في نظرهم وقف لله تعالى، ولكنها تعرضت للحرق وللعبث من طرف

---

[1] – أي أسلم بعد تحقيقه لعدد كبير من كتب التراث, ووصوله إلى حقائق عن الدين الإسلامي.

[2] – كتاب ضخم عن المستشرقين في ثلاثة أجزاء, طبع عدة مرات, انظر: العقيقي: نجيب, "**المستشرقون** ", دار المعارف, الطبعة الرابعة 2006م, القاهرة, ج3, ص 598

أشخاص لا يعرفون قيمتها، فكثيراً من حُراس المساجد والقائمين عليها كان يجعلها وقوداً للنار بدل الحطب، ناهيك إلى ما تتعرض له من العومل الطبيعية التي تساهم في اتلافها بشتى الوسائل،[1] فأخذ المستشرقون وأعوانهم هذه المخطوطات وحافظوا عليها بشتى الوسائل المادية والمعنوية بالإضافة إلى دراستها وتحقيقها، مما جعلها محفوظة في مكتباتهم إلى يومنا هذا، والعدد الذي أخذوه من المخطوطات العربية لايحصى، فهناك ربع مليون مخطوط في المكتبات الأوربية، فمثلاً يقال إن فهارس المخطوطات العربية في مكتبة برلين أكثر من عشر مجلدات ضخمة، وإن هناك مستشرقا أهدى إلى مكتبة جامعته أكثر من 6000 مخطوط،[2] فهذا شخص واحد فقط أهدى هذا العدد فكيف بالبقية!؟

ودفعهم إلى الاعتناء بالمخطوطات العربية عدة عوامل، من بينها ظهور الثورة الصناعية في أوربا وما نتج عنها من ازدهار في الحياة السياسية والاجتماعية مثل اكتشاف الطباعة كما ذكرنا سابقاً، ووقوع العالم العربي في قبضة الاستعمار، وكثيرا من المستشرقين جاء إلى البلاد العربية مع الاستعمار مثل حملة نابليون على مصر، وهناك من دعوا إلى البلاد العربية للتدريس فيها مثل ما فعله محمد علي عندما استدعى جماعة من المستشرقين للتدريس في المدارس والمعاهد المصرية، للاستفادة منهم في شتى العلوم، ومحاولة نقل ما عندهم من ثقافة إلى العالم العربي، والعكس صحيح فهناك بعض المستشرقين دعوا بعض العلماء العرب للتدريس في جامعاتهم، والاستفادة منهم في تحقيق المخطوطات ونشرها، ومنهم الشيخ حسن العدل الذي كان مدرساً للغة العربية في المدرسة الشرقية ببرلين، والشيخ محمد عياد الجوهري الذي دعي إلى التدريس بجامعة لينغراد بروسيا، والشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان الذي استعان به كثير من المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية أمثال المستشرق الأمريكي لويس نيكول، وغيرهم كثير.[3]

ومن دوافعهم أيضاً تقدم الحضارة العربية على غيرها من الحضارات في القديم، فقد أمدت إلى الصين شرقاً ووصلت إلى متاخم فرنسا غرباً، فأخذ الغرب هذه المخطوطات واعتنوا بها ودرسوها واستفادوا منها في نهضتهم العلمية، ووصل اهتمام المستشرقين بالتراث العربي إلى فتح تخصصات في جامعتهم تهتم بدراسة الآداب الشرقية، واللغة العربية بصفة خاصة ودراسة العلوم العربية والآثار الفكرية كما في جامعة السربون بفرنسا وإكسفورد بانجلترا، واستعانوا بالعلماء العرب في تحرير النصوص ونشرها، مثل استحداثهم لوظيفة (قارىء النصوص) بجانب الأساتذة والمحاضرين في الجامعات[4]، ثم أنتقلت هذه الفكرة إلى العالم العربي، وظهر في الجامعات العربية علم المخطوط، وعلم الاستشراق ودراسة المستشرقين، وأصبحت تمنح الشهادات العليا في تحقيق المخطوطات بعدما كانت حكراً على دور النشر والتجار.

---

[1] – المرجع السابق, ج3, ص611

[2]- دياب: عبد المجيد, **"تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"** دار المعارف, الطبعة الثانية 1993م, القاهرة, ص 187

[3] – دياب: عبد المجيد, **"تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"**, مصدر سابق, ص 184

[4] – التونجي: محمد, " **المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات"** دار عالم الكتب, دمشق, ص20

ورغم العمل الذي قام به المستشرقون في الحفاظ على المخطوطات العربية إلا أننا نجد الكثير منها قد ضاع، فلو رجعنا إلى (الفهرست لابن النديم)، وكتاب (كشف الظنون) لوجدنا الكثير من المؤلفات القيمة قد ضاعت، وهذا بسبب عدة عوامل من بينها الحروب التي توالت على العالم العربي، وما فعله هولاكو في بغداد خير شاهد على هذا.

أما أشهر المستشرقين الذين قدموا خدمة جليلة للتراث العربي، نذكر على سبيل المثال كارل بروكلمان(1868 – 1956م) المستشرق الألماني الذي ألف كتابه الشهير (تاريخ الأدب العربي) الذي يعد كتاباً مهما في ذكر المخطوطات وأماكن وجودها في البلدان العربية أو الأوربية، وهو أول من ألف في هذا الفن، والكتاب بالألمانية ثم ترجم إلى العربية، ثم جاء بعده العالم الألماني من أصل تركي فؤاد سزجين وكتابه العظيم (تاريخ التراث العربي) وهو بالألمانية أيضاً، واعتمد فيه على المستشرق بروكلمان وزاد عليه، وهو من تلامذة المستشرق الألماني هلموت ريتر، وكان يُدرِس التاريخ في جامعة فرانكفورت.[1]

وكذلك المستشرق الإنجليزي وليام رايت الذي نشر الكامل للمبرد في سنة 1864م، والمستشرق الألماني جوستاف يان الذي نشر المفصل لابن يعيش سنة 1882م، وكان متمكنا في النحو إلى درجة أنه ترجمة الكتاب لسيبويه إلى اللغة الألمانية 1895م والمستشرق الفرنسي دير نبورج الذي نشر الكتاب لسيبويه في باريس في مجلدين، أولهما سنة 1881م والثاني سنة 1889م، والمستشرق الألماني قستنفيلد الذي نشر سيرة ابن هشام سنة 1899م.[2]

وللتذكير فإن المستشرقين الذي عنوا بدراسة التراث العربي أكثر من هذا بكثير ولا يتسع المجال لذكرهم في هذا البحث خشية الخروج عن الموضوع، أما المنهج في دراستهم فكان منهج علمي رصين، وهذا المنهج ظهر في أوربا وطبقه المستشرقون على دراسة التراث العربي، وساعدهم على الدراسة عدة أشياء من بينها إتقانهم لعدة لغات، فنجد المستشرق يجيد أكثر من خمس لغات على الأقل، ومنهم من يتقن أكثر وقد وصل فيهم من يتقن خمسة عشر لغة ولهجة، وكذلك سعة ثقافتهم واطلاعهم، فكان المستشرق يتنقل بين الدول والمكتبات العالمية للبحث عن المخطوطات وجمعها، وساعدهم في ذلك توفير الوسائل المادية والمعنوية، وكان معظمهم متخصصا في فن معين، فهذا في التاريخ وذاك في الفلسفة...وكانت عندهم ميزة الصبر في التحقيق، فمنهم من بقي في تحقيق مخطوطة أكثر من عشرين سنة ومنهم من أفنى عمره في التحقيق ومات ولم يكمل الدراسة، وكان المستشرق يدخل إلى مكتبة المخطوطة يشتغل في اليوم أكثر من ستة عشر ساعة كاملة في التحقيق بدون كلل أو ملل.[3]

فهذه نبذة عن جهود المستشرقين في دراسة التراث العربي ونشره، وقد اعتنوا بهذا التراث خدمة لحضارتهم، ولولم يجدوا فيه ضالتهم ماصرفوا له كل هذا الاعتناء من جمع المخطوطات العربية وصيانتها وفهرستها والتعريف بها

---

[1] – دياب: عبد المجيد, "**تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**" مصدر سابق, ص 190

[2] – عبد التواب: رمضان, "**مناهج تحقيق التراث بين القدمى والمحدثين**" مطبعة المدني, الطبعة الأولى 1985م, القاهرة, ص57

[3] – انظر: العقيقي: نجيب, "**المستشرقون** ",مصدر سابق, ج3, ص 601

ثم دراستها وتحقيقها ونشرها، وقد أنشأوا لذلك المؤسسات الحكومية والخاصة، وفتحوا تخصصات في الجامعة لدراسة التراث العربي، وتضافرت جهودهم من مختلف جنسياتهم على نشر الموسوعات التراثية، وعقد المؤتمرات العلمية، وإصدار المجلات والدوريات ودوائر المعارف، وتوثيق العلاقات بالعلماء العرب في كل مكان.

موقف الجامعات العربية من نشر التراث:

إن الدول العربية تزخر بمخطوطات كثيرة لاحصر لها، وللأسف الشديد أغلب المخطوطات القيمة موجودة في مكتبات الدول الغربية، وهذا نظرا لتقدمهم علينا في شتى المجالات، وقيام النهضة العلمية عندهم قبلنا، وهم من سارعوا إلى الكشف عن هذه المخطوطات والاعتناء بها قبلنا، ونحن كنا نعيش في سبات عميق عنها، وقد أَشرت سابقاً إلى هذا الكلام، فالغرب عندما أخذ المخطوطات جعل لها كراسي للدراسة وفتح تخصصات كثيرة تخدمها، ووضع المناهج العلمية الحديثة لدراستها سواء في جامعته، أو مكتباته الوطنية، وكان أول من ساهم في الحفاظ على المخطوط في أوربا هي الجامعات الغربية، ثم انتقلت هذه الفكرة إلى الدول العربية، يقول الكاتب اللبناني نجيب العقيقي في نشأة جامعة السوربون في فرنسا: بدأت بهبة الأب روبر دي سربون، وضمها نابليون إلى جامعة باريس1808م، وقد عنى فيها معهد الآداب بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، وتاريخ الشعوب الشرقية ودراسات في اللغة والحضارة العربية، ثم أُلحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية، وكانت جامعة ليون تدرس اللغة العربية والآثار المصرية والتمدين الإسلامي، ولم تقتصر فرنسا في تعليم اللغات السامية والحضارة العربية على مدارسها ومعاهدها وجامعاتها في فرنسا، بل أنشئت مثيلاتها في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وغيرهما، وزودت معظمها بالمكتبات والمطابع والعلماء والمجلات، منها معهد مصر الذي أسسه نابليون سنة1798م، ثم المعهد الفرنسي في دمشق سنة 1922م، ثم معهد قرطاج في تونس سنة 1895م، ثم مدرسة الآداب العالية في الجزائر الذي أسسها فاري سنة 1881م وتحولت فيما بعد إلى جامعة الجزائر سنة1909م، وتعنى باللغة العربية العصرية والتراث الإسلامي والتاريخ.

ثم أدخلت فرنسا سنة 1957م على برامجها في التعليم الثانوي، مواد جديدة عن الحضارات الكبرى وتطور الشرق التاريخي، فأصاب العرب والإسلام منها حظ موفور.[1]

فهذه فقط دولة من دول الغرب وهي فرنسا رأينا كيف اهتمت بالمخطوطات وقامت بدراستها داخل جامعاتها، وإنشاء فروع لها في مستعمراتها، ناهيك عن بقية الدول الغربية مثل بريطانيا وألمانيا وإسبانيا...وفعلاً ارتبطت حركة التحقيق والنشر عند المستشرقين بالجامعات والمعاهد العلمية ارتباطاً وثيقاً، مما جعل دراساتهم للمخطوطات تقوم على منهج علمي رصين، منذ النهضة الأوربية إلى يومنا هذا، وكانت الجامعات عندهم تحتوي على مكتبات ضخمة من التراث، وظلت هذه المكتبات الجامعية تحتفظ بهذا التراث إلى أن ظهرت فكرة المكتبة

---

1 – أنظر: العقيقي: نجيب, "**المستشرقون** ", مصدر سابق, ج1, ص141 بتصرف

الوطنية، فانتقلت مسؤولية الحفاظ على تراث الأمة من المكتبة الجامعية إلى مكتبة واحدة تعد أم المكتبات في أي دولة من الدول وهي المكتبة الوطنية[1]

أما الجامعات العربية فتحقيق المخطوطات يكاد يغيب في أغلبها، وفي بعضها محصور على الدراسات العليا فقط، وتُعطى درجة الماجستير والدكتوراه على تحقيق مخطوط من الخطوطات وهذا نادر لعدم توفر الظروف التي تساعد الطلبة على اختيار هذا العمل، لأن الجامعات التي تسمح للطلبة باختيار تحقيق المخطوط، لا تساعده في الحصول على هذا المخطوط أو النُسخ المتوفرة له، وكذلك في أغلب التخصصات التي تدرس في الجامعات العربية، لا يدرس الطالب التخصصات الخاصة بعلم المخطوط كمناهج التحقيق وكيفية قراءة المخطوط وأنواع الخطوط، وكيفية الاستفادة من الفهارس والمراجع التي تعنى بأماكن المخطوطات وتكاليف السفر للبحث عن المخطوط، وإن حقق الطالب مخطوطاً ولو كان قيما لا تساعده الجامعة في نشره، بل يذهب لدور النشر التجارية ويدفع أثمان باهضة لنشره، وهناك مادة (مناهج البحث) والتي تدرس لطلاب الجامعات العربية، ولكنها لا تهتم بالمخطوط، وإنما بالبحث العلمي العام فقط، وقد أقرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في 13 ديسمبر سنة 1971م توصية للدول العربية بشأن إدخال التحقيق العلمي للمخطوط ضمن المنهج الدراسي في مرحلة التعليم الجامعي ليسانس[2]، ولكن هذه التعليمة لم تطبق في كل الجامعات العربية، مما يؤدي إلى عزوف الطلاب في الدراسات العليا وغيرها في الجامعات العربية من اختيار هذا الاتجاه (تحقيق المخطوط)، وبعض الجامعات العربية لاتسمح للطالب في جميع مراحل الدراسة من الليسانس حتى الدكتوراه باختيار طريق تحقيق المخطوط في البحث العلمي، وبعضها لاتوجد بها مكتبة للمخطوطات أصلاً، ولا تهتم بهذا الجانب من اقتناء المخطوطات ودراستها ونشرها، هذا بالنسبة للطلبة، أما بالنسبة للأساتذة الباحثين، فقد قبلت بعض الجامعات العربية منح درجة الماجستير والدكتوراه للطلاب في تحقيق المخطوط، ولكن لا تمنح الترقية العلمية للأستاذ عندما يقوم بتحقيق مخطوط، وهذا يدل على عدم إعطاء أهمية لتحقيق المخطوطات في العالم العربي، ونحن نرى كبار العلماء في الغرب من محققي المخطوطات مثل المستشرقين وغيرهم.

وبظهور فكرة المكتبة الوطنية في العصر الحديث وإسناد مهمة جمع المخطوطات والحفاظ عليها لها، نجد بعض الدول العربية لم تعرف فكرة المكتبة الوطنية إلى اليوم! وفي بعضها نجد المكتبة الجامعية أكبر بكثير من المكتبة الوطنية من حيث الحجم والميزانية والعمال، فمثلاً مكتبة جامعة الرياض أكبر بكثير من المكتبة الوطنية في المملكة العربية السعودية، وهذا راجع لعدة عوامل، من بينها أن فكرة المكتبة الوطنية ظهرت حديثاً، والمكتبة الجامعية أقدم بكثير منها، والتبعية تختلف، فالمكتبة الوطنية تتبع وزارة الثقافة في الدولة ومهمتها تجميع الإنتاج الفكري للدولة قديمه وحديثه وتيسيره للأجيال للاستفادة منه، والمكتبة الجامعية تتبع وزارة التعليم العالي ومهمتها خدمة برامج

[1] – الحلوجي: عبد الستار, **"المخطوطات والتراث العربي"** الدار المصرية اللبنانية, الطبعة الأولى2002م, القاهرة , ص58

[2] – دياب: عبد المجيد, **"تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"**, مصدر سابق, ص308

التعليم العالي في جميع المراحل (الليسانس، الماجستير، الدكتوراه) ودراسة كتب التراث دراسة علمية ونشرها، وليس مهمتها جمع المخطوط فقط[1].

فدور الجامعة في الحفاظ على المخطوطات محدود بعد ظهور المكتبة الوطنية، ولكن لا ينفي أن تكون علاقة تكامل بين الجامعة والمكتبة الوطنية، وهذا ما نجده في الغرب بعد نقل المخطوطات من مكتبات الجامعات إلى المكتبة الوطنية، أصبحت مكتبة الجامعة تحتفظ بنسخ مصورة من تلك المخطوطات، وتحاول مساعدة المكتبة الوطنية بنشر المخطوطات وتحقيقها وحث الطلاب والباحثين على ذلك، وجلب مزيد من التراث بسبب العلاقة التي تقيمها الجامعة بغيرها من الجامعات ومراكز التراث في الشرق والغرب، وتوعية الهيئات والأفراد بتسليم ما عندهم من مخطوط لهذه المكتبة بطريق الإهداء أو البيع، على أساس أن ذلك واجبا وطنيا، وأن المخطوط ميراث أمة قبل أن يكون ميراث فرد، وكونه في مكتبة الدولة أصون من أن يكون عند الفرد ويعم انتفاعه الجميع[2].

إن من مهمة الجامعات العربية بالدرجة الأولى تحقيق ونشر التراث، مثل ما فعلت الجامعات الغربية، وليس مثل ما حصل في بعض الدول العربية حيث كان التحقيق والتأليف يتم على يد جماعة ليس من أهل الاختصاص، وكان هذا في بعض المطابع التجارية حتى تجد التحقيق غير ممنهج ومليء بالأخطاء بأنواعها، فالجامعات في مختلف العصور هي الراعي الرسمي لدراسة التراث والمحافظة عليه ونشره، وأن يكون للجامعة دار نشر، وقد بدأت بعض الجامعات في جعل دور نشر خاصة بها مثل جامعة الجزائر والرياض والقاهرة...، فتحقيق التراث عندما يتم عن طريق الجامعة يكون أحسن من يحققه شخص ليس من أهل الاختصاص، ويكون غرضه الربح السريع، ودار النشر الجامعية أحسن من دار النشر التجارية، يقول الكاتب اللبناني نجيب العقيقي: "وإذا كان الناشر التجاري، لا يقدم على طبع كتاب إلا إذا حقق له الربح السريع، فإن من واجب الجامعات العربية، أن تنشط لحمل هذا العبء والنهوض به، وأن تجعل من مزانيتها نصيباً مفروضاً لنشر التراث وإذاعته، وأن يكون ذلك على يد بعض خِرِّيجيها، الذين يُعَدُّون لذلك إعداداً خاصًا من أول يوم يدخلون فيه الجامعة"[3].

والتقدم في تحقيق التراث يختلف بين الدول العربية، وتعد جامعة القاهرة – والتي كانت تسمى جامعة فؤاد الأول سابقا – من أول الجامعات العربية في تحقيق المخطوطات، وهذا نظرا لعدة أسباب من بينها، حملة نابليون على مصر، وكانت متأثرة في الأول بمناهج الأستشراق، لأنهم كانوا من وراء النشر، وكانوا يعملون في الجامعة، واستعان بهم محمد علي في التدريس ونقل الحضارة العلمية لمصر كما ذكرت سابقاً، وكانت جامعة القاهرة تقوم بابتعاث طلاب من مصر إلى أوربا للالتقاء بالمستشرقين والدراسة بالجامعات الأوربية، ومحاولة التعرف على المناهج الأوربية في التحقيق ونقلها إلى الجامعات المصرية، وكانت بعض الأقسام بجامعة القاهرة في فترة من الفترات تطلب

[1] – الحلوجي: عبد الستار, "**المخطوطات والتراث العربي**", مصدر سابق, ص59

[2] – المرجع السابق, ص62

[3]– العقيقي: نجيب, "**المستشرقون** ",مصدر سابق, ج1, ص283

من كل صاحب رسالة أن يحقق نصا قديماً يتصل بموضوع بحثه، وهو جزء مكمل لأي رسالة تقدم للدراسات العليا، ولكنه عدل عليه مؤخراً.(1)

ثم توالت بعض الجامعات العربية بتجربة جامعة القاهرة، ولكن يبقى النقص دائما يخيم على العالم العربي في تحقيق مخطوطاته ونشرها، لأن هناك الكثير من الدول العربية التي لم تعرف المكتبة الوطنية إلى حد الآن، وفي بعضها توجد بها مكتبة وطنية، ولكن عدد المخطوطات بها قليل، ويوجد في المكتبات العامة والخاصة والزوايا والجوامع والأفراد الكثير من المخطوطات ولكنه مشتتٌ، ولم يتم إلى حد الساعة النظر إليه أو جمعه وحفظه من الحشرات وغيرها من وسائل الإتلاف، أما أغلب الجامعات العربية فليس بها مكتبة للمخطوطات أو فرع من المكتبة للعناية بالمخطوط، مع أن للجامعة مسؤولية ودوراً كبيراً في حفظ التراث كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

الخاتمة

من خلال هذه الاستبانة يتبين أن الأمة العربية تحتوي على تراث ضخم من المخطوطات أكثر من غيرها من الأمم، وهو مكتوب باللغة العربية وهي لغة القرآن ولغة الدين والمسلمين مهما اختلفت أجناسهم، وهي خالدة على مدى أربعة عشر قرن من الزمن إلى اليوم، ولكن معظم هذا التراث هو في غير البلاد العربية، وما هو موجود بها يعاني عدة مشاكل من بينها الإتلاف والضياع وحالة التخزين المتردية للمخطوطات في كثير من البلدان العربية والإسلامية، وتسربه إلى البلاد الغربية بواسطة ذوي النفوس الضعيفة التي تبحث عن المادة فقط، والكثير منه غير معروف، خصوصاً الموجود داخل البلاد العربية بسبب عدم جمعه وفهرسته والاعتناء به، ويختلف هذا الاهتمام من دولة لأخرى، ونحاول أن نستغل هذه المناسبة بدعوة كل دولة عربية إلى جعل فهرسة للمخطوطات التي عندها، ثم أخيراً تجمع في فهرسة واحدة حتى يتسنى لكل باحث الاطلاع عليها والاستفادة منها، وأن يكون تعاون بين الجامعات العربية في تحقيق المخطوطات وتصويرها وتبادل النسخ والمعلومات فيما بينها، وبين المراكز والجامعات الغربية المحتفظة بالمخطوطات العربية، وتشجيع الهيئات والمراكز الحكومية ومعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية على القيام بذلك.

ومن الغريب في الأمر أن نجد من فهرس للمخطوطات العربية واهتم بهذا الفن، كارل بروكلمان المستشرق الألماني وكتابه (تاريخ الأدب العربي) وكذلك الألماني من أصل تركي فؤاد سزجين وكتابه(تاريخ التراث العربي) وكلاهما غير عربي، وإلى الآن يعد هذان الكتبان من أهم المراجع للتعريف بالمخطوطات العربية ومكان وجودها، ويمكن أن نؤلف من هو أحسن منهما ولا نكتفي بترجمتهما والاعتماد عليهما، والحديث عن تراثنا ومخطوطاتنا كثير، والأمة العربية ينقصها خطة متكاملة المعالم والوضوح للنهوض بتراثها، وإخراجه من الفوضى التي يعاني منها، وبحث قصير مثل هذا لا يكفي أن يحيط بهذا الصرح الضخم من التراث الذي يحتاج إلى الكثير من الجهود

---

[1] – دياب: عبد المجيد, **"تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"** مصدر سابق, ص 110

والدراسات المخلصة للنهàوض به، ومعرفة قيمته والذي كان ولا يزال دعامة أساسية من الدعامات التي قامت عليها حضارة الإنسان في العصر الحديث.

قائمة المصادر والمراجع

- أيمن: فؤاد السيد، **"الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات"**، الدارالمصرية اللبناية للنشروالتوزيع، الطبعة الأولى 1997م، القاهرة.
- بدوي: عبد الرحمان **"دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"**، ترجمة عن الأنكليزية والفرنسية والألمانية، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى 1979م، بيروت
- دياب: عبد المجيد، **"تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره"** دار المعارف، الطبعة الثانية 1993م، القاهرة.
- التونجي: محمد، " **المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات"** دار عالم الكتب، دمشق.
- عبد التواب: رمضان، **"مناهج تحقيق التراث بين القدمى والمحدثين"** مطبعة المدني، الطبعة الأولى 1985م، القاهرة.
- الحلوجي: عبد الستار، **"المخطوطات والتراث العربي"** الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى2002م، القاهرة.
- الحلوجي: عبد الستار، " **المخطوط العربي"**، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام 1998م، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى2002م، القاهرة.
- الحفيان: فيصل، **"فن فهرسة النخطوطات، مدخل وقضايا"**، معهد المخطوطات العربية، طبعة 1999م، القاهرة.
- الطناحي: محمد محمود، " **مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي"**، مطبعة المدني، الطبعة الأولى 1984م، القاهرة.
- الطوبي: مصطفى، **"مقالات في علم المخطوطات"**، الطبعة الأولى 2000م، الخزانة الملكية، الرباط.
- العقيقي: نجيب، **"المستشرقون "**، دار المعارف، الطبعة الرابعة 2006م، القاهرة.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، **"صبح الأعشى وصناعة الإنشاء"**، دار الكتب المصرية، طبعة 1922، القاهرة.
- كليب: فضل جميل،**"المخطوطات العربية فهرستها علمياً وعملياً "** بمشاركة فؤاد عبيد ومحمودأتيم ومحمد بحيص، دار جرير، الطبعة الأولى 2006م، عمان، الأردن

- المحاسني: سماء زكي، **"دراسات في المخطوطات العربية"** مكتبة الملك فهد الوطنية، طبعة 1999م، الرياض.
- المنجد: صلاح الدين، **"قواعد تحقيق المخطوطات العربية"**، دار الكتاب الجديد، الطبعة السابعة1987م، بيروت لبنان.
- النشار: السيد السيد، **"في المخطوطات العربية"**، دار الثقافة العلمية الأسكندرية، 1997م، القاهرة.
- عبد الهادي: محمد فتحي، **"التراث المخطوط دليل ببليوجرافي بالإنتاج الفكري العربي"**، مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي 2009م، الأسكندرية، مصر.
- ابوهيبة: عزت ياسين، **"المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية"**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة 1989م، القاهرة
- يوسف: السيد مصطفى، **"صيانة المخطوطات علماً وعملاً"**، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية 2002م، القاهرة.

- **المواقع الإلكترونية:**

- موقع اسلام ويب: http://www.islamweb.net
- موقع جامعة الإسكندرية، المكتبة المركزية: http://www.auclib.edu.e
- موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: http://www.qurancomplex.org
- موقع معهد المخطوطات العربية: http://www.makhtutat.net
- موقع الدكتور يوسف زيدان للتراث والمخطوطات: http://www.ziedan.com

منهج المستشرقين في حفظ وتحقيق المخطوطات العربية –المستشرق جوتهلف برجستراسر أنموذجا–

د.عبد اللطيف حني

مفتتح:

إن تطور الأمم مرتبط بماضيها وما يشتمل عليه من قيم وآداب وأخلاق وعلوم، وبمدى التوفيق بين هذه المقومات وعصرها، وحري بكل أمة أن تعتني بموروثها العلمي، وذلك بالاهتمام بعلم تحقيق التراث وحفظه من الضياع والتلف وإخراجه من صفة المخطوط إلى المطبوع لكي يتسنى له السفر عبر الأزمنة المقبلة بأمان.

وقد قدمت الكثير من الدول العربية والإسلامية جهودا في سبيل حفظ وتحقق المخطوطات، لكنها تبقى قاصرة أمام كمها وعددها الكثير، الذي ينتظر الخروج للنور ووضعه بين يدي المختصين للاستفادة منه علميا، لذا تجند الكثير من الدارسين والمهتمين بالتراث العربي الإسلامي لحفظ وتحقيق مخطوطاته ومنهم المستشرقون (برجستراسر، بلاشير، سوناجيه، بروكلمان...) الذين قدموا أعمالا رائدة وخدمات جليلة وهامة في هذا المجال وغيره خدمة للغة العربية والتراث الإسلامي.

وعليه تستمد هذه المداخلة شرعيتها في تسليط الضوء على أعمال وجهود المستشرقين في حفظ وتحقيق التراث العربي الإسلامي، متخذة من المستشرق الألماني جوتهلف برجستراسر نموذجا وذلك بكشف منهجه في تحقيق المخطوط من خلال كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وهو عبارة عن محاضرات ألقاها برجستراسر على طلبة الماجستير بجامعة القاهرة سنة1931م، ولقد حظي برجستراسر بتقدير علمي في هذا المجال، فمحاضرات كانت مطمح أنظار جميع العلماء وعلى رأسهم الدكتور طه حسين الذي كان حريصا على حضورها، وستحاول المداخلة التعرض لمنهجه المراعي جهود سابقيه ومؤسسا لمن يأتي بعده، المعتمد على ثلاثية: النسخ، النص، العمل والإصلاح في التعامل مع المخطوط موضحا الخطوات العامة والدقيقة للعمل الصحيح بطرقة يسيرة وممتعة، كما نبين قيمة الكتاب العلمية لدى المختصين بهذا العلم وثمرة جهد مؤلفه.

جهود المستشرقين والعرب في تحقيق المخطوط:

إن العناية بالتراث العربي كان ولازال ضرورة تضطلع بها النفوس الغيورة على تاريخ أمتها وعلومها، فكان علم تحقيق المخطوط من العلوم التي قيضت للعلماء والدارسين الاطلاع على مختلف النفائس والذخائر العلمية التي ورثها السلف عن الخلف، فالتحقيق «علم من جهة، وصناعة وإصلاح من جهة أخرى»(1)، وترجع أصوله التاريخية إلى أوروبا في القرن الخامس عشر بعد الميلاد، وذلك حين عاد العلماء والدارسون والنقاد إلى المصنفات اليونانية واللاتينية، واهتموا بإحياء علومها قصد الاستفادة منها في النهضة الأوروبية فيما بعد، فقد شكلت هذه المخطوطات إرثا عظيما بالنسبة للأوربيين، ومصدرا هاما لثقافتهم العلمية والأدبية، إذ «كانوا يومئذ إذا وجدوا

كتابا من كتب القدماء قاموا بطبعه: لا يبحثون عن النسخ الأخرى لهذا الكتاب، ولا يصححون إلا أخطاءه البسيطة، فلما ارتقى علم الآداب القديمة، عمدوا إلى جمع النسخ المتعددة لكتاب من كتب القدماء، وإلى المقابلة بين هذه النسخ المتعددة وكانوا كلما تخالفت النسخ في موضع من المواضع اختاروا إحدى الروايات المختلفة ووضعوها في نص الكتاب، وقيدوا ما بقي من الروايات في الهوامش، ولكنهم مع ذلك تعمدوا الانتقاء المهم منها واستنجوا اصطلاحات حدسية، يخالفون بها ما هو مروي في النسخ»[2].

إن الطريقة المعتمدة من طرف الأوروبيين آنذاك تثبت بداية هذا العلم الذي خطى خطواته الأولى معتمدا على هدف واحد هو إخراج هذه المخطوطات والنسخ إلى الهيئة المتداولة بين الناس، وباستطاعتها في شكلها الجديد القديم استئناف رحلة الحياة الطويلة وحمل رسالتها إلى الأجيال القادمة، لكن رغم هذه البداية «إلا أنهم في كل ذلك لم يكن لديهم منهج معلوم، ولا قواعد متبوعة، لأنهم لم يكونوا قد فكروا تفكيرا نظريا في تصحح الكتب، وأي الطرق تؤدي إليه، أيها لا يؤدي بل قد تؤدي إلى غرض باطل فاسد»[3].

ومازال دأب الأوربيين على هذا العمل حتى أواسط القرن التسع عشر أينما تفطنوا إلى تقنين هذا العلم، ووضع قواعد وأسس لنشر ونقد هذه النصوص والكتب القديمة، معتمدين في ذلك على الآداب اليونانية واللاتينية، ثم آداب القرون الوسطى الغربية، وبذلك خطى هذا طريقه نحو التشكل والتمظهر واتخذ لنفسه قواعد وأسس علمية سار على إثرها العلماء واستأنسوا بها في نشر الكتب وتحقيقها[4].

وقد عمل المستشرقون بهذه القواعد والأسس العلمية التي تسعى إلى تحقيق الكتب العربية والمشرقية، موظفين خبراتهم السابقة في هذا الميدان، ومسخرين ثقافتهم بالآداب والعلوم اليونانية القديمة في تحقيق ونشر الكتب العربية، إلا «أنهم لم يؤلفوا في ذلك كتابا خاصا يشرح الطريقة ويبين خطواتها، لذلك بقي هذا العلم محورا بين الذين لديهم معرفة واطلاع على آداب اللغات القديمة اليونانية واللاتينية.

ويعد المستشرق الألماني الدكتور برجستراسر (Bergstraesser) من الرواد الذين ألفوا وخاضوا في هذا الفن، وذلك من خلال المحاضرات التي ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1931م، حيث لقنهم أسس وطرق هذا العلم، وهي التي جمعت في كتابه (أصول نقد النصوص ونشر الكتب) الذي سنتخذه نموذجا للتطبيق.

وهذا ما يؤكد السبق الذي حققه المستشرقون في هذا المجال، إذ «هم أولمن عنوا بوضع الأصول والقواعد المتعلقة بتحقيق المخطوطات، وأخرجوا بعضها، ككتاب الفهرست لابن النديم، الذي حققه فلوجل سنة 1871، ومعجم البلدان ليقوت الحموي، الذي حققه فستفلد سنة 1868»[5].

ولعل المستشرقان الفرنسيان بلاشير(R.Blachére) وسوفاجيه (J.Souvaget) أول من قدما عملا جديا وحقيقيا بعد برجستراسر (Bergstraesser)، وذلك حين أخرجا كتيبا بالفرنسية تحت رعاية جمعية (جيوم بوده)، في فن نقد النصوص ونشر الكتب تحت عنوان (قواعد نشر النصوص وترجمتها) [6] سنة 1954، لكن هذا الكتيب خصص أغلبه بشرح طريقة ترجمة الكتب وقواعدها من العربية إلى الفرنسية، وأقتصر على قواعد مختصرة

وإشارات في علم التحقيق مستغنيا عن الأمثلة التوضيحية والنماذج التي تأخذ بيد الطالب لهذا الفن إلى الممارسة الصحيحة والسليمة[7].

وقد قدمت بعض النقاد العرب جهودا بعد ذلك تأصل لهذا الفن وتحاول المشاركة في رسم ملامحه وإبرازه معالمه انطلاقا من الخبرة الأوروبية، حيث تحدث الدكتور محمد مندور بشكل موجز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية عند نقده لكتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتي في العددين من 277 و280 من مجلة الثقافة بالقاهرة سنة 1944، الذي أعاد نشره في كتابه الميزان الجديد.

وعند نشر كتاب (تاريخ مدينة دمشق) سنة 1951 من طرف اللجنة العلمية للمجمع العلمي العربي بدمشق تطرقت في مقدمته لقواعد وأسس تحقيق الكتب بشكل مختصر موجز كما تحدث الدكتور إبراهيم بيومي مدكور عن بعض قواعد نشر الكتب التي استهل بها مقدمة التي وضعها لكتاب (الشفاء) لابن سينا، سنة 1953.

بعد هذه الجهود التي كانت تشير بشكل مقتضب وموجز لفن نشر وتحقيق الكتب والنصوص، ينشر الأستاذ عبد السلام هارون كتابا بالقاهرة سنة 1954 م – 1374هـ تحت عنوان (تحقيق النصوص ونشرها)، و«كما يذكر مؤلفه في مقدمته هو ثمرة كفاحه وتجاربه في نشر النصوص القديمة، وهو مجهود لا بأس به، ولكنه مع ذلك لم يحط بالموضوع، وقد أعيد طبعه سنة 1965، وكتب على غلافه (تمتاز بإضافات هامة)، وإن كانت لا تختلف في جوهرها عن الطبعة السابقة»[8].

ويبادر الدكتور صلاح المنجد بنشر كتابه (قواعد تحقيق النصوص) في الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة سنة 1955 حيث تحدث أصول التحقيق مشيدا بدور المستشرقين وسبقهم العلمي في وضع أسس هذا الفن« وقد استقى الدكتور المنجد القواعد التي ذكرها في مقاله من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية بوده الفرنسية ومن قواعد المحدثين والقدامى فيضبط الروايات، ومما نشر في هذا الموضوع من قبل»[9].

هذا نبذة وجيزة عن دور المستشرقين والعرب في إظهار وإبراز فن نشر وتحقيق الكتب الذي يضرب بجذوره إلى قرون بعيدة لأهميته ودوره في تحريك عجلة الثقافة والآداب والفنون، ويبدو أن للمستشرقين دور عظيم في إرساء قواعد هذا العلم من خلال ما تقدم من أعمالهم المبكرة والتي كانت بداية اتبعها الأدباء والنقاد لابتكار أسس جديدة وطرق علمية حديثة تخدم هذا العلم الذي بدوره يخدم الآداب والثقافة الإنسانية.

نبذة عن سيرة المستشرق برجستراسر جوتهلف: [10]

ولد برجستراسر في الخامس من أفريل 1886م بأحد ضواحي مدينة بلاون بسكسونيا، في عائلة كان أفرادها من مأموري الحكومة والعلماء والأساتذة، انتسب أبوه وجده إلى الكنيسة البروتستانت بصفهما قسيسين.

أخذه برجستراسر دروسه الأولى بمدرسة بلاون، حيث تعلم فيها اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والفرنسية، وكانت تتيح المدرسة للطلبة الاختيار بين العربية والانجليزية فأختار العربية، وأخذ معها استثناء

الانجليزية، إلى جانب هذه اللغات، كانت تعلم اللهجات الأرمنية القديمة، وبعض اللغات الجرمانية، ثم درس اللغات الشرقية، تعلم أيضا اللغة المصرية القديمة واللغة الأشورية والعربية، كان أحد مدرسي المدرسة له معرفة باللغات الهندية القديمة (السنسكريتية)، فتعلم منه هذه اللغات، إلى أن نال شهادة القبول في الجامعة، وبذلك إلتحق بجامعة ليبزج سنة 1904، ودرس اللغة العربية واللغات الشرقية وتعمق في قواعدها وآدابها على يد الأستاذ الدكتور فيشر، فنال شهادة التدريس في اللغات والتاريخ الإسلامي عام 1908م، اشتغل بمجال التعليم الثانوي بمدينة درسدن عاصمة سكسونيا إلى نال شهادة الدكتوراه من جامعة ليبزج بأطروحة تحت عنوان (استعمال الحروف النافية في القرآن الكريم) سنة 1911.

نال سنة 1912 إجازة في تدريس اللغات السامية والعلوم الإسلامية من جامعة ليبزج، وتعمق في دراسة الفقه والتاريخ الإسلامي والقراءات، دراسة القرآن الكريم وتاريخ اللغة العربية، أعطته جامعة ليبزج إجازة سنة 1914 إلى الشرق عوضا عن ترشيحه لدار الكتب المصرية بعدما ترأسها صديقه الدكتور شاده تجول في البلاد العربية متتبعا اللهجات الدارجة واستبيان الاختلاف بينها، وقد وضع كتابا باللغة الألمانية في جغرافية اللهجات العربية الدارجة في سوريا ولبنان نشره عام 1915، كما تعرف على اللهجة الآرامية في ضواحي دمشق(مدينة معلولة) من أفواه الناس وألف فيها بعض الكتب والرسائل منها:

-بعض المتون في اللهجة الآرامية الدارجة مع ترجمة ألمانية نشر عام 1915.

-قاموس في اللهجة الآرامية الدارجة بمدينة معلولة نشر عام 1915.

كما ألف كتبا بعنوان أصوات لهجة دمشق ملحقا به بعض المتون في هذه اللهجة نشره عام 1924، كما سافر برجستراسر إلى حيفا والناصرة وطبرية.

ونظرا لظروف الحرب العالمية الأولى عاد برجستراسر إلى جامعة ليبزج، وفي مطلع عام 1919 عينته حكومة بروسيا أستاذا مساعدا للغات السامية والعلوم الإسلامية بجامعة كنجزبرج، وفي عام 1922 انتقل إلى أستاذا لهذه العلوم بجامعة برسلاو، وفي سنة 1924 انتقل أستاذا بجامعة هيدلبرج، ثم عمل أستاذا بجامعة ميونخ عام 1926، وقد انتخب عميدا للكلية علم 1928-1929.

استقدمته كلية الآداب بالجامعة المصرية جامعة القاهرة حاليا أثناء العام الدراسي 1929 – 1930 لالقاء سلسلة من محاضرات في التطور النحوي للغة العربية، وأعاد استقدامه عام 1931 – 1932 لتقديم سلسلة من المحاضرات في نقد النصوص ونشر الكتب، توفي برجستراسر في حادث تسلق جبل لأنها كانت هوايته مع احد طلبته سنة 1932.

منهج برجستراسر جوتهلف في كتابه أصول نقد النصوص ونشر الكتب:

إن كتاب **برجستراسر** جوتهلف هو عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1931م، وكان يحضر هذه المحاضرات العديد من الأساتذة للاستفادة منها ومعرفة منهج الرجل، ومنهم الدكتور طه حسين، وقد قام الدكتور محمد حمدي البكري بإعدادها وتقديم على

شكل كتاب ليستفيد بها عموم المشتغلين في هذا المجال، ولقيمة هذه المحاضرات العلمية لخبرة صاحبها وباعه في مجال تحقيق المخطوطات ونشر ونقد النصوص، وقد قسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسة هي:

الأول في النسخ، الثاني في النص، الثالث في العمل والإصلاح، وسنحاول التفصيل في هذه الأبواب بالشرح وكشف منهج جوتهلف فيها:

1-الباب الأول: النسخ:

يؤسس **برجستراسر** جوتهلف لتقنية النسخ حيث يرى أن النسخ الخطية لكتاب ما متفاوتة وغير متساوية في القيمة فمنها ما لا يستفاد منها ولا يعتمد عليها في عملية التحقيق والتدقيق، فهي عديم القيمة، ومنها ما يعول عليه ويوثق منها، «ووظيفة الناقد أن يقدر قيمة كل نسخة من النسخ، ويفاضل بينها وبين سائر نسخ الكتاب، متبعا في ذلك قواعد منها:

1-أن النسخ الكاملة أفضل من الكاملة.

2-والواضحة أحسن من غير الواضحة.

3-والقديمة أفضل من الحديثة.

4-والنسخ التي قوبلت بغيرها أحسن من التي لم تقابل، وإلى غر ذلك.والقاعدتان الأخيرتان أهم من غيرهما» [11].

ويبين برجستراسر جوتهلف أن لهذه القواعد والأسس شواذ، وقد أورد في كتابه العديد من النماذج لكتب، تعامل معها المحققون المستشرقون بطرق متعددة لطبيعة وضعها وتوفر نسخها، وقد أعطانا هذه الكتب مفصلا في طريقة تحقيقها ونشرها ونورد مثالا على تفضيل النسخة الحديثة على القديمة حيث يقول:

«كتاب اللمع في التصريف لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن السراج الطوسي الصوفي المتوفى سنة 378هـ والذي نشره رينولد ألين نيكلسون في ليدن سنة 1914، وله مخطوطتان كتبت أقدمهما سنة 548هـ وكتبت الأخيرة منها سنة 683هـ والقديمة –وإن كانت غير كاملة في الظاهر –فيها نقص في مواضع كثيرة تبلغ ثلث الكتاب، والموجود من هذه النسخة مرتب على ترتيب غير مفهوم، فبنى الناشر طبعته على النسخة الحديثة، ولم يستعمل النسخة القديمة إلا في تصحيح النص»[12].

ويقدم مثالا آخر على اعتماد جميع النسخ قديمها وحديثها والتعليقات التي زيدت عليها، حيث يبين ذلك: «وهناك كتاب آخر هو (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصبيعة هذا الكتاب سنة 643هـ بدمشق، ومازال يجمع من كتب الأخبار والطبقات، ويزيد على الأصل ويغير ما وجد فيه من الأغلاط حتى توفي رحمه الله سنة 668هـ، ويظن أن بعض تلاميذه أو نساخ كتابه زادوا على مسودته بعد وفاته وغيروا فيها، ولا نستطيع التمييز بين زيادات المؤلف وتغيراته، وبين ما زاده تلاميذه ونساخ كتابه أو غيروه، وقد عمد الناشر إلى إيراد كل ما وجده في نسختين أو أكثر مما وجده في الروايتين لكي لا يسقط شيئا من متن الكتاب، ولكي ينتفع أهل هذا الفن بما أضيف إليه من زيادات، وأقدم نسخة لهذا الكتاب كتبت سنة 712هـ،

أي بعد وفاة مؤلفه بأقل من نصف قرن، ولكنها كثيرة الخطأ، أحسن منها نسخة أخرى أحدث منها بثلاثة قرون كتبت سنة 1017هـ، فهي وإن كانت فاسدة في بعض أجزائها إلا أنه يظهر أنها نسخت من أصل قديم لأن أخطائها قليلة» (13).

بهذه الكيفية يقدم لنا جوتهلف النماذج والأمثلة على العديد من الحالات التي تصرف فيها الناشرون المستشرقون في تحقيق المخطوطات العربية، وهذا مراعاة لظروف النسخ وطبيعة شخصية الناسخ وحالة النسخة المعتمد عليها، معرجا على النساخ الذين كانوا ينقلون فقط دون فهمهم لبعض العلوم المنسوخة خاصة اللغة العربية الدقيقة في حروفها وحركاتها، فإن أي تغيير سيعرض المتن إلى التحريف والتحوير عن أصله، مع أن هذه المشكلة لا تشكل خطرا في اللغة اللاتينية التي توضع فيها الحروف إلى جانب بعضها البعض، حيث يوضح بقوله:

«وكان النساخ في جهلهم لا يفهمون شيئا مما كانوا ينسخونه من الكتب في كثير من المواضع، وشر ذلك في اللغة العربية أكثر منه في اللغات الأجنبية، لأن حروف اللغات اللاتينية مثلا تكتب حرفا حرفا، أما الخط العربي فحروفه متصل بعضها ببعض، لذلك فإن الناسخ لا يكاد ينسخ نسخا صحيحا إلا ما يفهم معناه، ولهذا نشهد كثرة التحريف في الأعلام، وهذا مشهور يشاهد في الكتب التاريخية، ونحن نستعمل هذه الحالة كمعيار للكتب العربية التي يوجد بها أعلام، فإذا وجدنا أن النسخة يقل فيها التحريف والتغيير في أسماء الأعلام، كان من الجدير أن نثق بها في سائر النص، ومثال ذلك كتاب ببس (Pappus) في الأعظام المنطقة والصم، وهو المقالة العاشرة من كتاب اقليدس في الأصول ترجمة أبي عثمان الدمشقي كتبه أحمد بن محمد ابن عبد الجليل بشيراز، وقد نشر المستشرق الأمريكي تومسن (Thomson) مع المستشرق الألماني (Junge)هذا الكتاب في باريس عن نسخة واحدة كان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، مع ذلك فنحن لا نجد فيها أي تحريف لأسماء الأعلام اليونانية في الكتاب مثل: ببس (Pappus) اسم المؤلف نفسه، وثااطيطس الاثيني (theattetos)، وابولونيس(Apolonéos)، وبوثاغورس وأوقليدس إلى غير ذلك من الأسماء» (14).

لقد تحدث برجستراسر جوتهلف عن النسخ وأحوالها وكيفية المقارنة بينها والطريقة التي ننتقي أحسنها، حسب مقاييس وأطر فنية معينة، كما تحدث عن شخصية الناسخ الذي له دور عظيم في سلامة المخطوط ووضح بالأمثلة والأدلة على نماذج عدة من المخطوطات مبينا نساخها وطريقة عملهم، مما يكشف عن سعة اطلاع الرجل وإلمامه الواسع والموسوعاتي بهذا الفن، والجميل أنه يقدم في كتابه طريقة تحقيق ونشر أغلب الكتب المحققة، ومظهر ومبينا الصعاب التي لحقت ناشيرها وكيفية تخطيها، وهذا يدل تمكنه من هذا العلم.

2-الباب الثاني: في النص:

إن العناية بالنسخ بمختلف أوجهه ومراحله، وذلك لغاية تهذيب نص الكتاب والإحاطة به، وهذا ما ستكمله المرحلة الثانية وهي النص، ويثمن برجستراسر جوتهلف هذه المرحلة لسببن حيث يقول:

«الأولى: أنه من النادر أن يمكن ترتيب سلسلة لنسب النسخ، بحيث يحتوي على النسخ كلها وتبين تقارب بعضها من بعض بصورة قاطعة، لأننا نجد في بعض النسخ أو كلها لا يتضح نسبتها والعلاقة بينها أو نجد في

الواحدة رواية ممتزجة من أصلين أو أصول، أو نعثر على رواية ثانوية مطولة تحتاج إلى الالتفات إليها، ففي هذه الحالات كلها اضطررنا إلى أن نختار بين كل موضع وموضع أصح القراءات المروية فيها، ونستدل على صحيح الاختيار بحجج تختص بقراءة واحدة فقط لا تعم النسخة كلها، فنتساءل أي القراءات أصحها معنى وعبارة أليقها بالمؤلف وغرض كتابه وأسلوبه.

والجهة الثانية: أننا لو سرنا في ترتيب الرواية إلى التحقق من الرواية الأصلية، أو لم نجد إلا نسخة واحدة، فلا حاجة بنا إلى اختيار بعض القراءات: هل هي صحيحة أو غير صحيحة لو سعنا أن نشك في أنه، هل القراءة الأصح هي الأصلية التي كتبها المؤلف أو هي أصلية بالنسبة لغيرها ؟ وتخالف ما كتبه المؤلف من بعض الجهات الأخرى، وهذا الشك لا يزول إلا أذا كانت الأصلية التي كتبها المؤلف موجودة، وهذا نادر الوقوع، وإلا فيلزمنا نقد كل القراءات الأصلية بالنسبة التي نتجت عن ترتيب الرواية، أو كل ما يقرأ في النسخة الوحيدة إن لم يكن للكتاب إلا نسخة واحدة فقط، ويلزم نقد القراءات كلها إن لم نكن قد وصلنا إلى حكم بأن إحدى تلك القراءات أقرب إلى الأصل من غيرها» [15].

وقد وضح برجستراسر بالتفصيل والشرح وعقد الأمثلة طريقة نقد النصوص وتقويم الأخطاء التي وقعت أثناء النسخ وما نجم عن مختلف الأحوال التي أدت بالنساخ إلى الوقوع في الأغلاط التي يجب على المحقق التنبه لها وذلك بالتدقيق فيما ورد في النص وتحري القراءة الصحيحة، فلا نقد إلا بعد فهم، وإذا لم نفهم النص فكيف يمكننا التمييز بين الصحيح وغير الصحيح، ويعتمد النقد والتصحيح على أسس هي:

أ–معرفة اللغة والأسلوب الذي بني عليه النص أو الكتاب.

ب–التنقيط وهو من أهم الوسائل التي يستعين بها الناقد في التمييز بين النصوص وفهمها ويقول برجستراسر أم الثقة في النقطة أقل من الثقة في الحرف فإن خطأ النقطة أكثر من خطأ التصحيف.

ج–التفليق وهو التعبير عن المعنى يعطف الضدين على بعضهما، لأن المعنى يفلق إلى فلقين (وصاحب كتاب الرد على ابن المقفع يحب التفليق ونجد به في ذلك أمثلة منها (بين الخواص العرب والعوام) إي كل الناس، (وممن أطاع وعصى) أي كلهم، ومنها بعثه الله إلى كل فصيح وأعجمي) أي كل الناس [16].

د–إصلاح التشكيل

هـ–أخطاء النساخ

و–التحريف

ز–الخطأ في الإملاء

ح–الأخطاء النحوية

ط–الخلل في النسخ

3–الباب الثالث في العمل والإصلاح:

يختص هذا الباب في العمل الذي يقوم به المحقق للكتب القديمة، وقد أشار برجستراسر في هذا المجال إلى اتباع كتاب العالم الألماني ستاهلين (O.Stahlin) المتخصص في علم الآداب اليونانية والرومانية القديمة، إلا أنه ركز شرحه على الآداب العربية القديمة، وتقوم تقنية العمل والاصلاح على أسس أهمهما:

أ-معرفة ما إذا كان الكتاب قد سبق نشره، وذلك بالاطلاع على الفهارس والمعاجم المصنفة للكتب المنشورة والنشريات التي تظهر الكتب التي طبعت والمخطوطات التي حققت مثل معجم المطبوعات العربية والمصرية، ونشرة المطبوعات المصرية، ويقترح برجستراسر مراجعة كتاب كارل بروكلمان تاريخ الآداب العربية فهو كتاب جامع وموسع عن الكتب العربية فيه جهد حقيقي أودعه صاحبه فيه يحث يذكر الكتب وأصحابها ونسخها وعدد مرات وتاريخ نشرها، كما يجب معرفة فهارس المكتبات التي تضم المخطوطات مثل مكتبة الحميدية وأيا صوفيا وبيا زيد وعاطف أفندي ولاله لي وراغب باشا بأستنبول[17]، وغيرها ممن تضم أكبر عدد.

وفي هذا الصدد هناك جهود حقيقة في وضع فهارس للمخطوطات العربية منها إنشاء «جامعة الدول العربية معهدا للمخطوطات العربية، مستخدمة في ذلك طريقة الميكرو فيلم القليلة النفقات، وقد نشر (فهرس المخطوطات المصورة) مشتملا على أسماء المخطوطات العربية التي صورها معهد المخطوطات من مكتبة استامبول ومصر حتى سنة 1951، القاهرة 1954 وأنشأت له مجلة للبحث في شؤون المخطوطات والتعريف بها والتعريف بالدور التي تحتفظ فيها هذه المخطوطات » [18].

كما يتعين علينا سؤال رجال العلم وأهل التخصص عما يعرفونه عن نسخ الكتاب ومثال ذلك «كتاب (إرشاد الأريب في معرفة الأديب) لياقوت الحموي الموفي سنة 626هـ الذي نشره مرجليوث، فإنه عندما بدأ في نشره لم يكن لديه إلا قسم منه قريب من نصفه ثم حصل على باقي الكتاب بسؤال رجال العلم فوصل إليه بعضه من بيروت وبعضه من الهند ولم تكن واحدة مذكورة في أي فهرست» [19].

ويواصل برجستراسر تقديم الامثلة المتنوعة من الكتب المنشورة وطريقة أصحابها في الإصلاح والعمل مثبتا المنهج المتبع وراسما للطلبة الطريق الذي به ينفذون إلى تحقيق النسخة التي بين يديهم، وقد قدم أيضا تقنيات متعددة في ذلك وهي:

أ-المقابلة وهي مقابلة النسخ المختلفة بعضها ببعض وهي طريقة كانت متعبة ومكلفة في القديم، لأنها تلزم المحقق على السفر إلى مكان النسخ ومقارنتها بما لديه، أما الآن فقد حلت الصور الشمسية ذلك، وتقنية الميكرو فيلم ذلك لكنها تحتاج إلى الجهاز فلا يمكن قراءتها بالعين المجردة.

ب-الإملاء العربي يجب على المحقق الاطلاع على مختلف الخطوط وطريقة كتابتها، ويكون ملما بالإملاء العربي وتاريخ الخطوط العربية وطريقة تطور الحروف في الكتابة، فقد كانت قديما تكتب إتباعا لرسم القرآن الكريم، كما يؤكد برجستراسر أن الكتب المحققة في أوروبا تختلف عنها في المشرق فالأوربيون يرصفون الحروف حرفا حرفا أما المشرقيون فيعون شكل وأصل كل حرف.

ج-الترقيم: وهي مسألة تابعة للإملاء وهي توظيف العلامات للفصل بين الجمل «فما يوجد في الكتب الخطية من ذلك قليل، للتفريق بين الفصول الطويلة والمتن والشرح، فلا شك أننا عند طبع الكتاب، نحافظ على كل هذا ونكمل الناقص في المواضع الموازية، أما غير هذا فيختلف فيه العلماء وأكثرهم حتى في الشرق يذهب إلى إدخال النقط وغيرها في الكتب القديمة، ولا أرى في ذلك فائدة إلا في الأحوال النادرة، ذلك أن الناس تعودوا على قراءة الكتب الشرقية بدون ترقيم، ولا يجدون مشقة في بعض المواضع الصعبة، وفي زيادة الترقيم خطر الخطأ، إذ رأيت في بعض الكتب الغربية التي نشرت أخيرا، بعض الجمل قطعت قسمين بنقطة دالة على نهاية الجملة، لأن الناشر لم يفهم تركيب الجملة فظنها تامة قبل تمامها، والنثر لابد من طبعه على الترتيب الوارد في الأصل، أما الشعر فلابد من طبع كل بيت في سطر، وفي السجع نضع نقطة بعد كل قافية »[20].

د-الإرجاع: وهي توثيق الكتاب وتعيين «الموضع الواحد من الكتاب بحيث يجده المراجع بسهولة وسرعة فلابد لمن يريد أن يعين موضعا في الكتاب من ذكر الصفحة والمجلد وهذا لا يكفي في أكثر الحالات لأننا لم نفعل شيئا لتحقيق ذلك الغرض، استغرق البحث عن كلمة أو علم زمنا طويلا، وإذا كانت الصفحة طويلة فلابد من ذكر عدد السطر ولذلك نضع بجانب السطور أعدادها»[21]، وهو ما يصطلح عليه اليوم بالفهارس العامة فهرس الأعلام والأماكن والموضوعات وذلك بتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول وأقسام[22]، وتخصيص مجلد خاص بالفهارس حتى يسهل على المراجع الوصول إلى قصده دون مشقة أو عناء.

خاتمة:

قدم برجستراسر جوتهلف طريقة عمل منظمة وممنهجة تشكل تصورا دقيقا ومضبوطا لفن تحقيق المخطوطات العربية، معتمدا في ذلك على خبرته الواسعة في مجال آداب اللغة العربية، ومعرفة العميقة باللغات الشرقية القديمة وغيرها من اللهجات العالمية التي تؤهله فعلا للخوض في علوم وآداب الشعوب، وقد استطاع برجستراسر تقديم منهج متكامل لعمل نشر الكتب من خلال كتابه الذي شكل مجموعة من المحاضرات القيمة والذي أعده وقدمه الدكتور محمد حمدي البكري، ولقد حاولت الدراسة تلخيص منهجه المحكم والمتشعب في الكتاب بالأمثلة والأدلة الواضحة التي توضح وتخط عمل المحقق.

الهوامش:

---

[1]- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط2، 1995، ص 11.

[2]- نفسه، ص 11.

[3]- نفسه، ص 11.

[4]- ينظر: أحمد محمد الخراط، محاضرات في تحقيق النصوص، المنارة للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1984، ص 26.

[5]- مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص 142.

[6]- R.Blachére Et J.Souvaget t, Regles pour édition et traduction des textes arabes, Paris, 1945.

[7]- ينظر: عبد اللطيف محمد العبد، مناهج البحث العلمي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1979، ص 35.

[8]- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 17.

[9]- نفسه، ص 13.

[10]- ينظر: جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم، ص 05.

[11]- نفسه، ص 14.

[12]- نفسه، ص 14.

[13]- نفسه، ص 15.

[14]- نفسه، ص 17-18.

[15]- نفسه، ص 48-49.

[16]-نفسه، ص 57.

[17]- محمد ماهر حماده، المصادر العربية والمعربة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1981، ص 105.

[18]- جوتهلف برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص 92.

[19]- نفسه، ص 57.

[20]- نفسه، ص 105.

[21]- نفسه، ص 106.

[22]- ينظر: صلاح الدين المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 1976، ص 35.

المنهج السليم في تحقيق المخطوط

د.عبد المجيد جمعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطية

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد، فالشكر موصول إلى جامعة زيان عاشور بالجلفة ورئيسها، على احتضانها هذا الملتقى الدولي الأول حول علم صناعة المخطوط . الواقع والآفاق .، وإلى «مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها»، ورئيس اللجنة التنظيمية والعلمية وأعضائه على إشرافهم على هذا الملتقى، الذي يؤكّد على مدى اهتمام هذا المخبر بتراث الأمة في وقت الذي يكاد يكون فيه نسيًا منسيًّا.

وإلى كلّ من سهر وساهم في إحياء هذا الملتقى وإثرائه من الأساتذة الأفاضل.

وقد كان لي الشرف أن أشارك في هذا الملتقى، مساهمة منّي في خدمة التراث والاعتناء بإحيائه ونشره.

ولا شك أنّ الدراسة النظرية هي المرحلة الأولى في التحقيق والبوّابة للأعمال التطبيقية، لأنّ العلم يسبق القول والعمل، ومن عمل بلا علم، لا يأمن على نفسه من الخطأ والزلل.

من هنا جاء اختيار المحور الأول من محاور هذا الملتقى، والمتعلّق بالدراسة النظرية.لأنّ تحقيق المخطوط، يرتكز على قواعد مهمة، ويعتمد على منهجية محكمة، ويسير على مراحل وخطوات متينة، لذا، رأيت من المناسب أن أوضّح هذه المنهجية في هذه المداخلة.

فقسمت البحث إلى أربعة مباحث.

المبحث الأول: تعريف تحقيق المخطوط

تحقيق المخطوط مركّب إضافي، من مضاف، وهو: «تحقيق»، ومضاف إليه، وهو: «المخطوط»، وتعريف المركّب الإضافي يتوقّف على تعريف جزءيه.ولهذا ينبغي تعريف التحقيق، وتعريف المخطوط لغة واصطلاحا، ثم تعريف تحقيق المخطوط باعتباره لقبًا لفنّ معيّن.

المطلب الأول: تعريف التحقيق

أصل التحقيق: من حقّ، وهو يدلّ على إحكام الشيء وصحّته؛ يقال: أحقَقْت الأَمر إحقاقاً إذا أحكمته وصَحَّحته، وكلامٌ مُحَقَّقٌ أي رَصِين.قال الراجز:

دَعْ ذا وحَبِّرْ مَنْطِقاً مُحَقَّقا

وثوب محقّق، إذا كان محكمَ النسج.

ويقال أيضا: حقّقت الرجل، وأحققته، إذا أثبته، وحقّقت الأمر وأحققته أيضا، إذا تحقّقته وصرت منه على يقين.وحَقَّه يَحُقُّه حقّاً وأحَقَّه كلاهما أثبته وصار عنده حقّاً لا يشكُّ فيه[1].

ويستخلص من هذا، أنّ التحقيق في اللغة يطلق على معانٍ، وهي: الإثبات والإحكام والتصحيح والتيقّن. وكلّ هذه المعاني له صلة بالمدلول الاصطلاحي لمفهوم التحقيق.

المطلب الثاني: تعريف المخطوط

المخطوط – ويقال: مخطوطة، وجمعه مخطوطات– في اللغة: من خَطَّ الرجل الكتاب بيده خَطًّا: كتبه؛ وخَطَّ القلَمُ أي كَتَبَ، وخَطَّ الشيءَ يَخُطُّه خَطًّا: كتبه بقلم أَو غيره؛ والخطُّ الذي يخطُّه الكاتب[2].

وفي الاصطلاح: هو المكتوب بالخطّ لا بالمطبعة؛ والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد[3].

وقد ظهر هذا الاصطلاح «مخطوط» مع ظهور الكتب المطبوعة في العصر الحديث، فصار يطلق المخطوط على ما يقابل الكتاب المطبوع.

والضد يعرف بالضد وعند الأضداد تتبيّن الأشياء.

المطلب الثالث: تعريف تحقيق المخطوط باعتباره لقبًا

عرّف عبد السلام هارون التحقيق بقوله: «بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبّت من استيفائها لشرائط معينة.

فالكتاب المحقّق هو الذي صحّ عنوانه، واسم مؤلّفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلّفه.

وعلى هذا، فإنّ الجهود التي تبذل في كلّ مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

1- تحقيق عنوان الكتاب.

2- تحقيق اسم المؤلِّف.

3- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلّفه.

4- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنصّ مؤلفه»[4].

ففنّ التحقيق إذًا، هو إخراج المخطوط مطبوعا على الوجه الذي تركه مؤلّفه أو أقرب من ذلك، سالما من الأخطاء والعيوب والتصحيف، مع ضبط عنوانه واسم مؤلّفه، وإثبات صحة نسبته إليه.

([1]) أنظر: ابن فارس «معجم مقاييس اللغة» (15/2 – دار الفكر)؛ الجوهري «الصحاح» (148/4–دار العلم للملايين/ ط: الرابعة 1407هـ)؛ ابن منظور «لسان العرب» مادة: حقق (دار صادر–بيروت/ط: الثالثة 1414هـ).

([2]) أنظر «معجم مقاييس اللغة» (154/2) «لسان العرب» مادة: خطط؛ الفيومي «المصباح المنير» (173/1. الكتب العلمية–بيروت).

([3]) أنظر مجمع اللغة العربية «المعجم الوسيط» (244/1– دار الدعوة).

([4]) أنظر: عبد السلام محمد هارون «تحقيق النصوص ونشرها» (42– الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة/ ط: السابعة 1418هـ–1998م).

المبحث الثاني: صفات المحقّق

ينبغي على المحقّق أن يتحلّى بصفات مهمّة، حتى يكسب الملكة العلمية في التحقيق، تمكّنه من بلوغ رتبة عالية من تحقيق المخطوط تحقيقًا علميًّا محكمًا، وتعصمه من الوقوع في الخطأ والزلل في التحقيق، وهذه الصفات هي:

الأولى: إخلاص العمل لله تعالى، لأنّ العلم عبادة، وإحياء المخطوط إحياء للعلم، فينبغي للمحقّق أن يحرص على نشر العلم ونفع الأمّة، ولا يكون أكبر همّه هو الحصول على الشهادة، أو المتاجرة بالتحقيق للحصول على الأرباح، أو قصد السمعة، وليقال له: المحقّق.

الثانية: الشعور بقيمة التراث الإسلامي، وإدراك أهميّة إحيائه وتحقيقه، حتى تقوى رغبة الباحث في التحقيق، لأنّه إذا لم يدرك قيمة التحقيق وأهمّيته العلمية والتاريخية، لا يلج أبوابه.فالرغبة في الشيء تعلي الهمم، وتقوي العزائم، وتذلّل الوعر وتسهّل الصعب.

الثالثة: التحلّي بالأمانة العلمية وروح المسؤولية، فيجب على المحقّق أن يحافظ على أصل النسخة التي تركها المصنّف، ولا يتصرّف فيها بالزيادة أو النقصان، أو التغيير أو التبديل، أو يسطو على جهود الآخرين، وينسبه لنفسه.والحاصل، أنّه يجب على الباحث أن يكون أمينًا في جميع مراحل التحقيق.

الرابعة: التحلّي بالصبر والجلد، لأنّ تحقيق المخطوط أمر عظيم، كالجبل الوعر، ليس سهلا فيرتقى، بل قد يحتاج من الجهد والعناية أكثر مما يحتاجه تأليف كتاب جديد؛ وقد يكون التحقيق أشقّ على الأنفس من التأليف، وذلك لما سيبذله المحقّق من جهد جاهد في قراءة النصّ وضبطه وإصلاحه وتحقيقه، وذلك لما سيصادفه أثناء التحقيق من أمور كثيرة، مثل كلمات غير واضحة أو مطموسة، أو توثيق للنصوص وعزوها إلى مصادرها، وتخريج مسائلها، وغير ذلك.

الخامسة: المكانة العلمية، فينبغي على المحقّق أن يكون متخصّصًا في الفنّ الذي وضع فيه الكتاب، عارفا بلغة أهله واصلاحهم، وذلك ليتمكّن من فهم الكتاب فهما سليما؛ كما ينبغي أن يكون مطّلعا على بقية الفنون التي تساعد على توثيق النصّ، وتخريج مسائله.

السادسة: معرفة المنهجية السليمة في تحقيق المخطوط، ومراعاة قواعده، ومعرفة أنواع الخطوط العربية وتطوّرها، ومعرفة خطوط النسّاخ ورموزهم واصطلاحاتهم، حتى يتمكّن المحقق من ضبط النص ضبطًا محكمًا، يجنّبه الوقوع في المزالق والأخطاء.

وهذا ما سنوضّحه في هذا المقال.

المبحث الثالث: أهمّية تحقيق المخطوط

لا يشك أحد، أنّ لتحقيق المخطوط أهمية كبرى وفوائد كثيرة، نجملها فيما يلي:

1- إحياء التراث المدفون في مقابر الخزانات.

2- تقديم الكتاب صحيحًا، كما تركه مؤلّفه، سالما من الأخطاء والعيوب.

3- إثراء المكتبات بالمصادر الأصيلة

4- الاستفادة من علوم الكتب المحقّقة.

5- الاطلاع على الحقبة التاريخية والمرحلة التربوية والاجتماعية والسياسية وغيرها التي تضمّنها المخطوط، وكانت قائمة وقتئذ، أو دوّنت فيها الكتب والمصنّفات.

6- ربط حاضر الأُمَّة بماضيها المجيد.

المبحث الرابع:المنهجية السليمة في تحقيق المخطوط.

بعد أن يتمّ اختيار المخطوط المناسب للتحقيق، بأن يكون موافقًا لتخصّص الباحث، ذا قيمة علمية، ولم يسبق تحقيقه ولا نشره.

وبعد ما يقوم الباحث بجمع النسخ الخطية وترتيبها، بغية اختيار النسخة التي يعتبرها هي الأصل في التحقيق، حسب شروط وضوابط محدّدة، كتقديم نسخة المؤلّف على غيرها، وهي التي تسمّى نسخة الأم، ويجعل بقية النسخ فروعًا لها.

وبعد قراءة المخطوط قراءة متأنّية، للتمرّس على أسلوب المؤلّف، والإلمام بالموضوع الذي يعالجه الكتاب، حتى يستطيع المحقّق أن يفهم النصّ فهمًا سليمًا، يمكّنه من ضبط النص، وتوثيقه، ومعرفة خطّ الناسخ في رسم الحروف، وضبط رموزه.

وبعد ضبط عنوان الكتاب، وتوثيق نسبته إلى المؤلّف، يقوم الباحث بتحقيق النصّ، وعليه أن يتبّع الخطوات التالية.

أولا: المقابلة أو المعارضة[1] بين النسخ

ينبغي على المحقّق أن يثبت النصّ كما ورد في المخطوط، ولا يتصرّف فيه بالتغيير أو التبديل كما تقدّم، وإذا ظهر فيه خطأ، نبّه على ذلك في الحاشية، إلا إذا كان الخطأ في كتابة الآيات، فإنّه يكتب صحيحًا في المتن، وإذا تكرّر الخطأ في رسم الآيات، نبّه على ذلك في مقدمة الكتاب.

وإذا اعتمد في التحقيق على نسختين فأكثر، فيجب معارضة النسخة أو النسخ على النسخة التي اعتبرها الأصل، ويضع رموزًا لتلك النسخ الفرعية، فيرمز لكلّ نسخة بحرف معيّن، ومن المستحسن أن يؤخذ من اسم

---

(1) المقابلة والمعارضة بمعنى، قَابَل الشيء بالشيء مُقابَلة وقِبالاً: عارضه، ومُقابَلة الكتاب بالكتاب وقِبالُه به: أي جعلته قبالته، وصيّرت في أحدهما كلّ ما في الآخر. وعارضت الكتاب بالكتاب أي جعلت ما في أحدهما مثل ما في الآخر. أنظر ابن منظر «لسان العرب» مادة: قبل؛ الحافظ السخاوي «فتح المغيث» (76/3- مكتبة السنة –مصر–ط: الأولى 1424هـ).

وفي الاصطلاح: أن يقابل الناسخ نسخته أو ما نقله بأصل شيخه، أو بأصل موثوق به، وإصلاح ما يوجد من فروق أو تصحيف، أو تحريف، أو زيادة أو نقص. وتسمّة النسخة القديمة «الأصل»، والنسخة الجديدة «الفرع». أنظر: د. موفق بن عبد الله «توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين» (125-، المكتبة المكية: ط. الأولى 1414هـ).

المكتبة التي وجدت فيها، أو اسم البلد التي فيه المكتبة أو يسمّي كل نسخة باسم الحرف الأول من المكتبة الحافظة، مثل: «**ج**» رمز للجزائر و«**ز**» رمز للأزهرية، ونحو ذلك.

والفائدة من المعارضة بين النسخ، هي معرفة أصحّ الروايات، وأصوب العبارات، بغية الوصول إلى النصّ أو الاقتراب منه، كما تركه مصنّفه.

قال الخطيب البغدادي: «يجب على من كتب نسخة من أصل بعض الشيوخ أن يعارض نسخته بالأصل، فإنّ ذلك شرط في صحّة الرواية من الكتاب المسموع»[1].

وعند المقابلة بين النسخ يجب مراعاة الأمور التالية:

أ- إثبات الفروق بين النسخ

إذا كان النصّ المراد تحقيقه، يتكوّن من نسختين فما فوق، فإنّ المحقق يقوم بمقابلة بين هذه النسخ -بعد اختياره لنسخة الأصل- لإثبات الفروق بينها، فيجعل النسخة الأصل في متن الكتاب، ثم يشير إلى فروق النسخ في الحاشية؛ إلا إذا كان ما في باقي النسخ أو إحداها أصوب مما في الأصل، فيثبّت في المتن ما يرجّح أنّه صواب من نسخة الفرع، وينبّه في الحاشية على العبارة الواردة في الأصل، ويذكر سبب ترجيحه لعبارة الفرع.

ولا ينبغي للمحقّق أن يذكر من هذه الفروق إلا المهمّ منها، ولا يذكر الفروق، الناشئة عن أخطاء النسّاخ أو تصرّفاتهم، كإهمال حرف، أو استبدال كلمة صحيحة بأخرى صحيحة أيضا، مثل: «رحمه الله» مع «رحمة الله عليه» أو «غفر الله له»، ونحو ذلك، لأنّه يؤدّي إلى إثقال الحواشي من غير طائل.

تنبيه: إذا وجد الباحث فروقًا في هامش المخطوط، كأن يقول: «في نسخة كذا»، نبّه عليه في الحاشية، لأنّ ذلك يعتبر بمثابة نسخة ثانية كما تقدّم.

ب- إكمال السقط

قد يصادف المحقّق وقوع سقط في النصّ، إمّا كلمة أو عبارة أو سطر أو أكثر؛ ويرجع هذا السقط إلى أسباب كثيرة، منها: سبق النظر، لا سيما عند تشابه الكلمات، أو السهو، أو انشغال القلب، أو نحو ذلك؛ وقد يكون السقط بسبب التآكل أو الرطوبة، وهو ما يسمّى بـ«الخروم»، فيؤدّي إلى طمس الكلمة أو العبارة.

وطريق إتمامه بأحد الوجوه:

أحدها: أن يتدارك الناسخ السقط، فيشير إليه في الهامش، بوضع رمز «اللحق»، وكتابة: «**صح**» أو «**رجع**» أو «**أصل**»، كما هو مقرّر في اصطلاح النسّاخ؛ فيلحق الباحث هذا السقط بالأصل.

الثاني: أن يجد العبارة في النسخ الأخرى، أو واحدة منها، فيثبّتها في النصّ، ويجعلها بين معقوفتين **[ ]**، ويشير في الحاشية إلى رمز النسخة التي وجد فيها العبارة.

([1]) أنظر: الخطيب البغدادي «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (275/1- مكتبة المعارف-الرياض).

الثالث: أن تتّفق جميع النسخ على السقط، ففي هذه الحال، يجتهد المحقّق في استكمال هذا السقط، وذلك بالرجوع إلى المصادر التي يحتمل أنّها نقلت عبارة المؤلّف؛ أو يستدركه من كتاب آخر، نقل منه المصنّف؛ أو بالتأمّل في مضمون السقط، ويثبت حسب ما يقتضيه السياق، إن كان السقط حرفًا أو كلمة أو جملة، ويشير إلى ذلك في الحاشية.

تنبيهان:

أولهما: إذا كان السقط من المصنّف نفسه، فلا يجوز إلحاقه بالنصّ، لا سيما إذا قرأ النسخة العلماء، بل ينبغي الإشارة إليه في الحاشية.

الثاني: إذا لم يهتد المحقّق إلى استكمال السقط أو الخرم، فله أن يجعل نقاطا متتابعة في موضع السقط أو الخرم «...»، للإشارة أنّ هناك سقطًا أو خرمًا، وينبّه على مقدار الخرم أو البياض في الحاشية، ويذكر أنّه لم يهتد إلى قراءته.

ج- تصحيح التصحيف والتحريف[1].

قد يحصل خلل في النصّ بضبط الحرف أو إبداله بآخر، فينبغي على المحقّق أن يقوم بتصويب هذه العيوب؛ وطريقة إصلاحها وتغييرها في النصّ، تكون بأحد الوجهين:

أحدهما: أن يثبت الخطأ في المتن، ويشير إلى الصواب في الحاشية، لئلا يتصرّف في نصّ المؤلّف، لا سيما إذا كانت النسخة الأم؛ ما عدا الخطأ في الآيات، ففي هذه الحالة يجب على المحقق التعديل في الآية أو الحديث بعد التأكّد من كون ذلك خطأ.

وقد كشف عبد السلام هارون عن تحريفات كثيرة وقعت في آيات القرآن أثناء تحقيقه لكثير من الكتب[2].

الثاني: أن يصحّح الكلمة في موضعها من المتن، ويشير إلى الخطأ ونوعه في الحاشية، ولعلّ هذا الأقرب إلى الصواب في غير النسخة الأم، لاحتمال أن يكون الخطأ من الناسخ وليس من المؤلّف.

([1]) التصحيف، هو: تغيير في نقط الحروف مع بقاء صورة الخطّ، بالإعجام والإهمال، كالباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء، فهذه الحروف واحدة، ولا يفرق بينها إلا النقط. مثل: «حميل وجميل».

والتحريف: هو: تغيير شكل الحروف (الحركات والسكنات والشدّات) ورسمها، كالدال والراء، والدال واللام، والنون والزاي في الحروف المتقاربة الصورة، والميم والقاف، واللام والعين في الحروف المتباعة الصورة. مثل «سَلِيم وسُلَيْم»، «عَبِيد وعُبَيْد».

والتغيير، هو: إبدال اللفظ بغيره.

والذي ينبغي التنبيه عليه أنّ المتقدّمين من النسّاخ والورّاقين والمحدّثين، لا يفرّقون بين التصحيف والتحريف، بل عندهم مترادفان بمعنى واحد. أنظر السخاوي «الغاية في شرح الهداية» (115- الناشر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث/ الطبعة: الأولى، 2001م)؛ عبد السلام هارون «تحقيق النصوص ونشرها» (65)؛ د. محمد التونجي «المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات » (169- عالم الكتاب)؛ د. فهمي سعد ود. طلال مجذوب «تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق» (38- عالم الكتب ط. الأولى: 1413هـ - 1993م).

([2]) أنظر «تحقيق النصوص» (ص48-50).

ويتمّ إصلاحه، بأن يرجع المحقّق إلى المصادر التي اعتمد عليها المصنّف، ونقل منها؛ أو لعلّ الناسخ قد استدركه، وصحّحه في الهامش بالتضبيب عليه، أو بالرجوع إلى باقي النسخ والمقابلة بينها.

تنبيهان:

أولهما: يجب على المحقّق التنبّه إلى طريقة الناسخ في خطّه وإملائه، وتركيبه للحروف، ومعرفة الانحناءات في الحروف، والتدويرات والتقسيمات، وطمس بعض الحروف، وتفريع بعضها، والتمييز بين الدال، والراء، والزاي؛ والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، وكذا الفرق بين الحاء المهملة، والخاء المعجمة؛ والباء والتاء، والثاء والياء.

إنّ معرفة طريق رسم الناسخ للكلمة، وفهم مراده، تعين المحقّق على تجنّب الخطأ الذي قد يقع فيه، من تصحيف أو تحريف سواء بالكتابة أو فهم المعنى على غير مراد الناسخ.

إن الجهل بالقواعد الإملائية، وعدم معرفة أسلوب الناسخ في رسم الحروف وأشكالها الكتابية قد تؤدّي بالمحقّق إلى تحريفات وتصحيفات، تشّوه الكتاب وتفسده[1].

مثاله: في نسخة البرزلي المغربي من كتاب «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر، رسمت الكاف قريب جدًّا من الطاء؛ بهذا الشكل «**لحـ**»، فكان أن أجمعت نسخ التاريخ الخطية المنقولة عن نسخة البرزلي على رسم الطاء في موضع الكاف؛ فقد تحرّفت مثلا عبارة: «إنّ أخاك يحكها من المصحف»، يعني: المعوذتين، إلى هذه قوله: «إنّ أخاط يحطها من المصحف»[2].

الثاني: إذا وجد المحقّق بعض التصويبات لبعض العلماء ممن قرأ الكتاب، فإنّ هذه الألفاظ المصحّحة تزيد من قيمة النسخة، وعليه فينبغي للمحقّق أن يثبتها في المتن –إذا لم تكن النسخة الأم– ويشير إلى الأصل في الحاشية[3].

د– تصويب الأخطاء

قد يجد المحقّق في النصّ أخطاء إملائية أو نحوية، من إهمال للجزم والنصب، أو المثنى والجمع، أو العدد والمعدود، فينبغي عليه أن يتحرّى الصواب أولا، ويتثبّت في الأمر، ولا يتعجّل في الحكم، فقد يتوهّم الخطأ، ويكون له وجه صحيح في الإعراب، فإنّ لغة العرب كثيرة ومتشعّبة.

ولهذا ينبغي عليه أن يعرف لغة المصنّف وأسلوبه، ويدرك إملاء الناسخ وخطّه في رسم الحروف وأشكالها.

فإن تأكّد من الخطأ، فإن كان هذه الخطأ من المصنّف نفسه، كأن يكون لحنًا، فيجب تركه على ما هو عليه، ولا يُغيّر من شيء، ويبيّن الصواب في الحاشية، إلا إذا كان الخطأ في الآيات، وكذا الأحاديث على الصحيح، فإنّه يقيمه في النصّ ويشير في الحاشية، قال الحافظ ابن كثير: «وأمّا إذا لحن الشيخ فالصواب أن يرويه السامع على الصواب، وهو محكي عن الأوزاعي وابن المبارك والجمهور.وحكى عن محمد بن سيرين وأبي معمر عبد

([1]) أنظر «توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين» (155).

([2]) أنظر إياد خالد الدباغ «منهج تحقيق المخطوطات» (ص26– دار الفكر– دمشق ط. الأولى: 1423هـ).

([3]) أنظر د. صلاح الدين المنجد «قواعد تحقيق المخطوطات» (17– دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط السابعة 1987).

الله بن سَخْبَرة أنهما قالا: يرويه كما سمعه من الشيخ ملحونًا.قال ابن الصلاح: وهذا غلوّ في مذهب اتّباع اللفظ.وعن القاضي عياش: أن الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ أن ينقلوا الرواية كما وصلت إليهم، ولا يغيروها في كتبهم، حتى في أحرف من القرآن، استمرت الرواية فيها على خلاف التلاوة، ومن غير أن يجيء ذلك في الشواذ، كما وقع في الصحيحين والموطأ، لكن أهل المعرفة منهم ينبهون على ذلك عند السماع وفي الحواشي.ثم قال: وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أن أباه كان يصلح اللحن الفاحش ويسكت عن الخفي السهل»[1].

وإن كان من الناسخ، فيجب إصلاحها في النصّ، مع الإشارة إليها في الحاشية.

وقد يجد المحقّق في اختلاف النسخ ما يعينه على استخراج الصواب من نصوصها، فيختار من بينها ما يراه مقيما للنص، مؤديا إلى حسن فهمه.والأمانة تقتضي أن يشير في الحواشي إلى النصوص التي عالجها لينتزع منها الصواب، وألا يغفل الإشارة إلى جميع الروايات الأخرى التي قد يجد القارئ فيها وجهًا أصوب من وجه.

وقد يقتضيه التحقيق أن يلفق بين الروايتين، تحمل كلّ منهما نصف الصواب، ونصف الخطأ، فهو جدير أن يثبت من ذلك ما يراه، على ألا يغفل الإشارة إلى الروايات كلّها، ففي ذلك أمانة واشراك القارئ في تحمّلها[2].

هـ- إثبات الزيادة والحذف

قد يقف المحقّق أثناء تحقيقه على زيادات في بعض النسخ، فإن كان يعتمد على نسخة المؤلّف، فلا ينبغي له أن يلحقها بالكتاب، إلا إذا كانت الزيادة ضرورية لإقامة النصّ، كأن تكون كلمة ساقطة في الآيات والأحاديث، أو ساقطة في العبارة، أو حرف أحسّ بأنّ المؤلّف سَهَا عن كتابته، قال ابن كثير: «وإذا سقط من السند أو المتن ما هو معلوم فلا بأس بإلحاقه، وكذلك إذا اندرس بعض الكتاب فلا بأس بتجديده على الصواب»[3].

مثاله: قد يكون في السند نحو: «عبد الله مسعود»، فلا ريب أنّ ذلك، يكون سهوًا من المؤلّف، فلا ضير في إلحاق «بن».

وقد يكون في المتن نحو: «بني الإسلام خمس»، فلا ريب أنّ صوابه: «على خمس»، فإلحاق «على» ليس فيه إخلال بالأمانة.

وعلى المحقّق أن ينبّه على الزيادة بحصرها بين معقوفتين [ ]، مع الإشارة في الحاشية، أنّها سقطت من الأصل.

وقد يقف على زيادات في نسخ أخرى، ولا ريب أنّ هذه الزيادات من تصرّف النساخ.

وإن اعتمد على النسخ الثانوية، فكذلك لا يزيد فيها ولا يحذف منها إلا ما هو ضروري متعيّن.

([1]) أنظر «الباعث الحثيث» (145- دار الكتب العلمية- بيروت/ ط: الثانية) وكذا «تحقيق النصوص» (51).

([2]) أنظر: عبد السلام هارون «تحقيق النصوص» (ص73).

([3]) أنظر «الباعث الحثيث» (ص146).

فإن كانت الزيادة في الأصل دون الفرع، أثبتها في النصّ، ونبّه في الحاشية على أنّها ساقطة من النسخ الفرعية؛ وإن لم تثبت في الأصل، وثبتت في الفرع، فإن غلب على ظنّه أنّها من الأصل ألحقها بالنصّ، ووضعها بين معقوفتين **[ ]** مع التنبيه عليها في الحاشية.

وكذلك الزيادة التي في حواشي الكتاب، والتي يقصد بها التوضيح أو إشباع الكلام، لا يلحقها النصّ، ويشير إليها في الحاشية أيضا.

و- حذف المكرّر

قد يقع أحيانا تكرار في النصّ، في حرف أو كلمة أو اسم، وقد يكون من وهم المصنّف أو خطأ الناسخ، وقد ينتبه فيضرب على المكرر، أو يضع رمز «**ك**»، للتنبيه على أنّه كُرِّر خطأ، فينبغي على المحقّق إصلاح ذلك بحذف المكرّر.

مثله حذف الزيادة، نحو: «بني الإسلام على **على** خمس»، فعلى المحقّق حذف الحرف الزائد «على»، مع التنبيه على المحذوف، وقد يستغني عن التنبيه في موضعه إذا تكرّر، ويكتفي بالإشارة إلى ذلك في المقدمة.

ز-التغيير والتبديل

قد تقدمّ أنّ على المحقّق أن تحلى بالأمانة العلمية، ولا ريب أنّ إحداثه للتغيير أو التبديل في نسخة الأم يخرجه عن هذا الوصف، ويوقعه في الخيانة العلمية، وتعد جناية علمية على التراث.إلا إذا اقتضت الضرورة الملحّة مما يحتّمه النصّ، فلا مانع للمحقّق من القيام بذلك، مع إبقاء الكلمة في الأصل على ما هو عليه، والتنبيه على التغيير في الحاشية، لاسيما إذا أجاز المصنّف إصلاح أخطائه.

أمّا النسخ الثانوية، فينبغي للمحقّق أن يستعين بمراجع التحقيق التي تعينه على توجيه النصوص وتصحيح أخطائها مما وقع فيه النسّاخ، ويكون ذلك حسب ما تقتضيه ظروف النص، مع التنبيه على الأصل في الحاشية.

ط-التقديم والتأخير

قد يقع في الكتاب تقديم وتأخير، في الأسماء أو الكلمات، أو الفروق بين النسخ، فيتقدّم باب على باب، أو حديث على حديث، ونحو ذلك؛ بسبب اختلاف الروايات، أو وهم المصنّف، أو سهو الناسخ، أو غير ذلك، لذا ينبغي على المحقّق أن يعتني بإصلاح النصّ؛ فإن كانت النسخة الأم، أشار إلى الوهم في الحاشية؛ وإن استدركه الناسخ في الهامش بوضع رموز في ذلك، مثل «**م**»، فتكتب على الصواب في النصّ.

وإن لم يجد هذا، سلك ما يسلكه في إكمال السقط.

ثانيا: تخريج النصوص

ينبغي على المحقّق أن يعتني بتخريج النصوص الواردة في النصّ، ويعزوها إلى مصادرها الأصلية، ويشمل التخريج:

1- الآيات القرآنية، وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية، ويكون ذلك في متن الكتاب، ولا يكون في الحاشية كما يفعلها كثير من الكتاب والمحقّقين.وتكتب بالرسم العثماني، وقد وجدت في ذلك برامج علمية على الحسوب بمختلف الرواية،كرواية حفص، ورواية ورش.

وينبغي إثبات القراءة التي اعتمدها المصنّف؛ وإن كانت على إحدى القراءات الشاذة، أثبتها في النص، ونبّه عليها في الحاشية، ولا يجوز تغييرها إلا إذا تبيّن أنّها غلط من الناسخ، فيجب إصلاحها، مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

قال عبد السلام هارون: «واختبار النصوص القرآنية لا يكفي فيه أن نرجع إلى المصحف المتداول، بل لا بد فيه من الرجوع إلى كتب القراءات وكتب التفسير.ففي كتب القراءات يرجع المحقّق إلى كتب القراءات السبع، ثم العشر ثم الأربع عشرة ثم كتب القراءات الشاذة.وفي كتب التفسير يلجأ إلى تلك التي تعني عناية خاصة بالقراءات كتفسير القرطبي وأبي حيان.ولذلك يجدر أن ينسب المحقق كل قراءة تكون مخالفة لقراءة الجمهور»[1].

تنبيه

قد يستشهد بعض المؤلّفين بآية، ويترك متعمّدًا حرفا أو كلمة منها، نحو قوله تعالى: **{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ}** [الإسراء: 81]، فيقتصر على قوله: **{جَاءَ الْحَقُّ}**، فليس من منهج التحقيق أن يكمل المحقّق الآية بذكر الحرف أو الكلمة التي تركها المؤلّف؛ فقد جرى الشافعي –وهو من هو- في «الرسالة» على استعمال ذلك الحذف، وكذلك فعل الجاحظ في «الحيوان» ومقاتل في «الأشباه والنظائر» في أكثر من اثني عشر موضعا.بل وقع ذلك أيضا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة: «**{لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ}** [آل عمران: 180]» بترك الواو[2].

2-الأحاديث، والآثار: وذلك بذكر رقم الحديث أو الأثر، أو الجزء والصفحة مع ترجمة الكتاب والباب في الكتب المبوّبة، وبيان درجتها من حيث الصحة أو الضعف، مبيّنا علة الحديث، معتمدا على أئمّة الفنّ، وليراجع الكتب المصنّفة في ذلك، مثل «نصب الراية» للحافظ الزيلعي، و«البدر المنير» لابن الملقن، و«التلخيص الحبير» للحافظ ابن حجر، و«إرواء الغليل» للشيخ الألباني، ونحوها.

تنبيهان:

أولهما: لا ينبغي للمحقّق أن يتوسّع كثيرا في تخريج الأحاديث، بل ينبغي له أن يعزو إلى الكتب الأصلية كالصحاح والسنن والمسانيد، فيقتصر في التخريج على الصحيحين، فإن لم يكن فيهما فالسنن الأربع والموطأ ومسند الإمام أحمد، فإن لم يكن فيها، ففي بقية كتب الحديث المعتمدة كمعاجم الطبراني الثلاث، وسنن الدارمي والدارقطني، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم ونحوها.

([1]) أنظر «تحقيق النصوص» (ص51).

([2]) أنظر المصدر السابق بتصرّف.

الثاني: لا ينبغي للمحقّق المتقن أن يجعل البرامج الإلكترونية ك«الشاملة»، هي العمدة في تخريج الأحاديث، وعزوها إلى مصادرها، لأنّه قد ظهر فيها من السقط أو التصحيف مما لا يخفى، ويمكن الاستعانة بها للدلالة على مواضع الأحاديث، لكن لا بد من الرجوع إلى الكتب الأصلية بعد الكشف عنها في البحث.

3-الأقوال المأثورة

إذا وردت أقوال مأثورة عن التابعين أو الأئمّة في النصّ، فينبغي عزوها إلى مصادرها، وإذا حكي قول دون نسبته إلى أحد، فيجتهد المحقّق في معرفة قائله، وعزو ذلك إلى مصدره.

4-الأشعار والأرجاز والشواهد

إذا ورد في النص شعر، فينبغي للباحث أن يذكر قائله، ويعزوه إلى مصادره من الدواوين المعتمدة، وإذا لم ينسب، أو اختلف في نسبته إلى قائله، فليجتهد في معرفة ذلك وتوثيقه، ويكون ذلك في الحاشية.

وإذا وجد البيت مكتوبًا دون تشطير، فينبغي كتابته في سطر مستقل؛ وقد يستشهد المصنّف بصدر البيت أو عجزه، فيتمّه الباحث في الحاشية.

5- الحكم والأمثال

إذا ورد مثل سائر في النص، فينبغي للباحث أن مصادره الأصلية، وهي الكتاب التي عنيت بذكر الحكم والأمثال، مثل: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري و«مجمع الأمثال» للميداني، وتشرح باختصار.

6- التعريف بالأعلام

ينبغي للباحث أن يعتني بترجمة الأعلام المذكورين في النص، ويعرّف المغمورين دون المشهورين، فالاشتغال بترجمة الصحابة رضي الله عنهم والأئمة الأربعة وأمثالهم من المشهورين، لا طائل من ورائه، وفيه إثقال للحواشي.

وينبغي له أن يختصر الترجمة، بالإشارة إلى الاسم والنسب والكنية والمذهب، وأهم أعماله، وأبرز شيوخه وتلاميذه، وسنتي الولادة والوفاة، وذكر بعض أهم المصادر المترجمة له.

7- التعريف بالكتب

ينبغي على المحقّق أن يعتني بتعريف الكتب الواردة في النصّ إلا أن تكون مشهورة، ويبيّن المطبوع منها، والمخطوط والمفقود.

8- شرح غريب الألفاظ

ينبغي على المحقّق أن يعتني بشرح ما يحسبه أنّه مستغلق أو مبهم لا يفهمه القارئ، مثل الكلمات الغريبة، لأنّه قد يتوقّف فهم العبارة على فهم تلك الكلمة.وينبغي له أن يشرح ذلك باختصار، ويحيل إلى المعاجم المعتمدة، مثل «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس و«لسان العرب» لابن منظور و«الصحاح» للجوهري ونحوها.ولا يعتمد على المعاجم الحديثة، مثل «منجد الطلاب» ونحوه.

9- التعريف بالبلدان والأماكن والمواضع والقبائل

ينبغي على المحقّق أن يعرّف البلدان والأماكن الواردة في النصّ، ويبيّن ذلك بحسب موقعها حالا، ويستعن بالموسوعات الجغرافية أو المعاجم الحديثة؛ وكذلك في ضبط أبعادها وحدودها، ينبغي أن يكون بالمقاييس المترية، لا بالمقاييس القديمة مثل الفرسخ ومسيرة يوم وليلة...إلخ.

وينبغي أن يكون التعريف مختصرا، ولا يطيل فيه.ولا ينبغي التعريف بالبلدان المشهورة كبغداد ومصر ونحوها.

10- التعريف بالمصطلحات

ينبغي على المحقّق أن يعتني بتعريف الاصطلاحات العلمية الوارد في النصّ، ويلاحظ اصطلاحات كلّ فنّ، ويراجع الكتب المصنّفة في ذلك، مثل «التعريفات» للجرجاني و«المصباح المنير» للفيومي ونحوهما.

10- توثيق النصوص المقتبسة

إذا ورد في المخطوط نصوص، نقله المصنف من مصادر، فينبغي للمحقق أن يوثّق هذا النصوص، وذلك بمعرضتها على أصولها ليتأكّد من سلامته، ويشير في الحاشية بإيجاز إلى ما فيها من زيادة أو نقص أو خطأ.وإذا كان هناك فروق أو أخطاء، نبّه عليها في الحاشية مع الإحالة إلى الجزء والصفحة إن كان مطبوعا، ورقم الورقة إن كان مخطوطا -إن تيسر له الرجوع إلى المخطوط، وإلا فليراجع المصادر التي يحتمل أنّها نقلت النصّ-.

وإذا لم يذكر المؤلف المصدر الذي نقل منه، اجتهد الباحث في معرفة ذلك المصدر، وردّ النصّ إليه.

11- ربط أجزاء الكتاب بعضها ببعض

فقد ترد إشارة لاحقة إلى لفظة سابقة في الكتاب، فمن المستحسن أن يشير المحقق إلى الصفحات الماضية، ومن المستحسن أيضا أن ينبّه في الصفحات السابقة على ما سيأتي في اللاحقة.

12- التعليقات بهامش المخطوط

قد توجد بعض التعليقات في هوامش المخطوط، فينبغي للمحقق أن يشير إليها عند موضعها، ويثبتها في الحاشية.

13- التعليق على النصّ

لا يكتفي المحقّق المدقّق بضبط النصّ، وتحريره، وتصويبه، بل ينبغي أن يهتمّ بالتعليق على آراء المصنّف وعلمه، إذ إنّه قد يقع في أوهام أو أخطاء، كعزو حديث إلى غير مصدره، أو نسبة قول إلى غير مذهبه، أو ترجيح ما هو مرجوح، أو تصويب ما هو خطأ، ونحو ذلك، فيناقش هذه الآراء معتمدا على الحجج والبراهين، متحلّيا الإنصاف، متأدّبا مع المصنّف في أسلوبه.

وهذا المسلك من أهم مسالك التحقيق الذي يهدف إلى إفادة القارئ، وتقريب النصّ إليه، وتحليته بالشروح والتوضيحات والتعريفات، وبيان الأوهام ونحوها.

لكن لا ينبغي للمحقّق أن يسرف في ذلك إلى حد الخروج عن موضوع الكتاب أوحشده المعارف القريبة والبعيدة منه، وإثقاله بالحواشي والتعليقات.

14- الإجازات والسماعات

إذا وجد في المخطوط إجازات أو سماعات أو تملّكات، فينبغي على المحقّق أن يقوم بدراستها في المقدمة، وترجمة الأعلام المذكورين باختصار، لبيان أهمّية هذه النسخة وقيمتها العلمية، لاسيما في معرفة سندها والعصر الذي نسخت فيها.



المخطوطات الجزائرية في المغرب الأقصى: الخزانة العامة والخزانة الملكية بالرباط، والمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان أنموذجا.

د.عبيد بوداود

جامعة معسكر

يتوفر المغرب الأقصى على عدد هائل من المخطوطات الجزائرية، التي تتوزع على عدد من الخزانات والمكتبات ودور الأرشيف.ونعني بالمخطوطات الجزائرية، المخطوطات التي ألفها جزائريون، كانوا مقيمون إما في الجزائر، وانتقلت مخطوطاتهم إلى المغرب الأقصى بشتى الطرق، وفي مختلف الحقب التاريخية، أو ممن هاجروا أو هجروا إلى المغرب، وكان لهم شأن في مجال العلم والتأليف، وتمكنت تلك المخطوطات الإفلات من الضياع بعد حفظها في تلك الدور.

إن أغلب تلك المخطوطات تعود إلى التاريخ الحديث والمعاصر، والبعض منها يعود إلى التاريخ الوسيط المتأخر، وتتوزع موضوعاتها على مختلف العلوم والفنون.إن جزءا من تلك المخطوطات تم تحقيقها إما من قبل باحثين مغاربة أو جزائريين، وبالتالي أصبحت متداولة بين المهتمين، وجزء آخر لا يزال مخطوطا في حاجة إلى من يقوم بالتعريف به، والإقبال على الاستفادة منه، فضلا عن تحقيقه وإخراجه إلى جمهور الباحثين والمهتمين بالتراث.

نحاول في هذه المداخلة عرض بعض النماذج من المخطوطات الجزائرية المحفوظة في كل من الخزانة العامة، والخزانة الملكية بالرباط، وكذلك المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، وذلك حتى نتمكن من تقديم تصور عام على واقع المخطوطات الجزائرية في الخزانات المعنية، كما أن الظروف لا تسمح بعرض كل ما هو موجود من تراث جزائري مخطوط في هذه الخزانات.

أولا: الخزانة الملكية:

تتبع هذه الخزانة القصر الملكي بالرباط، وهي مفتوحة للباحثين والأكاديميين، ولقد تزودت بعدد مهم من المخطوطات في شكل مقتنيات وإهداءات، وتعد من أهم خزائن المخطوطات بالمغرب، كانت تسمى سابقا الخزانة الحسنية، من أهم ما هو متوفر بها من مخطوطات جزائرية نذكر ما يلي:

– سينية ابن باديس الموسومة بالنفحات القدسية لأبي علي الحسن بن أبي القاسم بن حسن بن باديس القسنطيني ت 787هـ/1385م.وهي منظومة في مدح مدينة بغداد وأوليائها وعلمائها.تقع تحت رقم 12241/مجموع 2، وتتشكل من ست ورقات من 23أ إلى 28ب.خط مغربي جيد ملون ومجدول، مقياس

20×14سم، مسطرته 16س.تتوفر الخزانة على ثلاث نسخ أخرى تحت الأرقام التالية: 12021/مجموع1، 11854/مجموع6، 11940/مجموع.[1]

ومؤلف هذه المنظومة هو من مواليد سنة701هـ/1301م، له مجموعة من التقاييد منها شرح مختصر ابن فارس في السيرة، ولقد حصل في حداثته على معارف علمية جمة، لكن غلب الانتفاع به لغلبة الانقباض عليه.[2]

– المواهب القدوسية في المناقب السنوسية لأبي عبد الله محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني الملالي المتوفى بعد 897هـ/1492م.تصنف المخطوطة تحت رقم: 9447/مجموع.وجاء في تقديم هذا المؤلف ما يلي:" هو عبارة عن ترجمة مفصلة وافية، كتبها المؤلف لشيخه عالم تلمسان الشهير...أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، تتضمن التعريف بأوليته ومناقبه، وورعه وحكمته وهمته، وطيب شمائله، وما قيل في بعضها من النظم، ثم بغزير علمه، وقد برع في التوحيد والتفسير والحديث والشريعة، ثم ذكر مؤلفاته...وتفسير ما أشكل من كلام أهل الحقائق، وذكر أوراد حضرها جل تلاميذه...".[3]

كتبت المخطوطة بخط مغربي جيد، وكان الفراغ من تأليفها سنة 897هـ/1491، وهي تقع في 93 ورقة من1 إلى 93.مقياس 27،5×21،5سم، مسطرة 31س.وهناك نسخ أخرى لنفس المخطوطة في ذات المكتبة تحمل الأرقام التالية: 1798/مجموع، 7008/مجموع، 1266.[4]

– النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لمحمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد الأنصاري التلمساني ت 901هـ/ 1461م.تجمع هذه المخطوطة بين التصوف والتراجم، على اعتبار صاحبها اقتصر على الترجمة للأولياء والصلحاء والعلماء، ومن مختلف أرجاء العالم الإسلامي، ولم يتقيد فيها بعصر، وإنما بدأها منذ عصر الصحابة وإلى غاية عصر المؤلف، ورتبها على حروف المعجم، وهي تحت رقم: 2491.ويظهر أن هذه النسخة تتضمن الجزء الأول والرابع والثامن فقط، وهي رديئة متلاشية الأطراف.كتبت بخط مغربي جيد ملون ومجدول، كان الفراغ منها عام1149هـ على يد إبراهيم بن العباس الحريبلي، تقع في 100ورقة، مقياس 30،5×20،5 سم، مسطرة 27س.[5]

كما توجد نسخ أخرى في نفس الخزانة لنفس المخطوطة تحت أرقام: 5721و13057، كما تتوفر الخزانة العامة على نسختين واحدة تحمل رقم 3940(1910د)– وهي عبارة عن مجلد يشتمل على جزأين مع ملحق في الأخير،كتبت بخط مغربي جميل محلى بالألوان، مملوء لحنا وتصحيفا، فرغ من نسخ الجزء الأول في 23 ذي

---

[1] – محمد عبد الله عنان وآخرون، **فهارس الخزانة الحسنية**، الجزء الثاني(فهرس قسم التاريخ والرحلات والأجازات)إشراف ومراجعة أحمد شوقي بنين، المطبعة الملكية، الرباط، 1421هـ/2000م، ص672-673.

[2] – محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة، بيروت، المكتبة العتيقة، تونس، ط2،1985، القسم الثاني، ص125. عرف به الدكتور محمد بن معمر في مجلة عصور، العدد الثالث، جوان2003، ص ص141–150.

[3] – محمد عبد الله عنان وآخرون، **المرجع السابق**، ص 1034.

[4] – المرجع نفسه، ص 1035–1036.

[5] – المرجع نفسه، ص 1043–1045.

الحجة 1290هـ/1873م، ومن نسخ الجزء الأخير في 21محرم 1291هـ/1874م عن نسخة كتبت في ذي الحجة سنة 1008هـ/1599م، مسطرته20، مقياس22×18سم، صفحاته 353- والثانية تحت رقم 1292ك.[1]

ولقد عثرت على نسخة أخرى للنجم الثاقب في مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية قسم المخطوطات الموجودة بالدار البيضاء، وهي تقتصر على الجزء الرابع فقط، وهي تحت رقم 250، تتكون من 28 ورقة، مسطرتها 24، مقياس16×20 سم، بخط مغربي مشكول[2].

وللعلم فإن هذا المخطوط حقق أخيرا، لكن المحقق لم يستعمل جميع النسخ المتوفرة، كما أنه لم يحقق كل الأجزاء الثمانية التي يتوفر عليها هذا المخطوط.

ثانيا: الخزانة العامة:

تعتبر الخزانة العامة، التي أصبحت جزءا من المكتبة الوطنية المغربية حديثا، من أغنى الخزانات في المغرب الأقصى، وذلك من حيث عدد المخطوطات إجمالا بما فيها المخطوطات الجزائرية، ولقد استفادت هذه الخزانة بما كان يصلها على مدى عقود من المخطوطات الموزعة على عدد من الخزانات المنتشرة على تراب المغرب الأقصى.ولقد عرفت هذه الخزانة عدة فهرسات، وصدرت محتوياتها في عدة أجزاء، وهذا ما مكن الباحثين والمهتمين من الاطلاع على محتوياتها الثمينة، والإقبال على تحقيق العديد من كنوزها.

- حكم في التصوف لأبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ت931هـ/1524م، وهي ضمن مجموع تحت رقم: 1066(d1019) من الورقة 265أ إلى 268أ، مسطرتها 22، مقياسها14،5×21 سم، كتبت بخط مغربي رديء.[3]

ولمن يريد الإطلاع على مؤلف هذه المخطوطة يمكنه العودة إلى كتاب مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، حيث خصص القسم الثاني منه للترجمة لهذا الولي، وركز بالخصوص على نسبه وأسرته، وتكوينه وكراماته، ومواقفه السياسية.[4]

وللمؤلف مخطوط آخر في نفس الخزانة بعنوان مختصر لكتاب في التصوف، وهو ضمن مجموع تحت رقم 1141(d1019) من الورقة 1ب إلى41 ب، مسطرته 28، مقياسه 15×21،5 مكتوب بخط مغربي وسط وعليه طرر كثيرة.[5]

---

[1] - محمد إبراهيم الكتاني وصالح التادلي، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط**، المجلد الخامس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص86- 88.

[3] - ي.س.علوش وعبد الله الرجراجي، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط(القسم الثاني1921-1953)**، الجزء الأول، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 2001، ص163.

[4] - محمد حاج صادق، **مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص ص 73-111.

[5] - علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص187.

-رياض الأنس في علم الرقائق وسير أهل الحقائق لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الثعالبي ت875هـ/1470م، ضمن مجموع يحمل رقم:1096(d1508) من الورقة 1ب إلى 58 ب، مسطرته 35، مقياسه 20،5×31،5.انتهى من نسخه سنة 1281هـ/1864م بخط مغربي وسط.[1]

وتعتبر مؤلفات عبد الرحمان الثعالبي الأكثر حضورا في الخزانات المغربية مقارنة بإنتاج بقية المؤلفين الجزائريين، ولعل السر في ذلك يعود لمكانة هذا العالم الذي اشتهر بالتأليف في مختلف علوم عصره، والتي فاق عددها التسعين مؤلفا، بعضها طبع-منها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والعلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة، ونبذة من كتابه المسمى بالجامع الكبير- والأغلبية لا تزال حبيسة الخزانات تنتظر من يعمل على تحقيقها.[2]

-مختصر جامع لفوائد من العلم ينتفع بها عند الحاجة لعبد الرحمان الثعالبي، تحت رقم: 1140(d1530) يتألف من 115ورقة، مسطرته 17، مقياسه 14،5×19سم، مكتوب بخط مغربي وسط.[3]

-الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات لعبد الرحمان الثعالبي يحمل رقم: 1227(d622)، وهو مختار من نزهة الأسرار ولوامع الأنوار.يتشكل من 151ورقة، مسطرته 25، مقياسه22×31،5، مكتوب بخط مغربي،[4] كما توجد نسخة أخرى بنفس المكتبة تحت رقم: 1228(d667).[5] وتحتفظ مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بنسخة لنفس المخطوط تحت رقم: 542-5 لكنه لا يتألف إلا من خمس عشرة ورقة.

- الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة لأبي زيد عبد الرحمان الثعالبي، لخص فيه تعليق أبي عبد الله محمد السلمي الشافعي على الأربعين حديثا التي انتخبها زكي الدين عبد العظيم المنذري مع زيادات عليها.والمخطوط في مجموع تحت رقم50(38ك/3) من ص 165 إلى ص 191، مسطرته 21، مقياسه 19×22،7.كتب بخط مغربي وسط ملون خال من تاريخ النسخ واسم الناسخ.[6]

-قصيدتان في التصوف لأبي مدين الغوث بن الحسن الأنصاري ت594هـ/1197م، الأولى في تسع وعشرين بيتا، ومطلعها:

أيا من تعلى مجده فتكبرا وجل جلالا قدره أن يقدرا

---

[1] - **المرجع نفسه**، ص 172.

[2] - لمزيد من التعرف على عبد الرحمان الثعالبي وإنتاجه الفكري يمكن العودة إلى مؤلفنا: **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين(ق13-15م) دراسة في التاريخ السوسيو- ثقافي**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003، ص ص296-304.

[3] - علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص187.

[4] - **المرجع نفسه**، ص214.

[5] - **نفسه**، ص215.

[6] - محمد المنوني، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط**، المجلد السادس الخزانة الكتانية-1-مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1999- 2000، ص 30-31.

والثانية في اثنين وعشرين بيتا ومطلعها:

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا وتذهب بالأشواق أرواحنا منا

والقصيدتان في مجموع تحت رقم: 1129(d774) من الورقة 68أ إلى 69ب، مسطرتهما 16، مقياسيهما 13،5×20،5، كتبت بخط مغربي وسط.[1]

– تأليف في الأدعية لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ت895هـ/1489م، في مجموع يحمل رقم: 1184(d1531) من الورقة 168أ إلى 185ب، مسطرته 17، مقياسه 15×18،5 سم، مكتوب بخط مغربي.[2]

والإمام السنوسي يعتبر من كبار علماء المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري(ق15م)، شارك في مختلف علوم عصره تدريسا وتأليفا، وبرز خاصة في علم التوحيد، حيث صنف فيه عدة مؤلفات منها: عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرج من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد، المعروفة بالعقيدة الكبرى، وعمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوفيق، وهي شرح مفصل للعقيدة الكبرى، والعقيدة الوسطى، والعقيدة الصغرى المشهورة بالسنوسية أو أم البراهين، وكل هذه المؤلفات تم تحقيقها.[3]

– أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس، تأليف أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المانوي الورنيدي المعروف بابن الحاج ت 930هـ/ 1524م[4]، وقد شرح فيها القصيدة المسماة بالنفحات القدسية في مناقب صلحاء بغداد لناظمها أبي علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني، وهي في واحد وتسعين بيتا، مطلعها:

ألا مل إلى بغداد فهي منى النفسوحدث بها عمن ثوى باطن الرمس

وهي ضمن مجموع تحت رقم: 3969(4/2100د) ص ص 143-180، مسطرته 38، مقياسه30،5×23 سم، بخط مغربي وسط، تم الفراغ من نسخه على يد علي بن عبد الكريم بن عبد القوي بن جابر الحداوي العمراني في 4 رجب سنة 996هـ/1587م.[5]

– حزب البوني في الأذكار، وهو أبو العباس أحمد بن علي القرشي البوني المتوفى بالقاهرة عام 622هـ/1225م، ضمن مجموع يحمل رقم: 4490(15/1749د) بين صفحتي 276- 289، مسطرته 10، مقياسه22×18 سم.خط مغربي جيد محلى بالألوان، كمل نسخه في 16جمادى الآخر 1287هـ/1870م.[6]

---

[1] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 183.

[2] – **المرجع نفسه**، ص 202.

[3] – يمكن العودة إلى مؤلفنا المشار إليه سابقا،ص ص 304- 312.

[4] – للتعرف عليه أكثر راجع ابن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تقديم عبد الرحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص ص 8- 24.

[5] – محمد إبراهيم الكتاني وصالح التادلي، المرجع السابق، ص 99.

[6] – **المرجع نفسه**، ص 263.

– اللمعة النورانية في الأوراد الربانية لأبي العباس أحمد بن علي القرشي البوني، في مجموع تحت رقم: 286(125ك/3) من الورقة 81أ إلى الورقة 107أ، مسطرتها 20، مقياسها 25×17، خط مشرقي نسخي حسن ملون خال من تاريخ النسخ والتأليف واسم الناسخ.[1]

– أجوبة أبي الخيرات محمد المصطفى بن عبد الله بن موسى الرماصي ت 1136هـ/1723م، في مجموع تحت رقم:1332(d1641) من الورقة 212 أ إلى 245 أ، سطورها 22، مقياسها 16×20،5 سم.وقع الفراغ منها في 20 ربيع الثاني عام 1115هـ/1703م، مكتوب بخط مغربي رديء.[2]

– الأجوبة المهمة لمن له بأمر دينه همة لمحمد المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي، وذلك ضمن مجموع رقم: 1335(d1429) من الورقة 1 أ إلى 57 ب، مسطرتها 20، مقياسها 18× 22،5 سم.فرغ من نسخها في 20 جمادى الأولى عام 1298هـ/1880م، مكتوب بخط مغربي لا بأس به.[3] توجد نسخة أخرى لهذه المخطوطة محفوظة في مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء تحت رقم:46، تتألف من 162 ورقة، مقياسها 17×22 سم، مسطرتها 21 مع تعديل بسيط في العنوان حيث جاء على النحو التالي:الأجوبة المهمة لمن له في أمر دينه همة.

– اختصار أحكام البرزلي لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني ت 914هـ/1508م، المخطوط ضمن مجموع تحت رقم: 1343(d1447) من الصفحة 393 إلى 447، سطوره 22، مقياسه 15×21.كتب بخط مغربي لا بأس به.[4] توجد نسخة أخرى لنفس المخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: 144(263ق).ولقد كمل نسخها يوم الاثنين 22 رجب 1088هـ/1677م على يد أحمد بن عبد الله بن محمد البوني.[5]

والونشريسي هو الآخر له تراث مخطوط مهم بالخزانات المغربية، خصوصا وأنه يعد من كبار علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى، حيث استقر بمدينة فاس السنوات الأربعين الأخيرة من حياته، فأقبل على التأليف، واستفاد من مكتبات مدينة فاس الغنية وقتها، ومن أهم مصنفاته المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب.

وعثرنا للونشريسي على مخطوطين آخرين بالخزانة العامة، الأول بعنوان إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، وهو في فروع المذهب المالكي، يرتب تحت رقم:145(76ق) ضمن مجموع بين صفحتي 3–

---

[1].– محمد المنوني، **المرجع السابق**، ص 134.

[2] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 244.

[3] – **المرجع نفسه**، ص 245.

[4] – **نفسه**، ص 247.

[5] – سعيد لمرابطي، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط**، المجلد السابع، خزانة الأوقاف(حرف القاف) –1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص149 – 150.

53.مسطرته 26، مقياسه 22×17 سم، خط مغربي لا بأس به، رؤوس الفقرات والتنبيهات بخط عريض.كمل نسخه أواسط صفر سنة 963هـ/1555م على يد عبد الله إبراهيم بن محمد الشاوي.[1] تتوفر منه نسخة بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء تحت رقم:438، تتألف من 28 ورقة، مقياسها 18×23 سم، مسطرتها 26.

أما المخطوط الثاني فبعنوان غنية المعاصر والتالي في شرح فقه وثائق أبي عبد الله الفشتالي، وهو ضمن مجموع تحت رقم: 1527(d1354) من الورقة 65 أ إلى 118 أ، مسطرته 33، مقياسه 20×29 سم، مكتوب بخط مغربي.[2]

والفشتالي صاحب الغنية هو محمد بن أحمد بن عبد الملك الفاسي 779هـ/1377م، قاضي الجماعة بفاس، وهو من كبار الفقهاء المشاركين في العلوم، وإن غلب عليه الفروع، واقتصر على حفظ المسائل، وتقدم في علم الوثائق الذي اشتهر به.[3]

– تأليف فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي ت 909هـ/1503م في مجموع تحت رقم 1386(d1602) من الورقة 206 ب إلى 213 ب، مسطرته 22، مقياسه 15×20،5 سم.مكتوب بخط مغربي لا بأس به، مبتور الآخر.[4]

والمغيلي من كبار العلماء له تآليف عديدة عددها صاحب البستان، ونقلها عنه أحمد بابا التنبكتي، وهي بين مؤلفات وشروح في الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم.[5]

– مقدمة في الفقه لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد الصغير الأخضري، تحت رقم: 1597(d735).عدد أوراقها ست، مسطرتها 26، مقياسها 18،5×24 سم، مكتوبة بخط مغربي.فرغ من نسخها يوم الثلاثاء 18 شعبان سنة 1326هـ/1908م[6]

والأخضري من علماء الجزائر، عاش خلال القرن العاشر الهجري (ق 16م) له مؤلفات عديدة منها:"الدرة البيضاء في الحساب والفرائض، والجوهر المكنون في الثلاثة فنون المعاني والبيان والبديع، والسلم المرونق في علم المنطق، والمنظومة القدسية في طريق السنة، والتحذير من البدع..." .[7]

---

[1] – **المرجع نفسه**، ص 150-151.

[2] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 300.

[3] – التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000،ص 446.

[4] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 260.

[5] – ابن مريم التلمساني، **المصدر السابق**، ص 255- 256.

[6] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 320.

[7] – محمد الحفناوي، **المرجع السابق**، القسم الأول، ص 67.

– منظومة في الفرائض لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله التلمساني، المتوفى بسبتة بعد 690هـ/1291م، وهي في ثمانمائة وثلاث أبيات مطلعها:

الحمد لله القديم الباقيالخالق المقتدر الرزاق

وهي ضمن مجموع تحت رقم: 1604(d1040) من الورقة 189 أ إلى 226 أ، مسطرتها 11، مقياسها 18×5،22 سم.نجز النظم في النصف من جمادى الآخرة سنة 635هـ/1237م، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل مشكول.[1] توجد نسخة منها بمكتبة الملك عبد العزيز المشار إليها تحت رقم:145-1، مقياسها 16×22 سم، عدد أوراقها 24، مسطرتها 13، الناسخ أحمد بن موسى بن عبد الرحمان القصار الزروالي.ولقد طبعت هذه المنظومة أي التلمسانية في الفرائض طبعة حجرية بالمطبعة المصرية سنة 1324هـ/1906م

وجاء في ترجمة صاحب المنظومة أنه: "كان فقيها عارفا بعقد الشروط، مبرزا في العدد والفرائض، أديبا شاعرا محسنا ماهرا في كل ما يحاول، ونظم في الفرائض وهو ابن عشرين سنة أرجوزة هي التلمسانية المشهورة، محكمة بعملها ضابطة عجيبة الوضع."[2]

ومن أهم مؤلفاته بالإضافة إلى أرجوزته في الفرائض المحفوظة نسخة عنها في الخزانة العامة، منظوماته في السير، وأمداح له للنبي صلى الله عليه وسلم، كما له قصيدة في المولد النبوي.[3]

– المنزع الجليل في شرح مختصر خليل تأليف الحافظ أبي الفضل محمد بن أحمد بن محمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني ت 842هـ/1439م، تتضمن المخطوطة الجزء الأخير الذي يصنف تحت رقم: 164(442د)، عدد ورقاته 282، مسطرته 27، أما الناسخ فهو يحيى بن محمد بن أبي بكر.[4]

وصاحب هذا التأليف قدم له ابن مريم ترجمة وافية في البستان في حوالي ثلاث عشرة صفحة عدد فيها معارفه وتآليفه وخصاله.[5]

– أجوبة وفتاوى جمعها ابن مرزوق الحفيد التلمساني، المخطوطة تحت رقم: 219(134د)، عدد صفحاتها 456، مسطرتها 23.كمل نسخها في 23 جمادى الأولى 1261هـ/1845م على يد أحمد بن محمد بن الهاشمي بن منصور الغزاوي.[6]

– مثارات الغلط في الأدلة العقلية والفقهية، وهي أجوبة عن أسئلة وردت على المؤلف في الموضوع.وهي لأبي عبد الله محمد بن أحمد العلوي بن علي الإدريسي الحسني المعروف بالشريف التلمساني ت

---

[1] – علوش وعبد الله الرجراجي، **المرجع السابق**، ص 322.

[2] – محمد الحفناوي، **المرجع السابق**، القسم الأول، ص 13.

[3] – **المرجع نفسه**، ص 14.

[4] – ليفي بروفنصال، **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط**، المجلد الأول، مراجعة صالح التادلي وسعيد المرابطي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997– 1998، ص 56.

[5] – ابن مريم، **المصدر السابق**، ص ص 201– 214.

[6] – ليفي بروفنصال، **المرجع السابق**، ص 70.

771هـ/1370م[1].رقم المخطوطة 140(31ق)، وهي ضمن مجموع، بين صفحتي 62- 77.مسطرتها 20، مقياسها 21×16،5 سم.خط مغربي لا بأس به.[2]

– المنزع النبيل في شرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني عرف بالجد والخطيب ت 781هـ/1380م، يوجد منه الجزء الأول تحت رقم 141(265ق)، يتألف من سبع مائة وأربع صفحات، مسطرته 31، مقياسه، 17×26 سم، خط مشرقي لا بأس به محلى بالحمرة.كان الفراغ من نسخه يوم الأربعاء 15 شوال 1001هـ/1592م على يد عبد الدايم الشعراوي.[3]

ولابن مرزوق العجيسي مؤلفات عديدة منها:" شرح جليل على عمدة الأحكام في خمسة أسفار...، وشرحه النفيس على الشفاء ولم يكمل، وشرحه على الأحكام الصغرى لعبد الحق، وشرحه على ابن الحاجب الفرعي سماه إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب...".[4]

لقد اخترنا من هاتين الخزانتين مخطوطات الفقه والتصوف، وأهملنا بقية المخطوطات في فنون العلم الأخرى، وذلك لصعوبة حصرها، كما أن المقام هنا لا يسمح بذكرها جميعا.

ثالثا: المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان:

تختزن هذه المكتبة عددا لا بأس به من المخطوطات الجزائرية، وإن كانت عملية البحث فيها صعبة، لأنها لا تتوفر على فهرس جامع مطبوع كما هو الأمر بالنسبة للخزانتين السابقتين، باستثناء فهرس مخطوطات تطوان: قسم القرآن وعلومه، في جزأين للمهدي الدليرو ومحمد بوخبزة.ونحاول أن نعرض ما أمكننا جمعه من عناوين مخطوطات جزائرية بهذه المكتبة، مصنفينها إلى عدد من العلوم.

1– القرآن وعلومه:

– أبيات الأمان في مدح خير عدنان، تنسب لأبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ثم الجزائري المالكي (ت963هـ/1555م).توجد في نسختين، الأولى تحت رقم 701م، والثانية تحت رقم 518م.

– الطراز في شرح ضبط الخراز، وهو في شرح القسم الثاني من مورد الظمآن الخاص بضبط كلمات القرآن، لأبي عبد الجليل التنسي (ت899هـ/1494م)، في ثلاث نسخ، النسخة الأولى رقم 316م، الثانية 148م، الثالثة لم يشر إلى رقمها.

– تقييد في رسم الأئمة القراء السبعة، لمحمد التلمساني، رقم المخطوط 853م.

2– التصوف:

– الدرة الثمينة السنية في شرح أصول الطريقة الشاذلية، للخروبي الجزائري، ضمن مجموع رقم 99.

---

[1] – راجع ترجمته عند ابن مريم، **المصدر السابق**، ص ص 164- 184.

[2] – سعيد لمرابطي، **المرجع السابق**، ص 146- 147.

[3] – المرجع نفسه، ص 147- 148.

4 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 189.

- رسائل أحمد التجاني، ضمن مجموع، رقم 659.
- شرح أبيات "رأيت ربي بعين قلبي" لمحمد بن علي السنوسي، رقم 862.
- السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين لمحمد بن علي السنوسي، رقم28.

3- العقائد والأصول والتوحيد:

- شرح رسالة في الأصول، لمحمد الخروبي، ضمن مجموع، رقم 874.
- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم866.
- حقائق التوحيد المشتملة على معرفة العقائد، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم 589.
- عقيدة محمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم589.
- عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد، لمحمد السنوسي، رقم643.
- المقدمة، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم535.

4- علم الفلك:

- تقييد في أقسام الأجرام، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم826.
- شرح بغية الطالب في علم الأسطرلاب، لمحمد السنوسي، رقم373.

5- المنطق:

- شرح المختصر في المنطق، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع، رقم152.
- مختصر في المنطق، لمحمد السنوسي، ضمن مجموع في نسختين، رقم152، و890.

6- النوازل والفتاوى:

- أسئلة وأجوبة في القدر لأحمد الونشريسي، ضمن مجموع، رقم 447.
- أسئلة وأجوبة في مواضيع شتى، لعبد القادر الجزائري، رقم830.

7- مواضيع مختلفة:

- تفسير سورة القدر، لمحمد بن يوسف السنوسي، ضمن مجموعن رقم 739.
- نزهة الألباب الجامعة لفنون الآداب، لسعيد العقباني، رقم898/87.
- ميمية في تقلبات الزمان، لسعيد العقباني، رقم 256/85.
- منظومة في منازل السنة، لأحمد بن زكري، ضمن مجموع، رقم 26.
- رياض الصالحين وتحفة المتقين، لعبد الرحمان الثعالبي، ضمن مجموع، رقم 443.
- حقائق وحدود، لعبد الرحمان الثعالبي، ضمن مجموع رقم 456/3.
- العلوم الفاخرة في النظر في أحوال الآخرة، لعبد الرحمان الثعالبي، رقم 346.
- واسطة السلوك في سياسة الملوك، لموسى بن يغمراسن، ضمن مجموع، رقم 256.
- رسالة في الفرائض، لابن مرزوق التلمساني، ضمن مجموع، رقم 331.

- منظومة في المواريث، لأبي إسحاق التلمساني، ضمن مجموع، رقم 449.
- غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق الفشتالي، لأحمد السنوسي، رقم580.
- النهج الفائق، لأحمد الونشريسي، ضمن مجموع، رقم128و604 و654.
- الدرر المنثورة وضم الأقوال الصحيحة المأثورة، لأحمد الونشريسي، ضمن مجموع، رقم 147.
- إيضاح المسالك إلى قواعد مالك، لأحمد الونشريسي، ضمن مجموع، رقم 619.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه المداخلة المتواضعة، عرض عناوين مجموعة من المخطوطات الجزائرية، المتوفرة في كل من الخزانة الملكية، والخزانة العامة بالرباط، والمكتبة العامة والمحفوظات بمدينة تطوان، لم نتمكن من خلالها عرض كل ما تتوفر عليه هذه المكتبات، بل اقتصرنا على بعض المخطوطات الجزائرية دون الأخرى، رغبة منا في الاختصار، وحتى تتوافق مع الوقت الممنوح في مثل هذه الملتقيات الدولية.وإن ما يمكن استنتاجه في الأخير، أن التراث الجزائري المخطوط، متوفر وبشكل كبير بالمغرب الأقصى، سواء في المكتبات التي ركزنا عليها في هذه المداخلة، أو المكتبات والخزانات الأخرى، وما أكثرها، وما على الباحثين الجزائريين، سواء في إطار مشاريعهم البحثية، أو في إطار إنجاز أطاريحهم الجامعية إلا الاهتمام بهذا التراث وإبرازه، وذلك من خلال جرده إحصائه أولا، ثم الإقبال على تحقيقه ونشره، حتى يتسنى الاستفادة منه.

المخطوطات الجزائرية في دار الكتب القطرية

الدكتور عمر أنور الزبداني

موقع الشبكة الإسلامية

قسم البحوث والدراسات

مقدمة

تسعى الأمم الحية إلى إحياء تراثها، والاهتمام به؛ لما يمثله هذا التراث من ذاكرة لماضيها، وامتداد لتاريخها، واستمرار لأمجادها، وموجّه لمعالم نهضتها.

ولأهمية إحياء تراث هذه الأمة، وجعله في تناول الباحثين، فقد عمدت في هذا البحث إلى تتبع المخطوطات الجزائرية الموجودة في دار الكتب القطرية، ووقفت بعد الرجوع إلى فهرس المخطوطات في تلك المكتبة على تسع مخطوطات لمؤلفين من الجزائر، واجتهدت في بيان أحوالها، وأرفقت صوراً لبعض صفحاتها.

وكان منهجي في هذا البحث يقوم على ذكر اسم المخطوط ورقمه ضمن مخطوطات دار الكتب القطرية، ثم التعريف بالمؤلف؛ وذلك بذكر نبذة عن حياته، وموضوع المخطوط، ثم وصف المخطوط من الناحية المادية؛ من حيث عدد صفحاته، وعدد أسطره، ومقاس الصفحات، ونوع الحبر الذي كُتب فيه، واسم الناسخ إن وُجِدَ، وتاريخ النسخ إن وُجِدَ، ونوع الجلد، والآفات التي عرضت له، ثم ذكر ما عليه من ملاحظات.

أولاً: مخطوط رقم (4/334)

تعريف بالمؤلف: الأخضري، عبد الرحمن بن محمد (983هـ).

قال الزركلي: "صاحب متن (السُّلَّم)، أرجوزة في المنطق، و(شرح السُّلَّم).هو من أهل بسكرة، في الجزائر، وقبره في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة.له كتب أخرى، منها (الجوهر المكنون) نظم في البيان، مطبوع، أوجز فيه (التلخيص) وشرحه، و(شرح السراج) في علم الفلك، والأصل قصيدة لسحنون الونشريسي، و(الدرة البيضاء) في علمي الفرائض والحساب، نظماً، و(شرحها) في جزأين، و(مختصر) في العبادات، يسمى (مختصر الاخضري) على مذهب مالك.توفي سنة (983هـ)[1].

عنوان المخطوط: شرح السُّلَّم المرونق في المنطق.

موضوع المخطوط: علم المنطق.

بداية المخطوط: بعد البسملة، الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء سموات تتجلى فيها شموس المعارف...وبعد: فلما وضعت الأرجوزة المسمَّاة بـ "السُّلَّم المرونق على المنطق"...على أن أضع عليها شرحاً...الحمد لله الذي قد أخرجا...نتايج الفكر لأرباب الحجا..قال المحقق:....

[1] الأعلام: 331/3. ويُنظر: كشف الظنون: 998/2؛ هدية العارفين: 289/1؛ معجم أعلام الجزائر: 90.

نهاية المخطوط: تقطع الشمس في كل يوم درجة، وتقطع الفُلكَ في سنة، ويكون طول المساوي وقصرهما بحسب الميل الشمالي والجنوبي لا تباع القوس، وضيقه في الأوقات المايلة التي لها عرض، وأما القمر فيقيم في كل برج ليلتين وثلاثة.تم بحمد الله وتوفيقه

نوع الخط: معتاد.

عدد الأوراق: من ق34-57.**عدد الأسطر**: 21.**المقاس**: 5,21×16سم.

نوع الورق: أوربي قديم.

الحبر: أسود وأحمر.

الآفات: رطوبة.**التجليد**: حديث.

ملاحظات: على هامش تعليقات وتظهر في أوراقه العلامات المائية[1].



الصفحة الأولى من مخطوط (شرح السُّلَّم المرونق في المنطق) رقم (**4/334**)

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 97/1.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (شرح السُّلَّم المرونق في المنطق) رقم (**4/334**)

ثانياً: مخطوط رقم (6/1073)

تعريف بالمؤلف: الأخضري، عبد الرحمن بن محمد (983)[1].

عنوان المخطوط: شرح السُّلَّم المرونق في المنطق.

موضوع المخطوط: علم المنطق.

بداية المخطوط: بعد البسملة، الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء سموات تتجلى فيها شموس المعارف...أما بعد: فلما وضعت الأرجوزة المسمَّاة "السُّلَّم المرونق على المنطق"...راودني بعض الإخوان...على أن أضع عليها شرحاً مفيداً...فأجبته إلى ذلك، طالباً من الله حسن التوفيق.

نهاية المخطوط: ويكون طول المَلَوين وقصرهما بحسب الميل الشمالي والجنوبي؛ لاتساع القوس وضيقه في الآفاق المائلة التي لها عرض.وأما القمر فيبقى في كل برج ليلتين وثلثا، ويقطع الفلك في شهر، فسبحان مكون الأكوان.وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وسلم تسليماً.

نوع الخط: نسخ.

عدد الأوراق: من ق108-121.**عدد الأسطر**: 25.**المقاس**: 21,5×14,5سم.

---

[1] يُنظر: الأعلام: 331/3؛ كشف الظنون: 998/2؛ هدية العارفين: 289/1؛ معجم أعلام الجزائر: 90.

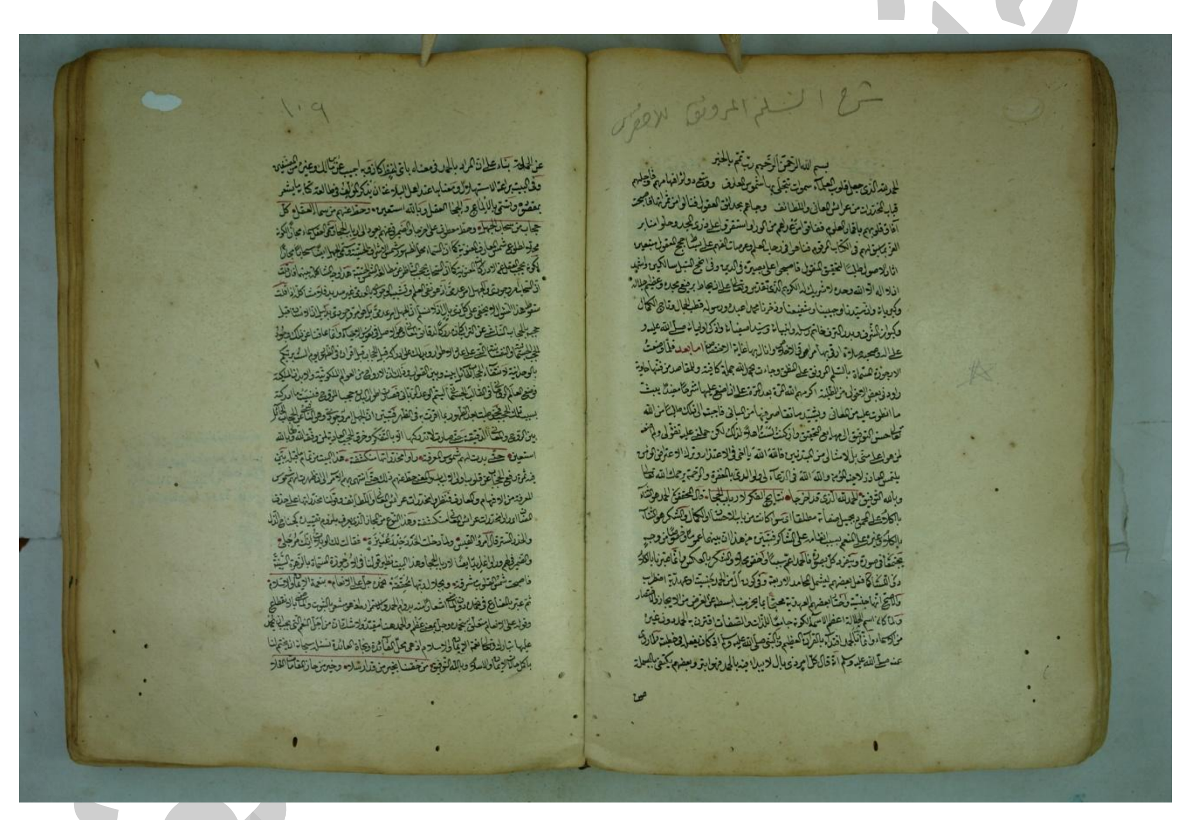
نوع الورق: مشرقي.

الحبر: أسود وأحمر.

الآفات: أرضة ورطوبة.

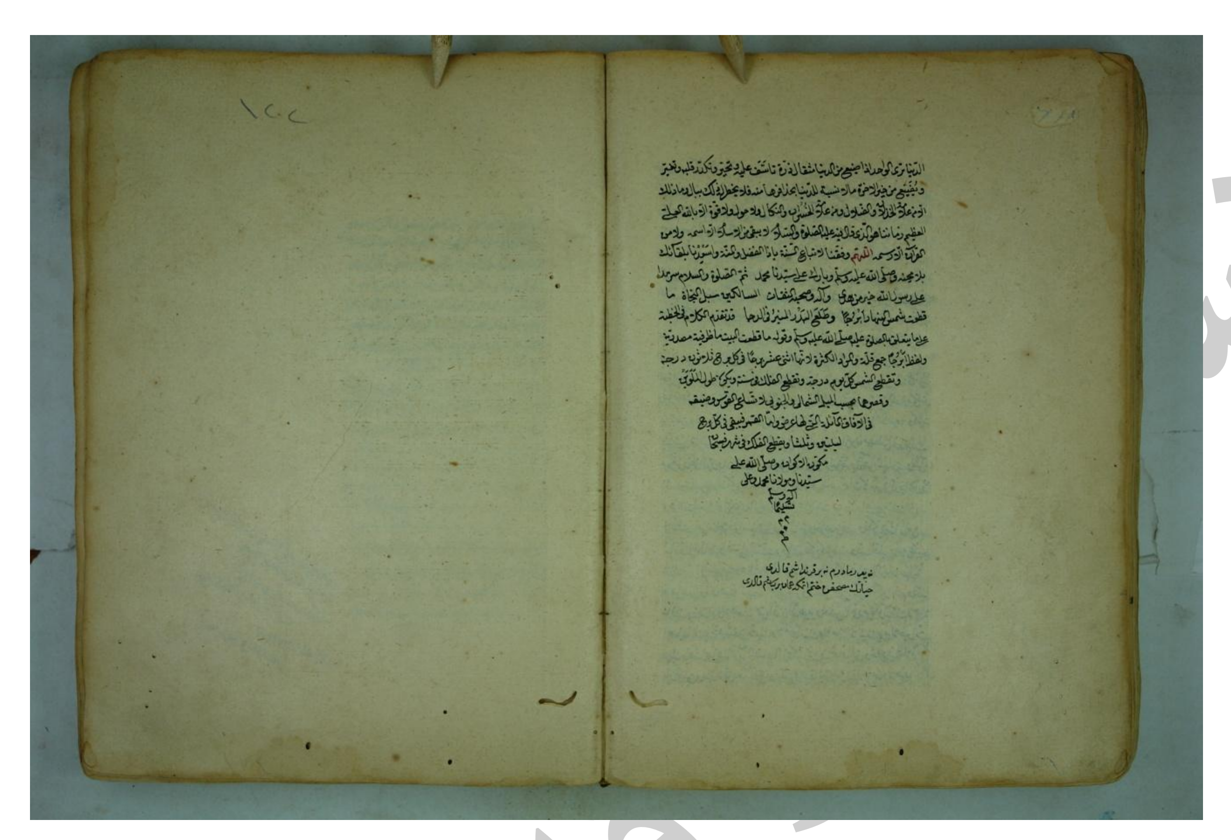
التجليد: قديم (مملوكي).

ملاحظات: على هامشه تعليقات[1].



الصفحة الأولى من مخطوط (شرح السُّلَّم المرونق في المنطق) رقم (6/1073)

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 98/1.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (شرح السُّلَّم المرونق في المنطق) رقم (6/1073)

ثالثاً: مخطوط رقم (139)

عنوان المخطوط: شرح الدرة البيضاء في الفرائض للأخضري[1].

موضوع المخطوط: فرائض.

بداية المخطوط: بعد البسملة، الحمد لله الموصوف بصفة العظمة والكمال، المتعالي بصفة جلال الهيئة من أن يكون له ضد أو ندٌّ أو مثال.وبعد فإني لما رأيت التأليف المسمى بالدرة البيضاء الذي ألفه...الأخضري...قد اعتنى بقراءته غير واحد، سمح لي أن أشرح شرحاً، يَحُلُّ ألفاظه، ويبين مراده.

نهاية المخطوط: وهذا نهاية المراد...والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراًّ، والصلاة والسلام الدائمة والتسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين.

نوع الخط: مغربي.

---

[1] الدرة البيضاء لعبد الرحمن بن محمد الأخضري المتقدم، ولم أقف على اسم الشارح، ولعل الناسخ هو الشارح. وفي آخر المخطوط كُتب ما يلي: "هذا كتاب الفقير إلى الله تعالى: سعيد بن الحاج أحمد أبو عروس بن أحمد منصور، الفلسطيني منشأ، الدمشقي داراً ومهاجراً، المالكي مذهباً". وهذا، وقد أدرجت هذا المخطوط ضمن المخطوطات الجزائرية الموجودة في دار الكتب القطرية باعتبار صاحب المتن، وهو الأخضري.

اسم الناسخ: سعيد بن أحمد منصور.

تاريخ النسخ: 1282م.

عدد الأوراق: 109.**عدد الأسطر**: 24.**المقاس**: 22،5×16.

نوع الورق: مشرقي.

الحبر: أسود وأحمر وأزرق.

الأمور الفنية: جدولة.

الآفات: رطوبة.

التجليد: قديم.

ملاحظات: في أوله تملك باسم محمد أبو السعادات نجل السيد حسن سليم مفتي يافا الدجاني، سنة 1317هـ.على هامشه بعض التعليقات، في آخرة فائدة في معرفة القسمة[1].



الصفحة الأولى من مخطوط (شرح الدرة البيضاء في الفرائض) رقم (139)

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 688/1.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (شرح الدرة البيضاء في الفرائض) رقم (139)

رابعاً: مخطوط رقم (2/202)

تعريف بالمؤلف: الخروبي: محمد بن علي الخروبي (963هـ).

قال الزركلي: "فقيه الجزائر في عصره.دخل مراكش سنة (959هـ) سفيراً بين سلطان آل عثمان والأمير أبي عبد الله الشريف، للمهادنة بينهما.وتوفي بالجزائر.له مؤلفات، منها كتاب في (التفسير) و(الحِكَم الكبرى)، و(شرح كتاب عيوب النفس ومداواتها)"[1].وقال في هدية العارفين: "ولد بطرابلس الغرب، وانتقل إلى الجزائر، سكن إلى أن توفي بها سنة (963هـ).له رسالة (ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس)، (شرح صلوات ابن مشيش)، كتاب (الأنس في التنبيه عن عيوب النفس)، (كفاية المريد وحلية العبيد في التصوف)، (مزيل اللَّبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس)[2].

عنوان المخطوط: الدرة الشريفة على أصول الطريقة.

موضوع المخطوط: تصوف.

---

[1] الأعلام: 292/6.

[2] هدية العارفين: 76/2. ويُنظر: إيضاح المكنون: 471/2؛ معجم أعلام الجزائر: 167.

بداية المخطوط: الحمد لله، أحمد الله تعالى في كل أمر ذي بال وعلى كل حال، وأشكره على ما منَّ علينا من سوابغ النعم وكمال الأفضال.

نهاية المخطوط: نجزت الدرة الشريفة على أصول الطريقة، نفع الله بها المسلمين، وجعلها ذخراً ليوم الدين، وصلى الله على سيد الكونين والثقلين، ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

نوع الخط: مغربي.

اسم الناسخ: بلقاسم بن الحاج محمد الصغير بن محمد.

تاريخ النسخ: 1260هـ.

عدد الأوراق: 88-107.عدد الأسطر: 22.المقاس: 21×14سم.

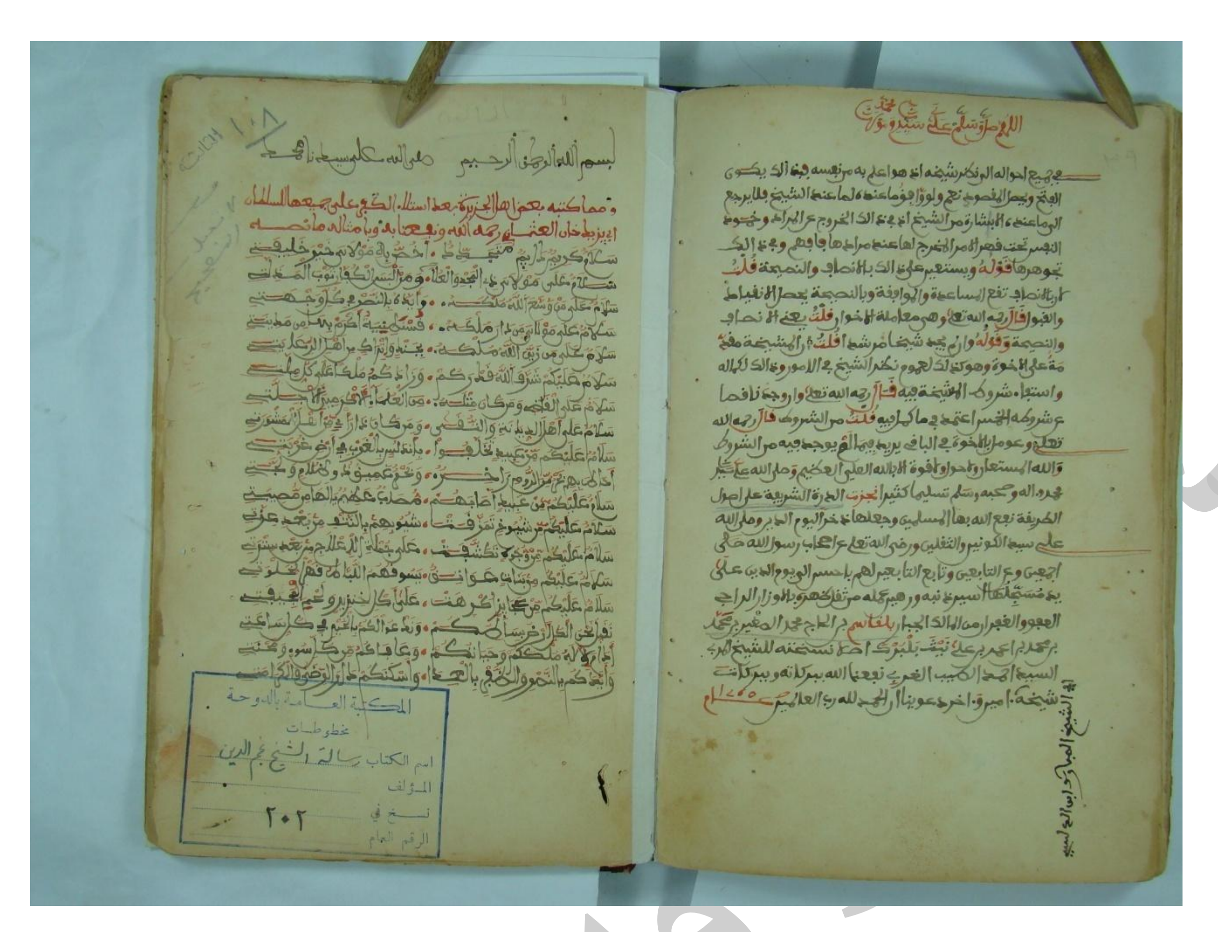
نوع الورق: حديث.

الحبر: أسود واحمر.**التجليد**: حديث[1].



الصفحة الأولى من مخطوط (الدرة الشريفة على أصول الطريقة) **رقم (2/202)**

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 1208/2.



الصفحة الأخيرة (على اليمين) من مخطوط (الدرة الشريفة على أصول الطريقة) **رقم (2/202)**

خامساً: مخطوط رقم (1037)

تعريف بالمؤلف: الخروبي: محمد بن علي الخروبي (963هـ)[1].

عنوان المخطوط: المفيد الجامع لمهم مسائل كفاية المريد وحلية العبيد.

موضوع المخطوط: تصوف.

بداية المخطوط: بعد البسملة، قال:...علي الخروبي الطرابلسي...الحمد لله الذي نوَّر قلوب العارفين...وبعد: فإنه لما كان كتاب المسمى بكفاية المريد وحلية العبيد كبير جرمه...فسألني بعض إخواني...أن أختصر له...فأجبته، وسميت مختصرنا هذا بـ "المفيد الجامع..".

نهاية المخطوط: والعارف بما مكنه من المعرفة، وصفاء السر أهدى سبيلاً، وأقوم قيلاً...تبعد عنه حِكَمٌ، ولا يغيبه مكنه الفهم، وإنما هذه النبذة إشارة لحال العارف كي لا تلتبس لغير لا رب...

نوع الخط: مغربي.

---

[1] يُنظر: الأعلام: 292/6؛ هدية العارفين: 76/2؛ إيضاح المكنون: 471/2؛ معجم أعلام الجزائر: 167.

اسم الناسخ: محمد الخواص بن علي بن منصور البتروني.

تاريخ النسخ: 1194هـ.

عدد الأوراق: 91.**عدد الأسطر:** 30.**المقاس:** 25،5×18،5سم.

نوع الورق: مشرقي.

الحبر: أسود وأحمر.

الآفات: رطوبة.

التجليد: حديث.

ملاحظات: على هامشه تعليقات[1].

سادساً: مخطوط رقم (528)

تعريف بالمؤلف: الجزائري، محمد بن عبد القادر بن محيي الدين الحسني، الجزائري، الدمشقي (1331هـ)[2].

قال الزركلي: "محمد (باشا) ابن الأمير عبد القادر بن محيي الدين الحسني الجزائري: من فضلاء الأعيان.ولد على الأرجح في ولاية وهران بالجزائر، ونشأ وعاش في دمشق، وقد سكنها أبوه سنة (1271هـ).وعكف على سيرة أبيه، فجمع ما تفرق منها، وسماها (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر)"[3].وقال في معجم المؤلفين: "مؤرخ مشارك في بعض العلوم.نشأ بدمشق، وتوفي بالقسطنطينية"[4].

عنوان المخطوط: تحفة الزائر في سيرة الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر.

موضوع المخطوط: تصوف.

بداية المخطوط: ذكر ركوب الأمير البحر، ووصوله طولون، وما اتفق مع دولة فرنسا، وثالث يوم من وصوله إلى جامع الغزوات سار بأهله وبمن بمعيته إلى المرسى، والناس على اليمين والشمال يبكون، ولم يزالوا على ذلك إلى أن ركب البارجة الحربية المعدة لركوبه.

---

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 1288/2. لم يتيسر لي الحصول على صور لهذا المخطوط.

[2] وقع خطأً في فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية اسم المؤلف: عبد القادر الجزائري، عبد القادر محيي الدين بن مصطفى.

[3] الأعلام: 213/6. ويُنظر: معجم المطبوعات: 694/1. وفيه: "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر"؛ معجم أعلام الجزائر: 156. وفيه: "تحفة الزائر في أخبار الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر".

[4] معجم المؤلفين: 184/10. وفيه اسم المخطوط: "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر".

نهاية المخطوط: وقلة الرواية وكلال الدراية.هذا مع ما نحن عليه من شغل البال، والتنقل في الحَيْرة من حال إلى حال.وقد وفق الله لإتمامه، واستنشاق مسك ختامه

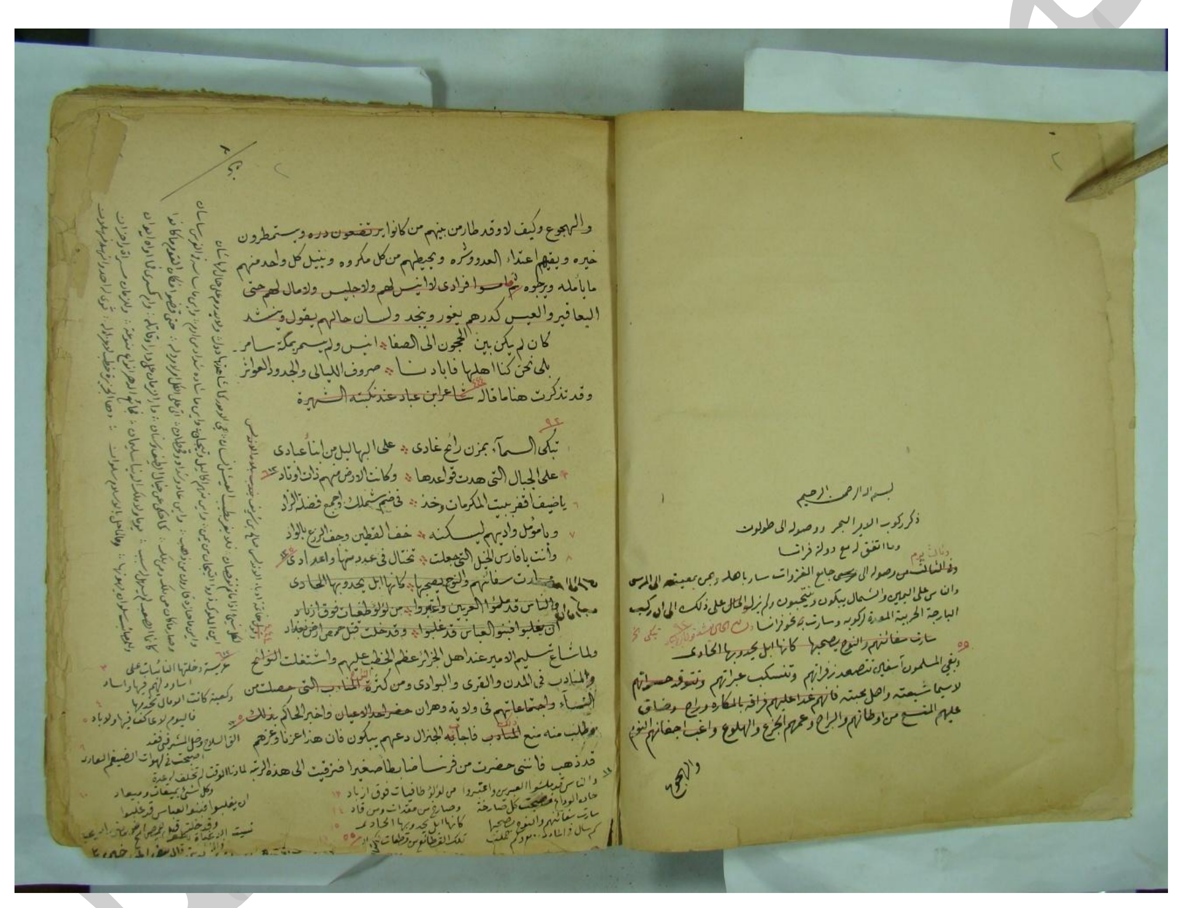
نوع الخط: نسخ معتاد.**تاريخ النسخ**: 1307هـ-1890م.

عدد الأوراق: 228.**عدد الأسطر**: 21.**المقاس**: 25×19.

نوع الورق: حديث.**الحبر**: أسود وأحمر.

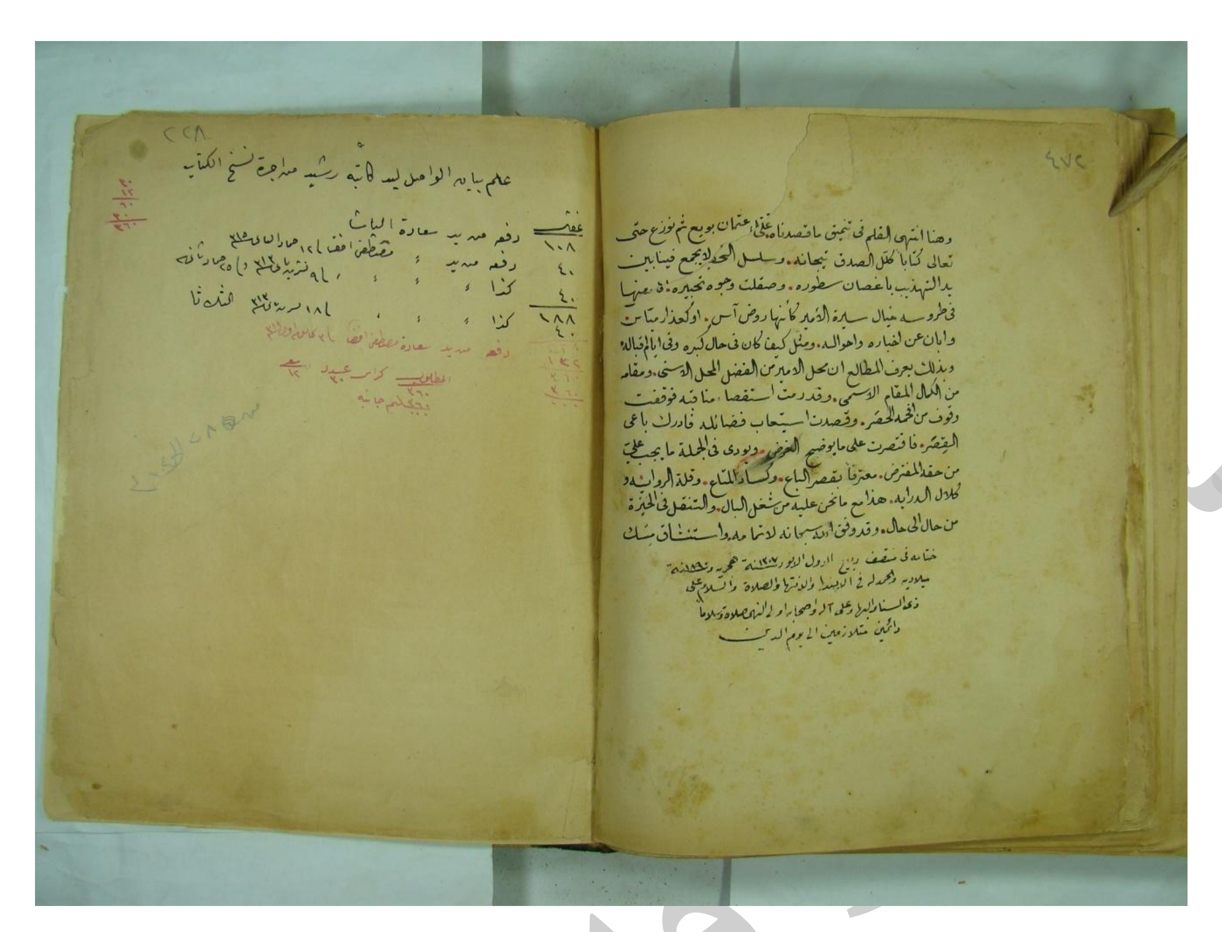
الآفات: رطوبة.**التجليد**: حديث.

ملاحظات: به شطب وتعديلات كثيرة[1].



الصفحة الأولى من مخطوط (تحفة الزائر في سيرة الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر) **رقم (528)**

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 1776/2.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (تحفة الزائر في سيرة الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر) **رقم (528)**

سابعاً: مخطوط رقم (2/283)

تعريف بالمؤلف: المقري، أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المقري التلمساني (1041هـ).

قال الزركلي: "المؤرخ الأديب الحافظ، صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب)، في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي.ولد ونشأ في تلمسان، وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة، وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر (1041هـ)، ودفن في مقبرة المجاورين...له شعر حسن، ومزدوجات رقيقة، وأخبار ومطارحات مع أدباء عصره"[1].

عنوان المخطوط: إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة.

موضوع المخطوط: علم الكلام.

بداية المخطوط: بعد البسملة: (وبه ثقتي)، يقول أحمد الفقير المِقَّري المغربي المالكي الأشعري.الحمد لله الذي توحيده أجلُّ ما اعتنى به عبيده.

---

[1] الأعلام: 237/1. ويُنظر: هدية العارفين: 85/1؛ إيضاح المكنون: 94/1؛ معجم المؤلفين: 78/2؛ معجم أعلام الجزائر: 43. و(المِقَّري) بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة، من قرى تلمسان.

نهاية المخطوط: كنز البرايا الهاشمي العربي منيلهم ما أملوا من أرب.عليه مع آلٍ وأصحاب عَلَوْا قَدْراً وأتباع بإحسان تَلَوْا.أزكى تحيات وأسما وأتم يزكوا بها مبتدأ ومختتم.

نوع الخط: نسخ.

عدد الأوراق: 26.**عدد الأسطر**: 15.**المقاس**: 22×15.

نوع الورق: مشرقي.

الحبر: أسود وأحمر.

التجليد: حديث.

ملاحظات: جاء في آخر الرسالة تملك باسم محمد همام المالكي[1].


بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
يقول أحمد الفقير المقري • المغربي المالكي الأشعري
الحمد لله الذي توحيده • أجل ما أعنى به عبيده
العالم الحي القديم الباقي • القادر الغني بالإطلاق
مرشدنا بفضله وجوده • بصنعه المعرب عن وجوده
سبحانه جل عن النظائر • وكل ما يخطر في الضمائر
وأفضل الصلاة والسلام • لمن حوى جوامع الكلام
وأفهم الحق ذوي الأذهان • وألجم الخصوم بالبرهان
وحض كل الناس أن يقولوا • شهادة تزكو بها العقول
فمن أجاب نال خيرا جد له • ومن أبى أذله أو خذله
صلى عليه الله ما الحق اعتلا • مع آله وصحبه ومن تلا
وبعد فالعلوم ذات كثرة • وبعضها له مزية الأثرة
وتنوعت إلى اعتقاد وعمل • والأول الكلام منتهى الأمل
وكل علم بالمزية انتسب • فالفضل من معلومه له انتسب
وعلم أصل الدين مشهور الشرف • وخيره المنشور والمطرف
وكيف

وكيف لا وهو مفيد للورى • علما بمن أنشاهم وصورا
وحكمه على المكلفين انحتما • وبالنجاة فاز من له انتمى
لأنه بنوره ينقذ من • ظلمة تقليد فنفعه ضمن
وكم به لعلماء الملة • من كتب بالقصد مستقلة
ما بين منثور ونظم ينتصر • جاء من مطول ومختصر
وإنني ممن إلى أتباعهم • لهم وإن كنت قصير الباع
نحيت في ذا المطلب الوحيد • بنبذة تنفع في التوحيد
سميتها إضاءة الدجنة • بكونها اعتقاد أهل السنة
وذا لما أن حللت القاهرة • بعد الوصول للبقاع الطاهرة
مستبدلا عن مظهر المعموري • مسترشدا بالأزهر المعمور
وكان ممن من زكى النية • قرأتي العقائد السنية
وأم مني بعض أهل الفن • نظمي لها بحكم حسن الظن
ولست للذي انتحى بأهل • لأنني ذو خطإ وجهل
فأرداه حتما علي ونما • وقال لي اجعل مثل هذا مغنما
فلم أجد بدا من الإسعاف • مع كون رسم العلم غير عاف

الصفحة الأولى من مخطوط (إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة) رقم (**2/283**)

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 594/1.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة) رقم (**2/283**)

ثامناً: مخطوط رقم (7/1074)

تعريف بالمؤلف: التلمساني، محمد بن عمر بن مدين (كان حياً 1202هـ).

قال في معجم المؤلفين: "فاضل من آثاره (شذور الذهب وعقود الجمان) فرغ من تخميس ذلك في 9 ذي الحجة سنة 1202هـ"[1].

عنوان المخطوط: شرح السنوسية.

موضوع المخطوط: علم الكلام.

بداية المخطوط: بعد البسملة، يقول عُبيد الله تعالى محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني...الحمد لله ثناء المنفرد بوجود الوحدانية في الذات والصفات والأفعال...وبعد: فقد سألني بعض المحبين...أن أضع شرحاً مختصراً...على فهم عقيدة الشيخ...أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي.

---

[1] معجم المؤلفين: 94/11. ويُنظر: كشف الظنون: 170/1. وفيه: "محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني"، ولم يذكر سنة وفاته. و(السنوسية) اسمها "أم البراهين في العقائد" لمحمد بن يوسف بن الحسين السنوسي، المتوفى سنة (895هـ). قال حاجي خليفة في وصف "السنوسية": "وهو مختصرٌ مفيد، محتو على جميع عقائد التوحيد، وختم بكلمتي الشهادة". ويُنظر: معجم أعلام الجزائر: 190.

نهاية المخطوط: قال الشيخ (رح) وتباينه التوفيق لا رب غيره، ولا يخفى عليك حسن مناسبة دعاء الشيخ (رح) لنفسه وأحيته بالختم على أكمل الحالات، وذلك بالنطق فيها واستحضار القلب بها.

نوع الخط: تعليق.

اسم الناسخ: عثمان بن ولي.**تاريخ النسخ**: 1127.

عدد الأوراق: منق 147–165.**عدد الأسطر**: 23.**المقاس**: 22×15.

نوع الورق: مشرقي.

الحبر: أسود وأحمر.

الآفات: أرضة، رطوبة.

التجليد: قديم (مملوكي).

ملاحظات: الأوراق مفككة، وعلى هامشه بعض التعليقات[1].

تاسعاً: مخطوط رقم (1/1141)

تعريف بالمؤلف: الراشدي، عبد القادر الراشدي، نحو(1112هـ).

قال الزركلي: "قاضي قسنطينة ومفتيها، من فقهاء المغرب.كان يميل إلى الاجتهاد.له (حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية)، وكتاب في (عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها)، ورسالة في (تحريم الدخان)، وغير ذلك"[2].وقال في معجم المؤلفين: "فقيه، أصولي، متكلم، مؤرخ.ولي القضاء والإفتاء بقسنطينة، من مؤلفاته (كتاب في مباحث الاجتهاد)، توفي نحو سنة (1112هـ)[3].

عنوان المخطوط: منظومة في إبطال التأويل وإضلال صاحبه العليل.

موضوع المخطوط: علم الكلام.

بداية المخطوط: بعد البسملة: وللراجي عبد القادر الراشدي عبد القادر خير أعني المأول أنه كافر بالله قضته العقول.

---

[1] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 638/1. لم يتيسر لي الحصول على صور لهذا المخطوط.

[2] الأعلام: 38/4.

[3] معجم المؤلفين: 288/5. ويُنظر: معجم أعلام الجزائر: 94.

نهاية المخطوط: بئس ما نطقوا به من الكفر في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبئس النزول من درجة الإيمان إلى درك الكفر، وقد قال تعالى، ومن يكفر بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق[1].

نوع الخط: مغربي.

اسم الناسخ: عبد اللطيف بن أحمد الشريف.**تاريخ النسخ:** 1189هـ.

عدد الأوراق: من1-3.**عدد الأسطر:** 20.**المقاس:** 21،5×16.

نوع الورق: مشرقي.**الحبر:** أسود وأحمر.

الآفات: رطوبة.

التجليد: حديث.

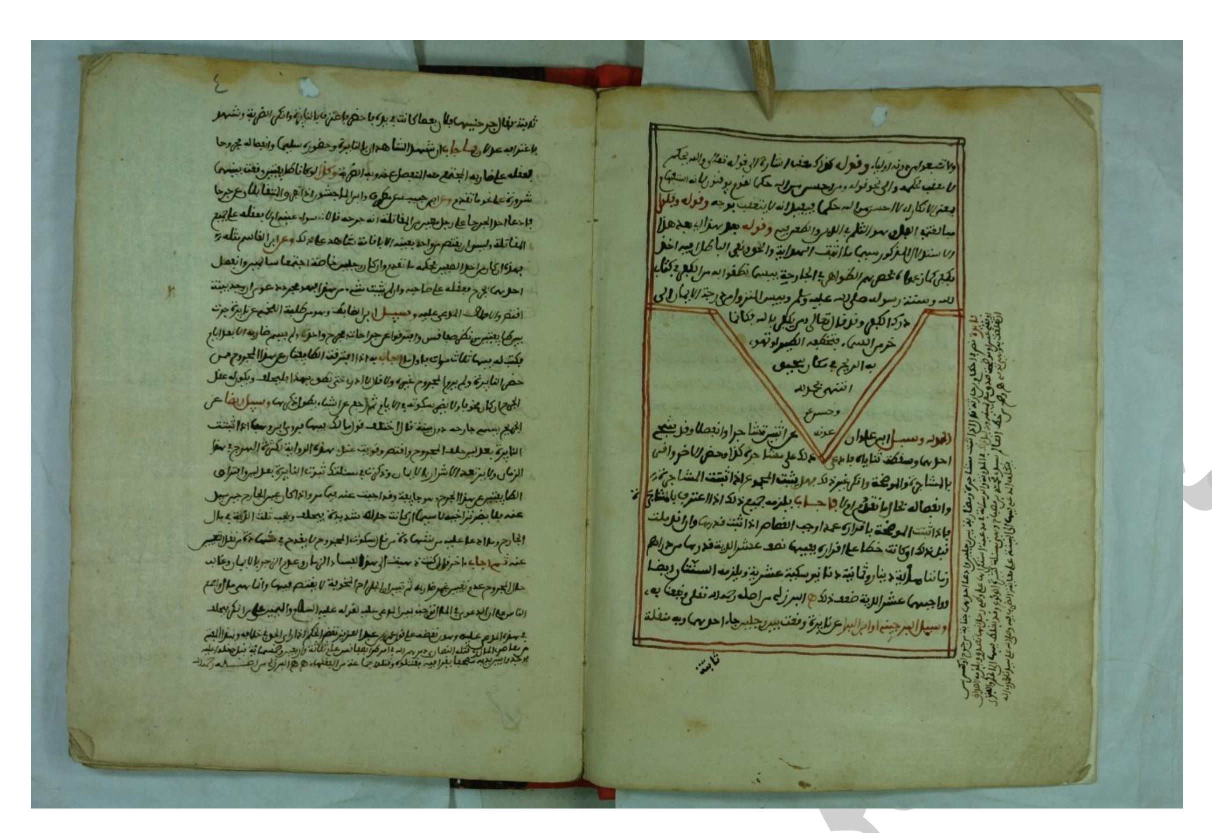
ملاحظات: في أوله أبيات شعر ونقول في الحديث النبوي، وفي آخره نقول في الفقه من (ق3-ق6)، على هامشه تعليقات[2].



الصفحة الأولى من مخطوط (منظومة في إبطال التأويل وإضلال صاحبه العليل) رقم (1/1141)

[1] صواب الآية: [ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق] (الحج:31).

[2] يُنظر: فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية: 671/1.



الصفحة الأخيرة من مخطوط (منظومة في إبطال التأويل وإضلال صاحبه العليل) رقم (1/1141)

عاشراً: مخطوط رقم (361)

تعريف بالمؤلف: التلمساني، محمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري، كان حياً سنة (676هـ).

قال في "معجم المؤلفين": "فاضل.من آثاره: (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس المبارك)"[1].

عنوان المخطوط: وصف مكة والمدينة وبيت المقدس المبارك وما حوله.

موضوع المخطوط: جغرافيا.

بداية المخطوط: جزء فيه ذكر وصف مكة شرَّفها الله وعظمها، وذكر وصف المدينة الطيبة كرَّمها الله، وذكر وصف بيت المقدس المبارك وما حوله، بلَّغ الله إلى جميعها كل مشتاق إليها بمنه وكرمه آمين.قال محمد بن أبي بكر التلمساني الأنصاري، بلَّغه الله ما نوى:

ربِّ بلِّغ بي لما في هذا الكتاب يا كريما..

نهاية المخطوط: تم الكتاب والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله الطيبين، وسلَّم تسليماً عظيماً إلى يوم الدين.

نوع الخط: مغربي.

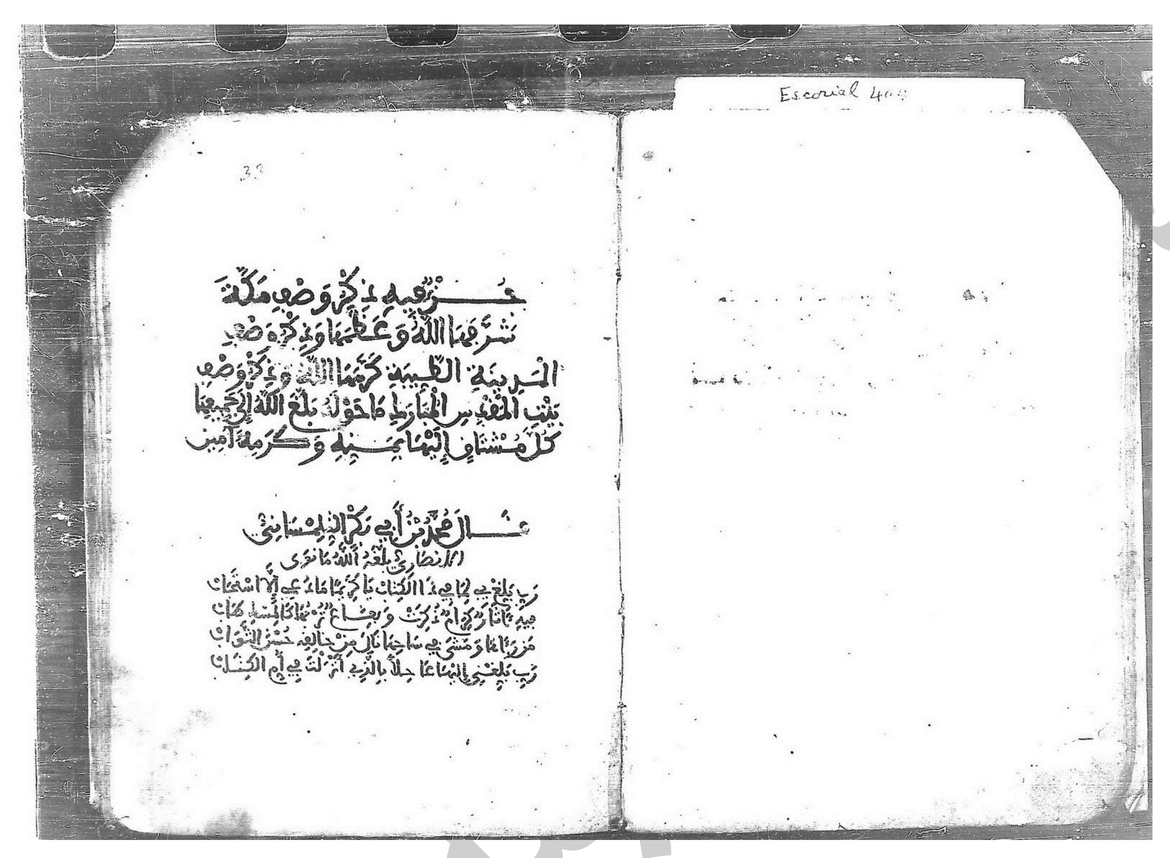
---

[1] معجم المؤلفين: 107/9. ويُنظر: معجم أعلام الجزائر: 148.

عدد الأوراق: 22.

عدد الأسطر: 19.

ملاحظات: المخطوط مصور على ميكروفيلم[1].



Escorial 404

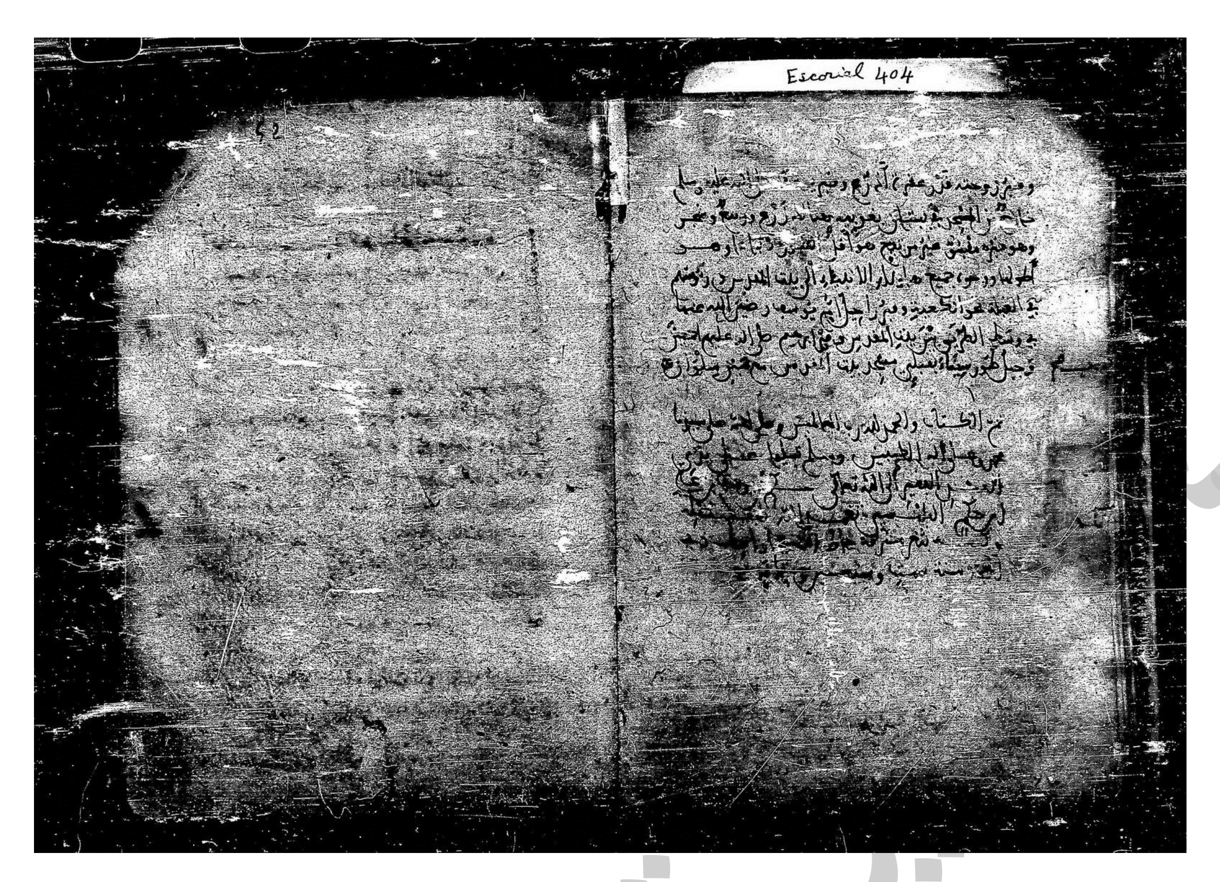
جزء فيه ذكر وصف مكة
شرفها الله وعظمها وذكر وصف
المدينة الطيبة كرمها الله وذكر وصف
بيت المقدس المبارك وما حوله بلغ الله إلى جميعها
كل مشتاق إليها بمنه وكرمه آمين

تأليف محمد بن أبي بكر التلمساني
الأنصاري

الصفحة الأولى من مخطوط (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس المبارك وما حوله) **رقم (361) ميكروفيلم**

---

[1] يُنظر: فهرس المخطوطات المصورة في دار الكتب القطرية: 96. والمخطوط مصور عن النسخة المخطوطة بقلم مغربي، والمحفوظة بمكتبة الأسكوريال، تحت رقم (63) جغرافيا، (22ق)، (ميك:373).



الصفحة الأخيرة من مخطوط (وصف مكة والمدينة وبيت المقدس المبارك وما حوله) **رقم (361)**

ميكروفيلم

خاتمة البحث

اجتهدت في هذه الورقة على تتبع المخطوطات الجزائرية الموجودة في دار الكتب القطرية، وبينت عناوينها، وأسماء مؤلفيها، وأحوالها المادية.وكانت عدد هذه المخطوطات عشر مخطوطات، منها ثلاث مخطوطات للأخضري، ومخطوطان لمحمد بن علي الخروبي، ومخطوط واحد لكل من: أحمد بن محمد المِقَّري، ومحمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، وعبد القادر الراشدي، ومحمد بن عمر التلمساني، ومحمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني.

وقد أظهر البحث أن هذه المخطوطات كغيرها من مخطوطات التراث العربي تحتاج لجهود كبيرة من الباحثين والمؤسسات العلمية للقيام بأمرها، وإصلاح شأنها، وإخراجها إلى النور؛ بغية إفادة الباحثين منها.

هذا، ومما يُوصى به متابعة البحث والتنقيب عن مخطوطات التراث العربي، والعمل على إنشاء مراكز بحث علمية، تهتم بأمر المخطوطات، حفاظاً، وتحقيقاً، ونشراً.كما نوصي أصحاب القرار بالدعم المادي لإقامة مثل هذه المراكز.والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

مصادر البحث

/ **الأعلام**: خير الدين زركلي.بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002.

/ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم: برنامج المكتبة الشاملة.

/ **فهرس مخطوطات دار الكتب القطرية**: إعداد: بلال فرج السويدي، حسن أحمد إبراهيم، إشراف: عبد الله ناصر الأنصاري، (د.ت) (د.م).

/ **كشف الظنون**: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، المشهور حاجي خليفة.برنامج المكتبة الشاملة.

/ **معجم أعلام الجزائر**: عادل نويهض.بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1971م.

/ **معجم المؤلفين**: عمر رضا كحالة.برنامج المكتبة الشاملة.

/ **هدية العارفين**: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي.برنامج المكتبة الشاملة.

آفاق المخطوط في ضوء الفهرسة الإلكترونية
(مقاربات في التحقيق الإلكتروني)

أ.عمر عروي

جامعة ابن خلدون بتيارت

إنّ الإحساس بتراثنا هو إحساس طبيعي بالماضي وحاجة الحاضر إليه، فالماضي والحاضر كلاهما يستحوذان على أعماق شعورنا، والإحساس بقيمة هذا التراث والعمل على استثماره يقتضي منا إعادة بعث وإحياء المخطوطات وفق الأصول والأسس العلمية في ظل الفحص العلمي للنصوص، من حيث مصدرُها وصحة نصها، وإنشاؤها، وصفاتها، وتاريخها، ولما كان التحقيق يوصف بأنه تأدية المخطوط أداءً صادقًا كما وضَعَه مؤلِّفُه لا كما يجب أن يكون كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان فإنه من الأنفع تجديد وتحديث عملية تحقيق التراث كي يتماشى ومتطلبات العصر في ظل عزوف الكثير من العلماء الباحثين الغوص في غيابات المخطوط، وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي عملت على تقنين قواعد فهرسة وتحقيق المخطوطات ورسم مناهجها، فإن الصورة النهائية لهذه العملية لم تتحدد حتى الآن في أذهان الممارسين لها في جميع الجهات وأيضا، فإنه يلاحظ خلوها من أية أسس موحدة، وبالتالي فإنها تختلف اختلافا بينا في المنهج المتبع ولهذا فدراستي تبحث في المخطوط وآفاقه من خلال عصرنة عملية التحقيق والفهرسة لمواكبة عصر التكنولوجيا.

وإنه لمن الواجب فعله أن نكرس أنفسنا وجهدنا في البحث عن آثارنا القابعة وتراثنا ([1]) المخفي تحت الأرض مما خلفه لنا الآباء والأجداد، فما تلك الأحجار والأواني الفخارية، والنقوش والأوراق النقدية، والكتب والأشعار الفنية، إلا إشعاع من داخل تلك الأرض الذهبية المليئة بالكنز، وما علينا إلا أن ننفض عن تلك الآثار غبارها، ونجلو عنها صفاءها، لنعيد للإنسانية ذاكرتها وللحضارة الإسلامية نضارتها.

تأتي أهمية هذا العمل المتمثل في الفهرسة الالكترونية والتحقيق الالكتروني في ضوء مواكبة عصر التكنولوجيا الحديثة باعتباره آلية فعالة تسهم بشكل كبير في الرقي بالبحث البيبليوغرافي وتحقيق النصوص والحفاظ وصيانة التراث المخطوط بشكل عام.

---

[1]. التراث في العرف اللغوي هو من الورث والتوريث، أي ما خلفه الأقدمون لنا، سواء أكان مالاً وهو الشائع، أو حضارة أو علماً، أو أي شيء يدل على تلك الأمم السابقة .والتراث في مجال تحقيق النصوص هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون، أو هو كل ما خلفه العلماء في فروع المعرفة المختلفة.

"المخطوط" وإشكالية المصطلح:

إنّ المخطوطات لأي بلد تعتبر ذاكرة وطنية، تعكس حياة حقبة من الزمن، تتطلب المحافظة عليها وتسهيل الوصول إليها، ولذا نجد العديد من البلدان العربية منها والأوروبية التي أدركت أهمية هذا الإرث الثقافي سارعت إلى صيانته وسعت لحفظه باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

ومما لا شك فيه أن البلدان العربية تملك العدد الأكبر من المخطوطات سواء كانت سطرت باللغة العربية أو غيرها من اللغات، وبدأت مشوار رقمنة هذا الإرث منذ آواخر القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين، فظهرت مشاريع رقمية كبيرة مثل مشروع مركز جمعة الماجد بدبي ومشروع رقمنة مخطوطات المسجد النبوي ومشروع الأزهر الشريف لرقمنة المخطوطات وغيرها من المشاريع والتي استفادت بدورها من تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال.

والمخطوطات هي مؤلفات العلماء ومصنفاتهم، وهي لفظة محدثة بعد حدوث الطباعة، لهذا لا تجد ذكراً لكلمة المخطوط أو (المخطوطات) في كلام المتقدمين، وبهذا فالكتب قسمان مخطوطة ومطبوعة والمخطوط هو المكتوب باليد في أي جنس من الأجناس سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها، وما طُبع منها سُمي مطبوعاً، تمييزاً لها عن المخطوط.

وقد اختلف أهلُ الفن في تعريف (المخطوط) بعد حدوث هذه اللفظة، فقال بعضهم ما كتب بخط اليد قبل دخول الطباعة، هو مخطوط، والقيد فيه هو: (قبل دخول الطباعة) [1]، ومنهم من قال كل ما لم يطبع هو مخطوط دون شرط ولا قيد، وفي هذا التضارب نجد أنفسنا أمام مصطلح أشكل على أهل الاختصاص تحديد حدوده بدقة، فوجب علينا دراسة المكونات التأسيسية لعلم المخطوط (الكوديكولوجيا).

إن الكوديكولوجيا علم يستمد أصوله ومقوماته من أعمال الفيلولوجيين الفرنسيين منذ القرن السابع عشر وبالرغم من اتفاق المختصين في هذا المجال على استقلالية العلم، فإنهم اختلفوا في تعريف مفهومه وتحديد مكوناته، إن الكوديكولوجيا عند ألفونس دان (Alfonse Dain) . وإليه ينسب وضع هذا اللفظ Codicologie . "هو العلم الذي يهدف إلى دراسة المخطوط باعتباره قطعة مادية دون الاهتمام بالخط" وبهذا تستقل الكوديكولوجيا عن الباليوغرافيا التي كانت تعني علم المخطوط بالإضافة إلى علم الخطوط القديمة [2]، وقد

---

[1]. فإن أرادوا بقولهم (قبل دخول الطباعة) قبل دخولها مطلقاً فالطباعة قد دخلت منذ نحو خمسمائة عام! وعلى هذا تخرج آلاف المخطوطات الإسلامية المنسوخة والمكتوبة بعد ذلك التاريخ! وهو غير مُسلَّم ولا مراد .بل إن بعض أنواع الطباعة – وهو الطباعة على الألواح – قد كان في الصين قبل نحو ألف سنة! وإن أرادوا بقولهم ذلك: قبل دخولها في العالم الإسلامي، أو في الدول العربية: فهذا غير مسلَّم كذلك، ولا منضبط. فدخول الطباعة في الدول العربية والإسلامية متفاوت تفاوتاً كبيراً! فالطباعة في بعضها منذ نحو مائتي سنة، وبعضها لم تدخله الطباعة حتى اليوم.

[2].كان العلماء الألمان يقولون الباليوغرافيا التطبيقية أو التاريخية (Paléographie) للتعبير عن علم المخطوطات.

لجأ بعض العلماء إلى استعمال عبارة أعم وأوسع من شأنها أن تعبر عن كل ما هو مكتوب، بما في ذلك اللفائف واللوحات الطينية.

إن مكونات علم المخطوط العربي وعناصره ووظائفه لا تختلف كثيراً عن مكونات الكوديكولوجيا الغربية، ما دامت المناهج والقواعد الحديثة التي وضعت لدراسة المخطوط الغربي يمكن تطبيقها على المخطوط العربي، وأول مهام الكوديكولوجي هي وضع القوائم والكشافات لمجموعات مخطوطات الخزائن تمهيداً لوضع فهارس علمية مبنية على قواعد ثابتة، فإذا خطا الغربيون خطوات مهمة في هذا المجال، فإن التراث العربي المخطوط ما زال يفتقر إلى كشاف شامل لهذا التراث بالرغم من الجهود المبذولة هنا وهناك في مختلف جهات المعمور ولتحقيق هذه الغاية، يجب القيام بمسح شامل لهذا التراث على مستوى البلاد العربية، ثم البلاد الإسلامية[1].

آفاق المخطوط في ضوء تحديث علم الفهرسة:

اختلف العلماء في تحديد الفهرسة بالنسبة لعلم المخطوطات أو الكوديكولوجيا، فمنهم من جعلها عنصرا من علم المخطوط، ومنهم من اعتبرها فنا قائما بذاته يتداخل ويتكامل مع علم المخطوطات، والحقيقة أن كثيرا من العناصر اللازمة لتوصيف المخطوط قد يشترك في الاهتمام بها كل من الكوديكولوجي والمفهرس يعمل كلاهما على التعريف بالمخطوط أو دراسته باعتباره قطعة مادية.

أما إذا كان المخطوط مؤرخا، فالمفهرس يحتفظ بالتاريخ المذكور في الكولوفون (Colophon) أو حرد المتن؛ ولكن عالم المخطوطات يبحثه بحثا كوديكولوجيا ليتأكد من صحته، فقد يدرس الورق ليتحقق من عمر المخطوط، وليس شرطا قدم الورق دليلا على قدم المخطوط في الزمن.

ومن البيانات التي يشترك فيها المفهرس والكوديكولوجي وصف نوع الورق أو الجلد أو الطرس الذي كان المادة التي تم نسخ المخطوط عليها.ويقضي بعض المفهرسين وقتا طويلا في وصف المادة التي هي وعاء المخطوط باحثا عن نوعيتها ومصدرها، كأن يقول إذا كان المخطوط مكتوبا على الورق: وهو ورق عربي، أو أوربي؛ وإذا كان مكتوبا على الرق يقول: هو رق غزال أو جلد أو غير ذلك.أما إذا كانت المادة المستعملة للكتابة طرسا [2]، وهو الجلد الذي يكتب عليه ثم يمحى ويكتب عليه من جديد – وهذه الظاهرة عرفتها النساخة العربية في فترات تاريخية مختلفة، فإن المفهرس يكتفي بكلمة "رق" أو "جلد" لنعت مادة الكتابة، لأنه لا يملك من الإمكانات العلمية ما يؤهله لتمييزه من الجلد الخام.

وقد دعت الحاجة في زمننا إلى استثمار التكنولوجيا في تحقيق النصوص القديمة وتحديث عملية الفهرسة وذلك برقمنة الفهارس لأهداف أهمها:

– تعتبر الرقمنة وسيلة فعالة للحفاظ على هذا التراث.

---

[1]. استبيان الإسيسكو حول مشروع حماية المخطوطات وصيانتها في الدول العربية والإسلامية

[2]. الطرس: ج. طروس، وهي رقاق. وقد جاء ذكرها في النصوص الأدبية

– حماية المخطوطات من التلف والضياع.

– يساعد المستفيد الإطلاع على المخطوط دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، وهذا يقلل من إمكانية تعرض تلك المخطوطات النادرة للتلف.

– يبرز ملامح وخصائص الإنتاج الفكري المخطوط.

والرقمنة هي شكل من أشكال التوثيق الإلكتروني بحيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط إلكتروني وتتخذ شكلين أساسين، الرقمنة بشكل صور والرقمنة بشكل نص أين يمكن إدخال بعض التحويلات والتعديلات عليها وذلك بعد معالجة النص بمساعدة برنامج خاص بالتعرف على الحروف.

– إن هذه العملية التي لها شأن عظيم في تقريب المخطوط من التحقيق والدراسة الجادة تتطلب عوامل لتؤدي مهمتها في ظل هيمنة الوسائل الحديثة التي أدخلتها أغلب العلوم لدراسة مواضيعها وتقديم بحوثها، ومن هذه العوامل نذكر:

– **الماسح الضوئي**: تتمثل مهمة جهاز الماسح الضوئي **SCANNER** بالأساس في تحويل صورة موجودة على الورق أو على فيلم شفاف إلى صور إلكترونية، بهدف إحكامية معالجتها ببرامج خاصة مثل فوتوشوب **PHOTO SHOP**، ثم إخراجها في صورة منتج نهائي إما مطبوعا لأغراض النشر المكتبي أو مقدما على الإنترنت.

وتنقسم الماسحات إلى عدة أقسام، من أهمها:

أ– الماسحات أحادية اللون: مجرد أجهزة تتعامل بالأبيض والأسود، بمعنى أنها تحول أي صورة تمسحها إلى مناطق ذات لونين أبيض وأسود، وقد تتمكن من تسجيل مستويات متفاوتة من كثافة الضوء تتراوح بين 32–46–256 مستوى، وهذا النوع الأخير من الماسحات أحادية اللون يعرف عموما بالماسحات الرمادية، تسمح أيضا بقراءة الصور الفتوغرافية وغيرها من الصور التي تحتوي درجات متغيرة من الكثافة الضوئية.

ب– الماسحات الملونة

ج– الماسحات اليدوية

د– الماسحات الأسطوانية

– الحواسيب: ومنها:

– حاسوب **SERVEUR** لوضع قاعدة البيانات المرقمنة.

– حاسوب خارجي لطباعة الوصفات الخاصة بكل مخطوط.

– طابعات لاستخراج المعلومات اللازمة.

– ناسخ الأقراص المليزر **GRAVEUR** لاسترجاع البيانات المرقمنة، وتسجيلها على أقراص مليزرة قابلة للتسجيل.

المخطوط، بين يدي علم التحقيق:

التحقيق لغة: يقال حقق الشيء أي جعله حقا، وكان منه على يقين، وصدقه وأثبته، وأحكمه فهو محكم، أو قال هذا هو الحق، فالتحقيق هو التصحيح والتصديق والإحكام، والعلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين.وهذا الأمر لا يكون إلا بالبحث والتفتيش، والنظر والتنبيش، والتمحيص للوصول إلى الحقيقة، وهذا هو عمل المحقق، الذي يريد الوصول إلى الحقيقة.[1]

أمّا **اصطلاحا:** فهو: الوصول بالشيء إلى الحق في وضعه، وهو علم بأصول إخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى.

والمحقق يحتاج إلى عملية التوثيق[2] في بداية عمله، ليربط بين النص وصاحبه، ويصحح نسبته إليه لكيلا يأخذ بمبدأ إماتة المؤلف، وإهمال وجوده عند تحقيق النص، وهذا ما تبناه كثير من الأدباء والنقاد، إذ أن العلاقة وطيدة بين النص وكاتبه، فلا غنى لهذا عن ذاك.

فالنص منعكس لثقافة المجتمع بكافة شبكاته المعقدة عبر التاريخ والجغرافية والعلاقات بين الأفراد أي أنه ذاكرة ملخصة للنظام المعرفي للمجتمع.فالنص أيا كان هو مجموعة من العلاقات اللغوية التي تخدم فكرة أو مجموعة أفكار أو مفاهيم قابلة للتفسير والشرح والتأويل مما يمهد لتطويع النص لقراءات جديدة أو تأكيد قراءة ما.

إن عمليات التحقيق للنصوص لا تدخل حيز القبول والرضا الا اذا انتظمتها الأصول المقررة، لتنفيذ خطواتها من جميع أطرافها، بدقة ومهارة وسداد، ولقد حاول الدارسون المعاصرون أن يتتبعوا هذه الإجراءات، فيما عرف من تاريخها الواقعي، ليكتشفوا مبادئها وقواعدها العلمية ([3])، فكان لديهم نظرات متفاوتة، تمثلت في بلورة أصول وقواعد عامة لعملية تحقيق النصوص المخطوطة أهمها:

. اختيار موضوع التحقيق.

. اختيار النص من ذلك الموضوع.

. جمع النسخ اللازمة.

. تعيين منازل النسخ ورمز كل منها.

. توثيق النص في عنوانه، واسم صاحبه.

. قراءة التحقيق.

. نقل النص من الأصل بتوزيع، وتنسيق، وعناوين.

---

[1]. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (حقق)، ج 4، ص 325.، وينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (حقق)، ص 246، وينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (حقق)، ص 354.

[2]. التوثيق: هو تثبيت نسبة النص الى صاحبه بالأدلة المرجحة أو القاطعة، من أسانيد ودلائل وأقوال متضافرة أو متواترة.

[3]. المخطوطات والتراث العربي، الحلوجي، ط 1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1422 هـ / 2002 م: ص 91.

. مقابلة النص بالنسخ.

. ضبط النص بالشكل، والترقيم.

. تحقيق النص بترميم العبارات، ومعالجة الخلافات.

. توثيق المعلومات.

. تخريج الاقتباسات.

. تفسير الغريب، والغامض.

. التعريف بالأعلام، والأحداث، ومصادر المتن.

. الفهرسة الفنية.

والحقيقة تبقى هذه القواعد متفاوتة في الأخذ بها من طرف المحققين على مر العصور، حتى أننا نجد بعض المحاولات الجادة في بعض الأقطار العربية في تحديث عملية التحقيق لتواكب عصر التكنولوجيا بإقحام وسائل حديثة تجعل من عملية التحقيق عملية ممكنة ودقيقة.

فالتحقيق ليس مجرد نسخ للمخطوطة، أو إثبات فروق بين النسخ المتعددة، أو تخريج النصوص.وإن كان لا بد من كل ذلك؛ وعليه يُبنى التحقيق، وفي كل مرحلة منه تظهر شخصية الباحث؛ فربما يجلس، أثناء النسخ الساعات الطوال لفك طلسم كلمة ما والوقوف على وجه الصواب فيها، وإن كان هناك أكثر من نسخة للمخطوطة، فلا يكفي مجرد إثبات الفروق بينها، بل لا بد من بيان الصواب فيها، أو ترجيح ما يراه صواباً ولا يتأتَّى ذلك الترجيح إلا بعد عناء شديد وتنقيب، وفهم دقيق للنص، وفي هذا تبرز شخصية الباحث.

ولرقمنة التحقيق لمواكبة عصر التكنولوجيا نستطيع التأصيل لعلم مخطوطات عربي موحد ولا يكون ذلك إلا بوضع فهارس علمية أولاً، ثم وضع الفهارس الموحدة التي تعتبر اللبنة الأولى لوضع فهرس دولي موحد يضم جميع المخطوطات العربية، ثم القيام بفهارس حسب الفنون كفهارس المخطوطات الطبية والفلاحية وكتب الصنعة وغيرها، ثم فهارس بالمخطوطات الفريدة والنادرة، وأخرى بالمخطوطات المؤرخة، وأخرى بالمخطوطات القديمة أو الأصلية، وأخرى بالمزخرفة والخزائنية، أو فهارس خاصة بمخطوطات عالم واحد مختصرة أو مطولة،.وإذا كانت الفهرسة من عناصر علم المخطوطات القليلة التي تمارس في العالم العربي والتي يمكن اعتبارها مكوناً أساسياً من مكونات علم المخطوط، فإن اختلاف المناهج وتضارب الآراء بين المشتغلين بها من حيث النمط المتبع والبطاقة النموذجية لا تساعد على البت في هذه القضية بتاً نهائياً يمكننا من المرور إلى باقي المكونات، لذا توجب وضع

أصول عامة تستثمر التتكنولوجيا الحديثة كالإعلام الآلي متمثلا في الحاسوب لرقمنة الفهرسة وتحديث التحقيق لتقريب المخطوط [1].

بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض محققي التراث:

1. التهاون في البحث عن نسخ المخطوطة في مظانها.
2. التصرف في الزيادة أو النقصان على غير أسس علمية.
3. الإسراف في التعليقات والحواشي.
4. عدم التمرس بقراءة المخطوطات القديمة كالخط المغربي أو الأندلسي أو الهندي.
5. الإهمال في الدراسة التي تتصدر عمل المحقق.[2]

وقد تمكن هذه الحداثة في عملية فهرسة وتحقيق المخطوط في تقريب التراث من القارئ، وبهذا نكون قد أعدنا وأحيينا تراثا تسهل دراسته وتحقيقه في ظل عصرنة فهرسته، ولنأخذ على ذلك نموذجا من فهارس مخطوطات المكتبة القاسمية بزاوية الهامل ببوسعادة ولاية المسيلة محاولين نمذجة فهرسة مخطوطاتها الكترونيا:

باب القرآن الكريم		
الرقم	**المخطوط**	**المؤلف**
01	مصحف قرآن	تاريخ النسخ: 1279هـ
02	مصحف قرآن	تاريخ النسخ: 1266هـ
03	مصحف قرآن	تاريخ النسخ: 1292 هـ
04	مصحف قرآن	تاريخ النسخ: 1324 هـ
05	مصحف قرآن	تاريخ النسخ: 1359 هـ
باب الدراسات اللغوية		
01	الآجرومية	محمّد بن محمّد ابن آجروم الصنهاجيّ
02	آداب المريدين	عبد القاهر بن عبد اللّه السهرورديّ

[1]. التحقيق بين حداثة المصطلح وأصالة العلم د. فيصل الحفيان، مقال

[2]. مناهج تحقيق التراث بين القدماء والمحْدّثين، رمضان عبد التواب، ط 1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1406 هـ 1986م: ص 5.

03	إبراز المعاني من حرز الأماني	عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي
04	أزهار الأفكار في جواهر الأحجار	أحمد بن يوسف التيفاشي
05	إعراب الأجروميّة	خالد بن عبد الله الجرجاوي
06	أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك	ابن هشام الأنصاري
07	تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس	أحمد بن محمد الأسكندري
08	التبيان في إعراب القرآن	أبو البقاء العكبري
09	تقييد في حدود النحو	عبد اللّه بن الصحراوي القروي
10	الحلل الحريرية في شرح المقامات الحريريّة	محمد بن أحمد الجليلي المعسكري
	باب الفقه والدراسات القرآنية	
01	جواهر الفوائد وزواهر الفرائد	محمد بن الديسي الجزائري
02	جواهر الدرر في حلّ ألفاظ المختصر	محمد بن ابراهيم المالكي
03	الجواهر الحسان في تفسير القرآن	عبد الرحمن بن محمد الجزائري
04	جوامع الكلم وبدائع الحكم	...لم يعلم المؤلف...
05	جواب زرّوق في التلقين	أحمد بن محمد زروق الشاذلي
06	جنّة المريد	محمد بن مختار الكنتي
07	التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله خليل	عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي
	باب الإجازات	
09	إجازة الجزائري	عليّ بن عبد الرحمن الجزائريّ
10	إجازة الحفناوي	محمد بن سالم الحفناوي
11	إجازة الخالدي	محمد الطاهري الخالدي الرشيدي

12	إجازة النقشبندي	محمد أسعد النقشبندي الكردي
	باب الأدب	
14	روضة الأدب والضرافة	محمد بن عبد الله الأندلسي
15	الزبدة في شرح قصيدة البردة	خالد بن عبد الله الجرجاوي
16	الزهرة المقتطفة والتحفة السنيّة المستطرفة	محمد بن محمد الجزائري
17	شرح أبيات الهروي للحرشيّ	أحمد أبو العباس الحرشي
18	شرح أرجوزة التلمساني	عبد الرحمن بن محمد الفارسي
19	شرح لاميّة ابن الفارض	أحمد أبو داود الديسي

هذا نموذج لعملية فهرسة الكترونية لمخطوطات مكتبة زاوية الهامل، ومع امكانية إضافة أبواب عديدة للنموذج المرفق حسب مواضيع المخطوطات.

خاتمة:

إن علم المخطوط العربيّ ما زال يبحث عن هُويَّة، وأنّه يحتاج إلى تأصيل وتحديد دقيق، يوضِّحُ صورتَه في أذهان الباحثين، ويقيمُ حولَه الأسوارَ التي تمنع مباحثَه من أنْ تتشتَّت بين العلوم، على الرغم من كثرة ما صدر عن المخطوطات العربيّة وقضاياها من مؤلَّفات، وتأتي أهمية هذا العمل المتمثل في الفهرسة الالكترونية والتحقيق الالكتروني في ضوء مواكبة عصر التكنولوجيا الحديثة باعتباره آلية فعالة تسهم بشكل كبير في الرقي بالبحث البيبليوغرافي وتحقيق النصوص والحفاظ وصيانة التراث المخطوط بشكل عام ولتجسيد علم صناعة المخطوط له مناهج موحدة تمكن الوصول إليه بشكل أسرق وأدق.

التعليقات الواضحات على منظومة تحقيق وتوثيق المخطوطات

نظم وشرح: وليد ولد الشيخ ماء العينين

الحمدلله على التحقيق Ž في نظم توثيق مع التحقيق

لكل سفر عد بالمخطوط Ž من غابر وحاضر مضبوط

مصليا على الرسول من ضبط Ž مقابلا من صدره من غير خط

وصحبه كعروة حين كتب Ž ولده بدون عرض ما كتب

وبعد فالتحقيق تفعيل ثبت Ž إحكامه وصحة قد وردت

لفظته عن الامام الجاحظ Ž وابن جرير وافر الملاحظ

وفي اصطلاح نخرج الكتابا Ž بصورة صحيحة صوابا

وقيل ان نخرجه كما أراد Ž مؤلف بوضعه ولا يزاد

واللغوي هو الأساس لاصطلاح Ž والقصد إتقان لمخطوط فلاح

أكرر التحقيق عند فقد Ž شرائط أو الأصول عندي

وليس يغني علمه عن صنعتي Ž فلتجمعن بينهما بالدربة

ونشأ التحقيق في علم الحديث Ž وبرجرأبداه في العصر الحديث

ثم تلاه صاحب التحقيق Ž عبد السلام لا تكن بضيق

واستصحب الشك لدى التحقيق Ž من طرة الغلاف يا صديقي

نص خوارج وعاء مصدر Ž زمخشري تاج العروس يذكر

عبارة المخطوط بالمكتوب Ž فيه بأيدي أثر مطلوب

وهو كتاب باليد اصطلاحا Ž وقلم في مغرب صراحا

ثم تحول من البردي Ž للرق فالورق لف ليي

ويشمل المخطوط كل ما كتب Ž باليد قبل قرن أو طبع هذب

وفيصل للحد لا يراه Ž بل هو وهمي كذا حكاه

وسموا المخطوط بالكراس Ž وهو لفظ عربي الساس

وأطلقوا في أول كناشا Ž مجلدا ودفترا كراسا

والسفر والجزء كذا ك المِصحفا Ž كذا الرقيم والزبور صحفا

مدون مصنف ديوان Ž مؤلف تصنيفه رضوان

وأول المخطوط ما قد علقوا Ž وبعد الاسلام كتاب معتق

أضـــــاف بُعـــــد الوقـــــت والمكانـــــا ž حضـــــارة لعشـــــرة أزمانـــــا

وهـــــي تعـــــود الآن بـــــالثورات ž نســـــأله اللطـــــف فيمـــــا ســـــياتي

انـــــواع مخطـــــوط هجـــــين نـــــادر ž مـــــؤرخ خـــــزائني غـــــابر

ومطلـــــق ومرحلـــــي أصـــــلي ž ثم دعـــــي وفريـــــد نقلـــــي

ألفيـــــة وبعـــــدها الموقعـــــة ž للشـــــيخ أو تلميـــــذه مـــــا أروعـــــه

ونصـــــه بخـــــط حـــــرف العـــــربي ž ولغـــــة العـــــرب لا في العـــــرب

وكـــــل نـــــص خـــــط لـــــو وثيقـــــة ž باليـــــد مخطـــــوط علـــــى الحقيقـــــة

والـــــنص والوعـــــاء لا زمـــــان ž لكـــــل مخطـــــوط وهـــــذا الثـــــاني

في علـــــم مخطـــــوط بـــــه اعتنـــــاء ž ومـــــا ســـــوى الـــــنص بـــــه عنـــــاء

وعلـــــم مخطـــــوط إلى صـــــناعة ž مـــــع الخـــــوارج فخـــــذ بضـــــاعة

صـــــناعة بكاغـــــد وقلـــــم ž والحـــــبر والتســـــفير تجريـــــد سمـــــي

ومـــــا ســـــوى الـــــنص مـــــن المرقـــــوم ž خـــــوارج كـــــالوقف للمعلـــــوم

وفرخـــــة وطـــــرر الأغلفـــــةِ ž والخـــــتم إثبـــــات لكالتركـــــةِ

والحـــــبر مطبـــــوخ او البخـــــاري ž وهـــــو المـــــداد كلـــــه مـــــن جـــــاري

والقلـــــم الخـــــط كمـــــا للنســـــخ ž وفرقـــــوا عنـــــد فـــــراغ النســـــخ

مـــــا بـــــين عـــــالم لـــــه تـــــدقيق ž وزخرفـــــوا بالاربســـــكي ريـــــق

توثيقنـــــا المخطـــــوط يكســـــب الثقـــــة ž بحفظـــــه مـــــن عابـــــث قـــــد مزقـــــه

وهـــــو نوعـــــان فمنـــــه داخـــــل ž وخـــــارجي كـــــدوكولوجي حامـــــل

فالـــــداخلي مـــــن خـــــلال الـــــنص ž أو الخـــــوارج فمـــــا للـــــنص

يكـــــون بـــــالخط او المقدمـــــة ž او الشـــــيوخ والنقـــــول فاعلمـــــه

وللخـــــوارج بـــــنص صـــــلة ž وغيرهـــــا كمـــــا لـــــه تعقيبـــــة

والخـــــارجي يشـــــمل الوعـــــاء ž ومصـــــدرا سمـــــاع شـــــيخ جـــــاء

قـــــراءة التلميـــــذ والإجـــــازة ž وقـــــارئ الأصـــــل إذا أجـــــازه

مصادر ومراجع الدراسة:

- ربحي مصطفى، عليان.تطور الكتابة والتدوين والتأليف في الحضارة العربية الإسلامية.في:مجلة الخفجي.م.20.ع.1.البحرين: الخفجي،1990.

- عبد الستار، الحلوجي.المخطوط العربي.الرياض: مكتبة مصباح، 1989.

- شعبان عبد العزيز، خليفة.موسوعة الفهرسة الوصفية للمكتبات ومراكز المعلومات.الرياض:دار المريخ،1991.

- محمود أبو الحمد، ترغلي.التصوير الإسلامي:نشأته ومواقف الإسلام منه.القاهرة:الدار المصرية اللبنانية،1991.

- ديورانت، وول.قصة الحضارة ؛ تعريب أحمد بدران.مج.13.القاهرة:لجنة التأليف والترجمة والنشر،1950.

- محمد، الشامي.أحمد، حسب الله.المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات.الرياض:دار المريخ،1988.

- عامر إبراهيم، قنديلجي.ربحي مصطفى، عليان.مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الإنترنت.عمان: دار الفكر،2000.

- عمر أحمد، همشري.أساسيات علم المكتبات والمعلومات.عمان:دار الشروق،1997.

- محمد، الشويخات.أحمد، مهدي.الموسوعة العربية العالمية.ج.22.الرياض:مؤسسة أعمال الموسوعة،1999.

- أيمن فؤاد، سيد.الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات.ج.1.القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، 1997.

- صلاح حسين، العبيدي.الملامح الفنية والتقنية للمخطوط الإسلامي.ع.51.في:مجلة التراث:آفاق الثقافة والتراث.دبي:مركز جمعة الماجد، 2005.

- نعيمة، بن عاشور.الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط البيبليوغرافي في المكتبة الوطنية.الجزائر:جامعة الجزائر،1993.

- حسن، الباشا.التصوير الإسلامي في العصور الوسطى.القاهرة:دار النهضة العربية، (د.ت).

- عبد الستار، الحلوجي.المخطوط العربي.الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،1978.

مخطوطات مدينتي البرج وسيدي قادة بولاية معسكر

أ.قادة رقيق

جامعة تلمسان

تزخر مدينة معسكر بالكثير من المخطوطات تتوزع على تراب الولاية بعضها موجود عند بعض العائلات العريقة وبعضها موجود عند بعض المهتمين بجمع التراث ومن ابرز هؤلاء الشيخ المرحوم البشير محمودي والذي فتح مكتبته للباحثين والمؤرخين والزوار وتجاوزت هذه المكتبة والخزانة حدود الوطن حيث كانت محل اهتمام المراكز بحث وشخصيات من الخارج فقامت بتصوير ما لايقل عن 18 مخطوطة نادرة هذا فضلا عن املكتبة التي تتجاوز أكثر من1600 كتاب ومخطوط تزخر بها الخزانة والت تحتوي على المخطوطات المتنوعة في مختلف أنواع العلوم والفنون كالعقائد والفقه والأدب والمنطق والصيدلة والنحو والتاريخ وقد تم تصوير مخطوطة للشيخ الرماصي تعود إلى قرنين من الزمان والتي استفاد منها مخبر المخطوطات بمعسكر وقد جال المرحوم في الشرق والغرب بحثا عن هذا التراث المفقود

....ومن بين العائلات التي تمتلك بعض المخطوطات عائلة بعطوش من ابرز أبنائها العلامة الشيخ سي القليل الذي أورد له صاحب المرآة الجلية الشيخ بن عبد الحكم اليحياوي العطافي ترجمة خاصة وابنه الحاج المختار إمام المسجد العتيق سيدي محي الدين..والذي يمتلك هو الأخر مجموعة من لمخطوطات في الفقه والتوحيد هذا فضلا عن مجموعة كبيرة من المخطوطات دفنت أيام الثورة الجزائرية ولازالت إلى حد الساعة مجهولة المكان ومن المثقفين المهتمين بجمع التراث الباحث حلولي حلول والشيخ بلقرد والشيخ عابدين بن حنفية وقد قام هؤلاء بتحقيق كثير من المخطوطات لعلماء المنطقة ومن أبرزهم العلامة الشيخ أبو رأس الناصر الراشدي ألمعسكري.

إن إحصاء هذه العائلات والزوايا وفهرسة هذه المخطوطات تفيد الباحثين المهتمين بعلم المخطوط. وتخدم تراثنا الذي يشهد انتفاضة علمية غير عادية خاصة مع توفر الوسائل ودخول المخطوط إلى عالم متغير اختصر المسافات والزمن

فهرسة خزانة محمودي البشير رحمه الله

الرقم التسلسلي:00

المؤلف:القاضي عياض

العنوان:الشفا في التعريف بحقوق المصطفى

الموضوع:سيرة

المقدمة:

الخاتمة: وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمقدور واختلف فقهاء قرطبة في مسالة هارون بن حبيب

التاريخ"وقت آذان العصر يوم الأربعاء محرم 1278

الناسخ":عبد القادر بن يعقوب

مكان النسخ:محروسة دمشق الشام

الحفظ:خزانة

االكتابة:خط نسخي

الهوامش:موجودة

الاعمدة والاسطر:15/28

تجليد أو تغليف: تجليد. السان: موجود

الصور والرسوم:

رقم المجلد والجزء:

الترجمة:مذكورة

وضعية المخطوط: جيدة

ملاحظات عامة المخطوط مذهب العنوان ويجد معه مخطوط في الفقه

يوج فراغ ورقتين في المخطوطعمره115سنة

الرقم التسلسلي:00

المؤلف:

العنوان:حل الرموز ومفاتيح الكنوز

الموضوع:التصوف

المقدمة:الحمد لله الذي فتح بمفاتيح الغيوب اقفال القلوب ورفع حجب السرائر

الخاتمة:ابياتا أرجعت بلا راي خيرا اخفى

التاريخ":غير موجود

الناسخ"/

مكان النسخ:/

الحفظ: خزانة

االكتابة:

المداد:

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:24*12

تجليد اوتغليف:تغليف

الصور والرسوم:/

رقم المجلد والجز/ء:

الترجمة:/

وضعية المخطوط:جيدة

ملاحظات عامة

الرقم التسلسلي:0

المؤلف:احمد بن عبدالله

العنوان:باقي المريدين بعقيدة ام البراهين

الموضوع:التوحيد

المقدمة:الحمد لله الواحد الفرد الصمد

الخاتمة:/

التاريخ"/

الناسخ"/

مكان النسخ:خزانة

الحفظ:/

االكتابة:كتيب

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:19*10

تجليد اوتغليف:00

الصور والرسوم:/

رقم المجلد والجزء:/

الترجمة:/

وضعية المخطوط:جيدة

ملاحظات عامة

الرقم التسلسلي:/

المؤلف:محمدبن عبد الله

العنوان:الشطحات الوافية من اصل الفيوضات الصافية

الموضوع:التصوف

المقدمة:الحمد لله الذي به واد بلطف حكمته كمال العقول العليم الذي علم

الخاتمة:فهو نعم المولى ونعم النصير

التاريخ"/

الناسخ"محمد بن براحي المستغانمي

مكان النسخ:/

الحفظ:خزانة

الكتابة:خط مغربي 319 ورقة

المداد:اسود اخضر

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:21*12

تجليد اوتغليف:تجليد

الصور والرسوم:

رقم المجلد والجزء:/

الترجمة:/

وضعية المخطوط: جيدة

ملاحظات عامة:مخطوط جيد

الرقم التسلسلي:01

المؤلف:أبي عبد الله محمد الشامي رحمه الله

العنوان:السيرة الشامية في مدح خير البرية

الموضوع:السيرة النبوية

المقدمة:بسم الله الرحمان الرحيم الباب الثالث والعشرون في معرفة الذين كانت صفة أجساده متقرب من صفة أجسادهم تقرب من صفة جسده وهم ادم ابو البشر صلى الله عليه وسلم

الخاتمة:باب الهجرة إلى المدين الشريفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام

التاريخ:

الناسخ:محمد بن عبد الكريم بن احمد القلني المالكي المرزوقي المدعو حجازي

مكان النسخ:/

الحفظ:خزانة

الكتابة:خط رقعة

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:33*13
تجليد اوتغليف:تجليد
الصور والرسوم:/
رقم المجلد والجزء:/01
الترجمة:/
وضعية المخطوط:جيدة
ملاحظات عامة: خطه مقروء بشكل جيدعدد اوراقه حواي 500 صفحة

الرقم التسلسلي:01
المؤلف:احمد بن موسى المراكشي الحاج
العنوان:كشف السر المكتم عن الفاظ السلم
الموضوع:المنطق
المقدمة:الحمد لله الذي جعل بيتا تربة
الخاتمة:وغفر الله لهم وللمسلمين امين
التاريخ"13 شوال 1172
الناسخ"احمد بن عبد ارحمان بن حساين احمد بن عيسى
مكان النسخ:/
الحفظ:خزانة
االكتابة:خط نسخ
الهوامش:موجودة
الاعمدة والاسطر2:21*8
تجليد اوتغليف:تغليف
الصور والرسوم:موجودة
رقم المجلد والجزء:01
الترجمة:ناقصة
وضعية المخطوط:متوسطة سيئة الول والخر
ملاحظات عامة ذكر المصادر والمراجع بقوة
الرقم التسلسلي:
المؤلف:

العنوان:

الموضوع:

المقدمة:

الخاتمة:

التاريخ"

الناسخ"

مكان النسخ:

الحفظ:

االكتابة:

الهوامش:

الاعمدة والاسطر:

تجليد اوتغليف:

الصور والرسوم:

رقم المجلد والجزء:

الترجمة:

وضعية المخطوط:

ملاحظات عامة:ذكر الشروح عبد الرحمن بن مخلوف بن الصغير الأخضري،شرح منهاج شرح الاحوال للبيضاوي.شرح الشيخ داوود المالكي

الرقم التسلسلي:01

المؤلف:سعيد بن قدورة

العنوان:مواهب الفتاح على الكوكب الوضاح

الموضوع:التوحيد علم الكلام

المقدمة:الحمد لله الواحد العظمة والجلال المنفرد في الكبرياء والجمال انفردت على كمال قدرته الموجدات

الخاتمة:لقد جاءت رسل ربنا بالحق وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

التاريخ:13 ربيع الاول1304

الناسخ:سعيد بن قدورة

مكان النسخ:المروحية المذكورة

الحفظ:خزانة

االكتابة:

الهوامش:موجودة بقلة

الاعمدة والاسطر:21*09

تجليد اوتغليف:تغليف اللسان موجود

الصور والرسوم:/

رقم المجلد والجزء:

الترجمة:موجودة في الصفحة 37

وضعية المخطوط:جيدة

ملاحظات عامة

الرقم التسلسلي:

المؤلف:الحبيب بن الجلالي بن عيسبن سيد احمدعباس تاب الله عليه

العنوان:الكنز المكنون والدر المصون في إيضاح أصناف العوالم مشتملا على الفوايد

الموضوع:العقيدة

المقدمة:الحمد لله الواحد الوهاب الفتاح المنعم الرحمان فالق الإصباح المنزه عن مشاكله الأشباح ومماثلة الارواح

الخاتمة:وهذاماتعلنه من حديث المملوكة التودود مع هارون الرشيد وسيدها بدر الزملن وصلى الله عليه وسلم

التاريخ"/

الناسخ"الحبيب بن الجيلالي بن عيسى بن سيد احمد عباس

مكان النسخ:/

الحفظ:خزانة /

االكتابة:

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:23*09

تجليد اوتغليف:تغليف

الصور والرسوم:/

رقم المجلد والجزء:/

الترجمة:/

وضعية المخطوط:جيدة

ملاحظات عامة:كتاب قيم يتحد ث عن عالم الاخرة والملائكة

الرقم التسلسلي:/

المؤلف:عبد العالي بن عبد الملك بن الشيخ عمر القريشيالحجازي

العنوان:زهرات الوردية في فتاوى الاجهورية

الموضوع:الفقه

المقدمة:الحمدلله الذي اوجد مع نفحات صدور عباده الصالحين

الخاتمة:مبتورة

التاريخ"/

الناسخ"//

مكان النسخ:/

الحفظ:خزانة

االكتابة:

الهوامش:/

الاعمدة والاسطر:19*8

تجليد اوتغليف:تغليف

الصور والرسوم:/

رقم المجلد والجزء:/

الترجمة:موجودة في اابداية

وضعية المخطوط:سيئة

ملاحظات عامة بعض اوراق المخطوط غير سليمة وممزقة

الرقم التسلسلي:01

المؤلف:الامام شهاب الدين احمد العماد الفقهي

العنوان:كشف الأسرار عن ما أخفي من الاسرار

الموضوع:التصوف

المقدمة:الحمد لله رب العالمين الموجد للاشياء بلا معين الذي خلق الانسان من طين

الخاتمة:سمعت حماعة تخليطا كثيرا

التاريخ"24ربيع الاول1107

الناسخ"الامام شهاب الدين

مكان النسخ:/

الحفظ:خزانة

االكتابة:خط مغربي

الهوامش:

الاعمدة والاسطر:20*9

تجليد اوتغليف:تغليف

الصور والرسوم:

رقم المجلد والجزء:

الترجمة:/

وضعية المخطوط:/

ملاحظات عامة

الرقم التسلسلي:

المؤلف:الشخ محمد الخراشي

العنوان:شرح الشيخ على الاجروميية

الموضوع:االنحو

همحمد ين محمح من

المقدمة:هذا شرح لطيف في الفاظ مقدمة الشيخ الإمام النحوي محمد بن محمد بن داود الصنهاجي

الخاتمة:ادع لي ياسيدي بالمغفرة فاني وجدت قبسا

التاريخ"1284

الناسخ"علي بن محمد بن احمد بن الحاج بن الحاجبن عساكر التلمساني

مكان النسخ:الحزانة

الحفظ:خزانة

االكتابة:خط مغربي بن اسود عريض

الهوامش:غيوال5/15

تجليد:

الصور والرسوم:

رقم المجلد والجزء:/

الترجمة:

وضعية المخطوط:جيدة

ملاحظات عامة

علم المخطوط وفن صيانته

كمال عويسي
المركز الجامعي غرداية

مقدمة:

يعد المخطوط عنصراً هاماً من التراث الذي أنتجته الأمة العربية والإسلامية في جميع أنواع المعرفة الإنسانية من تاريخ وجغرافيا، طب وأدب، الكيمياء والفلك، رياضيات وغيرها من العلوم فالمخطوطات جزء من تراث الأمة ووثيقة تدل على وجودها الحضاري،وأصبح بذلك المخطوط هو تراث الأمة الذي يحدد مكانة أي أمة في العالم بأسره،ويحدد لها أيضا مسيرتها وهويتها في الوجود الإنساني،ومن خلاله أيضا تتعرف الأجيال على تاريخ أمتها ومدى عراقة تاريخ حضارتهم،ولهذا أضحى الاهتمام بالمخطوطات وصيانتها يدلان على حرص الأمة على صون تاريخها وعراقتها.

في هذه المداخلة نحاول التعرض إلى أهم أبعاد علم المخطوطات حيث نسلط الضوء على التعريف بصناعة المخطوط العربي الإسلامي، وهجرة المخطوط من مكان إلى آخر وأسبابها،مع الإشارة إلى أهم المصطلحات التي لها علاقة بالمخطوط، إضافة إلى المخاطر التي تصيب المخطوط والتي حصرناها في المخاطر الطبيعية والكيميائية والعامل البشري"الإنسان"،كما نتناول في هذه المداخلة في كيفية حفظ المخطوط وصيانته باستعمال المعالجات الكيميائية،كما أننا سننوه إلى أهمية التجليد وذلك من خلال إبراز نشأته وطرقه والمواد التي تدخل في عملية تجليد المخطوطات، وماهي مراحل ترميم وإصلاح جلد المخطوط.

وتهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهمية المخطوطات في بناء صرح هذه الأمة ودور علماء الأمة العربية والإسلامية في صيانة المخطوطات وترميمها، كما أن الدراسة تهدف أيضا إلى التعريف بعلم المخطوطات والتأسيس له،من أجل إرشاد الطلبة إلى السعي لحفظ تراث أمتهم من الضياع،وهذا لكون العديد من المخطوطات لم تحقق إلى يومنا هذا بالرغم من قيمتها العلمية.

1. التعريف بعلم المخطوطات:

يصعب على المنشغلين في البحث العلمي المتعلق بالمخطوطات وتحقيقها في الوقت الراهن تحديد ما يطلق عليه الآن "**بعلم المخطوط**" وتحديد تعريفا دقيقاً به وبأهم عناصره وحدوده، وهذا بالرغم من الكم الهائل من التعريفات العديدة المتناثرة في مختلف الدراسات الأكاديمية سواء كانت كتباً أو أبحاثاً منشورة في الدوريات المتخصصة أو رسائل ماجستير ودكتوراه،ولعل هذا يرجع إلى كون أن هذا العلم لا يزال في طور التأسيس ومن الطبيعي أن تختلف الآراء وتتعدد المواقف بين أهل الاختصاص في تحديد تعريف له وما هي حدوده ومجالاته وطرق تناوله إلى جانب مناهجه والعمل بها،بالرغم من أن المستشرقون في بداية القرن التاسع عشر ميلادي قاموا بوضع قواعد علمية جعلوا منها علما له منهجية خاصة به سعوا من خلاله إلى تحقيق المخطوطات ونشرها،حيث قاموا

بتحقيق العديد من المخطوطات العربية والإسلامية ونشرها،وهذا لا يعني أن علماء المسلمون قديما لم يعتنوا بالمخطوطات ولم تكن لهم قواعد خاصة بهذا العلم،فقد اهتموا بضبط النصوص وتوثيقها،ووضعوا لكل نسخة رمزا خاصا بها.[(1)]

أ-المخطوط:

هو كتاب لم يتم طبعه بعد ولا يزال بخط مؤلفه أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت منه صورة فوتوغرافية أو مصورا بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي،ومن الناحية الشكلية للمخطوط فهو يتضمن صفحة العنوان وهي ما يعرف الآن بواجهة أو غلاف الكتاب المطبوع،فالعرب قديما لم يكونوا يعيرون اهتماما بوضع العنوان في الواجهة بل كان غالبا في مقدمة الكتاب أو نهايته من عمله،وكانت الصفحة الأولى تترك بيضاء[(2)]، وقد أطلقت كلمة مخطوط في الولايات المتحدة الأمريكية على كل المواد التي كتبت بواسطة اليد على الألواح الطينية والأحجار،ويشمل أغلب مخطوطات العصور الوسطى وعصر النهضة والمخطوطات الحديثة التي تضم تخصصات عديدة كالأدب والتاريخ إلى جانب الأوراق الخاصة وسجلات المؤسسات[(3)]،غير أنه يوجد العديد من التعريفات لهذه المصطلح ونذكر منها تعريف **بول أوتليه** والذي يعرف المخطوط بأنه **"دعامة من مادة وحجم معين قد يكون من طبقة أو لفة معينة تنقل عليها رموز تمثل محصولا فكريا"**[(4)]

ويرى عبد الستار الحلوجي أنه يمكننا أن نطلق على كل مادة مكتوبة أو منقوشة على حجر مخطوطاً إذا كانت مكتوبة بالخط العربي سواء أكان على شكل لفائف أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض وتم جمعها ضمن كراريس أو دفاتر، وبهذا التعريف يكون قد أخرج الرسائل والمواثيق والعهود والصكوك،فهو يستبعدها من خلال هذا التعريف من أن تكون مخطوطا عربيا [(5)]،كما يعتقد آخرون أن المخطوط هو ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات كتبت بيد صاحبها أو بخط أحد النساخ قبل أن تكتشف آلة الطباعة في العصر الحديث،وفي مقابل ذلك حيث انه ليس هناك أي حدود معينة لتاريخ أي التراث،فكل ما خلفه مؤلفا يعد رصيداً تراثيا وفكرياً له مقداره العلمي[(6)]ولعلنا وجدنا من ينقض هذا الرأي وهو ما ذهب إليه أحمد شوقي بنيين أن لفظ مخطوط حديث

---

1) أيمن فؤاد السيد:**الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات**،الدار المصرية اللبنانية،مصر،1992،ص42.

2) فهمي سعد،طلال مجذوب:**تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق**،عالم الكتب،لبنان،1993،ص13-14.

3)محمد حدبون: **فن صيانة المخطوطات وترميمها**،مجلة الواحات للبحوث والدراسات،العدد الأول،ديسمبر،المركز الجامعي غرداية،2006،،ص207.

4) ميري عبودي فتوحي:**فهرسة المخطوط العربي**،دار الرشيد للنشر،بغداد،العراق،1980،ص09.

[5]عبد الستار الحلوجي:**المخطوط العربي منذ نشأته إلى نهاية القرن الرابع الهجري**،ط2،مكتبة مصباح،السعودية،1989،ص09.

[6]عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان:**تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل**،مكتبة الملك الفهد الوطنية،1994،ص39.

في اللغة العربية،وظهر مع ظهور الكتاب المطبوع،أما قبل ذلك فكان يطلق عليه أسماء متعددة مثل تأليف ومؤلفات، كتب الأصول،الكتب والأمهات،أو الكتب الأساسية،لأنها كانت تحتوي أساسيات العلم.[1]

أما أرشيد يوسف فقد كان لتعريفه للمخطوط بأنه " النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده وباللغة العربية،أو سمح بكتابتها،أو أقرها،أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل،أو نسخ غير أصلية وينطبق ذلك على النسخ المصورة عن أصل المخطوط"[2] ولعل من أهم الانتقادات التي وجهت لهذا التعريف هو أن صاحبة إقتصر فقط على المخطوطات العربية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن من بين العلماء المسلمون الذين ليست لهم أصول عربية وكتبوا بلغات غير العربية كالفارسية والأردية والتركية القديمة،ولهذا نجد أن مصطفى يوسف السيد نهج نهجا مغايراً في تعريفه للمخطوط حيث كان أشمل وملماً لمجالات وتخصصات أخرى حيث يرى أن المخطوط هو كل ما كتب بخط اليد سواء كان رسالة أو وثيقة أو عهدا أو كتاباً أو نقشا على حجر أو رسما على قماش سواء كان باللغة العربية وبلغة أخرى غير العربية[3]

غير أن الحديث عن تعريفات متعددة للمخطوط يجرنا إلى التعريف على مكوناته وبشكل مختصر حتى يتسنى لنا الإلمام بالمخطوط من الناحية البنيوية والتركيبة وهذا لكون المخطوط يمثل وحدة تاريخية كاملة،يحمل بين سطوره حياة أجيال سابقة،ممثلة في نوعيات أوراقه وأحباره وفنون تجليده وغيرها من خصائص عصر كتابته،لذلك فالحفاظ على المخطوط أو بمعنى أشمل التراث المخطوط واجب قومي يحرص عليه الفرد وتحرص عليها الجمعيات والمجتمع المدني المتخصص في جمع المخطوط وتراثه،ومن هنا كان لا بد إدراج والتنويه بأهمية التعرف على حقيقة مكونات المخطوط وتفهم العوامل البيئية المؤثرة على هذا التكوين من أجل صيانة المخطوط والحفاظ على أثريته باعتباره أمة للماضي والحاضر والمستقبل،وبصفة عامة يمكن إجمال مكونات المخطوط في:

- مواد كربوهيدراتية:ممثلة في الأوراق،والبرديات،واللواصق النشوية.
- مواد بروتينية:ممثلة في الرق والجلد واللواصق الغروية.
- مواد يكتب منها:ممثلة في الأحبار.[4]

2- المخاطر التي تهدد تراث المخطوط:

إن الهواء الجوي الذي يتكون من مجموعة من غازات متعددة يعتبر المتهم الأول والمسؤول عن كثير من التلف التي تتعرض له مكونات المخطوط،ومنها الورق والجلود،وهي المواد التي تتكون منها الكتب الوثائق،سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة،خاصة في المدن الصناعية أين تنبعث غازات ضارة حيث يكون التأثير في هذه الحالة أقوى وأسرع،بالإضافة إلى التغيرات التي تحدث في نسبة الحرارة والرطوبة،والإشعاعات الضوئية،مما يزيد تكاثر

---

[1]عبد الستار الحلوجي:**المرجع السابق**،ص39.

[2]يوسف أرشيد:**الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا**،مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية،دتا،ص72.

[3] مصطفى السيد يوسف:**العلم وصيانة المخطوطات**،عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1984، ص15.

[4]أنظر جاك لومير:**مدخل إلى علم المخطوط**،تر:مصطفى طوبي،المطبعة والوراقة الوطنية،مراكش،المغرب،2006،ص20.

الجراثيم والفطريات،وبويضات الحشرات،وما ينتج عن ذلك كله هو تآكل الأوراق والجلود،وتعرضها للتلف والضرر،والذي يظعر بأشكال وصور مختلفة نذكر منها:

1- جفاف الأوراق، وتقصف أطرافها.

2- انتشار بقع لونية كيميائية وبيولوجية على الصفحات والأغلفة.

3- التصاق الأوراق ببعضها،وبالتالي تحجر المخطوط.

4- تآكل الأوراق تحت أحرف الكتابة.

5- انتشار الثقوب على الأوراق.

6- بهتان لون الحبر ومواد الكتابة الأخرى.

7– إلتواء وانكماش الأغلفة،وبالذات الجلدية منها،خاصة إذا صاحبة ارتفاع نسبة الرطوبة ارتفاع مفاجئ في درجة الحرارة.

8- تفتت وهشاشية الكعب.

9– تصلب أو تحجر الأغلفة.[1]

وهناك عوامل تلعب دورا مؤثرا في تلف الوثائق والكتب المخطوطة والمطبوعة،والجلود يمكننا استعراض أهمها وتصنيفها كما هو مبين في العناوين التالية.

1.2 العوامل الكيميائية:

تمتاز المخطوطات والوثائق من أسرع المواد العضوية المعرضة للملوثات الكيميائية التي يحملها الهواء مما ينتج عن إصابتها بالأحماض والتي تشكل تهديدا خطيرا على المخطوطات والوثائق التي تعرضها للتلف والضرر ولعل من أهم الملوثات الكيميائية الضار نذكر بإيجاز ما يلي:

2-1(-1) غاز ثاني أكسيد الكبريت:

ويتكون هذا الغاز في الجو بسبب احتراق الفحم،ووقود المصانع،ودخان السيارات وآلات التدفئة،حيث يكون تأثير هذا الغار أقوى وأسرع خاصة إذا وجدت نسبة مرتفعة من الرطوبة في الجو.

2-1(-2) الغبار والأتربة:

يحمل الجو حبيبات دقيقة وخفيفة جدا،تلتصق على أغلفة الكتب،وتنتشر داخل صفحات المخطوط،مصحوبة بجراثيم الفطريات،وبويضات الحشرات التي تنمو بشكل كبير وسريع،خاصة إذا توافر عاملين في الجو وهما الرطوبة والحرارة،والذين يساعدانها في النمو بشكل سريع،مما ينتج عن ذلك إصابة الوثائق والمخطوطات بالأضرار التي قد يصعب إصلاحها.[2]

---

[1] مصطفى السيد يوسف:**العلم وصيانة المخطوطات،المرجع السابق**، ص69.

[2] عبد العزيز بن محمد مسفر:**المخطوط العربي وشيء من قضاياه**،دار المريح للنشر والتوزيع،السعودية،1999،ص116-117.

2-2) العوامل الطبيعية:

إن التغيرات المناخية والتي من بين أشكالها ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة،ونسبة الرطوبة الرطوبة،والإشعاعات الضوئية الطبيعية منها والصناعية،كل هذا له تأثيرات جانبية مضرة على أوراق وجلود المخطوط،ويزيد تأثيرها هذه العوامل إذا كانت بنسب مرتفعة.

2-2-1) الحرارة والرطوبة:

إن ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها بنسب كبيرة يؤثر تأثيراُ سلبيا على الورق والجلود،وقد يسبب لها أضرار جسيمة يتعذر في كثير من الأحيان إصلاحها وعلاجها،بالإضافة لذلك نجد أن المواد اللاصقة المستعملة في تجليد المخطوطات كالغراء مثلا،تفقد قوتها وتماسكها بسبب ارتفاع درجة الحرارة،والرطوبة مثل الحرارة والتي هي عبارة عن كمية من بخار الماء الموجود عند درجة حرارة معينة غير أنه إذا توفر درجة معينة من الرطوبة مدروسة علميا ستعمل بشكل مفيد لحفظ المخطوطة الأوراق والجلود.[1]

2-2-2) الضوء:

يعد الضوء من العوامل التي تسبب أضرار جسيمة على الكتب والوثائق،لكنه ليس بنفس القوة والسرعة التي تحدثها الغازات الملوثة التي تحدثنا عليها سابقا،أو حتى بالنسبة لعاملي درجة الحرارة والرطوبة،غير أن تعرض تراث المخطوط للضوء ولمدة طويلة يفقدها قوتها ويضعف مقاومة خواص المخطوطات ولهذا ينصح خبراء المخطوطات بالحد من الإضاءة، من أجل تعطيل التفاعلات الضوئية الكيميائية[2] غير ان تأثير الضوء يتوقف على عوامل أخرى من أهمها:

- قوة الإضاءة وطول مدتها.
- سماكة الورق وكثافته.
- تركيب الهواء المحيط بالورق من كمية غاز الأكسجين وغازات التلوث إلى جانب درجة الحرارة.
- المركبات الغير السليولوزية الموجودة في الورق.

[1] أنظر شاهين عبد العز:**الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية**،الهيئة العامة المصرية للكتاب،مصر،1990،ص20.

[2] مصطفى السيد يوسف:**العلم وصيانة المخطوطات،المرجع السابق**، ص78.

- المواد المضافة إلى الورق مثل المركبات المعدنية الملونة، أو المواد الحمضية أو القلوية المستخدمة في صناعة الورق، أو في علاجه وترميمه.[1]

2-3)العوامل البيولوجية:

تعتبر الكائنات الحية سواء المرئية منها والمتعلقة بـ الحشرات والقوارض،أو دقيقة لا ترى بالعين المجردة كالفطريات والبكتيريا من أخطر التهديدات في حياة المخطوط،حيث تقوم بمهاجمة الكتب والوثائق وتدمرها خاصة مع توفر جو مناخي ملائم لانتشارها وتكاثرها في المخازن والمكتبات ابتي يتم فيها حفظ المخطوطات الأثرية،ولعل من أهم الكائنات الحية التي تهدد بشكل خطير المخطوط هي الحيوانات القارضة مثل الفئران والجراد على وجه الخصوص،ولذلك يحرص المهتمين بالمخطوطات على عدم التهاون في القضاء عليها وإبادتها بشتى الطرق لمنع انتشارها، وتكاثرها في المخازن والمكتبات ابتي يتم فيها حفظ المخطوطات الأثرية،ولعل من أهم الكائنات الحية التي تهدد بشكل خطير المخطوط هي الحيوانات القارضة مثل الفئران والجراد على وجه الخصوص،ولذلك يحرص المهتمين بالمخطوطات على عدم التهاون في القضاء عليها وإبادتها بشتى الطرق لمنع انتشارها.

والإنسان هو الآخر من المتهمين بإلحاق الضرر على المخطوط، ويتم هذا بصور متعددة من بينها:

1- إمساك المخطوطات الأثرية بأيدي مبللة أثناء التصفح،أو غير نظيفة مما ينتج عنه التصاق أوساخ واضحة للعيان تشبه البقع وهي التي تكون سببا في إصابتها بالفطريات المحللة للورق والجلود.

2- إضافة علامات أثناء القراءة وثني بعض الأوراق مما يعرضها لكسر وبالتالي احتمال فقدان بعض أجزاء الورق.

3-المدخنين من الباحثين يسهم بشكل كبير بإتلاف المخطوط حيث تمتص أوراق المخطوط نسبة من الدخان الجوي فترتفع من جرائها نسبة الأحماض المتلفة للورق.

4- تتعرض بعض المخطوطات إلى التقوس والاعوجاج جراء جهل بعض العاملين في المخازن بطريقة وضعها بشكل مناسب في الأرفف.

5-عدم الالتزام بالمعايير اللازمة في درجة الحرارة ونسبة الرطوبة وقوة الأشعة الضوئية مما يعرض الكتب والوثائق لأضرار جسيمة.[2]

3) حفظ وصيانة المخطوطات العربية:الوسائل والعلاج

---

1) شاهين عبد العز:**المرجع السابق**، ص16.

2) عبد العزيز بن محمد مسفر:**المرجع السابق**، ص116-120.

إن حفظ وصيانة المخطوطات الأثرية بمختلف علومها،ومهما كان المادة المصنوعة منها لا يقتصر فقط على إجراءات المعالجة والترميم فحسب بل يتعدى هذا الأمر ليشمل على تهيئة الأوضاع المناسبة لسلامتها والحفاظ عليها.

وللمحافظة على المخطوطات والوثائق ينصح بإتباع الإجراءات التالية:

1. وجوب إجراء فحص دوري متكامل على المخطوطات والوثائق،وعلى الوجه الخصوص الأجزاء الداخلية منها للتأكد من سلامتها وغير متعرضة لأي من الأضرار مهما كان نوعها،ويمكن أن يتم هذا أثناء عملية التنظيف، وفي هذه الحالة ينصح الخبراء بنقل هذه لمخطوطات الأثرية من أماكنها إلى أماكن متعرضة للتهوية بشكل جيد،ومن ثم يتم إجراء التنظيف لها شريطة أن لا يشكل تنقل المخطوط من مكان إلى آخر للضر للمخطوط سواء بالسرقة أو الإهمال أو الضياع وهذا يعني أن يكون القائمون على الكشف الدوري مركزين في عملهم وجادين إلى أبعد الحدود وإعادة هذه المخطوطة إلى مكانها الأصلي فور الانتهاء من عملية التنظيف.

2. العمل على عزل المخطوطات التي تعرضت لإصابة بالفطريات وغيرها من الحشرات والآفات عن المخطوطات والوثائق السليمة،والإسراع بمعالجتها فور اكتشاف الضرر حتى لا يتطور التلف والضرر الذي أحاط بالمخطوط،ثم توضع بعد هذه المعالجة ولفترة من الزمن في مكان خاص بعيد عن المخطوطات والوثائق السليمة،فإذا تم التحقق التام بشفائها وإصلاح الضرر الذي أحاط بها،وخلوها من الإصابات بشكل كامل فإنه بعد هذا إعادتها إلى مكانها الأصلي.[1]

4) وسائل صيانة المخطوطات:

1-4) وسائل تقضي على التلوث الجوي:

- النظافة الدورية للمخازن باستعمال ماكينات دورها يتمثل في تنظيف ونزع ذرات الأتربة وما يتعلق من مواد ضارة، وخاصة أرضيات المخازن.
- منع التدخين لأنه يلوث الجو بصورة بيرة مما يؤدي بامتصاص أوراق المخطوط له،ولهذا فهو ممنوع منعا باتاً داخل المخازن وصالات القراءة.
- التخلص من الغازات السامة وذلك باستخدام مرشحات مائية لإمرار الهواء النقي.
- وضع المخطوطات في خزائن محكمة الإغلاق لمنع وصول الحشرات والفطريات إليها خاصة في المناطق الساحلية التي ترتفع فيها نسبة الرطوبة.

---

1) عبد العزيز بن محمد مسفر:**المرجع السابق**، ص121.

– التحكم في عوامل البيئة الطبيعية مثل نسبة درجة الحرارة والرطوبة،ومقادير الأشعة الضوئية،وفي جميع الحالات يجب ألا يزيد تركيز الغازات الملوثة للجو عن 50 ميكروجرام لكل متر مكعب في الجو المحيط بالمخطوط[1].

2-4) وسائل مقاومة الحشرات بأنواعها وطرق إبادتها:

عندما يتأكد الباحثين والقائمين على حفظ المخطوطات في المخازن بوجود حشرات أثناء تفتيشهم الدوري، فإنه يجب عليهم وبصورة سريعة مقاومتها ولعل من أهمها الوسائل المتوفر لهذه العملية نذكر ما يلي:

– مراعاة النظافة التامة مع المحافظة على نظام التهوية السليم والذي يكون بنسب علمية دقيقة.

– رش المخازن بالمبيدات المناسبة من أجل تعقيمها كليا، وهذا لقتل الحشرات والآفات والقضاء عليها، مع الإشارة إلى أمر مهم وهو ضرورة غلق المخازن بعد رش هذه المبيدات لمدة لا تقل عن 24 ساعة،ويفضل أن تتم هذه العملية في نهاية الدوام عمال المخزن،مع التنويه أن يكون التعقيم بشكل دوري كل ثلاث أشهر.[2]

5) ترميم المخطوطات:الأبعاد والعلاج

إن المفهوم العام لترميم الجلود يعني ترميم المخطوط بأجزائها المختلفة من الكعب والوجهين الأمامي والخلفي وخطوط الاتصال بين الوجهين واللسان والكرتون المؤلف لهذه الجلدة،وهو بشكل عام إصلاح لإعادة تجليد وتقوية المخطوط مع المحافظة على أثريته وقدمه وكل ما يتعلق بزخارفه ونقوشه التي تتكلم على خصائص عصر كتابته وتاريخ مؤلفه والصورة العامة للحضارة حينئذ.[3]

والترميم عبارة عن عملية تكنولوجية جد دقيقة تأخذ طابع العالمية وهي في الوقت نفسه تعد عملية فنية ذوقية وجمالية تحتاج إلى إحساس العامل بها ورغبة قوية أثناء تأديتها،وهي بتعبير آخر عملية علاج لأثر المسن في محاولة لإزالة بصمات الزمن ومظاهره المتعددة مثل الكسور والتشققات والثقوب وأحيانا كثيرة اختفاء أجزاء معينة تختلف في حجمها أو مساحتها[4]

في الحقيقة لا يسعنا في هذه المداخلة الموجزة للتطرق وبشكل مفصل في كيفية معالجة وترميم المخطوطات الأثرية،وهذا لكون هذا الأمر يحتاج منا إلى المزيد من البحث والتقصي والتفصيل في كثير من المراحل،ويحتاج منا

---

1) مصطفى السيد يوسف:**صيانة المخطوطات علما وعملا**، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002، ص85.

2) عبد العزيز بن محمد مسفر:**المرجع السابق**،ص122–123،أنظر أيضا أنطونيو ميرابيل: **العناية بالمخطوطات وطريقة مناولتها**،كتيب عن حماية التراث رقم2، باريس،اليونيسكو،2006.

3)بسام داغستاني:**ترميم الجلود ومعالجتها**،مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،2001،ص478.

4) شاهين عبد العز:**المرجع السابق**، ص07.

إلى دراسات مستفيضة،خاصة إذا وضعنا في عين الاعتبار أن هذه العملية لديها جانب كبير من العلمية الأمر الذي يتطلب منا الكثير من الجهد والوقت،وإلى المزيد من الخبرة الميدانية، غير أننا سنحاول في العنوان التالي،وبشكل مختصر وغير مخل من الناحية الأكاديمية العمليات الأساسية لعلاج وترميم الوثائق والمخطوطات،والأغلفة الجلدية،حيث أن هذه العملية يطلب فيها مختصين وخبراء لديهم خبرة كافية في هذا المجال.(1)

5-1) التنظيف:

والتنظيف يرجى منه تخليص الأوراق والجلود مما يكون قد علق بها من أوساخ كالأتربة وآثار الأقلام أو فطريات وبويضات الحشرات.

5-2) إزالة البقع:

إن عملية إزالة البقع يتطلب أولا تحديد نوع الورق وحالته،ومن ثم تحديد نوع البقع أو الأوساخ،وما هي المواد الكيميائية اللازمة لإصلاح وإزالة البقع المحيطة بالمخطوط.

5-3) إزالة الأحماض الزائدة:

إن زيادة نسبة الحموضة في الأوراق والجلود قد تكون إما نتيجة تركيب الأوراق،ودباغة الجلود،أو بسبب ظروف التخزين أو عن طريق الأحبار المستخدمة في الكتابة،وعدم القضاء على هذه الزيادة قد تعرض المخطط للتآكل والتلف،ويجب أن تكون نسبة درجة الحموضة هي:PH6-8.

5-4) فصل الأوراق الملتصقة:

يؤدي التقادم الزمني إلى ضعف مقاومة أوراق الوثائق والمخطوطات،متأثرا بالظروف البيئية،العوامل الجوية،فالرطوبة قد تؤدي إلى نمو وتكاثر بعض الكائنات الدقيقة وخاصة الفطريات،مفرزة مواد صمغية لزجة وبقع لونية وأحماض عضوية،ينتج عنها تماسك الأوراق بعضها ببعض والتصاق الصفحات بالجلود ويصبح بالتالي المخطوط قالبا متماسكا يشبه الحجر ولهذا تسمى هذه الحالة بتحجر المخطوط.

ولعلاج مثل هذه الحالة يجب تعريض الأوراق الملتصقة لكمية من بخار الماء تكفي لتشبعها وتليين المواد اللزجة بينها،ومن ثم يتم فصل الأوراق عن بعضها البعض بتركيز وحذر كبير ومهارة فائقة،ثم تترك هذه الأوراق لكي تجف ووضعها فوق أوراق بيضاء وظيفتها امتصاص الرطوبة الموجودة فيها.

5-5) إصلاح التمزقات وإكمال الأجزاء الناقصة:

---

1)لمزيد من المعلومات حول عملية الترميم أنظر: عبد العزيز بن محمد مسفر:**المرجع السابق**، ص123-129. شاهين عبد العز: **المرجع السابق**، ص23-47.فوزية الكرفي:**كيف نصون مخطوطاتنا**،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،1998،ص43-45. مصطفى السيد يوسف:**صيانة المخطوطات علما وعملا، المرجع السابق**،130-141.

إن التمزق الذي يحدث للمخطوط أو الثقوب التي تنتشر في ثناياه أو حتى تقصف بعض الأطراف،يتم معالجتها بملئها بعجينة لب ورق غير حمضي،أما الأجزاء الناقصة فتستكمل بأوراق تتشابه مع الأوراق القديمة من ناحية خواصها وأحجامها وألوانها.[1]

6) التجليد:

عرف العرب فكرة التجليد مع بداية عصر الإسلام، وكان المصحف هو أو كتاب يجلد، وهو إجراء وقائي للصفحات المكتوبة، خوفا عليه من الضياع والتناثر،ولم يكن هذا الإجراء إلا لوحين من الخشب مثبتين من الخلف بخيط رفيع من ليف النخيل تحفظ بينهما الصفحات المخطوطة للقرآن الكريم،ومع احتكاك الحضارة الإسلامية مع حضارات عديدة حدث تبادل معرفي ومنها مفهوم التجليد الذي يتسع ويتطور ويتغير من عصر إلى عصر،حيث أصبح علما قائما بذاته له أسسه المنهجية العلمية والعملية وهو يشتمل على نوعين هما:

أ- يختص هذا النوع بتجليد كافة أنواع المخطوطات العربية والإسلامية بالطريقة القديمة وباستخدام المواد الطبيعية مع الأخذ بعين الاعتبار الزخارف الموجودة على سطح الغلاف، وإعادتها من جديد بما يتناسب وتاريخ نسخ المخطوط.

ب- التجليد الفني الحديث:

يختص هذا النوع بتجليد جميع أنواع المطبوعات معتمدا على الطرق الأوربية بكل أشكالها من حيث التنفيذ، ومن حيث المواد المستخدمة.[2]

أما المواد المستخدمة في التجليد فهي:

كرتون بسماكات كبيرة.

جانب جلد الماعز.

صمغ خاص بتجليد المخطوطات وأفضلها الصمغ النشاء.

خيوط بيضاء وأخرى حريرية.

ورق رخامي لتغليفه من الداخل.

وأما المواد المستخدمة في عمليات التجليد:

نماذج معدنية زخرفية (قوالب).

مكبس معدني.

ملزمة خشبية.

---

1) مصطفى السيد يوسف:**صيانة المخطوطات علما وعملا، المرجع السابق،ص**145.

2)بسام الداغستاني:فن الترميم صيانة تراث وحفظ أمانة،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،،2001،ص15-26.

محف لترقيق الجلد.

أداة للحفر مختلفة الأشكال والمقاسات.[1]

خاتمة:

إن المخطوط هو تراث الأمة فهو جزء أصيل من كيانها ووجودها، وبإحيائه بمثل هذه الملتقيات التي تجمع العديد من النخبة الباحثين ونشر علومه يتحقق للأمة مجدها ورقيها بين الحضارات،والمجتمعات المسلمة تملك تراثاً ضخماً في مختلف التخصصات المعرفية تركها لنا آبائنا وأجدادنا العلماء القدماء الذين أبدعوا وتفننوا في كل فن وعلم بشكل كبير،غير أن هذا الكنز العظيم لم يتم إكتشافه كله ولم يصل إلينا منه سوى النذر القليل،وبقي الكثير منه حبيساً في خزائن الكتب الخاصة ولدى العديد من الأشخاص قابع بين أدراجهم ينتظر الدارسين والباحثين في مجال المخطوطات من يزيح عنهم الغبار.

والكتاب العربي المخطوط وبما يمثله من الناحية الفكرية المتطورة، هو نتاج تلك الحضارة التي شهد العالم على عظمتها وسمو مكانتها، ولكن ضعف مكانة الحضارة الإسلامية أدى بها إلى التفكك والانهيار لأسباب العديدة لعل من أبرزها الفتن التي حدثت والنزاعات الداخلية والحروب الخارجية والتي كان أكثرها دموية وتشريدا تلك الهجمات التي شنها كل من التتار والمغول من الشرق،والصليبيون من الغرب،حيث دمرت بلاد العرب والمسلمين ونهبت وحرقت تراثهم ولم يبقى من تراث المخطوطات إلا القليل مما لم تصل إليه أيديهم الملطخة بدماء المسلمين والحاقدة على تراثهم.

ولهذا وجب على الجادين من نخبة هذه الأمة في مجال المخطوط إنقاذ ما يمكن إنقاذه من تراث هذه الأمة مع توفير لهم كافة الخدمات بالاطلاع على هذه المخطوطات وتصوير ما يودون البحث عنه بغية التحقيق الأكاديمي الممنهج،مع التعاون والتنسيق بين الجهات والمؤسسات المعتمدة لتبادل المعلومات والخبرات وإلقاء المحاضرات وعقد مؤتمرات وملتقيات في مجال صيانة المخطوطات والحفاظ عليها.

قائمة المراجع:

1- أنطونيو ميرابيل: العناية بالمخطوطات وطريقة مناولتها،كتيب عن حماية التراث رقم2، باريس، اليونيسكو، 2006.

2- أيمن فؤاد السيد:الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات،الدار المصرية اللبنانية،مصر،1992،

1) بسام داغستاني:**التجليد الإسلامي**،مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،2001،ص495.وللمزيد من التفاصيل أنظر فرونسوا درويش:**المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي**،تر:أيمن فؤاد السيد،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،لندن،2000،382-395.

3- بسام الداغستاني:فن الترميم صيانة تراث وحفظ أمانة،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،،2001.

4- بسام داغستاني:التجليد الإسلامي،مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،2001.

5- بسام داغستاني:ترميم الجلود ومعالجتها،مقالة في الدورة التدريبية الدولية الثانية بعنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد،مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث،الإمارات العربية المتحدة،دبي،2001.

6- جاك لومير:مدخل إلى علم المخطوط،تر:مصطفى طوبي،المطبعة والوراقة الوطنية،مراكش،المغرب،2006.

7- شاهين عبد العز:الأسس العلمية لعلاج وترميم وصيانة الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية،الهيئة العامة المصرية للكتاب،مصر،1990.

8- عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي منذ نشأته إلى نهاية القرن الرابع الهجري،ط2،مكتبة مصباح، السعودية، 1989.

9- عبد العزيز بن محمد مسفر:المخطوط العربي وشيء من قضاياه،دار المريح للنشر والتوزيع،السعودية،1999.

10- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان:تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل،مكتبة الملك الفهد الوطنية، 1994.

11- فرونسوا درويش:المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي،تر:أيمن فؤاد السيد،مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي،لندن،2000.

12- فهمي سعد،طلال مجذوب:تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق،عالم الكتب،لبنان،1993.

13- فوزية الكرفي:كيف نصون مخطوطاتنا،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،1998.

14- محمد حدبون: فن صيانة المخطوطات وترميمها،مجلة الواحات للبحوث والدراسات،العدد الأول، ديسمبر، المركز الجامعي غرداية، 2006.

15- مصطفى السيد يوسف:العلم وصيانة المخطوطات،عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، 1984.

16- مصطفى السيد يوسف:صيانة المخطوطات علما وعملا، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002.

17- ميري عبودي فتوحي:فهرسة المخطوط العربي،دار الرشيد للنشر،بغداد،العراق،دتا.

18- يوسف أرشيد:الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا،مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية،دتا.

المخطوطات في أسس جمعها وبنائها (دراسة في مناهج تحقيقها وضبطها)

د/محمد حجازي

جامعة باتنة

مدخل نظري:

تهتم الأمم قاطبة بالحفاظ على تراثها، بجمعه وإثرائه وتلقينه للأجيال، حتى يبقى التواصل قائما بين منظومات التفاعل المعرفي الجيلي.وأهم ذلك كله، نظام المخطوطات في أصل المحافظة والجمع والضبط؛ حتى يستقيم التفاعل والاستفادة بين أبناء الأمة والقراء.

ولأهمية ذلك، انبرت المؤسسات العلمية والمعرفية، على مختلف مستوياتها ومسئولياتها، بالاهتمام الكبير لعمليات التحقيق والدراسة والجمع والطبع...وكل ما يشكل عملية المنهجة، للإخراج العلمي الأكاديمي الدقيق للمخطوطات والأسفار القديمة.

وطبعا، فإن تطبيق المناهج يُعد السبيل الذي يوجِّه بإحكام ودقة وتمحيص عمليات التحقيق، التي تتناول التراث العلمي الذي صنعته الأمم، وتعاقبت حوله الأجيال، وفق منهج التواصل والعطاء وتعميم الفائدة والاستفادة.

وهذا ما يشير إليه- د- عبد الباسط محمد حسن بقوله: ً إن الدراسة المنهجية العلمية الدقيقة، في تناول البحوث والتحقيقات، إنما هي للوصول إلى إظهار الحقائق وتوصيلها إلى القراء، والتحقق من مضامين التراث بمخطوطاته وبحوثه، حتى نتمكن من تعميم الاستفادة منها والتحقق من معارفها وصحتها هي أيضاً .[1]

وبطبيعة الدراسة والحال، تظهر مكامن المعرفة والتواصل مع الحقائق الثابتة المميزة لكل فترة من فترات التاريخ وصيرورته وحقائقه.

وهل يمكن اعتبار قول (باختين) عن الكتابة، يصلح أن يتماشى مع المخطوطات وطرائق تحريرها وتحقيقها وأبعاد ذلك حين يقول: ً الفن الذي يعيش في صيرورة دائما، ولا يزال غير مكتملٍ .[2]

وتعتمد الشعوب في تقويم إنِّيَّتها وبنائها المجتمعي، على هذا الزخم المعرفي الإنساني، الذي يحقق رغبة البقاء والتواصل، وهذا ما عليه الشعوب المتحضرة، مثلاً: ً في بلاد الغرب اعتمدوا أساسا على العلوم الاجتماعية، لفهم واقع مجتمعاتهم واستعمالهم للعلوم الاجتماعية والإنسانية والقيم المعرفية الموروثة، ارتكازا على التناول العلمي

---

[1]- أصول البحث العلمي- مكتبة وهبة- القاهرة- ط 1982- ص 124

[2]- عبد الملك مرتاض- تقنيات السرد-عالم المعرفة- الكويت-عدد 240-ص 47

والمنهجي لمعالجة ظواهر الحياة اليومية، وهذا لن يتم دون البحث الميداني والتعاطي مع الموروث الحضاري المنسوخ في السجلات والمكتبات.[1]

1- دراسة في المفاهيم:

يعد تفسير ابن جني للغة، على أنها وسيلة التواصل بين الناس لأداء أغراضهم وتدبر شؤون حياتهم.على أنه التعريف والتفسير الذي يصب في خانة المتداول الدلالي لصيرورة اللغة وتراكيبها ونصوصها ووجودها أساسا؛ كون العملية تتميز بالأداءات المعرفية الموصلة إلى حركية التواصل وتوظيف المعارف ومهارات الكتابة والتميُّز فيها، والإقدام على ترسيخ مفاهيم العلوم ومصطلحاتها ودلالاتها، والأنساق المعرفية التي تحاول شرحَ ومنهجَة المعارف والعلوم والآداب، بما يكفل الفهم وتحقيق الغايات.

وتلك فطرة الله تعالى في خلقه، أن علم سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة...حين تحقق وعد الحق بالخَلْق والخلافة في الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[2]

وحكمة تعليمه سبحانه وتعالى لآدم، أنه سيستخلفه في الأرض ليعمرها، ويترك آثارا كلما تعاقبت الأجيال وتآلفت مع المتغيرات الحياتية، التي تسعى من خلال العلم والمعرفة؛ إلى تحقيق أدوات الاستخلاف في الأرض والتواصل مع أبعاد الحياة ماضيا وحاضرا ومستقبلا، كلما تماشى ذلك مع سنن الكون.

إن تلك التسجيلات والقراءات للحياة، مبعثها الثراء اللغوي والمعرفي والتنوع في العطاء والإبداع وكل مواطن الكتابة، والقراءة والنسخ والتسجيل؛ والسبب الرئيس أنها: " تتشكل من تفاعل شبكة العلاقات المعرفية والاجتماعية والتوترات والنجاحات والإخفاقات، وكل ما يشكل حياة الناس من التشابه والاختلاف، ومن الثغرات العامة والخاصة؛ لأنها مجال الدراسات في القديم والحديث، وهي في كل ذلك تَطَلُّع لصناعة التاريخ والمجد والثراء فيه " .[3]

لكون السلوك العقلي أداة لصناعة الأفكار وإنتاجها، وقراءة الماضي بتأريخه والحاضر بتسجيله والمستقبل بتطلعاته: " فقد اعتنى العلماء والباحثون بنشر الكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله...وكذا مقابلة الأصول والمرويات والسَّمَاعات...فكانوا أن اتقنوا غاية الإتقان، وسجلوا حياتهم غاية التسجيل والحفظ....[4]

فمهمة التسجيل والكتابة، من أجلِّ المهمات التي حفظت لنا مسيرة الإنسانية وأبدعت في مقابلتها وتمكينها في حرص أكيد، من أجل البقاء الاجتماعي والمسيرة الحياتية، والانصهار والانبهار المستقبلي.

---

[1]- بتصرف / موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة/ بوزيد صحراوي- دار القصبة- الجزائر-ط2004- ص 3

[2]- سورة البقرة- الآية 31

[3]- بتصرف – د- اسماعيل زردومي- محاضرات في السرد- السنة الدراسية 2009-2010م- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة باتنة- الجزائر

[4]- بتصرف – إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر - دمشق- ط1- 1423هـ-2003م-ص 9

إن ذلك يحتاج إلى منهج أكيد ودال، حتى يتسنى ضبط الأفق المعرفي للتراث الإنساني المتعدد الجوانب والمنثور في أركان الزوايا والمساجد والقلاع التراثية المتنوعة والمتعددة. وكون المنهج هو السبيل الذي يجب تداركه ومعرفته، لصيانة التحقيق وإظهار المخطوطات إلى الوجود على وجهها اللائق والمشرف علميا وأدائيا وإجرائيا.[1]

ولمعرفة هذه القياسات الآلية التي تحقق للنص القديم ظهوره الفعلي والمعرفي العام لدى القراء، يمكن الحديث حينها عن المنهج وكيفية صناعة النص وإخراجه في أيسر صورة ممكنة، حتى يتمكن القارئ والباحث من الفهم ومعرفة الاتجاه الذي يستحوذ عليه المخطوط، وكَمْ المعارف التي يحويها، حتى يتلازم ذلك مع التحقيق وفق مقاييس المناهج وضوابطها الآلية المتبعة للنص والفهارس والحواشي...وكل ما يشكل مستويات الطرح في النسخة (المخطوط).

وعليه فإن المنهج في اللغة هو الطريق.والمنهاج: الطريق الواضح، هكذا في لسان العرب، يقول تعالى: ً لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا...ً.وانهج الطريق: وضُح واستبان وصار نهجا واضحا بيِّنا، وأورد قولا ليزيد بن الحذَّاق العبدي، يقول فيه:

ولقد أضاءَ لك الطريقُ وأنْهَجَتْ*** سُبُلُ المكارم والهدى تعدي

أي: (تعين وتقوي).

وأورد حديثا للعباس يقول فيه: (لم يمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى ترككم على طريق ناهجةٍ)، يريد واضحة بينةٍ.

وفي المعنى نفسه، يقال أيضا: اعملْ على ما نَهَجْتُهُ لكَ، أي: (رسمته وصممته لك) [2].

– وفي القاموس المحيط، جاء المعنى بقوله: ً النَّهجُ: الطريق الواضح، كالمنهج والمنهاج، ونَهَجَ وضَحَ وأوضَحَ، والطريق سلكه.استنهج الطريق: سلك مسلكه...[3]ً.

وفي معجم مقاييس اللغة، جاء مصطلح: (نهج) بالمعاني التالية:

المنهج: الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج.والمنهج الطريق أيضا، والجمع المناهج، وأتانا فلان ينْهجُ، إذا أتي مبهورا منقطع النَّفَس [4].

ولهذا الاعتبار اللغوي لمدلول المناهج، وجب الاتجاه نحو توضيح الطريق الذي من أجله يقام البحث أو يظهر التحقيق حول مؤلف ما من المؤلفات، التي هي محل الدراسة والتحقيق والبحث، بمعنى هو: السبيل الذي يسلكه الباحث قصد إنجاز مشروع علمي يتضمن حزمة من الآليات المنهجية، التي تساعد على تحقيق غرض

---

[1]– ينظر– د– رمضان عبد التواب – تحقيق التراث(أساليبه وأهدافه)– مجلة قافلة الزيت– عدد فبراير – 1976م

[2]– ابن منظور– قدمه/ الشيخ عبد الله العلايلي– أعاد بناءه على الحرف الأول: يوسف خياط– دار الجيل– بيروت– دار لسان العرب بيروت– مادة: (نهج)– مج6– ص 727

[3]– الفيروز آبادي– دار الجيل بيروت– المؤسسة العربية للطباعة – بيروت– مادة (نهج) باب الجيم– فصل النون–جـ1– ص 218

[4]– ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) – تح/ عبد السلام محمد هارون– دار الفكر بيروت– مادة: (نهج) جـ5– ص 361

البحث والتحقيق حول مؤلف من المؤلفات أو قضية من القضايا؛ قصد إزالة الغموض عنها وفتح الآفاق المعرفية حولها من أجل الوصول إلى النتائج والأهداف التي من أجلها جاء البحث.

إذ يُعَد البحث أو التحقيق في نظر بعضهم، بأنه: " تقديم الدليل والبرهان والأسباب المرجّحة لإيجاد الطريقة الصحيحة في التعريف بالنص أو النسخة أو الموضوع، ثم تصور ما يُتصور ويقع، ونقد ما يوجب النقد ".[1]

وبالنسبة للتحقيق وعلاقته بالمناهج، فهو الإطار المعرفي الذي يقوم على ضوابط معرفية تقترحها مناهج تحقيق المخطوطات على المحقق؛ ليضطلع بدور علمي ومعرفي فعال، قصد إخراج المخطوط إلى حيز الوجود الفعلي للكتاب والنسخ، حتى يسهل وصوله إلى يدي القارئ لتعميم المعرفة، وإخراج كنوز العلوم والمعارف، التي تزخر بها ذاكرة الأمة والأوطان: " وانطلاقا من حتمية انعدام الكمال في أي منهج، فإننا لا نصل من حيث المبدأ إلى أي منهج، وأثناء الممارسة التطبيقية أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية والتحقيق المتواصل، لمنح العمل الأدبي المنجز شيئا من الشرعية، وشيئا من الدفء الذاتي معاً ".[2]

فالتحقيق في جانبه اللغوي، يعني: " حقَّق؛ الحقُّ: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق.والحقُّ: ليقينُ، وحق الأمرَ: يحقه حقا وأحقَّه: كان منه على يقين، تقول: حقَقْت الأمر وأحققته: إذا كنت على يقين منه.وفي الحديث: " لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيبَ مسلما بعيبٍ هو فيه ".يعني خالص الإيمان ومحضَهُ وكُنهَهُ.وحاقَّه في الأمر مُحاقَّةً وحِقَاقًا: ادعى أنه أولى بالحق منه.وأنا حَقِيقٌ على كذا: أي حريص عليه.وصبغتُ الثوبَ صَبْغًا تحقيقًا أي مشبعاً.وثوب محقَّقٌ: عليه وشْيٌ على صورة الحُقَقِ.وثوبٌ مَحَقَّقٌ: إذا كان محكم النسج، قال الشاعر:

لسَربَلَ جِلدَ وجه أبيكَ، إنَّا *** كَفيناكَ المحقَّقَة الرِّقَاقَا

وأنا حقيقٌ على كذا، أي حريص عليه ".[3]

ويتحدث بعضهم عن المعنى اللغوي أيضا للتحقيق، فيقولون عنه: " التصحيح والإحكام.قال ابن الأعرابي: أحققت الأمر إحقاقا: إذا أحكمته وصححته.وعن المخطوطة قولهم: " كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتابا أو وثيقة أو نقشاً ".[4]

ويهدف التوثيق والتحقيق إلى: " صيانة المصنفات والمخطوطات والدقة في نقلها بعيدا عن العبث والتحريف والتزوير ".[5]

---

[1]- برجستراسر (مستشرق ألماني) - أصول نقد النصوص ونشر الكتب- تقديم د- محمد حمدي البكري- دار المريخ للنشر- الرياض- السعودية – ص 54-55

[2]- د- عبد الملك مرتاض- التحليل السيميائي للخطاب الشعري- منشورات إتحاد الكتاب العرب- دمشق- ط 2005- ص 11

[3]- ينظر/ ابن منظور- لسان العرب المحيط-(مصدر سابق)- مج 1-مادة: (حقق) – ص 680-683

[4]- د- محمد التونجي- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات- عالم الكتب بيروت- ط1-1986

[5]- أياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر- دمشق- ص 33

والغرض الأكيد من التحقيق والعمل به، هو المحافظة على المخطوطات من حيث: ً العناية العلمية، وإخراجها إلى القارئ في أقرب صورة ممكنة من أصلها الذي كتبه المؤلف، إذا لم يمكن وضعها في صورة مطابقة لذلكً .[1]

وفي الجانب الاصطلاحي المفاهيمي، يعني الوصول بالإرث المعرفي الإنساني إلى حيويته وتواجده الفعَّال داخل المنظومة العلمية والأدبية والشرعية التي يحتاجها الإنسان، كمنطلقات تربط البعد الجِيلِي لعملية التواصل القراءاتي والتلاقح المعرفي.

وعليه فإن تحقيق المخطوطات يعني من ضمن مفاهيمه: ً إظهار الكتب المخطوطة مطبوعةً، مضبوطةً، خالية نصوصها من التصحيف والتحريف، مخدومة في حلةٍ قشيبة، تيسر سبل الانتفاع بها؛ وذلك على الصورة التي أرادها مؤلفوها أو أقرب ما تكون إلى ذلك، ولا يدرك الأمر إلا بعناء وصبر على البحث والتمحيصً .[2]

وقد أكد أهل العلم من الذين كتبوا في قضايا التحقيق والنصوص والمواد المدرجة ضمن هذا الإطار، بأنه: ً أقوال المؤلف الأصلية، لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقاتً .[3]

والمخطوطات بمفهوم عام هي: ً ما بقي من التراث الإنساني مدونا بالكتابة اليدوية على اختلاف لغاتها، ويراد بتحقيقها كل ما يتعلق بالعناية العلمية بها، من توثيق نسبتها إلى مؤلفيها والتثبت من صحة عناوينها وملاحظة ما عسى أن يكون دخيلا على متنها أو ناقصا منه، ومقابلة نُسخها، وتخريج اقتباساهاً .[4]

بمعنى أنها منظومة متكاملة لها إطارها الزماني والمكاني، حيث تستوعب زمنها وما قبله، ويمكن أن تؤثر في واقع الناس عن طريق التأثير والتأثر، لكونها أداة علمية معرفية تجاوبت مع أنساق الحياة، وصنعت تفاصيل لها وجنبات من أطرها وخلاصاتها.

3-أسس الجمع والبناء في منظومة المخطوطات

تعتمد المنظومات العلمية في بلوغ مراميها المقْصدية إلى إنتاج المعرفة، وبعث البحث العلمي بأوجهه المنهجية الدقيقة، حفاظا على التوازن المعرفي، وتأكيدا لأحقية التواصل مع معارف الأجيال باستخدام الخبرات السابقة واللاحقة؛ حتى يتم ضبط المفاهيم الدلالية للأسس المقومة للتواصل الثقافي: ً إن المعرفة العلمية، هي نوع من الثقافة تسمح برؤية التفاصيل والاستماع والتواصل بانضباط وإحكام أكثر، والتحقق من طبيعة ما نعتقد أننا قد كشفنا عنه من خلال الدراسة والبحث والتحقيقً .[5]

[1]- عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة- كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب- ط1989م- ص 65

[2]- أياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- (مرجع سابق)- ص 19

[3]- الصادق عبد الرحمن الغرياني- تحقيق نصوص التراث- مجمع الفاتح للجامعات- طرابلس- ليبيا- ط 1989م- ص 07

[4]- عبد الحميد عبد الله الهدامة - ورقات في البحث والكتابة- (مرجع سابق)- ص 65

[5]- بتصرف- موريس أنجرس- منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- (مرجع سابق)- ص 47-48

ومن هنا تأتي أهمية الدراسات التي تعتمد منهج التحقيق والضبط للنصوص والمخطوطات، التي جاءت عن أصحابها من الإرث القديم، والتي كتبت وفق ظروف عصرهم وبمداد قلمهم، وخط أياديهم، وخلاصات معارفهم، واستنتاجات عقولهم، وبواعث عواطفهم...إنها امتدادات معرفية، تحتاج إلى الدراسة والتوقف عند محطاتها وأبجديات المعرفة فيها.وهنا تكمن بواعث الإقدام وبذل الجهود من أجل القراءة والمقابلات بين النسخ، والاهتداء إلى التقريب بين الشرط الدقيق للكتابة، والشرط الرابط للمعاني والمفاهيم: "إن البحث عندما يُجرى بتدقيق منهجي ووضوح علمي، إن على مستوى طرح الإشكالية فيه، أو تتبع نسخ المخطوطات للتدقيق والإخراج، إنما كل ذلك يكشف عن الرهانات المعيارية والأخلاقية للظواهر المدروسة أو المحقَّقة بطريقة مشابهة لما يقوم به علماء علم الأحياء في إنتاج المعرفة والمحافظة على الحقائق". [1]

ومن أجل ذلك، حرص علماء المنهجية على إدارة معرفة التحقيق للمخطوطات، وجلب الاهتمام إليها وحولها، كونها المعرفة النابضة للتواصل الاجتماعي، الهادف إلى التمكين من ثقافة التواصل، وتحفيز الأجيال على الارتباط بالإرث الثقافي والمعرفي، الذي يُعد في الأساس هوية الأمة، وشخصية الأجيال التي تحاول معرفة الأنا من خلال الآخر (الماضي)، الذي تآكل مادة وبقي روحا وفكرا ومعرفة!..والبحث العلمي، ليس بدعة على العرب والمسلمين، فلقد نبغ علماء في شتى العلوم والفنون، ولا زالت مؤلفاتهم وأبحاثهم وآثارهم تملأ الدنيا، وقد لا يتسع المقام للإفاضة في أفضال هؤلاء في فروع العلوم المختلفة: "ولكن يكفي الإشارة إلى دورهم المنهجي الذي أفاد البحث العلمي، وأدى إلى تحقيق الرقي والتقدم، الذي يجني العالم ثماره الآن، وذلك بعد الإضافة والتطوير، وتعاقب جهود العلماء على مر السنين". [2]

وإشارة كهذه، تعطي الدلالات الأكيدة والمتميزة، للجهد الذي يبذله الباحث المحقِّق من أجل الوصول بالمعرفة إلى أسمى غاياتها، كونه يُفني أجزاء من حياته، من أجل إخراج وتوثيق المعرفة للأجيال والقراء على حد سواء، وهذا الذي يحقق مجتمع العلم والمعرفة، والتجاوب مع تحقيق الذات، عن طريق التعاطي مع جهد العلماء وأهل الدراية من المنهجيين والكتاب والمحققين، ويمكن القول في هذا الخصوص: "إن علماءنا وضعوا لبنة البحث العلمي الأولى، وشاركوا في تصميم أسسه، كما أفاضوا في الكتابة والتأليف، واتبعوا الملاحظة والتدقيق والتمحيص، وتميزوا بالدقة والموضوعية والقياس والمقابلة، وكلها عوامل أساسية للبحث والتحقيق العلمي السليم والمميز". [3]

ولعل هذا الاتجاه الثقافي، يقودنا إلى الحديث عن حقيقة المعترك الحياتي الذي يعيشه الإنسان والذي يصنعه بأفكاره وعواطفه وخيالاته؛ لأنه بذلك إنما يصنع حياته بتعبير المفكر محمد أركون، حين يتحدث عن فاعلية الإنسان في صناعة الحضارة، والتميز بالتواصل العلمي الحقيقي بين الماضي الثري والحاضر المتنوع، يقول: "الإنسان

---

[1]- ريمون كيفي- لوك فان كمبنهود- دليل الباحث في العلوم الاجتماعية- تر/ يوسف الجباعي- المكتبة العصرية- بيروت- ص 46

[2]- مصطفى حلمي- مناهج البحث في العلوم الإسلامية- مكتبة الزهراء- القاهرة- ط1- 1984- ص 07

[3]- بتصرف- د- محمد شفيق- البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث)- المكتب الجامعي الحديث- ط1- 1405هـ- 1985م- ص 10

معجزة عظيمة (الباحث) جديرة بأن ينْصَب كل الاهتمام عليها، ومن الضروري أن يكون هذا الإنسان (المثقف) مسؤولا عن صنع حياته بأسرها، (الماضي- الحاضر- المستقبل)ً.[1]

بتعبير مطاع صفدي، هو نقل الإنسان من حياة التاريخ وثقافته ومعارفه، إلى حياة الحاضر وصناعة المستقبل، كونه يتعامل وفق نواميس المعرفة، وحقائق العلم وتجذُّره وتواصله بين الأجيال، إن على مستوى الوعي بالذات وما أنتجت من معارف، أو الوعي الجمعي المرتبط بثقافة القيم والعادات والتقاليد والأخلاق والهوية، ومستوى الإبداع الفني والفكري...إن كل تلك القيم المعرفية تتساوق وفق منطلق التحقيق والرغبة في البناء العلمي، الذي يُمكِّن المعارف من التواصل والتجديد والتكامل، بما يؤسس هوية حضارية متميزة.[2]

وإذا كان الأمر نظريا يتعلق بعملية التواصل، فإن ذلك يقتضي جملة من الإجراءات المنهجية التي تُعَد اللبنات الأساسية، التي توجه وتساعد الباحث نحو تشكيل مفهوم وطريقة دقيقة لضبط إمكانات المعرفة وإلى تحقيقها وإخراجها للقارئ والمكتبة عموما.إن ذلك الجهد يحتاج إلى معرفة وحكمة، ودربه وممارسة، ليثمر المبتغى منه والمعوَّل عليه في آن واحد: ًأصبح البحث العلمي أولوية (والتحقيق أهم فروعه) لدى كافة الشعوب والأمم المتقدمة منها والنامية، لأن البحث العلمي يُعوَّل عليه كثيرا في رسم السياسات وخلق الثروات واكتساب المهارات، وأصبح مدى تقدم الشعوب يقاس بمدى ما تُخصصه له من دخلها القومي ً.[3]

إن أسس جمع المخطوطات وبنائها، يندرج في هذا التقويم العام، الذي يستند إلى أفكار علمية، وتطبيقات منهجية، ينحصر إطارها في تفعيل التاريخ، بمعنى تفعيل الزمان والمكان والإمكانات والجهد...حتى يتسنى البناء الفعلي للمخطوطات على صناعة وحضور الفعل العلمي الأكاديمي المتميز، حتى تكون المخطوطة حين إخراجها وبروزها لرفوف المكتبات، ذات قيمة من ناحية موضوعها، وذات مصداقية من ناحية ضبطها ومقابلتها بالنسخ الأخرى، وإخراجها على الوجه الذي يحقق لبنة التفاعل العلمي المتميز بالمصداقية والحضور المثمر للموضوع أو القضية، التي تطرحها المخطوطة محل الدراسة والتحقيق: ًإن ضبط المخطوطة والتحقق من ذلك، له حرمته وأمانته.وواجب المحقق أن يؤديه كما وجده في النسخة الأمً .[4]

إن مهمة التحقيق، تحتاج إلى مزيد من الصفات الدالة والمتميزة في المحقق، حتى يفي بغرض المعرفة وإخراجها بالشكل الدقيق والمتميز، وذلك بكونه يتميز بأكثر من معرفة دقيقة حول علوم اللغة وعلوم المعاني ودلالات التراكيب، ومقابلات الشواهد والتناص فيها إلى غير ذلك مما يمكنه من الدراسة والحرص المكين والشديد للدراسة

---

[1]- فارح مسرحي- الحداثة في فكر محمد أركون- منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم- بيروت- ط1- 1427هـ- 2006م- ص 28

[2]- بتصرف-نقد العقل الغربي- الحداثة وما بعد الحداثة- مركز الإنماء القومي- بيروت- ط1- 1990- ص 63

[3]- فضيل دليو وآخرون- أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية- منشورات جامعة منتوري قسنطينة- ط1999 -دار البعث- قسنطينة- الجزائر- ص 11

[4]- عبد السلام هارون- قواعد تحقيق المخطوطات- ص 74

والمقابلات والتصحيح والتخريج.لذلك انبرى لهذه المهمة علماء أجلاء: اعتنوا بالكتب الخطية وتقديمها للناس خدمة للعلم وأهله، ونقلها من المخطوط إلى المطبوع بأدق صورة ممكنة .[1]

4- قواعد وضوابط التحقيق

إذا كان الأمر قد تعدى جوانب التأسيس والأهمية، فإن الفعل التحقيقي يحتاج إلى ضوابط منهجية، تأخذ بيد المحقق نحو إنجاز مهمته العظيمة واليسيرة ولاشك، كونه يسعى إلى خدمة العلم والمعرفة، بتطابق الجهد وفق التميز والصبر الذي لابد منه، كون عملية التحقيق يمتاز صاحبها، بالمثابرة والحرص الشديد على التثبت والإدراك والإقدام أيضا.

وتتوزع المهام الأساسية للباحث والدارس المحقق، على أكثر من جانب ودراية واستقصاء وتأكيد ومعرفة...إنها أولويات فيها تقديم وتأخير حسب الحاجة والمنطلق: وتلك الدقة تحتاج إلى صبر وتكاليف من الجهد والمال والوقت، ينفقها المحقق في طلب نسخة ثانية، أو في قراءة كلمة غاب وجه صواب قراءتها...[2]

على المحقق أن يدرك قبل اقتحام هذا الميدان، أن العملية تحتاج إلى جهد الباحث في البحث، وإلى جهد المحقق في البحث والدراسة أيضا ؛ إنه جهد مضاعف يتدارك بالعلم والصبر له ومن أجله، وهذا ما يُعرف: بجهد المحقق المبذول في إعداد النص للتحقيق والنشر، وتتبع عمله في ضبط النص، والتعليق عليه وتوضيحه .[3]

ولكون المنهجية العلمية، تقتضي من الباحث عموما والمحقق خصوصا، أن يتدارك جهده بوضع جملة من التساؤلات، قبل الإقدام على العمل الذي يود الانخراط فيه، للمشاركة في صناعة المخطوط وإخراجه للقارئ، حتى يبلغ مبلغه المقبول من حيث صحة المعارف المقدمة، والتأويلات الراجحة التي تضمن على الأقل كمًّا معرفيا من القبول والتوازن.

وهذه التساؤولات، يمكن أن تأتي بالصياغات التالية:

1- ما الإشكالية التي يطرحها الموضوع محل الدراسة؟

2- ما البناء الذي اعتمده الكاتب أو الناسخ من أجل بناء موضوعه؟

3- ما أوجه الاستدلال والمساءلات في فرضياته؟

4- ما القيمة التي يطرحها الموضوع، في مجال التخصص الذي رامه صاحب المخطوط؟

5- ما الذي يمكن أن يجنيه المحقق والقارئ من موضوع المخطوطة؟ (بمعنى الأهداف والنتائج من التحقيق).

هي أسئلة البداية كما يُعَبَّر عنها بلغة التخطيط المنهجي؛ غير أن الأمر لا يتوقف عند حدود هذه المساءلات بطبيعة الحال، وإنما يتعدى إلى ما يسمى في العرف المعرفي المنهجي، بالأهداف المتوخاة من البحث، والتي تتمحور حول النقاط التالية:

---

[1]- إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- (مرجع سابق)- ص 9

[2]- عبد الحميد عبد الله الهدامة- ورقات في البحث والكتابة-(مرجع سابق)- ص 67

[3]- إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات (مرجع سابق) – ص83

أ- الأهداف العامة من التحقيق.

ب- الأهداف الخاصة من التحقيق.

ج- الفرضيات والتوقعات.

د- البناء الهيكلي العام، في مستويات الحفظ والإتقان.

هـ- التماثل والتشابه والتوافق، بين النسخ والتقديرات.

وهذه الفرضيات والتوقعات، تسير منهجيا وفق الأنساق التالية:

1- تحديد قيمة المخطوطة.

2- تحديد الأبواب أو الفصول التي بنيت على أساسها، مع ذكر العناوين الأساسية والفرعية، حتى يتمكن المحقق من إثراء عمله العلمي، بإقناع الآخر والتمكن من عقله وعواطفه.

3- تحديد النقاط الإرتكازية في المخطوطة محل الدراسة، والكيفيات التي تُعتمد لغرض التحقيق وغرض الدراسة.

ولتحقيق هذا المقصد، فإن الدارسين في حقول المنهجية، يُضَمِّنون قضايا التحقيق جملة من الخطوات، التي لا بد منها قبل الشروع في التحقيق والدراسة، وذلك بالمقتضيات التالية:

1- تحديد النسخة محل التحقيق، باستعراض التساؤلات والمحطات المنهجية السابق ذكرها.

2- التحقق من المخطوطة المراد دراستها، وأنها لصاحبها المدرج اسمه في غلافها؛ لأن ذلك يحقق غرض التوثيق في إعادة المخطوطة لمؤلفها الحقيقي، حتى يتمكن المحقق من رسم صورة واقعية وفعلية لمخطوطه، وهذا يتطلب منه مقابلتها بأكثر من نسخة، ويشترط في هذا السبيل نسختين على الأقل، بخط صاحبها أو من ناب عنه من كُتابه أو أحد أفراد عائلته...إلخ.

3- التحقق من سنة المخطوطة ومكانها وورقها ونوع مدادها في كل الصفحات، حفاظا على مصداقيتها وتميزها وحقيقتها: التعرف على المداد وتغيراته والناسخ وتاريخ النسخ ومكانه...إلخ.[1]

4- التحقق من العنوان في دلالته وشموليته، والمطالب التي يتوخاها الكاتب من خلال وضعه لعنوان نسخته ومصنفه.

5- معرفة أماكن وجود نسخ المخطوطة، حتى يتم الوصول إليها ومقابلتها ببعضها.

6- التأكد من عدم تحقيق المخطوطة، وإذا كان ولا بد من إعادة تحقيقها، فإن ذلك يتطلب البرهنة على نقص في التحقيق السابق، أو وجود أخطاء في المتن أو الحواشي تُحرِّف مسار المخطوطة عن غرضها وأصلها الذي من أجله جاءت وألفت.

[1]- ورقات في البحث والكتابة – (مرجع سابق)- ص 65

7- التأكد من صحة القراءة، ومعرفة نوع الكتابة (كالخط المغربي مثلا)، حتى يتسنى للمحقق قراءة الكلمات وضبطها ومعرفة مواقعها، والتدرج في ذلك بقدر ما تمليه الحاجة، وما يفرضه ظرف المخطوطة والتحقيق.

8- أن يكون المحقق من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تطرحه المخطوطة، أو له قابلية ليتواصل مع ذلك الفهم والعلم؛ حتى يحصل المراد وتتحقق فيه نتيجة الجهد الذي بذله من أجل المعرفة والتحصيل.

9-الشروح والتعليقات التي يقدمها المحقق، تتطلب جهدا إضافيا لجهد التحقيق؛ وهذا بالاستعانة بالمصادر والمراجع التي تخدم غرض الموضوع الذي جاءت فيه المخطوطة.

10-العودة إلى ذوي الاختصاص من المشرفين والعاملين في حقل التحقيق من أهل العلم والدراية والدربة والممارسة، حتى يحصل الباحث على كل ما يرشده ويعينه في عمله العلمي المتميز، وخاصة المشرف على العمل العلمي الذي تبنى المشروع مع الطالب.

إن هذا القدر من الجهد والتواصل الفكري والمعرفي، يحقق إلى حد كبير درجة من الاتساع وفقه حاجيات المثقف، وصنع إرادة التواصل مع الجذور الثقافية وبناء ذات تنطلق من معطيات تاريخية، مجدت العلم وخدمته وصنعت حضارة المعرفة، وأبدعت في تحقيق متطلبات وحاجة القراء وأهل المعرفة والعلم.

إن طبيعة المخطوطات، تحمل دلالة وجوهر صناعة الأنا، والتركيبة المتميزة في خصوص الأبعاد المجتمعية المتعددة، وفق منطلقات الحياة الدينية والثقافية والسياسية...إلخ

ومن هنا تأتي أهمية الجمع والتحقيق والدراسة والطبع، في إثراء المكتبة بمختلف صنوف العلوم والمعارف، وهذا منبعه الينابيع التراثية من مخطوطات ومؤلفات لها موطئ قدم في ساحة التأليف وصنوف الثقافات، وهذا من أجلِّ المهمات وأعظمها في عالم صناعة الإنسان مشيد المستقبل والحضارة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

[1]- أصول البحث العلمي- مكتبة وهبة- القاهرة- ط 1982

[2] - عبد الملك مرتاض- تقنيات السرد-عالم المعرفة- الكويت-عدد 240

[3]- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة/ بوزيد صحراوي- دار القصبة- الجزائر-ط2004

[4] – د- اسماعيل زردومي- محاضرات في السرد- السنة الدراسية 2009-2010م- كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة باتنة- الجزائر

[5] – إياد خالد الطباع- منهج تحقيق المخطوطات- دار الفكر - دمشق- ط1- 1423هـ-2003م

[6]- د- رمضان عبد التواب – تحقيق التراث(أساليبه وأهدافه)- مجلة قافلة الزيت- عدد فبراير – 1976م

7 – ابن منظور– قدمه/ الشيخ عبد الله العلايلي– أعاد بناءه على الحرف الأول: يوسف خياط– دار الجيل– بيروت– دار لسان العرب بيروت– مادة: (نهج)– مج6

8– الفيروز آبادي– دار الجيل بيروت– المؤسسة العربية للطباعة – بيروت– مادة (نهج) باب الجيم– فصل النون–جـ1

9 – ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) – تح/ عبد السلام محمد هارون– دار الفكر بيروت– مادة: (نهج) جـ5

10 – برجستراسر (مستشرق ألماني) – أصول نقد النصوص ونشر الكتب– تقديم د– محمد حمدي البكري– دار المريخ للنشر– الرياض– السعودية

11 – د– عبد الملك مرتاض– التحليل السيميائي للخطاب الشعري– منشورات إتحاد الكتاب العرب– دمشق– ط 2005

12– د– محمد التونجي– المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات– عالم الكتب بيروت– ط1– 1986

13– أياد خالد الطباع– منهج تحقيق المخطوطات– دار الفكر– دمشق

14 – عبد الحميد عبد الله الهدامة– ورقات في البحث والكتابة– كلية الدعوة الإسلامية طرابلس الغرب– ط1989م

15 – الصادق عبد الرحمن الغرياني– تحقيق نصوص التراث– مجمع الفاتح للجامعات– طرابلس– ليبيا– ط 1989م

16– ريمون كيفي– لوك فان كمبنهود– دليل الباحث في العلوم الاجتماعية– تر/ يوسف الجباعي– المكتبة العصرية– بيروت

17– مصطفى حلمي– مناهج البحث في العلوم الإسلامية– مكتبة الزهراء– القاهرة– ط1– 1984

18– د– محمد شفيق– البحث العلمي (الخطوات المنهجية لإعداد البحوث)– المكتب الجامعي الحديث– ط1– 1405هـ– 1985م

19 – فارح مسرحي– الحداثة في فكر محمد أركون– منشورات الاختلاف– الدار العربية للعلوم– بيروت– ط1– 1427هـ– 2006م

20–نقد العقل الغربي– الحداثة وما بعد الحداثة– مركز الإنماء القومي– بيروت– ط1– 1990

21 – فضيل دليو وآخرون– أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية– منشورات جامعة منتوري قسنطينة– ط1999– دار البعث– قسنطينة– الجزائر

22 – عبد السلام هارون– قواعد تحقيق المخطوطات

دور مؤسسات المجتمع المدني في الإهتمام بالمخطوطات

د.محمد يسلم عبد النور

جامعة حضرموت اليمن

التمهيد والمدخل الجغرافي

التعريف بحضرموت وتريم

حضرموت:

تقع حضرموت الجنوب الشرقي من شبه جزيرة العرب، وهي أحد مخاليف[1] اليمن وأقدم مصطلح جغرافي لا زال مستخدماً حتى يومنا، وتشكل مع أرض المهرة آخر حدود اليمن الشرقية.اختلفت الآراء والأقوال في تعليل إسمها، كما اختلفت كذلك في تعيين حدودها حتى صعب بالإمكان رسم حدود بيّنة لها إذ أنها تختلف من مدة تاريخية إلى أخرى اتساعاً وضيقاً، ويعود السبب في ذلك إلى التطورات السياسية التي شهدتها.

وحدود حضرموت الوسطى هي حدودها اليوم.وتعد إحدى محافظات الجمهورية اليمنية تحدها من الغرب محافظات شبوة ومأرب والجوف، ومن الشرق محافظة المهرة، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشمال صحراء الربع الخالي المتاخمة مع حدود المملكة العربية السعودية[2].

تنقسم حضرموت اليوم إدارياً إلى قسمين: مديريات الساحل ومديريات الوادي والصحراء وتضم بمجموعها (30) مديرية منها (16) مديرية في الوادي والصحراء، عاصمتها مدينة سيئون – والعاصمة التاريخية والدينية والثقافية تريم، وما تبقى من المديريات في الساحل وعاصمتها السياسية مدينة المكلا.

تريم:

إحدى مدن حضرموت الشهيرة إلى جانب شبام[3]، وتقع شمال شرق شبام في وادي حضرموت، على دائرة عرض (16) درجة ودقيقتين و(57) ثانية شمال خط الاستواء، وعلى خط طول (48) درجة و(58) دقيقة و(32) ثانية شرق جرينتش، وارتفاعها عن سطح البحر 2070 قدم، وتُقدّر مساحتها بحوالي 3500كيلو متر مربع.

وتعد مدينة تريم أشهر مدن وادي حضرموت، وتقع على الضفة اليسرى في المجرى الرئيسي للوادي، وتبعد عن مدينة سيئون حوالي (34)كم، وعن عاصمة المحافظة المكلا (356)كم، وهي أنشط مدن حضرموت من الناحية

---

(1) المخاليف: جمع مخلاف وهي مناطق كبيرة، ويضم المخلاف عدة وحدات إدارية صغيرة قد تعرف بالمخاليف ولكنها مخليف صغيرة، وقد قسم اليمن إلى خمس مخاليف كبيرة إلى جانب حضرموت: تهامة والجند وصنعاء ومأرب (الشجاع، النظم الإسلامية في اليمن ص 22/21).

(2) عبدالنور، اليحاة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة ص 54 هامش (6).

(3) الحموي، معجم البلدان جـ 1 صـ 442.

العلمية حيث حظيت بشهرة علمية لا تضاهيها أية مدينة أخرى فضلاً عن شهرتها الدينية خلال تاريخها الإسلامي جعلت أهلها وساكنيها لا يفضلون غيرها بعد مكة والمدينة وبيت المقدس، واشتهرت بكثرة مساجدها مقارنة بمساحتها وسكانها، وهي عامرة بالعلم والعلماء[1] وقد أختارتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) عاصمة لثقافة الإسلامية لعام 2010م.

المبحث الأول: المخطوطات بحضرموت

ازدهار الحياة العلمية بحضرموت ومكتبات علمائها الخطية:

تعد المخطوطات الأوعية العلمية والوجه الثقافي للتراث العلمي في أي بلد من بلدان العالم،وبلدة علمية كحضرموت عامة وتريم خاصة لم تخرج عن هذه القاعدة،الأمر الذي تجسد ببروز مجموعة من المكتبات التي دلت على إهتمام العديد من الأسر والشخصيات بالعلم.

وقد حملت صفحات التاريخ العديد من الحوادث الأليمة التي استهدفت فيها المكتبات الأمر الذي أدى إلى تلف العديد من المخطوطات القيمة،ويمكننا أن نجمل أهم تلك المآسي والكوارث التي تعرضت لها المخطوطات في:

1. الحروب والفتن السياسية مثل هجوم التتار والمغول على المشرق الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد سنة 656هـ /1258 م وسقوط آخر حامل المسلمين في الأندلس (غرناطة) سنة 897هـ/1492م.
2. السرقات المتتالية التي تعرضت لها المخطوطات سواء داخل البلد أم خارجه، حتى أننا نجد كثير من تلك المخطوطات في مكتبات أوروبا تزامن مع حالة السيطرة والهيمنة والإحتلال الغربي لمشرق العالم الإسلامي ومغربه.
3. الإهمال في حفظ المخطوطات فكانت غذاءً جيداً للفئران والأرضة.
4. غياب الوعي بأهميتها وقيمتها آنذاك جعل البعض لا يقدرها ولا يعيرها أي اهتمام خاصة عندما تؤول إلى أشخاص بعيدين عن العلم.

وقد تعرضت حضرموت إلى حملة عسكرية سياسية تعرف بحملة ابن قملا النجدي الوهابي سنة 1222هـ /1807 م كانت وبالا على تراثها العلمي، حيث أدت إلى اتلاف عدد كثير من مخطوطات تحت حجج عقديَّة ومذهبية حتى قيل أنهم أتلفوا من بيت واحد اثنى عشر خزانة من الكتب،ومن آخر ست خزائن،ولك أن تتخيل مقدار وعدد ما تحويه كل خزانة من الكتب [2].

ومع ذلك هذا وذاك فقد عرفت حضرموت خلال تاريخها الحضاري عدد من المكتبات نذكر من أهمها:

---

(4) عبدالنور، الحياة العلمية صـ 121.

(5) باوزير، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي صـ98.

1. مكتبة الشيخ سالم بن فضل بافضل ت (581هـ/1185م) التي قدم بها من العراق عبر جمال بعد اغتراب في طلب العلم دام أربعين عاما[1] .
2. مكتبة المحدث علي بن محمد بن جديد ت (620هـ/1223م) التي قدم بها عند عودته من مكة[2].
3. مكتبة الشيخ أبي بكر بن محمد باوزير (ت ق 8هـ /14 م) وقد تحصلّها من كثرة تردده بين حضرموت وبلاد الحرمين ما يقرب من 34سنة فكانت عامرة بالكتب من مختلف العلوم والفنون،ثم زاد ابنه عبدالرحمن واحفاده من بعده[3].
4. مكتبة الشيخ عبد الله بن محمد الذماري العمودي ت(840هـ/1436م) وللأسف فإن عشيرته (آل العمودي) قد تركوها عشرات السنين لا يدخلها منهم أحد حتى أكلتها الأرضة والفئران واتخذتها مسكناً وبالت وذرفت عليها[4].
5. مكتبة الشيخ عمر بن أحمد العمودي ت(947هـ/1540 م) الذي هاجر من بلده لطلب العلم واقتنى كتباً كثيرةً،ومن غرائب ما يحكى عن هذه المكتبة أنها توجد بها نسخة من شرح الشيخ الدميري ت(808هـ) على المنهاج يقال أن الشيخة خديجة بنت الشيخ عمر قد نسخته وقالت في آخره: ليعذرني من وجد فيه سقطاً أو غلطاً فإني نسخته وأنا مرضع[5].

كان التصوف مسحته التي طبعت على روح المكتبة الحضرمية الخطية، فقد اخذ علماء حضرموت على انفسهم تحصيل مؤلفات صوفية العالم الاسلامي وحضرموت ونسخها في مكررات كثيرة، ولهذا السبب نجد أن مؤلف الغزالي (ت 505هـ /1111م) الأحياء، حتى قال قائلهم: "من لم يقرأ الاحياء ما فيه حياء[6] " لذا قد قرأه بعضهم مرات عديدة وكثيرة بل حتى حفظه بعضهم[7]، وكذلك بعض مؤلفات الصوفي الحداد (ت1132هـ /1719م) قد طغت على كل المكتبات في حضر موت وحتى سادت عند الاهالي منذ عشرات السنين نزعة من الهوس في تحصيل كتاب الأحياء الذي استنفذ منهم جهود كثيرة كان من الممكن الاستفادة منها في تحصيل كتب أخرى

---

(6) الخطيب، الجوهر الشفاف جـ1 صـ63 . بافضل، صلة الأهل صـ40.

(7) الشلي، المشرع الروي جـ2 صـ235. الحامد، تاريخ حضرموت جـ2 صـ 703.

(8) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي صـ101.

(9) الحداد، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها صـ 189.

(10) الحداد، الشامل صـ 189، 190. باوزير، الفكر والثقافة صـ98.

(10) الشاطري، أدوار التاريخ الحضرمي جـ2 صـ258.

(10) الشلي، المشرع الروي، جـ1صـ191.

لذا فقد روجت الشائعات التي رددتها كتب التصوف عندهم فقد نسبت إلى احد متصوفيهم مقولة " من نسخ الأحياء ضمنت له الجنة "[1] فلم يكد الاهالي البسطاء يسمعون هذا الاجر المغري حتى انكبوا على نسخ كتاب الغزالي الضخم، كما الف بعضهم كتابا يشيد به اسماه بـ " تعريف الأحياء بفضائل الإحياء "[2].

مكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم.

النشأة:

بدعوة من حكومة الشطر الجنوبي سابقا قامت بعثة مصرية عام 1970م بزيارة اليمن لوضع أسس تجميع التراث الوطني اليمني، وإنشاء مكتبة قومية في عدن، وإعداد حصر المخطوطات طبقا للنموذج الذي ورد في التقرير وضم المكتبات الموقوفة في كل محافظة إلى مكتبة تلك المحافظة.وتشكيل لجان من المهتمين بالتراث بالمحافظات.

لذا فقد تشكلت في المحافظة الخامسة (حضرموت) لجنة من أصحاب المكتبات الخاصة في تريم وبرئاسة مساعد المأمور حينها عام 1972م لجمع تلك المخطوطات.

فتم جمع المكتبات العائلية وما تضمه من كتب مخطوطة ومطبوعة تحت اسم المجموعات، ثم توحيد تلك المجموعات تحت اسم مكتبة الأحقاف بتريم، وقد افتتحت رسميا بقرار من وزارة الثقافة والسياحة وكان وزيرها آنذاك الأستاذ علي عبدالرزاق باذيب في شوال سنة 1392هـ / ديسمبر 1972م، ومقرها آنذاك الدار التي تشغله بلدية تريم – مبنى مكتبة الأحقاف للمطبوعات حاليا –.

في عام 1974م صدر قرار من رئيس مجلس الوزراء – علي ناصر محمد سابقا – بتشكيل لجنة المخطوطات، ثم شكلت لجنة فرعية في حضرموت من الأساتذة: عبدالله الملاحي، وعلي عقيل، وصالح الجعيدي.

ونتيجة للدراسة التي رفعتها اللجنة تم فصل المخطوطات عن المطبوعات في 22 إبريل 1977م، ونقل الأولى إلى الطابق الأعلى بجامع تريم ليكون مقرا لمكتبة الأحقاف للمخطوطات، وتبقى الثانية في موقعها الأول ليكون مقرا لمكتبة الأحقاف للمطبوعات.

انتقلت المكتبة إلى موقعها في الطابق الأعلى بجامع تريم بعد الانتهاء من تجديد عمارته، وكان قبل التجديد توجد به مكتبة في الجانب الجنوبي منه هي مكتبة آل الكاف (نسبة للسيد حسن بن عبدالله الكاف وعبدالرحمن بن شيخ الكاف) وهي وقف لطلبة العلم، وعند تجديد مبنى الجامع اتُّفِقَ على جعل مبناها أعلى الجامع في الجهة الشمالية، فهي إذا النواة الأولى لمكتبة الأحقاف للمخطوطات.

كان الوصول إلى المكتبة من باب الجامع حتى استحدث عام 1981م سلم خاص بها حتى تظل منفصلة عن سلَّم المسجد.

التكوين والمحتوى:

(10) العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص 116.

(10) طبع ملحقاً بالكتاب، طبعة دار الفكر.

تكونت المكتبة من عدة مكتبات في حضرموت أطلق عليها مجموعات –كما أسلفت – والجدول التالي يوضح ذلك:

اسم المجموعة	سنة التأسيس	عدد المجلدات	عدد العناوين
آل الحداد	1225هـ/ 1810م	56	57
آل بن يحيي	1265هـ/ 1848م	714	1341
آل جنيد	1268هـ/ 1851م	41	62
آل بن سهل	1275هـ/1858م	532	664
العيدروس بالحزم	1281هـ/ 1864م	97	137
رباط تريم	1305هـ/ 1881م	469	505
حسن الكاف	1334هـ/ 1915م	45	50
آل الكاف	1350هـ/1931م	465	881
الحسيني والتي اشتراها من آل الحامد	1350هـ/ 1931م	93	199
السلطانية (المكلا)	1361هـ/ 1942م	102	114
عينات		118	122
مصادر أخرى (الحبشي، الإهداء، الشراء)		180	193
الإجمالي		2912	4325

وصنفت تلك المخطوطات على أساس العلوم والفنون التي احتوتها وهي – بحسب كثرة أعدادها –: التصوف، الفقه، المجاميع، الحديث، اللغة والآداب، التفسير، التاريخ والسير والتراجم، معارف عامة، والطب.وهي مفهرسة عبر جداول وبطاقات.

والمخطوطات التي تضمها المكتبة لها قيمة أثرية كبيرة أما لندرتها أو لقدم نسخها، وجودتها أو أنها قرئت على مؤلفها أو عليه خط يده أو نسخت من نسخة الأم، ولعله من المفيد أن نذكر بعضا منها للتمثيل وليس للحصر:

1. البيان في تفسير القرآن للطوسي (ت561هـ /1165م) نسخ سنة 595هـ /1198م.
2. تمهيد الوصول إلى مقام استخراج الفروع من قواعد الأصول للأسنوي (ت772هـ /1370م) نسخ سنة 770هـ /1378م بقلم تلميذه محمد الأشعري.
3. شرح جمع الجوامع للمحلي (ت864هـ /1459م) نسخ سنة 837هـ /1433م.
4. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (ت 616هـ /1219م) نسخ سنة 612هـ /1215م.
5. تحرير اقليدس للطوسي (ت672هـ /1273 م) نسخ سنة 837هـ /1433 م.

6. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر للطيب بامخرمه (ت947هـ /1540 م) نسخ سنة 987هـ /1579 م.

تطور المكتبة وأقسامها:

شهدت المكتبة عدة مشاريع واستحداثات ومنح أهمها:

1- المشروع الهولندي وهو هدية ثقافية من مملكة هولندا إلى الشعب اليمني وكان عبر مرحلتين: الأول عام 1994م وتمثل في إقامة صالات للإدارة وتأثيث المكتبة وإدخال الكهرباء وضمان استمرارها ووضع الفهارس الالكترونية وإيجاد قاعدة للمعلومات عبر شبكة كمبيوتر والتأهيل والتدريب والتجليد وصيانة المخطوطات والذي لم يتجاوز نسبته 10%.

والمرحلة الثانية عام1996م وتمثل في تطوير المكتبة ككل من تدريب العاملين والأرشفة الالكترونية وربطها بالانترنت.

2- منحة الولايات المتحدة الأمريكية عام 2004م والتي تمثلت في آلة تصوير ومجموعة دواليب وفترينات عرض (خزانات حفظ).

3- هدية محافظ البنك المركزي اليمني وتمثلت في كاميرا رقمية مع الذاكرة.

4- هدية وزارة النفط والمعادن وتمثلت في كمبيوتر حديث وتوابعه.

5- مشروع الصندوق الاجتماعي للتنمية عام 2006م وتمثل في تقسيم صالات العرض واستحداث غرفة للحراسة وشبكة لإطفاء الحريق والإنذار المبكر والتكييف ونظام مراقبة للتسجيل اليومي لزوار المكتبة.

وحاليا فالمكتبة تضم الأقسام التالية:

1. المخطوطات.
2. المطبوعات وهي مجموعة من المراجع المتعلقة بالمخطوطات والفهارس للمكتبات العالمية والمجلات وكذا ما تبقى من كتب المعهد الفقهي وإصدارات وزارة الثقافة وإهداءات الباحثين.
3. الكمبيوتر والتصوير بأنواعه الورقي والرقمي والفوتوكوبي.
4. الصيانة وهي عبارة عن ورشة لصيانة وتجليد المخطوطات.
5. التصفح الالكتروني وذلك لتصفح المخطوطات المصورة والفهارس والموسوعات الالكترونية.

إدارة المكتبة:

بعد إنشائها كانت تابعة للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف بسيؤن ورئيسه الأستاذ عبدالقادر محمد الصبان التابع لوزارة الثقافة والسياحة، وبعد الوحدة المباركة 1990م أصبحت تابعة للهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بالوزارة نفسها، ولتنقل الآن إلى قطاع المخطوطات بها.

الأمناء والعاملون:

عند إنشاء المكتبة عُين الأستاذ حسين عبدالله الكاف أمينا لها ويساعده الأستاذ عمر علي بن شهاب وعبدالقادر سالم بن شهاب، وبعد انتقالها إلى مبناها الحالي بجامع تريم تولى أمانتها الشيخ علي سالم بكير يعاونه حسين عبدالله الكاف وعبدالقادر سالم بن شهاب وبقي عمر علي بن شهاب أمينا لمكتبة الأحقاف للمطبوعات، كما أضيف لهم بعد ذلك عبدالله حسن العيدروس.

وفي عام 1994م أقصي الشيخ علي سالم بكير عن أمانة المكتبة وعين الأستاذ عبدالرحمن حسن السقاف أمينا لها إضافة إلى توليه مدير عام الهيئة فلذا أناب عنه عبدالله حسن العيدروس أمانتها حتى عام 2003م عين المهندس حسين عمر الهادي أمينا لها والى اليوم.

بلغ عدد العاملين بالمكتبة مع أمينها خمسة واثنان بالأجر اليومي فضلا عن القائم بالحراسة.

كما أن للمكتبة مجلس أمناء يضم ممثلين عن المكتبات التي تضمها.

العلاقات العلمية:

ارتبطت المكتبة بعلاقات علمية مع بعض المؤسسات العلمية، وقد تمثل ذلك في الآتي:

1- بعثة علم الآثار التابعة لأكاديمية العلوم السوفيتية زارت المكتبة في مبناها القديم عام 1974م وصورت بعض المخطوطات.

2- بعثة جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) معهد المخطوطات العربية زارت المكتبة مرتين: الأولى في مبناها القديم عام 1976م وصورت عدد 297 مخطوطا، والثانية في مبناه الحالي عام 1976م وصورت عدد 394 مخطوطا ليصبح مجموع ما صورته 691 مخطوطا.

3- مشروع عرض المخطوطات على شبكة الانترنت والتي تبنته جامعة اكسترا البريطانية (مركز دراسات البحر الأحمر بمعهد الدراسات العربية والإسلامية) مع جامعة عدن عام 2003م والذي شكل فريق عمل في مرحلته الأولى –كنت أحد هذا الفريق – لعرض حوالي 400 مخطوط ولكن هذا العمل لم يكتمل بعد – نأمل إكماله –.

زوار المكتبة ورودها:

يرتاد المكتبة عدد من الباحثين وطلاب الدراسات العليا فضلا عن الزوار والسواح فهي مقصد الوفود الرسمية من رؤساء والدول، ورؤساء الحكومات والوزراء والوفود الحكومية فضلا عن غيرهم من طلاب العلم والمعرفة، وفي حصيلة عام 2007م كانت الآتي:

زوار محليون	زوار أجانب	باحثون محليون	باحثون أجانب	وفود رسمية	الإجمالي
1957	3207	141	16	597	5918

وقفة أخيرة:

وقبل أن أختم حديثي عن المكتبة لابد من إبداء بعض الملاحظات عنها:

1- حسن معاملة واستقبال العاملين بها للباحثين وطلاب الدراسات العليا عن غيره من السنوات الماضية، نأمل أن تقتدى به جميع مكتبات المخطوطات في اليمن.

2- إعادة فهرست المكتبة من جديد ولن يتم ذلك إلا بتشكيل فريق ولجنة عمل من المتخصصين في الفهرسة والتوثيق وتحديد قاعدة أساسية وثابتة لذلك فعدد عناوين المكتبة يتجاوز الست آلاف، ونعني بذلك هل نعد المكرر منها، وذو الأجزاء حتى نخرج فهرس واحدا بأنواعه المختلفة سواء بالبطاقات أو بالجداول أو بتقسيمه إلى العلوم وفنون أو بالأبجدي سواء بالكتاب أو المؤلف، وتحديد عدد الكتب الحضرمية واليمنية والعربية وتحديد ما حقق ونشر منها، نأمل أن يلق الطلب آذانا واعية عند ذوي الاختصاص.

3- لماذا لا تفكر الجهات المسئولة عن المكتبة بفتحها في الفترة المسائية وذلك لضيق ساعات الصباح، ولأن الباحثين المرتادين لها هم من خارج تريم بل ومن خارج حضرموت فهم بحاجة إلى استغلال أوقات إقامتهم بتريم.

4- الدعوة لإقامة مركز ثقافي في تريم أسوة بالمراكز الثقافية المنتشرة في محافظات الجمهورية يضم إلى جانب ضم مكتبتا الأحقاف المخطوطة والمطبوعة قاعة محاضرات كبرى وصغرى وقاعة معارض مع اختيار المكان المناسب لذلك، لأن المكان الحالي في وسط السوق يسبب ارتباكا كبير وخاصة بمجيء الوفود الرسمية لنعمل على إعادة وضع تريم العلمي والريادي كما كان.

المبحث الثاني: مركز النور للدراسات والأبحاث

التعريف والنشأة والأهداف:

المؤسسة الثانية في المدينة التي اهتمت بالمخطوطات، وقد نالت اعتراف الدولة من وزارة الثقافة بالجمهورية اليمنية بتصريح وزاري رقم (29) في شهر محرم 1423هـ، الموافق ابريل 2002م، ورسمت لنفسها تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعريف بحضرموت وتراثها.
2. حفظ وتوثيق وتحقيق ونشر المخطوط الحضرمي وغيره.
3. التعاون مع المراكز والجهات والمؤسسات ذات العلاقة.

مكونات المركز وأقسامه:

يتكون المركز من الأقسام الآتية:

1) وحدة البحث العلمي وتتكون من:

1- قسم الدراسات الإسلامية.

2- قسم التاريخ.

3- قسم الأنساب.

4- قسم الصف والطباعة.

2) قسم التوثيق ويشمل على:

1- شعبة التصنيف والفهرسة.

2- شعبة الحفظ والتوثيق للمخطوطات الأصلية.

3- شعبة التوثيق الورقي.

4- شعبة التوثيق الرقمي.

3) قسم الصيانة والترميم ويشتمل على:

1- معمل ترميم المخطوطات والوثائق.

2- معمل تجليد المخطوطات والكتب.

4) المكتبة.

دور المركز في جمع وحفظ وتوثيق المخطوطات:

منذ التأسيس قام المركز بحصر كامل للمكتبات المتناثرة في حضرموت عامة وتريم خاصة، ومن ثم قام بالخطوات الآتية:

1. التواصل مع أصحاب الحق في المكتبة لبدء عملية الحفظ والتوثيق وذلك من خلال وسيلتين هما:

أ. نقل المكتبة إلى المركز عهدة وغالبا ما تمتنع المكتبات عن ذلك.

ب. بقاء المكتبة في مكانها وذلك بعد خدمتها من قبل المركز.

2. توثيق المكتبة بعد أن تخدم من خلال تصفيتها من شوائب وغيره وترميم ما تحتاج اليه من ترميم وتصنيفها وفهرستها، وتوثيقها إما من خلال التصوير الرقمي أو من خلال التصوير الورقي.

وبلغت عدد المكتبات التي قام المركز بحفظها وتوثيقها ما يربو عن(36) مكتبة على مستوى حضرموت واليمن.

وفيما يلي قائمة بالمكتبات التي قام المركز بتوثيقها ومكانها مع ذكر عدد المخطوطات بها:

الرقم	اسم صاحب المكتبة	المنطقة	عدد المخطوطات
1	الشيخ عيدروس بن عمر الحبشي	الغرفة	613
2	الشيخ عمر بن عبدالرحمن البار	دوعن – القرين	532
3	الشيخ علوي بن طاهر الحداد	قيدون	359
4	الشيخ عبدالله بن عمر ين يحيى	تريم	408
5	الشيخ محمد بن سالم بن حفيظ	تريم	228
6	الشيخ عبدالرحمن بن أحمد باشيخ	دوعن– هدون	166
7	الشيخ حسين بن محمد البار	قيدون	135
8	الشيخ عبدالرحمن بن عمر الحبشي	قيدون	102
9	الشيخ أبي بكر بن احمد السري	تريم	97
10	الشيخ عبدالرحيم بن محمد بارجاء	سيؤن	97
11	الشيخ احمد بن محمد بلخير	دوعن– غيل بلخير	94
12	الشيخ علي بن محمد باعبود	بور	89
13	الشيخ عبدالله بن معروف باجرش	الحديدة	58
14	الشيخ زين بن محمد بلفقيه	تريم	40
15	الشيخ هود بن احمد بن سميط	تريم	50
16	المشائخ ال عرفان بارجاء	تريم	23
17	الشيخ عبدالله بن محمد السقاف	سيؤن	17
18	الشيخ أحمد بن عبدالجبار المجاهد	تعز	13
19	مكاتب أخرى	ـــــــــ	779

ومن أهم نفائس وذخائر تلك المكتبات ما يلي:

1- الجزء الثاني من كتاب الحدائق لعبدالرحمن ابن الجوزي(ت 597هـ /1200م) نسخ سنة 638هـ /1240 م [1]

2- كتاب التلويح في القول الصحيح (الحاوي الصغير) عبدالغفار بن عبد الكريم القزويني (ت665هـ /1266م) نسخ 735هـ /1334م [2]

3- كتاب العمدة في الأحكام لعبدالغني بن عبد الواحد المقدسي (ت600هـ /1203م) نسخ سنة 786هـ /1384م [3]

4- الجزء الثاني من كتاب السراج في نكت المنهاج لابن النقيب المصري (ت 769هـ /1367م) نسخ سنة 850هـ /1446م [4]

5- الجزء الثالث من كتاب اسنى المطالب في شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري (ت 926هـ /1519م) نسخ 902هـ /1496م [5]

6- كتاب التوضيح في غوامض التنقيح عبيدالله بن مسعود المحبوبي (ت747هـ /1346م) نسخ 907هـ /1501م [6]

7- كتاب المنهاج القويم في شرح مسائل التعليم لابن حجر الهيتمي (ت974هـ /1566م) نسخ سنة 944هـ /1537م[7]

8- كتاب العباب أحمد بن محمد المزجد (ت 930هـ /1523م) نسخ سنة 948هـ /1541م[8]

9- كتاب فتاوى علي بن علي با يزيد (ت 975هـ /1567م) نسخ سنة 952هـ /1545م[9]

10- المنح المكيه في شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي (ت 974هـ /1566م) نسخ 1033هـ /1623م[10]

---

[1] في مكتبة عمر بن عبدالرحمن البار (ت1158هـ /1745م) برقم 66 تصوف، في 319 ورقة.

[2] في مكتبة عمر بن عبدالرحمن البار (ت1158هـ /1745م) برقم 91حديث، في 86 ورقة.

[3] في مكتبة عيدروس بن عمر الحبشي (ت1314هـ /1896 م) برقم 22 فقه، في 221 ورقة.

[4] في مكتبة محمد بن سالم بن حفيظ (ت 1393هـ /1973 م) برقم 8 فقه، في 316 ورقة.

[5] في مكتبة محمد بن سالم بن حفيظ (ت 1393هـ /1973 م) برقم 10فقه، في 178 ورقة.

[6] في مكتبة حسين بن محمد البار برقم 10فقه، في 178 ورقة.

[7] في مكتبة ابوبكر بن احمد السري برقم 7فقه، في 158 ورقة.

[8] في مكتبة عيدروس بن عمر الحبشي (ت1314هـ /1896 م) برقم 26 فقه، في 370 ورقة.

[9] في مكتبة عمربن عبدالرحمن الحبشي برقم 57 فقه، في 147 ورقة.

[10] في مكتبة عبدالرحمن با شيخ (ت1320هـ /1920م) برقم 2 ادب، في 275 ورقة.

وفي احصائية أولية لمقتنيات المركز كانت على النحو الآتي:

الرقم	النوع	العدد
1	المخطوطات الأصلية	920
2	المخطوطات الرقمية	3077
3	مجلات وصحف قديمة	412
4	وثائق ومكاتبات	1425
5	ختومات قضاة حضرموت	61
6	المخطوطات المصورة الورقية	683
7	الكتب المطبوعة القديمة والنادرة	37

دوره في صيانة المخطوطات:

قام المركز بعملية صيانة المخطوطات وذلك من خلال الآتي:

1. تنظيف وتعقيم المخطوط.
2. الترميم اليدوي والحراري للمخطوط بواسطة الجهاز الاضائي.
3. ترميم المخطوط وتصنيع ورق الترميم باستخدام "جهاز النور".

جهاز "النور"

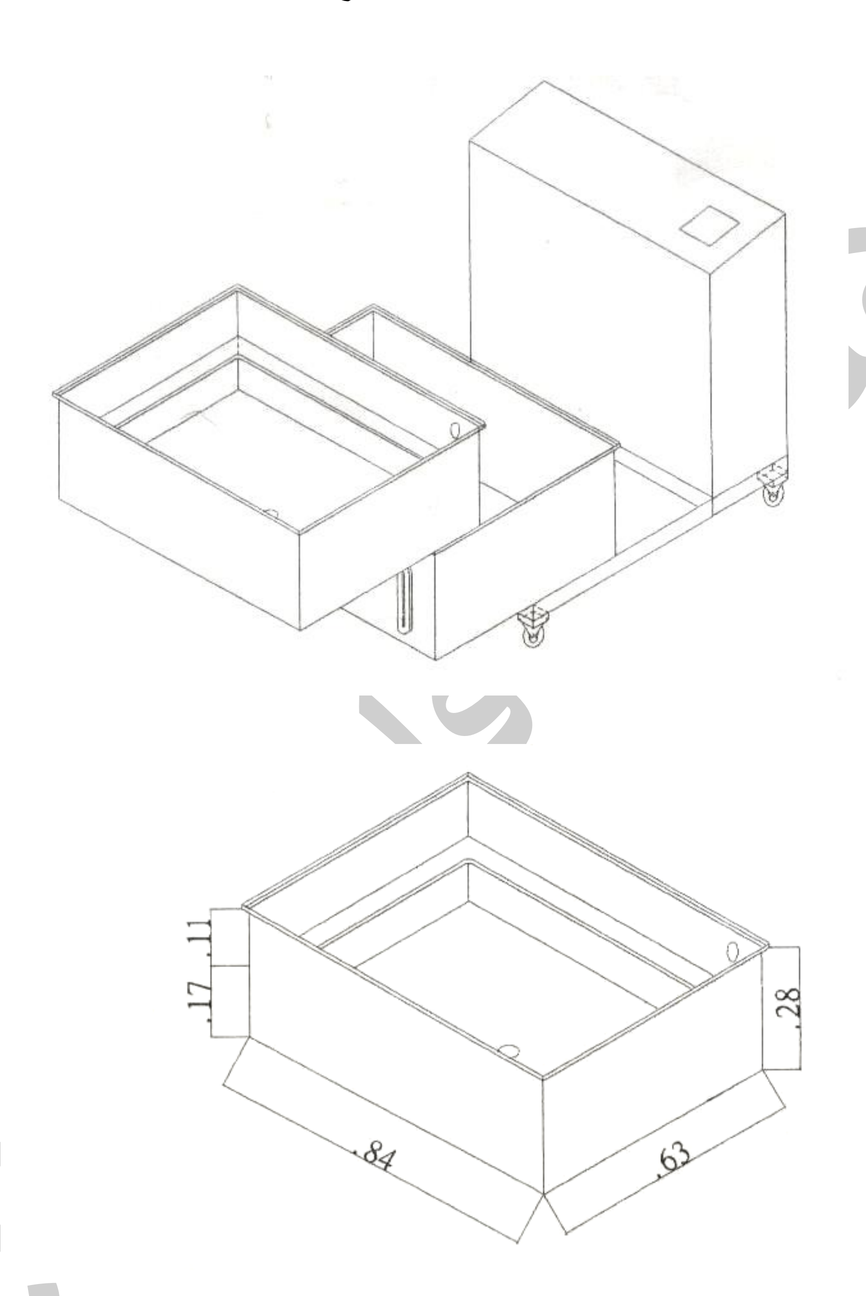
بالتعاون مع الأخوة في إدارة دار المخطوطات اليمنية بصنعاء وتحت إشراف خبير ترميم المخطوطات اليمني الأستاذ أحمد مسعود المفلحي تبنى المركز تنفيذ مشروع تصميم ثم تصنيع جهاز النور لترميم المخطوطات والوثائق وصناعة الورق الذي جرى تسجيله لاحقاً لدى دائرة حماية الملكية الفكرية وبراءة اختراع برقم (162) لسنة 2004م وبرز كأول جهاز من نوعه يصمم ويصنع في اليمن.

مميزات الجهاز:

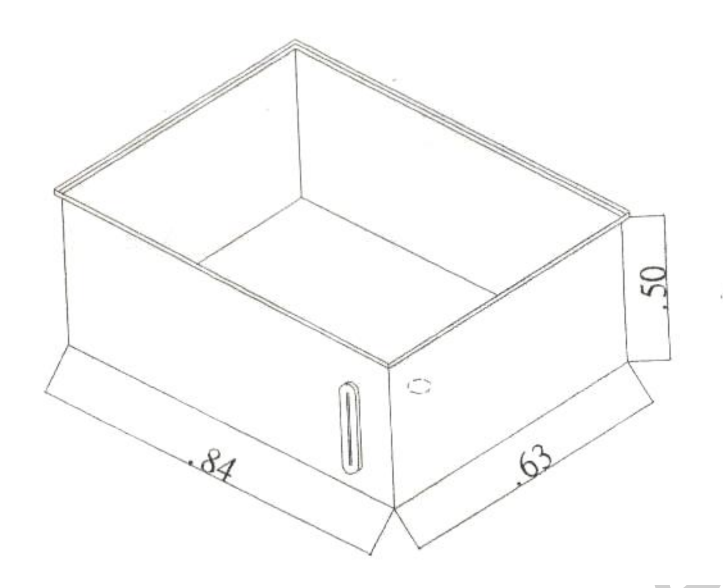
1. **استخدام الألياف السيليلوزية.**
2. **يرمم الأوراق المهترئة بشكل أسرع مما هو على العمل اليدوي، كما يستطيع ترميم المخطوط الميئوس ترميمه.**
3. **لا يحتاج إلى مهارات عالية فهو بسيط التركيب.**
4. **يمكن استبدال أي قطعة من الجهاز بسهولة ويسر عند الحاجة.**
5. **يشتغل الجهاز بالطاقة الكهربائية.**

مكونات الجهاز:

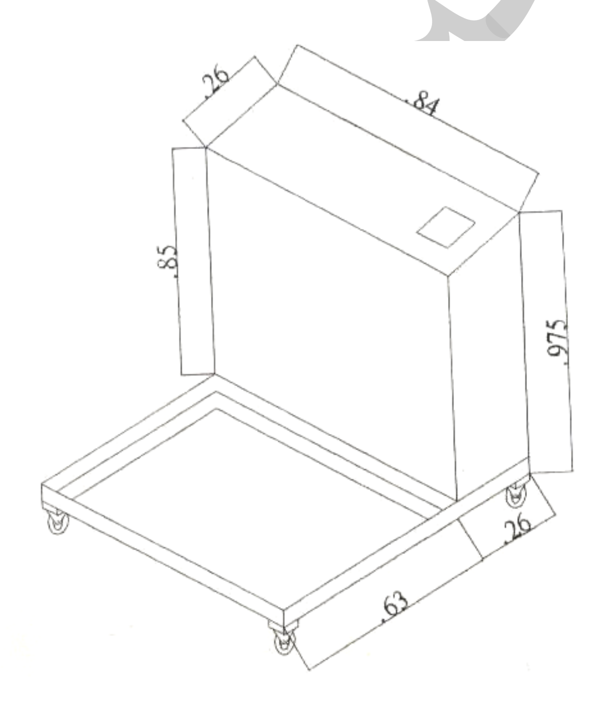
1. **حوض علوي مصنوع من مادة الفيبر جلاس يتوسطه شبك حامل يوضع عليه ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها ويتسع لـ (120 لتر) من الماء.**



2. **حوض سفلي مصنوع من نفس المادة وهو مستودع للماء بعد شفطه من الحوض عند عملية الترميم ويتسع لـ (140لتر) من الماء.**



قاعدة حاملة للأحواض مصنوعة من الألمنيوم متصلة بدولاب شبكة التوصيلات الخلفية بين الأحواض ومضختي الرفع والشفط للماء.



مضخة رفع للماء من الحوض السفلي إلى الحوض العلوي بقوة (815) وات.

مضخة شفط للماء من الحوض العلوي إلى الحوض السفلي بقوة (1200) وات.

أبعاد الجهاز الكلية: طول: (80سم) عرض (90سم) ارتفاع (83سم).

طريقة التشغيل:

أولاً: ترميم ورق المخطوطات والوثائق: يتبع الخطوات الآتية:

1. **لتأكد من أن الحبر المستخدم في ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها ثابتاً أي لا يتأثر أو يذوب في الماء وفي حالة عدم ثباته يتم تثبيته بالطرق المتبعة لذلك ثم القيام بعملية الترميم.**
2. **تحضر عجينة الورق المتناسبة بلون ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها.**
3. **يملأ الحوض العلوي بالماء عبر أنبوب الإدخال حتى مستوى الشبك الحامل.**
4. **يوضع ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها على الشبك مع التأكد من:**

- **ثبات الشبك الحريري ذو الفتحات الصغيرة أسفل ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها.**
- **عدم وجود أي فقاعات هوائية تحتها.**
- **وضع القطع المطاطية العازلة حول ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها جيدا.**
- **عدم تسرب الماء والعجينة من الأطراف.**

5. **يغلق الغطاء على الشبك الحامل بمحتوياته (الشبك الحريري + ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها + القطع المطاطية العازلة).**
6. **يملأ الحوض العلوي بالماء إلى المستوى المحدد بالعلامة على جدار الحوض.**
7. **تسكب عجينة الورق على الماء ويتم تحريكها جيداً.**
8. **يشغل مفتاح الشفط من الحوض العلوي إلى الحوض السفلي بالتزامن مع رفع الغطاء مباشرة مع استمرار عملية الشفط حتى يستكمل انتقال الماء من الحوض العلوي إلى الحوض السفلي.**
9. **ترفع القطع المطاطية العازلة بتأني.**
10. **يجفف ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها من الجهاز ويضغط في المكبس لمدة نصف ساعة ثم تخرج وترش بالميثيل سيليلوز.**
11. **توضع ورق المخطوط أو الوثيقة المراد ترميمها في المكبس لمدة أربع وعشرين ساعة.**
12. **يمكن استخدام نفس كمية الماء لـ (10 إلى 20) عملية ثم يستبدل بعد ذلك.**

ثانياً: لصناعة الورق:

تتبع جميع الخطوات أعلاه باستثناء الخطوة الرابعة على أن توضع القطعة المطاطية بالطريقة التي تعطي لنا المقاس المطلوب للورق.

وفي إحصائية أولية لما قام به المركز من أعمال الصيانة والترميم والتجليد للمخطوطات كانت على النحو الآتي:

الرقم	العمل	العدد
	الترميم	115 كتاب (9819) صفحة
	التجليد	446
	تغليف الكتب	846
	تصفية الكتب	846
	عمل أوعية كتب حافظات	234

إحصائية سنة 2007 – 2010م.

كما ان للمركز مشروع خدمة المصاحف الشريفة المخطوطة في المساجد من خلال عمليات التنظيف والترميم والتجليد، فقد اعتنى حتى الان بثلاثة من المساجد.

الأنشطة والوسائل التي يسعى المركز من خلالها إلى تحقيق أهدافه:

يسعى المركز إلى تحقيق أهدافه من خلال الأنشطة والوسائل الآتية

1) التنظيم والتنسيق والمشاركة في الأنشطة والمؤتمرات والندوات العلمية المختلفة.

2) عقد الدوارات التدريبية المنصبة في أهداف المركز خاصة في المجالات الآتية:

أصول التحقيق للمخطوطات.

تصنيف وفهرسة المخطوطات.

صيانة وترميم المخطوطات والوثائق.

تجليد الكتب والمخطوطات.

مناهج البحث العلمي.

3) دعم وتبني الدراسات المتفقة مع أهداف المركز.

4) دراسة وتحقيق ونشر المخطوطات في جميع فروع العلم والمعرفة.

5) تقديم الخدمة للباحثين وطلاب الدراسات العليا وغيرهم مع ما يتناسب وظروف المركز.

التدريب والتأهيل:

نفذ المركز عدداً من الدورات التأهيلية العلمية للتهيئة لأعمال لأقسام المركز المختلفة كانت على النحو الآتي:

1. **دورة تأهيلية في الترميم اليدوي والحراري بالتنسيق مع دار المخطوطات بصنعاء ومكتبة الأحقاف للمخطوطات تريم.**
2. **ورش عمل في أعمال التوثيق.**
3. **دروات تأهيلية في الترميم الآلي للمخطوطات بالتنسيق مع الجهات المعنية.**

4. دورات في طرق البحث العلمي والتحقيق.

تجربة المركز في تحقيق المحطوط وطبعه ونشره:

للمركز تجربة متواضعة من خلال دراسة وتحقيق المخطوطات فضلا عن تأليفه بعض الكتب، وذلك من خلال بعض اقسامه، ومن ثم طباعة ذلك ونشره بالتعاون مع دار الفقيه للنشر والتوزيع أو دار تريم للدراسات والنشر، ومن أهم وأشهر ما قام به من تحقيق وطباعة ومن ثم نشر مايلي:

1) الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر لمحمد بن عبد الرحمن باجمال (ت 1019 هـ /1610 م) تحقيق د.محمد يسلم عبدالنور، دار تريم للدراسات والنشر 2008م.

2) الفوائد السنية، لأحمد بن حسن الحداد(ت 1204 هـ /1789م) تحقيق زيد عبدالرحمن بن يحيى، مقام الامام الحداد 2008م.

3) الفوائد المكية فيما يحتاجه طلبة الشافعية، لعلوي بن أحمد السقاف (ت 1335 هـ /1916 م) تحقيق حميد الحالمي، دار الفقيه للنشر والتوزيع 2003م.

4) العرف العاطر في معرفة الخواطر، لعبدالرحمن بن مصطفى العيدروس (ت 1192 هـ /1778م) تحقيق منير سالم بازهير، دار الفقيه للنشر والتوزيع 2003م.

5) مناسك الحج والعمرة، لعبدالله بن عمر بن يحيى(ت 1265 هـ /1848 م) تحقيق مصطفى حامد بن سميط، دار الفقيه للنشر والتوزيع 2003م.

الخاتمة

بعد رحلة لعلها تكون ممتعة ومفيدة مع حضرموت ومخطوطاتها ومركز النور وقبل أن ننهي الحديث عن ذلك حريٌّ بنا أن نختمه بخلاصة عنه وأهم ما توصلنا إليه من استنتاجات وتوصيات:

– تعد حضرموت من المراكز العلمية في اليمن وزخرت بالعديد من المخطوطات شأنها شأن المراكز العلمية في بلاد الإسلام هي نتاج علمائها أو ما تم جلبه ونسخه من نتاج غيرهم من العلماء.

– لم تكن مخطوطات حضرموت في منأى من عوامل الضياع والتلف شأنها شأن غيرها من مخطوطات بلاد الإسلام التي تعرضت كذلك للعوامل نفسها وأسبابها.

– لعل من ايجابيات الحكم البائد الذي حكم حضرموت وجنوب اليمن بعد نيل استقلالها عام 1967م، وقبل قيام وحدتها عام 1990م أن قام بجمع بعض مخطوطات علماء حضرموت في مكتبة واحدة عرفت بمكتبة الاحقاف للمخطوطات بتريم، كانت المخطوطات بها في عناية من عوامل الضياع والتلف.

– يعد مركز النور للدراسات والأبحاث المؤسسة الثانية في امتلاكه للمخطوطات بعد مكتبة الأحقاف للمخطوطات وهو كذلك في العناية بها حفظاً وتوثيقاً وصيانةً بعد دار المخطوطات.

– استطاع المركز رغم قصر مشواره من انقاذ مجموعة من المكتبات الخطية وتقديم الخدمة (مجاناً) مع الالتزام المطلق بحفظ حقوق أصحاب الحق.

– يأمل المركز في إقامة علاقات علمية مع المراكز الأخرى ذات الاتجاه نفسه.

– تقديم كل أنواع الدعم كونه جهة غير رسمية أنشئت بجهود فردية حتى أنه ومنذ تأسيسه لا يزال يعمل في أحد البيوت (الدُّور) المستأجرة والأمل يحدو إدارته أن ييسر الله للمركز موقع ومبنى خاص به.

– يعكف المركز على إصدار أول بيبلوغرافيا (فهرسة) له لذا فهو يفتح ذراعيه للجهات والمراكز الأخرى لمساعدته في ذلك.

– يشكر الباحث دولة الجزائر ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ممثلةً بجامعة زيَّان عاشور الجلفة (مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها) ويدعو إلى تكرار عقد هذا الملتقى.

المصادر والمراجع

– بافضل، محمد بن عوض (ت 1369هـ/ 1949م)

1. **صلة الأهل بتدوين ما تفرَّق من مناقب بني فضل**
الطبعة الأولى 1420هـ/ 1999م، بدون ناشر.

– باوزير،سعيد عوض (ت 1398هـ/ 1977م)

2. **صفحات من التاريخ الحضرمي**
مكتبة الثقافة عدن، بدون تاريخ

3. **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي**
دار الطباعة الحديثة،القاهرة،1961م.

– الحامد،صالح بن علي (ت 1387هـ/ 1967م).

4. **تاريخ حضرموت**
الطبعة الثانية 2003م،مكتبة الإرشاد، صنعاء.

– الحداد،علوي بن طاهر (ت 1382هـ/1962م).

5. **الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها**
مطبعة أحمد برس،سنغافورة1359هـ/1940م.

– الحموي،ياقوت بن عبد الرحمن (ت 626هـ/1228م)

6. **معجم البلدان**
الطبعة الأولى، 1997م،دار احياء التراث العربي، بيروت

– الخطيب، عبدالرحمن بن محمد (ت 855هـ/1451م)

7. **الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف**
مخطوط،مكتية الاحقاف للمخطوطات برقم(2037) تاريخ وتراجم

– الشاطري، محمد بن أحمد (ت 1422هـ/2001م)

8. **ادوار التاريخ الحضرمي**
الطبعة الثانية، 1994م، دار المهاجر، المدينة المنورة

– **الشجاع، عبدالرحمن بن عبدالواحد (الدكتور)**
9. النظم الاسلامية في اليمن ميلاد ونشأة
الطبعة الاولى، 1989م، دار الفكر، دمشق
– **الشلي، محمد بن ابي بكر (ت1093هـ / 1682م)**
10. المشرع الروي في مناقب السادة آل بني علوي
الطبعة الأولى، 1319هـ / 1901م، المطبعة العامرة الشرفية،مصر
– **عبدالنور، محمد يسلم (الدكتور)**
11. الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة
الطبعة الاولى، 2010م، وزارة الثقافة، صنعاء
– **العيدروس، عبدالقادر بن شيخ (ت 1038هـ/ 1627م)**
12. النور السافر عن أخبار القرن العاشر
دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م

جُهُود المُحَدِّثين في تأسيس علم المخطوط العربي" توثيقًا وتحقيقا."

أ.محمد عيساوي

المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة،الجزائر

شهد التاريخ المعاصر إقبالا واسعا على تحقيق ونشر المخطوط العربي ؛ وشارك الباحثون الغربيون في هذا المضمار مشاركة فعالة، حتى غدا لدى العديد من الباحثين والمحققين أن فنَّ توثيق وتحقيق النصوص هو فن غربي المنشأ، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث ليستبين سبيل جهود العلماء المسلمين في مجال توثيق وتحقيق نص المخطوط مُجَسدا ذلك في مشاركة موسومة ب: جهود المحدثين في تأسيس علم المخطوط العربي " توثيقا وتحقيقا "، متحريا في ذلك الإجابة عن إشكالات جوهرية ذات الصلة بعلم المخطوط العربي ؛ ومنها:ما هي أهم القواعد والضوابط التي أسهم بها علماء الحديث في مجال تحقيق وتوثيق المخطوط العربي ؟ وما هي أبرز الكتب التي تضمنت تلك القواعد ؟ وإلى أي مدى ساهمت تلك الأصول والضوابط في الحفاظ على نصِّ المخطوط ؟ وما مدى استفادة مناهج البحث الغربية من هذه الأصول والضوابط التي قعَّدَها حُذاق المحدثين المحققين ؟ ما هي أوجه الائتلاف والاختلاف بين منهج المحدثين في نقد وتحقيق الأصول الخطية ومنهج الغربيين في ذلك ؟

أولا: علم المخطوط ومنهج التوثيق والتحقيق:

تعد المخطوطات أعظم تراث خلَّفته لنا الأجيال الماضية ؛ فهي مؤلفات وضع فيها العلماء خلاصة أفكارهم وتجاربهم وإبداعاتهم، وهي حافلة بدراسات قيمة في شتى المعارف الإنسانية التي توصلوا إليها، فاستفاد منها العالم فكانت أساسا للحضارة الحديثة والعلوم المعاصرة المتطورة، ولذلك عني المتقدمون والمحدثون بالمخطوط توثيقا وتحقيقا.[1]

1-مفهوم توثيق المخطوط:

يراد بتوثيق النص التأكد بالدليل من صحة نسبة النص إلى مؤلفه.[2]

ويقصد بالتوثيق في العصر الحالي مختلف العمليات الفنية التي تشتمل على جمع وحصر الوثائق وتنظيمها وتحليلها ونسخها وترجمة ما يحتاج إلى ترجمته بهدف تقديمها إلى الباحثين، وبمقارنة مصطلح التوثيق في الحضارة الإسلامية بما هو جار حاليا نجد أن الفرق هو وجود الطباعة التي ساعدت على تداول الوثائق،و يهدف توثيق المخطوط إلى صيانة المصنفات، والتثبت في نقلها بعيدا عن العبث والتحريف والتزوير.[3]

2-مفهوم تحقيق المخطوط:

يعرف الباحث المحقق عبد السلام محمد هارون التحقيق بأنه بذل عناية خاصة بالمخطوطات، حتى يمكن التثبت من استيفائها لشروط معينة.[4]

ويكشف الباحث الصادق الغرياني الغاية من تحقيق المخطوطات بإخراجها للناس، وتيسيرها للاستفادة منها، في الصورة التي أرادها مؤلفوها، أو أقرب ما تكون إلى ذلك ولا يدرك ذلك إلا بعناء وصبر على البحث والتمحيص ؛ فالكتاب المحقق بعد هذه الخطوات يكون هو الذي صحَّ عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها المؤلف." [5]

ثانيا: جهود المحدثين في منهج توثيق المخطوط:

اعتنى المحدثون بتقعيد قواعد وضوابط في التوثيق، وقاموا بتطبيقها تطبيقا عمليا في كتبهم، والتي بقيت منهجا لمن بعدهم ؛ فمنها ما يندرج في فن قواعد التحقيق، ومنها ما هو من الأمور المساعدة للمحقق على التحقيق [6]، فما هي أهم تلك الأسس والضوابط في مجال توثيق النصوص ؟

1-آلية الإسناد ودورها في التوثيق:

لجأ المحدثون إلى منهج التوثيق عبر التأكيد على الإسناد والتثبت من طرق التحمل وصيغ الأداء ؛ والتي يرجع السبق إليهم في دراستها، فما هو الإسناد، وما هي مراحل توثيق النص عند المحدثين ؟

أ- تعريف الإسناد:

يقصد بالإسناد في اللغة المعتمد [7]؛ وسمي كذلك لأن المتن يستند إليه ويعتمد عليه[8].

أما في الاصطلاح فهو سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر واحدا بعد واحد إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي [9].

ب- **أهمية الإسناد في منهج توثيق النص عند المحدثين :**

بدأ الاهتمام بالإسناد والسؤال عنه في فترة مبكرة ؛ وذلك في أعقاب الفتنة التي شهدها صدر الإسلام[10]؛ وهذا ما جعل العلماء يؤكدون على الإسناد، خصوصا وأن القرآن الكريم، والسنة النبوية يأمران بالتثبت والتبيُّن في الرواية، قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [11] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع." [12]

ويعتبر الإسناد في المنهج النقدي الحديثي العمود الفقري في توثيق الخبر، وميزة السند أن الروايات المسندة أفضل من الروايات غير المسندة ؛ لأن فيها ما يدل على أصلها،و يمكن التحكم في نقدها بصورة أفضل من الروايات الخالية من السند.[13]

ولأهمية الإسناد فإن استعماله لم يعد قاصرا على الحديث النبوي، وإنما شاع استعماله في علوم أخرى كالتفسير والتاريخ والأدب، حتى صار يمثل الصفة الغالبة على منهج تدوين العلوم الإسلامية المختلفة.[14]

إن كل هذه المنطلقات المهمة — خصوصا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تأمر بالتثبت وتوثيق الأخبار – استدعت اهتمام المحدثين ونادت على قريحة نقادهم فصاغوا معانيها في عبارات تنظيرية، وجمل تأصيلية توحي بتنبههم منذ وقت مبكر إلى خطر الإسناد فغدت عباراتهم مرجعا رئيسا لمنهج النقد الحديثي الاسنادي وأساسا لبنائه.

وسنورد هنا جملة من تلك العبارات التي نظر بها المحدثون النقاد لآلية الإسناد ودورها في التوثيق والتحقيق معاً:

يقول الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك (ت: 181 هـ / 797 م):«الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء.»[15]

ومما يدل على ذلك أيضا أن الحافظ أبا حاتم الرازي (ت: 277 هـ/ 890م)كان في مجلس فقال: « لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار نبيهم وأنساب سلفهم إلا في هذه الأمة، فقال له رجل: يا أبا حاتم، ربما رووا حديثا لا أصل له ولا يصح، فقال أبو حاتم: علماؤهم يعرفون الصحيح والسقيم فروايتهم ذلك–أي الحديث الواهي — للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها.»[16]

فأبو حاتم يعتبر حفظ الإسناد ولو كان واهيا سببا لتمكن النقاد بعد ذلك من تمييز الصحيح من السقيم، وهذا هو لب النقد الخارجي للوثيقة أو الرواية:لأنه يعتمد الإسناد آلية لنقل النصوص وقالبا يوضع فيه كل الرواة الذين نقلوا النص طبقة عن طبقة، حتى إذا ما أراد ناقد دراسة هذا النص ومعرفة أصالته أو زيفه استطاع أن يجد المجال الذي يجري فيه نقده وبحثه.

ويشهد على أهمية الإسناد في التوثيق أيضا أن ابن المبارك نفسه سئل عن الأحاديث الموضوعة التي يرويها الوضاعون بالأسانيد، فقال: "تعيش لها الجهابذة" [17].

و قال الحافظ الحاكم النيسابوري(ت:405هـ/1014م) في معرفة علوم الحديث: « فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له، وكثرة مواظبتهم على حفظه؛ لدرس منارُ الإسلام، وتمكن أهل الإلحاد والبدع منه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تَعَرَّتْ عن وجود الإسناد فيها كانت بُتْرَاً » [18].

فالحاكم يعتبر الإسناد قطعة من الخبر نفسه، فإذا ذكر الخبر دون إسناده كان أبتر، والأبتر والأقطع لا قيمة له.

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852هـ/1448م): « ولكون الإسناد يعلم به الحديث الموضوع من غيره، كانت معرفته من فروض الكفاية.» [19].

وفرض الكفاية كما هو معروف عند الأصوليين: ما يجب على مجموع الأمة فإذا قام به البعض –قياما كافيا – سقط عن الباقين[20].

و يتضح من خلال ما سبق بيانه أهمية الإسناد في منهج توثيق النص عند المحدثين.

2 – مراحل التوثيق الاسنادي عند المحدثين:

تمر عملية توثيق النص عند المحدِّثين بمراحل متتابعة، وعبر مصطلحات منضبطة ذات دلالة دقيقة تعبر عن طريق التلقي والتحمل، فما هي طرقها وأقسامها الرئيسة ؟

تبارت عقول المحدثين وأذهان الألمعيين منهم في ضبط الكتاب والكلمة العلمية وتوثيقها، في تحملها وسماعها، وأدائها وتسجيلها، وحفظها ونقلها من جيل إلى جيل حتى وصلت إلينا سليمة من أي تحريف أو تبديل.[21] ونستطيع توضيح تلك الجهود في النقاط التالية:

الطريقة الأولى: المشافهة، وتتم عبر مرحلتين:

الأولى: سماع التلميذ لفظ شيخه، سواء كان إملاء من الشيخ أو بدون إملاء.[22] وسواء كان من كتاب الشيخ أو من حفظه.وهذه الطريقة هي أرفع الأقسام وأعلاها عند المحدثين.

واصطلحوا لهذه الطريقة ألفاظا خاصة تدل عليها مثل: سمعت وسمعنا وحدثني وحدثنا واخبرني واخبرنا[23] وأنبأني وأنبأنا.[24]

وهي تفريق بين ما يسمع في وقت التعليم والرواية المعتبرة وبين ما يسمع في وقت المذاكرة أي المباحثة، واستحبوا التمييز باصطلاح معين.[25]

الثانية: القراءة على الشيخ ويسميها أكثر المحدثين "عرضا" [26]سواء قرأ التلميذ بنفسه على الشيخ أو قرأ غيره وهو يسمع من كتاب أو من حفظ سواء حفظ الشيخ أم لم يحفظ، غير أنهم اشترطوا إذا لم يكن الشيخ حافظا أن تكون القراءة عليه من كتاب ويكون الكتاب بيد موثوق به، إلا لم تعتبر الرواية.[27]

وللمحدثين تدقيقات في هذا الباب تدل على كمال الإتقان، فمن ذلك أنه إذ كثر التلاميذ واحتاج الشيخ إلى مستمل ليسمع من بعد فإن التلميذ لا يجوز له أن يروي الكلام عن شيخه إذا سمعه من المستملي، وألزمه النقاد أن يبين ما هو من سماعه من الشيخ وما هو من سماعه من المستملي.[28]

الطريقة الثانية: الأخذ بغير طريق المشافهة.مثل الإجازة بالرواية على أنواعها[29]، والمناولة[30]، والكتابة[31]، والإعلام[32]، والوصية[33]، والوجادة[34].

ولقد تناول المحدثون قضية التحمل والأداء، والدقة في تبليغ صيغهما لأجل نقل الإسناد بحاله إلى الناقد حتى يتهيأ له أكبر قدر من الملاحظة المباشرة، مع أن الفارق بينهما ضعيف، ومن قبله منعوا منعا جازما استبدال "حدثنا" ب "عن"، لأن ذلك يؤثر فيما لو كان الراوي مدلسا.[35]

ولقد كانت هذه السلسلة من الاحتياطات الدقيقة جزءا من عمليات التوثيق المتعاقبة، والتي تحتف بالرواية منذ حدوثها حتى تدوينها وتداولها.

وهذا كله تمهيد لعملية النقد التي سيجريها الناقد من خلال آليات أخرى أكثر تعقيدا في محلها من منهجي: الجرح والتعديل، والعلل.

3- جهود المحدثين في نقد الإسناد:

اتخذت جهود المحدثين في نقد الإسناد جانبين، جانبا نظريا، وهو وضعهم للقواعد والضوابط المنهجية النقدية للنقد الإسنادي، وجانبا عمليا، وذلك ببيانهم الأشخاص المجروحين، وتعريف الناس بهم ليحتاط منهم.

فما هي الجهود التي بذلها المحدثون في نقد الإسناد ؟ وما هي أبرز المؤلفات التي اعتنت بهذا المجال ؟

أ- الجانب النظري لنقد الإسناد:

حدَّد المحدثون أوصافا وشرائط دقيقة في نقد الإسناد تؤول في مجملها إلى شرائط ثلاث:

الشرط الأوّل هو الاتصال، وهو سماع الحديث لكل راوٍ من الراوي الذي يليه.[36]

ويُعرَف الاتصال بأحد أَمرين:

الأول ؛ أن يصرح الراوي بإحدى صيغ السّماع كأن يقول الراوي: حدثنا، أو حدثني، أو أَخبرنا، أو أخبرني، أو أَنبأنا، أو أنبأني، أو سمعت، أو قال لي، أو قال لنا، أو نحوها من صيغ السماع.[37]

أما الثاني ؛ أن يأتي الراوي بصيغةٍ تحتمل السّماع وغير السّماع، كأن يقول الراوي: عن، أو أن، أو قال، أو حدث، أو روى، أو ذكر، وغيرها من الصيغ التي تحتمل السّماعَ وعدم السّماع.[38]،

فهنا تشترط، عدم التدليس، المعاصرة، ثبوت السّماع.[39]

وإذا حصل عدم السماع في سند الحديث فيكون ذلك انقطاعاً، فكل ما فقد الاتصال فهو منقطع، لكن علماء الحديث فَصَّلوا في هذه الانقطاعات، ونوعوها على حسب الانقطاع ؛ لتسهيل الاصطلاح، ولتنويع أنواع الانقطاعات حسب شدة الضعف ؛ فظهر المنقطع [40]، والمعضل [41]، والمرسل [42]، والمدلس[43]، والمعلق[44].

أما الشرط الثاني: فهوَ العدالة ؛ وهي هيئة راسخة في النفس تمنح صاحبها عدم فعل الكبائر، وَعدم الإصرار على الصغائر، وَعدم فعل ما يخرم المروءة.[45]

أمّا الشرط الثالث: فهو الضبط: وهو تيقظ الراوي حين تحمله وفهمه لما سمعه، وضبطه لذلك من وقت التحمل إلى وقت الأداء.[46]

والضبط ضبطان: ضبط صدرٍ، وضبط كتاب، ويلخص مما ذكر في الضبط بقولنا: أنْ يكون الراوي حافظاً عالماً بما يرويه، إن حدث من حفظه، فاهماً إن حدث على المعنى، وحافظاً لكتابه من دخول التحريف أو التبديل، أو النقص عليه إن حدث من كتابه.[47]

وفي اشتراط الضبط احترازٌ عن حديث المغفل، وكثير الخطأ، وسيئ الحفظ،.وهذه الشروط (الاتصال، العدالة، الضبط) الثلاثة تتعلق بالإسناد .[48]

ب – الجانب العملي في نقد الإسناد:

أما فيما يخص الجانب العملي المتمثل في الرواة والتعريف بهم ؛ فقد ألف العلماء المتخصصون عددا كبيرا من المؤلفات منها ما أفرد لذكر الثقات، ومنها ما أفرد للضعفاء ومنها ما جمع بين الثقات والضعفاء مع ذكر ألفاظ الجرح والتعديل المنطبقة على كل راو.[49]

و صاغ المحدثون من خلال هذه المؤلفات قواعد نقدية دقيقة ضمن منهج واسع عرف بمصطلح الحديث، وبذلك سبقوا الآخرين في التنظير والتقعيد لكيفية التفاعل مع الروايات بفحصها وتطبيق قواعدهم عليها لغرض الحكم عليها قبولاً ورداً، مما أدى إلى اكتمال معلوماتهم عن الرواة والتدقيق في أحوالهم من حيث الصدق والورع والالتزام الديني، وظهرت مكتبة ضخمة في علم الرجال.

ولا يتمكن لَهُ إلا من رزقه الله فهماً واسعاً واطلاعاً كبيراً.ومعرفة الاختلافات الواقعة في المتون والأسانيد لا يمكن الوصول إليها إلا بجمع الطرق والنظر فِيْهَا مع الْمَعْرِفَة التامة بالرواة والشيوخ والتلاميذ، وكيفية تلقي التلاميذ من الشيوخ والأحوال والوقائع وطرق التحمل وكيفية الأداء من أجل مَعْرِفَة الخطأ من الصواب وكيفية وقوع الخلل والخطأ في الرِّوَايَة.وهذا يستدعي جهداً جهيداً، قَالَ الحافظ ابن حجر: ((هَذَا الفن أغمض أنواع الْحَدِيْث وأدقها مسلكاً، ولا يقوم بِهِ إلا مَنْ منحه الله تَعَالَى فهماً غائصاً، واطلاعاً حاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة)) [50] .

ويشترط فيمن يتكلم في العلل ويكشف عن اختلافات المتون والأسانيد أن يَكُوْن ملماً بالروايات مطالعاً للكتب واسع البحث كثير التفتيش، لذا قَالَ ابن رجب الحنبلي: ((ولابدَّ في هَذَا العلم من طول الممارسة، وكثرة المذاكرة، فإذا عدم المذاكرة بِهِ فليكثر طالبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين كيحيى القطان، ومن تلقى عَنْهُ كأحمد وابن المديني[51]

و فيما يأتي بعض الأمثلة على أصناف هذه الكتب

أ- كتب الثقات:

كتاب الثقات لأبي الحسن أحمد بن عبد الله العجلي ت 261 هـ / 875 م.[52]

كتاب الثقات لعمر بن أحمد بن شاهين ت 385 هـ / 990 م.[53]

ب –كتب الضعفاء:

كتاب الضعفاء الصغير والضعفاء الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري.[54]

كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي زرعة الرازي ت 264 هـ / 878 م.[55]

ج- الكتب الجامعة بين الثقات والضعفاء:

الجرح والتعديل لعبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي ت 327 هـ / 938 م.[56]

تواريخ الإمام البخاري الثلاثة، الكبير والأوسط والصغير.[57]

يتبين لنا مما تجمع من مادة هذا المبحث الدقة والضبط التي وصل إليها منهج المحدثين ؛فالقواعد التي وضعها علماء الحديث لتوثيق النصوص وضبطها تمثل ظاهرة حضارية فريدة...و حريٌّ لمن يتصدر لتحقيق كتب التراث أن يطّلع على " منهج توثيق وتحقيق النصوص عند المحدثين، بِغضِّ النظر عن ثقافته واتجاهه، حفاظا منه على دقة الأداء وسلامة المنهج الذي يجب أن يسير عليه في تحقيق وتوثيق النصوص . [58]

ثانيا: نقد وتحقيق الأصول الخطية عند المحدثين

كان من شأن الحُذَّاق المتقنين من المحدِّثِين العناية بنقد وتحقيق الأصول الخطية ؛ وعبروا عن تلك المنهجية بمصطلحات دالة، فما أهم القواعد التي أصلها المحدثون في هذا الصدد، وما هي أبرز المصطلحات المتداولة في هذا المضمار ؟ وما هي علاقتها بمنهج التوثيق ؟

أ- المعارضة بين نسخ المخطوط وأهميتها في التحقيق :

وتعني أن يقابل الناسخ نسخته أو ما نقله بأصل شيخه، أو بأصل موثوق به، وتسمى النسخة القديمة الأصل والنسخة الجديدة الفرع.[59]

انتهج المحدثون المعارضة بين النسخ بعد تدوين الحديث النبوي الشريف وتعدد نسخ الكتاب الواحد، فأكد العلماء المحدثون على إجراء هذا الخطوة المهمة في تحقيق المخطوط.[60]

وتعد المعارضة من أفضل الطرق لمعرفة أصوب الروايات وأتقنها وهي الأسلوب العلمي الدقيق الذي يرشدنا إلى معرفة الخطأ والصواب.[61]

قال الخطيب البغدادي: " يجب على من كتب نسخة من أصل بعض الشيوخ أن يعارض نسخته بالأصل ؛ فإن ذلك شرط في صحة الرواية من الكتاب المسموع."[62]

وقال الشافعي: " إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة." [63]

وتتضح أهمية المعارضة بين النسخ الخطية في منهج التحقيق في عدة جوانب ؛ فهي تكشف اختلاف الروايات، وتوضح السقط، وتبين التصحيف والتحريف، وتجلي التقديم والتأخير، وتنبه على الإعادة والتكرار، وتنوه بالخطأ الإعرابي والإملائي الحاصل في نص المخطوط، وسننتقي مما سبق بيانه التصحيف والتحريف أنموذجا.[64]

منهج تحقيق المحدثين للأصول الخطية " التصحيف والتحريف أنموذجا ":

تجاوز قضية التصحيف والتحريف في أهميتها أهمية أي أمر من أمور التحقيق ؛ ذلك لأنها لا تتعلق بمقدمات التحقيق وأطره وهوامشه وفهارسه، وإنما تتطرق إلى سلامة النص بالصيغة التي سطرها المؤلف.[65]

فالتصحيف والتحريف من الأمور الطارئة الَّتِيْ تقع في الْحَدِيْث سنداً أو متناً عِنْدَ بعض الرُّوَاة، وَهُوَ من الأمور المؤدية إلى الاختلاف في الْحَدِيْث.فيحصل لبعض الرُّوَاة أوهام تقع في السند أَوْ في الْمَتْن بتغيير النقط أو الشكل أو الحروف.

والتصحيف هُوَ: تغيير في نقط الحروف أو حركاتها مع بقاء صورة الخط [66]

والتحريف: هُوَ العدول بالشيء عن جهته، وحرَّف الكلام تحريفاً عدل بِهِ عن جهته، وَقَدْ يَكُوْن بالزيادة فِيْهِ، أو النقص مِنْهُ، وَقَدْ يَكُوْن بتبديل بعض كلماته، وَقَدْ يَكُوْن بجعله عَلَى غَيْر المراد مِنْهُ ؛ فالتحريف أعم من التصحيف [67].

ولابد من الإشارة إلى أن المتقدمين كانوا يطلقون المصحف والمحرف جميعاً عَلَى شيء واحد، ولكن الحافظ ابن حجر جعلهما شيئين وخالف بينهما، فَقَدْ قَالَ: ((إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق فإن كَانَ ذَلِكَ بالنسبة إلى النقط فالمصحف، وإن كَانَ بالنسبة إلى الشكل فالمحرّف)) [68].

وعلى هَذَا فالتصحيف هُوَ الَّذِيْ يَكُوْن في النقط ؛ أي في الحروف المتشابهة الَّتِيْ تختلف في قراءتها مثل: الباء والتاء والثاء، والجيم والحاء المهملة والخاء المعجمة، والدال المهملة والذال المعجمة، والراء والزاي.

وعندما كثر التصحيف والتحريف بَيْنَ الناس شرع الحفاظ من أهل الْحَدِيْث بتصنيف كتب: (التصحيف والتحريف) وكتب (المؤتلف والمختلف) [69]، وهذا الفن فن جليل لما يحتاج إِلَيْهِ من الدقة والفهم واليقظة، وَلَمْ ينهض بِهِ إلا الحفاظ الحاذقون قَالَ ابن الصَّلاَحِ: ((هَذَا فن جليل إنما ينهض بأعبائه الحذاق من الحفاظ)) [70].

والسبب في وقوع التصحيف والإكثار مِنْهُ إنما يحصل غالباً للآخذ من الصحف وبطون الكتب، دون تلق للحديث عن أستاذ من ذوي الاختصاص ؛ لِذَلِكَ حذر أئمة الْحَدِيْث من عمل هَذَا شأنه، قَالَ سعيد بن عَبْد العزيز التنوخي [71] : ((لا تحملوا العلم عن صحفي، ولا تأخذوا القرآن من مصحفي)) [72].

و تعد القواعد ودراستها – التي تم التطرق إليها آنفا — في غاية الأهمية بالنسبة لنا الآن ؛ لأنها تلقي الأضواء على قراءة تراثنا المخطوط، كما أنها تحمل في طياتها بذور " علم تحقيق النصوص " بمعناه الحديث. [73]

2 – خطوات نقد متن المخطوط وضبطه:

تظافرت جهود المحدثين من أجل العناية بدقة نص المخطوطات ؛ باتخاذ طرق تحقيق تكميلية، فما هي هذه الخطوات التكميلية ؟ وما هي سماتها التي ميزتها ؟ وما دور كل واحدة منها ؟

أ- التصحيح: وهو كتابة (صح) على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صح رواية أو معنى، غير أنه عرضة للشك والخلاف، فيُكتب عليه (صح) ليُعرف أنه لم يغفل عنه وأنه قد ضُبِط وصح على ذلك الوجه. [74]

ب- وأما التضبيب، ويسمى أيضا التمريض فيجعل على ما صح وروده كذلك من جهة النقل، غير أنه فاسد لفظا أو معنى، أو ضعيف أو ناقص، مثل أن يكون غير جائز من حيث العربية، أو يكون شاذا عند أهلها يأباه أكثرهم، أو مصحَّفا، أو ينقص من جملة الكلام كلمة أو أكثر، فَيُمَدُّ على ما هذا سبيله خط، أوله مثل الصاد، ولا يلصق بالكلمة المعَلَّمِ عليها. [75]

ت- التنبيه إلى المقحم في نص المخطوط:

تنبه المحدثون إلى ضرورة إعلام طلبة العلم بما قد يطرأ على نص المخطوط من زيادة ؛ فما هي الطرق التي تختص بهذا المجال ؟

إذا وقع في الكتاب ما ليس منه فإنه ينفى عنه بالضرب أو الحك أو المحو ؛ وتتمثل كيفية الضرب بأن يخط من فوقه خطًّا جيدا بيِّنًا، يدل على إبطاله، ومن المحَدِّثين الضابطين من يلجأ إلى التحويق على أول الكلام المضروب عليه بنصف دائرة.[76]

ثالثا: مقارنة بين منهج المحدثين ومنهج المستشرقين في توثيق وتحقيق المخطوط :

نخصص هذا المبحث لعقد مقارنة بين المنهج النقدي الإسلامي والمنهج النقدي الغربي الحديث، متخذين ما أشرنا إليها سابقا من الأصول العامة لمنهج المحدثين في النقد مرتكزا في عقد هذه الموازنة، والتي تم تقسيمها إلى قسمين، أحدهما تناول النقد الخارجي المتعلق بنقد المصدر، والآخر الداخلي والمتعلق بنقد المتن.

أ- إسهامات المستشرقين في تحقيق المخطوط وتوثيقه:

دأب كثير من المستشرقين على تحقيق كثير من المخطوطات العربية ؛ واتجه الكثير من الباحثين إلى الإشادة بدقة المستشرقين، ومدى دقتهم في التمحيص والتحقيق، وهذا لأن المستشرقون حرصوا على أن يضفوا على أنفسهم هيبة العلم وقداسة محرابه، وأن يخفوا تحت ستاره كل أهوائهم واتجاهاتهم.[77]

ولكن إتقانهم ودقيق عملهم ليس صادرا من ذاتيتهم العلمية أو مناهجهم التعليمية، وإنما هو مأخوذ بأصوله وفصوله مما رسمه العلماء المحدثون الحُذَّاق من القرون الهجرية الأولى، في طريقة ضبط الكتاب وتصحيحها ونقلها وكتابتها ومقابلتها، والإشارة إلى اختلاف النسخ، وما فيه من نقص أو زيادة أو مغايرة أو نحو ذلك.[78] و من أمثال أولئك.[79]

أولا: من ناحية النقد الخارجي

أ- البحث عن مصدر الخبر:

تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالمصدر في المنهج النقدي الإسلامي الناقل أو الراوي، أما المصدر عند أصحاب النقد التاريخي الحديث هو المؤلف الذي كتب الوثيقة أو من صدر عنه الخبر.[80]

أما المقصود بالمصدر عند أصحاب النقد التاريخي الحديث فهو المؤلف الذي كتب الوثيقة، أو من صدر عنه الخبر.[81]

وتعد عملية البحث عن المصدر بالنسبة للوثائق أو الأخبار المعاصرة أمر في غاية السهولة، أما بالنسبة للوثائق القديمة، والأخبار التي لا يُعرف عنها شيء عن مصادرها الحقيقية، فإن المهمة تعد شاقة وعسيرة، ومن ثم تعب كثيرا أصحاب النقد الغربي الحديث، في الوصول إلى المصدر الأصلي لوثائقهم القديمة، ولجأوا إلى طرق كثيرة لمحاولة الوصول إلى ذلك، يقوم أكثرها على تحليل مضمون الخبر أو الوثيقة، لمعرفة لغتها وأسلوبها [82]، وعلى هذا كانت الأداة الرئيسة لمعرفة المصدر عندهم هي "التحليل الباطني للوثيقة، موضوع البحث من أجل استخراج كل الدلائل، التي تعرفنا بالمؤلف وعصره."[83]

ومع هذا كله، فهذه الوسيلة لا تؤدي إلى معرفة المصدر الحقيقي، ومن هنا يلجأون إلى الفرض والتخمين للوصول إلى المصدر.[84]

وفي المقابل نجد أن المنهج النقدي الإسلامي قد تجاوز هذه الصعوبات التي وقع فيها المنهج النقدي الحديث، لأن المصدر عندهم —كما سبق وان أشرنا — ليس من صدر عنه الخبر، وإنما من سمعه ونقله، أضف إلى هذا أن السند قد يسر الكشف عن مصدر الخبر [85]، مع تدقيق المنهج الإسلامي في التأكد من الاتصال بين الرواة الناقلين للخبر عبر العصور خوفا من الانقطاع الزمني مما يولد الشك في صحة الرواية.[86]

ب — **نقد المصدر**:

تعد عملية نقد الراوي وسيلة أساسية للتحقق من صحة المصدر، وأساس النقد للراوي هو الشك في عدالة الناقل وضبطه، ونقد العدالة والضبط، يعبر عنه المنهج النقدي الحديث بنقد الأمانة والدقة، وشروطهم في نقد الأمانة والدقة، تتفق عموما مع شروط المنهج النقدي الإسلامي.[87]

ونجد هذه الحقيقة في المنهج النقدي الإسلامي ؛ فلا بد للراوي من التمتع بعقل سليم، وتصوُّر مستنير، وقدرة جيدة على التمييز، فإذا اختلت قواه النفسية والعقلية فإن روايته مرفوضة، وهذا ما انتهى إليه المنهج النقدي الحديث إذ اشترط في الباحث أن يكون فطناً حتى يقف دون عناء كبير على التفاصيل الهامة أو الظروف الأساسية التي تؤثر تأثيراً فعالاً في الظاهرة التي يلاحظها ويجري التجارب عليها.[88]

وأما المروي فقد اشترط أن يكون مسموعاً على العلماء وليس مأخوذاً من الكتب والنسخ دون تملك حق روايتها، وهذا الشرط لحماية الرواية من التحريف والتصحيف والخطأ في الفهم، فالعالم هو الذي سيبين النطق الصحيح والفهم الصحيح للرواية.[89]

ولكن نلاحظ أن المنهج النقدي الإسلامي كان أدق لفظا وأوسع مفهوما من أصحاب النقد الغربي الحديث، فلقد فهم المسلمون العدالة فهما أوسع من فهم المنهج الحديث لها،فلقد اقتصرت في المنهج النقدي الحديث على أنها أمانة تتعلق بنفسية الراوي ووجدانه وحسب، أما في المنهج النقدي الإسلامي فقد كانت أوسع مفهوما ؛ فهي لا تمس وجدان الراوي فحسب ولكن تمس أيضا العرف والعادات والتقاليد، وهي بهذا وجدانية اجتماعية.[90]

ومن ناحية أخرى فإن مدار نقد الراوي في المنهج النقدي الإسلامي فهو على أساس علم الجرح والتعديل،و الذي يجسد لنا جانب الدقة، فهو علم يعنى بتوثيق وتجريح الرواة وفق ألفاظ مخصوصة، دقيقة الصياغة، ومحددة الدلالة.[91]

كما تجدر الإشارة إلى أن نقد المصدر في المنهج النقدي الحديث لا يقل أهمية في عملية نقد وتوثيق المخطوط، لأنه يحمي المؤرخين من الوقوع في أغلاط هائلة، والنتائج التي يتوصل إليها بالغة الأهمية، فهو يحكم على باحث ما أنه يعوزه النقد، حينما لا يشعر أبدا بالحاجة إلى التمييز بين الوثائق، ولا يشك أبدا في النسبة

التقليدية أي نسبة الكتاب لمؤلفه، ويأخذ بكل المعلومات القديمة، والحديثة السلمية والسقيمة كيفما جاءت، وكأنه يخشى أن يفقد منها شيئا.[92]

ثانيا النقد الباطني:

1 النقد الباطني الإيجابي:

أ- تصحيح المتن لغويا:

قرر المحدثون أن صحة السند لا تقتضي صحة المتن، لذلك فإنهم نقدوا المتن أيضاً؛ وذلك عن طريق تصحيحه قبل تفسيره وتحليله، وضبط المُلْتَبِس والمشْكِل من الألفاظ في متن الكتاب، [93] وقد كشفوا عن أخطاء وتحريفات وتصحيفات المتن في مؤلفات مستقلة رائدة.[94]

ولقد تنبه بعدهم بزمن إلى هذا أصحاب النقد التاريخي الحديث، وسموا هذه الخطوة من خطوات نقد النص، بنقد التصحيح، وأرجعوا الأغلاط كذلك إلى مصدرين، السمع والبصر، وجاء في النقد للا نجلو وسينوبوس " والتحريفات التي تطرأ على الأصل في نسخة منقولة، وهي التي مس اختلافات النقل سببها إما التزييف أو الغلط، وكل النساخ تقريبا ارتكبوا أغلاطا في النقل، مرجعها إلى الإدراك، أو قد تحدث عرضا، فالأغلاط الراجعة إلى الإدراك، تقع حينما يكونون أنصاف متعلمين، أو أنصاف أذكياء، فيخيل إليهم أن ثمة أغلاطا في الأصل، فيصححونها لأنهم لا يفهموها، فالأغلاط العرضية تحدث حينما يسهون في قراءة الأصل، أو لا يعرفون أن يقرأوا، أو حينما يسيئون السماع، وهم يكتبون إملاء، أو حينما يرتكبون سقطات قلمية." [95]

ب – التفسير:

ينقسم تفسير المتن في المنهج النقدي الإسلامي إلى نوعين ؛ أحدهما حرفي يقوم على شرح كل غريبة وردت في المتن شرحا لغويا، ويسمى هذا في المصطلح الإسلامي بشرح الغريب، أو معرفته بينما يطلق المنهج النقدي الحديث على هذا النوع من التفسير اسم التفسير الحرفي.[96]

ومهما يكن من أمر فإن النتيجة التي يصل إليها هذا النوع من التفسير، هي فهم جزئيات المتن وألفاظه لا فهم المتن جملة، وعلى هذا لزم فهم المتن جملة، وقد توصل إلى هذا العلماء المسلمون عن طريق الاستنباط الذي يقوم على تحليل المضمون للمتن أو الخبر لاستخراج ما به من أحكام وقواعد شرعية ولغوية.[97]

2- النقد الباطني السلبي:

أ- معرفة الصحيح من الزائف:

اهتم النقاد المحدثون بالكشف عن اتجاهات الراوي وميوله العقدية والسياسية، ونظروا إلى مروياته بحذر، إذا وافقت هواه [98]، والمقصود معرفة الدوافع النفسية للراوي ومدى تأثيرها في دقة الرواية.[99]

إن تحليل شخصية الرواة ودوافعهم سبق إليه المنهج الإسلامي، وجاء المنهج النقدي الحديث يفتش عن مدى حياد أو موضوعية الراوي أو المؤلف، حيث اشترط ألا ينساق لعواطفه الخلقية والعقدية والفلسفية[100]، "وأن

تجيء روايته مستقلة قدر المستطاع عن قائلها، فلا يمازجها شيء من ميوله وأهوائه ونزعاته الذاتية، وليس للباحث العلمي أن يختار من الشواهد لبحثه ما يخدم رغبة في نفسه، أو أن يحقق مثلاً أعلى يتمناه". [101]

كما أن تحليل نفسية الراوي، ومعرفة أثر الغرور وحب الشهرة في دقة مروياته، من الجوانب التي أولاها المنهج الإسلامي اهتمامه، يقول شعبة بن الحجاج (ت160هـ): "لا يجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ"[102]، والحديث الشاذ هو أن يروي الثقات حديثاً فيشذ عنهم واحد فيخالفهم، وهذا إما لاختلال الضبط أو للرغبة في الشهرة بمعرفة أحاديث غريبة نادرة.[103]

وقد وصف الخطيب البغدادي ت 463 هـ أكثر طلبة الحديث في عصره بغلبة كتب الغريب عليهم دون المشهورة، وسماع المنكر دون المعروف، وكان أبو يوسف القاضي قد نبه من قبل على خطورة ذلك: "من اتبع غريب الحديث كذب"[104]

إن منهج النقد الحديث يرفض التعلق برواية شاذة، ويطالب بجمع سائر الروايات المتعلقة بحادث معين؛ لتكتمل الصورة، ويُعرف الاتجاه العام في المصادر، وتُكتشف محاولة التزوير، وتزييف الخبر.وعند شذوذ مصدر معين تبرز ثمة دواعٍ لاتهامه، وهي من أبرز مزايا الجمع الكامل والتقميش التام.[105]

كما أن دراسة الحالة الصحية والعقلية للراوي وما يطرأ عليه من تغيير يمكن أن يؤدي إلى التغيير في متن الرواية اهتم بها المنهج النقدي الإسلامي وحاول تحديد وقت المرض، كالاختلاط الذي يؤدي إلى رفض الرواية منذ تاريخ وقوعه دون أن يتعدى أثره تاريخ الراوي السابق، ولا شك أن ضعف الذاكرة وكثرة الغلط تؤدي إلى التوقف في قبول الرواية.[106]

أما تلك الروايات التي صيغت بأسلوب ركيك، واستعملت ألفاظاً غريبة على ألفاظ النبوة، فقد اهتم المحدثون بنقدها بناءً على معايشتهم لأسلوب الحديث النبوي، وهو أسلوب جامع مانع متميز.[107]

ثم جاء المنهج النقدي الحديث يؤكد على أهمية الفحص عن دقة الراوي وحالته العقلية والنفسية عند التحمل والأداء، فهو يحذر "أن يكون المؤلف قد أساء الملاحظة نتيجة لدوافع باطنية أو شعورية (هلوسة أو وهم)". [108]

يتبين لنا من خلال هذا المبحث أن خطوات وأصول المنهج النقدي الإسلامي يتفق بعضها مع المنهج النقدي الحديث، ويتميز بعضها الآخر عنه، خاصة فيما يتعلق بآلية الإسناد التي تلعب دورا كبيرا في منهج التوثيق والتحقيق

استنتاجات وتوصيات:

اتضح لنا من خلال ما سبق جملة استنتاجات وتوصيات نستطيع التركيز على أهمها فيما يلي:

- تعد آلية الإسناد ركيزة أساسية في النقد الحديثي ؛ فهي تعمل على إرجاع نص المخطوط إلى شاهد عيان، وتسهل عملية التحري، والتحقيق عن سلامة هذه السلسلة.
- صاحب الإسناد في كل أجياله – طبقاته- عملية توثيقية بالغة الإتقان في الرواية -تحملا وأداء- والكتابة -تصحيحا وتدقيقا- وفي الرواة - جرحا وتعديلا- وفي معرفة الروايات -نقدا وتعليلا- فصار الإسناد بناء متكاملا، وعلى أساسه بنيت كل العلوم الشرعية الأخرى.
- تجلت لنا إسهامات المحدثين في تأسيس علم المخطوط ورفده بجملة قواعد وأسس دقيقة من شأنها الحفاظ على صحة نص المخطوط من التزوير والانتحال.
- إن السمات المنهجية التي تتراءى للباحث المحقق في منهج التوثيق والتحقيق عند المحدثين تعكس بجلاء الجهود المضنية والأوقات العزيزة التي بذلها المحَدِّثُون، وتتبدَّى من خلالها النزعة التوثيقية للمحدثين، ومنها طرق التحمل وصيغ الأداء الدقيقة ؛ في سبيل وصول المخطوط إلى الأجيال اللاحقة في شكل سليم.
- تبين لنا من خلال عرض منهج المحدِّثين الصورة التكاملية التآلفية بين الإسناد والمتن التي توحد بين الإجراءات والعناصر المنهجية في توثيق وتحقيق المخطوط، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على قوة الفكر ومتانة النظر عند المحدثين، وكفى بتلك حجة على تهافت دعاوى المستشرقين حول المنهج النقد الحديثي.
- **التوصيات البحثية:**

يمكن تقديم بعض التوصيات في ضوء ما تقدم من معطيات تختص بعلم المخطوط:

- إقرار وحدة مصطلح الحديث ضمن تخصص تحقيق المخطوطات في الجامعات والمعاهد؛ واقتصاص آثار مناهج المحَدِّثين، وإلماع معالمها، لتكون منارات وأقباسا يستنير بها المحقق للمخطوط.
- توسيع دائرة ما تبنى عليه الأطاريح والرسائل العلمية من تحقيق للمخطوطات النادرة.
- إقامة مشروع أكاديمي لتحقيق مخطوطات القطر الجزائري عامة ؛ ينطلق من مبادئ ثابتة، ويتوجه إلى مقاصد جامعة، وتحدوه قلوب مفتوحة ونوايا خالصة، تتعزز بعمليات التعاون والتكامل بين مختلف التخصصات العلمية، وتستعين بالمراجعة والتقويم للخبرات والتجارب من الباحثين المتخصصين، بغية تعميق فهم الحضارة العربية الإسلامية، وترسيخ الهوية الشخصية.
- توجيه جهود الباحثين والمحققين لاستكمال متطلبات المنهجية العلمية التوثيقية والنقدية للتراث العربي الإسلامي المخطوط المكنون في المكتبات العالمية ؛ والذي من شأنه أن يحقق حضورا فاعلا للكتاب العربي الإسلامي، ويحدث إسهاما ملموسا في بناء الحضارة الإنسانية وترشيدها.

فهرس المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

- القرآن الكريم

- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي ت 256 هـ / 1063 م:

== التاريخ الكبير،دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987 م.

== الضعفاء، تحقيق عبد العزيز عز الدين السيروان، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985 م

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ت 463 هـ / 1070 م:

== تاريخ بغداد، مطبعة المكتبة السلفية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1931 م.

==الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط 02، د.ت.

==الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ت.

- الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي: العلل الصغير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ت 355 هـ / 965 م:

== البخلاء، بيروت، دار صادر، بيروت، 1993 م

== البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، بغداد، العراق، الطبعة الثانية، 1960 م

== كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، القاهرة، 1964.

- ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي ت 852 هـ / 1448 م :

= = تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1975 م.

= =تهذيب التهذيب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1984 لسان الميزان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

= = نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1427 هـ / 2006 م، بيروت، لبنان.

= = نزهة النظر شرح نخبة الفكر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت

- ابن حنبل أحمد ت 241 هـ:

الجامع في العلل ومعرفة الرجال، تحقيق محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1990 م

- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي ت 388 هـ:

إصلاح غلط المحدثين، تحقيق حاتم الصالح الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405 هـ / 1985

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 681 هـ:

وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 1978 م

- الذهبي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748 هـ / 1374 م:

= = تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1990 م

= = تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمان المعلمي اليماني، حيدر آباد الدكن، الهند، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، 1955

== سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983

== ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، بيروت، دار الفكر، د.ت

== الموقظة، اعتنى به عبد الفتاح أبوغدة، الطبعة الثانية، 1412 هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان

- الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمان ت 360 هـ: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1391 هـ/ 1771 م

- الرازي أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم محمد بن إدريس ت 327 هـ: الجرح والتعديل، حيدر آباد الدكن، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، 1953 م.

- ابن معين أبو زكرياء يحيى بن معين بن عون المري البغدادي ت 223هـ: التاريخ، تحقيق أحمد محمد نور سيف، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الأولى، 1979 م

- ابن منظور جمال الدين بن مكرمت 711هـ / 1311 م : لسان العرب، بيروت، دار صادر، بيروت، لبنان،د.ت.

- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261 هـ:

==صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، د.ت

== كتاب التمييز، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثالثة، مكتبة الكوثر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1410 هـ / 1990 م.

- ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان تقي الدين ت 643 هـ: معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1406 هـ / 1986 م.

- الصنعاني أبو ابراهيم محمد بن إسماعيل ت:1182: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، علق عليه بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997 م.

- العلائي صلاح الدين أبو سعيد ت: 761 هـ: كتاب المختلطين، تحقيق وتعليق رفعت فوزي عبد المطلب وعلي عبد الباسط مزيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

- العسكري أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد ت 382 هـ:

= = تصحيفات الْمُحَدِّثِيْنَ، تحقيق محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الإسلامية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1402 هـ

= = كتاب أخبار المصَحِّفين، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، الطبعة الأولى، دار البشائر، بيروت، لبنان، 1416 هـ / 1995 م

- العقيلي أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد ت 322 هـ: الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1974 م.

- العراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسين ت 806 هـ: التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، 1931 م.

- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ت: 817 هـ: القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1371 هـ، 1426 هـ / 2005 م.

- الفسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان ت 277 هـ / 890 م: المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1981 م

- ابن قيم الجوزية ت: 751 هـ: المنار المنيف، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، اعتنى باخراجه وتصحيحه سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الحادية عشر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1425 هـ / 2004 م.

- السبكي أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت 771 هـ: طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، 1965 م

- السخاوي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ت: 902 هـ: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، تحقيق وتعليق علي حسين علي، دار الإمام الطبري، 1424 هـ / 2003 م

- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم ت: 562 هـ / 1166 هـ: أدب الإملاء والاستملاء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1401 هـ/ 1981 م

- السيوطي جلال الدين ت: 911 هـ:

==: ألفية السيوطي في علم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،د.ت.

==: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الطبعة الثانية، 1415 هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- الشيرازي إبراهيم بن علي ت: 476هـ : اللمع في أصول الفقه، الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، د.ت.

المراجع:

- أمحزون محمد: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، دار طيبة للنشر والتوزيع ومكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994 م.

- أسطيري جمال: التصحيف وأثره في الحديث والفقه وجهود المحدثين في مكافحته، الطبعة الأولى، دار طيبة، المملكة العربية السعودية، 1997 م

- بنبين أحمد شوقي وطوبي مصطفى: معجم مصطلحات المخطوط العربي، الطبعة الثالثة، الخزانة الحسنية، الرباط، المغرب، 2005 م.

- بول ماس: نقد النص، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1981 م.

- جوتلهف برجستراسر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، قدم له: محمد حمدي البكري، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1995 م.

-حمادة فاروق: منهج البحث في الدراسات الاسلامية تأليفا وتحقيقا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1416 هـ / 1995 م.

-الحلوجي عبد الستار: المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1422هـ / 2002 م

-الحفيان فيصل: فن فهرسة المخطوطات " مدخل وقضايا "، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1999 م.

-امانويل كنت: التاريخ العام، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، الطبعة الرابعة، 1981 م، وكالة المطبوعات، الكويت.

-البشير عصام: أصول منهج النقد عند أهل الحديث، الطبعة الثانية، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1412 هـ / 1992 م

-الخطيب محمد عجاج: السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1988، القاهرة، جمهورية مصر العربية

-الزهراني محمد بن مطر: علم الرجال نشأته وتطوره، دار الخضيري، المملكة العربية السعودية، د.ت

-الطحان محمود: تيسير مصطلح الحديث، دار رحاب، الجزائر، د.ت.

-لانجلوا وسينوبوس: النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، الطبعة الرابعة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1981

-لقمان السلفي:اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، دار الداعي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420 هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.

-المحاسني سماء زكي: دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420 هـ / 1999 م.

-محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1405 هـ / 1984 م.

-مندور محمد: في الميزان الجديد، الطبعة الأولى، مؤسسات ع.بن عبد الله، تونس، 1988 م.

-المنجد صلاح الدين: قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1396 هـ / 1976 م.

قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد، الطبعة السابعة، بيروت، لبنان، 1987 م.

-معروف بشار عواد:

تحقيق النصوص بين أخطاء المؤلفين وإصلاح الرواة والنساخ والمحققين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2009 م.

ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1402 هـ/ 1982 م.

-موفق بن عبد الله بن عبد القادر: توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1414 هـ/ 1993 م.

-النملة علي بن إبراهيم: إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هـ / 1996 م.

-ناجي هلال: محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1994 م

-همام عبد الرحيم سعيد: الفكر المنهجي عند المحدثين، الطبعة الأولى، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1408 هـ.

-موافي عثمان: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2004

-عثمان حسن: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، د.ت

-العمري أكرم ضياء:

دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، الطبعة الأولى، 1403 هـ / 1983 م، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالمنهج النقدي الغربي، الطبعة الأولى، دار اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هـ /1997 م

موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، الطبعة الأولى، دار اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417هـ / 1997 م.

–عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي، مكتبة مصباح، الطبعة الثانية، جدة، المملكة العربية السعودية، 1409 هـ / 1989 م.

– عبد التواب رمضان: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1406 هـ / 1985 م.

– عبد التواب شرف الدين: تاريخ أوعية المعرفة، الطبعة الأولى، الدار الدولية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 1998 م.

– العوني حاتم بن عارف: العنوان الصحيح للكتاب، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد، مكة، المملكة العربية السعودية، 1419 هـ.

– عابد سليمان: أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1414 هـ / 1994 م.

– عمرو عبد المعنم سليم: منهج النقد عند المحدثين، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005 م

تحرير قواعد الجرح والتعديل، دار ابن القيم وابن عفان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1426 هـ / 2005 م

الغرياني الصادق عبد الرحمان: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، 1989 م.

– السامرائي قاسم: علم الاكتناه العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1422 هـ / 2001 م.

– السيد السيد النشار: في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 1997 م السيد مصطفى مصطفى: صيانة المخطوطات علما وعملا، عالم الكتب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1422هـ / 2002 م.

– سيد أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، د.ت.

– شاكر أحمد محمد:

تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك، اعتنى به وعلق عليه وأضاف إليه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت،لبنان، الطبعة الثالثة، 1428 هـ /2007 م.

: الباعث الحثيث شرح إختصار علوم الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1416 هـ، 1995 م .

الهوامش:

---

[1] – أصله في اللغة من حقَّ الشيء إذا ثبت صحيحا، فالتحقيق إثبات الشيء، وإحكامه وتصحيحه، تقول: حققت الأمر، وأحققته، إذا أثبته، وصرت منه على يقين. أنظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1990، ج4، ص 146.

أصل التحقيق من قولهم: حقق الرجل القول: صدقه، أو قال هو الحق، والجاحظ يسمي العالم المحقق: " محقا "، جاء في رسالة فصل ما بين العداوة والحسد بتحقيق عبد السلام محمد هارون، من: " إنه لم يخل زمن من الأزمان فيما مضى من القرون الذاهبة إلا وفيها علماء محقون قرءوا كتب من تقدمهم ودارسوا أهلها. "الجاحظ: كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، القاهرة، 1964، ج 1، ص ص 338، 339.

للمزيد أنظر: عبد الهادي الفضيلي: تحقيق التراث، الطبعة الأولى، مكتبة العلم، جدة، المملكة العربية السعودية، 1982 م/ 1402 هـ، ص ص 30، 32. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين وعدنان بن سالم الرومي: المرشد الوثيق إلى مراجع البحث وأصول التحقيق، دار الدعوة، الكويت، د.ت، ص 114.

و هنا لابد من الإشارة إلى ضرورة التمييز بين التحقيق والتعليق، فلقد أدى الخلط بينهما إلى اختلاف بيِّن في مناهج المحققين، ؛ فالتحقيق يهدف إلى ضبط النص وتقييده وإخراجه أقرب ما يمكن إلى الصيغة التي أرادها المؤلف، والتعليق يجلي نص المؤلف بالشروح والتوضيحات والتعريفات وبيان الأوهام.

للمزيد أنظر: بشار عواد معروف: ضبط النص والتعليق عليه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1402 هـ / 1982 م، ص ص 07، 08 – 29، 30.

[2] – عبد المجيد دياب:تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1993 م، ص52.

[3] – اهتم العلماء المسلمون بهذا الجانب وأولوه عناية بالتأليف ومنهم الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي ت 981 هـ / 1573 م الذي ألف كتابا أسماه المعيد في أدب المفيد والمستفيد، عالج فيه أساليب التدوين والتوثيق، وهو اختصار لكتاب " الدر النضيد " لمعاصره البدر الغزي ت 1577 م.

عبد التواب شرف الدين: تاريخ أوعية المعرفة، الطبعة الأولى،الدار الدولية للنشر والتوزيع،جمهورية مصر العربية، 1998 م، ص 43.

[4] – عبد السلام محمد هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة الخامسة، مكتبة السنة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1410 هـ، ص42.

[5] – الصادق عبد الرحمان الغرياني: تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، 1989 م، ليبيا، ص19.

[6] – الصادق عبد الرحمان الغرياني: المرجع السابق، ص ص 19، 20.

[7] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1371 هـ، 1426 هـ / 2005 م، ج 1، ص 314.

[8] – محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية،ص 138

9- محمود الطحان: المرجع السابق، ص ص 138، 139.

10- محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، جمهورية مصر العربية، 1408 هـ / 1988 م، ص 187.

أكرم ضياء العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ص 13 – 15. فلاتة عمر بن حسن: حركة الوضع، مكتبة الغزالي بدمشق، ومؤسسة مناهل العرفان ببيروت،لبنان، 1401 هـ / 1981 م، ج1، ص 120.

11- الآية 06 من سورة الحجرات.

12- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: الجامع الصحيح، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق هيثم خليفة الطعيمي، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج 1، ص 72.

13- فاروق حمادة: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1429 هـ / 2008 م، ص ص 209، 210.

14- فاروق حمادة: المرجع السابق، ص 212.

15- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: المصدر السابق،87/1، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: العلل الصغير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 87.

16- الزرقاني: المواهب اللدنية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1417 هـ / 1996 م،ج5، ص 454، وعبد الحي اللكنوي: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، دار السلام، الطبعة السادسة، 1430 هـ/ 2009 م، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 24.

17- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط 02، ص 37، أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح، تحقيق أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1406 هـ / 1986، 291/1، « جهبذ بكسر الجيم والباء الموحدة وبالذال المعجمة هو الفائق في تمييز جيد الدراهم من رديئها والجمع جهابذة وهي عجمية وقد تطلق على البارع في العلم استعارة».

النووي: تهذيب الأسماء واللغات، إدارة الطباعة المنيرية،القاهرة، جمهورية مصر العربية، ج 03، ص 53.

18- الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ص 37.

19- علي القاري: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج 1، ص 02، 08.

20- انظر: أبو اسحق الشيرازي : اللمع في أصول الفقه، الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ص23 وابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ج1، ص353. والسبكي: الإبهاج في شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995،ج 1، ص 100.

21- أحمد محمد شاكر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، اعتنى به وعلق وأضاف إليه: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1428 هـ / 2007 م، ص07.

22- أبو سعيد عبد الكريم السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1401 هـ/ 1981 م، ص13.

23- عثمان بن عبد الرحمان تقي الدين بن الصلاح : معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1406 هـ / 1986 م، ص141.

24- وهو قليل في الاستعمال. انظر ابن الصلاح: المصدر السابق، ص141 .

25- استحبوا إذا كان السماع حال المذاكرة أن يقول: قال لنا أو ذكر لنا، لأنه لائق بسماع المذاكرة وبه أشبه. أنظر علوم الحديث لابن الصلاح ص142 جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الطبعة الثانية، 1415 هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية،ج 2، ص 11.

[26]– الحسن بن عبد الرحمان الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1391 هـ/ 1771 م، ص 476.

[27]– السيوطي: المصدر السابق: ج 2، ص ص. ج 2، ص 19.

[28]– المصدر السابق، ج 2، ص 25.

[29]– أي الإذن بالرواية ولها أنواع كثيرة. أنظر السيوطي: المصدر السابق: ج 2، ص ص 29-43.

[30]– المناولة أن يدفع الشيخ لتلميذه مروياته سواء أذن له بالرواية منها أو لم يأذن، ولها صور. أنظر السيوطي: المصدر السابق: ج 2، ص ص 44-55.

[31]– هي أن يكتب الشيخ مروياته لحاضر أو غائب بخطه أو بأمره ولها أضرب. انظر السيوطي: المصدر السابق: ج 2، ص ص 55-58.

[32]– إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو الكتاب سماعه، مقتصرا على ذلك. أنظر: السيوطي: المصدر السابق، ج 2، ص 252.

[33]– أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره بكتاب يرويه. أنظر السيوطي: المصدر السابق، ج 1، ص ص 59، 60.

[34]– بكسر الواو مصدر لوجد مولد غير مسموع من العرب، وهي أن يقف على أحاديث بخط راويها الواجد، فله أن يقول وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه.. حدثنا فلان ويسوق الإسناد والمتن. وكل هذه الطرق خلاف الأصل في الرواية عند المحدثين، لأنها لا مشافهة فيها، لذلك حصل فيها خلاف بين العلماء والنقاد ولم يستقر إجماع على شيء منها بخلاف المشافهة، والملاحظ أن غالب هذه الطرق استخدمها المحدثون في الصدر الأول من عصور الرواية بقلة شديدة، ثم إنهم يبينون ما كان من جنس هذه الطريقة أو تلك، ثم توسع المتأخرون في تلك الطرق لاستقرار التدوين وشهرة المصنفات، وإنما توسعوا في الرواية بها إبقاء لخصيصة الإسناد في الأمة.

للمزيد أنظر: الرامهرمزي: المصدر السابق، ص 417.

فاروق حمادة: المرجع السابق، ص ص 197، 198.

[35]– السيوطي: المصدر السابق: ج 2، ص22.

[36] – الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد: الموقظة، اعتنى به عبد الفتاح أبوغدة، الطبعة الثانية، 1412 هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ص ص 24 – 26.

[37] – شاكر أحمد محمد: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1416 هـ، 1995 م، ص ص 100، 101.

[38] – شاكر أحمد محمد: المرجع السابق، ص 101.

[39] – زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي: التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح، الطبعة الأولى، المطبعة العلمية، حلب، سوريا، 1931 م، ص ص 49، 50.

[40] – منقطع: ما سقط من سنده راو واحد، أو أكثر من واحد لا على التوالي.

الذهبي: المصدر السابق، ص ص 40، 41.

[41] – المعضل: وهو عبارة عمّا سقط من إسناده اثنان فصاعداً على التوالي، وهو أسوأ حالاً من المنقطع. نفسه: ص 40.

[42] – الحديث المرسل: هو ما أضافه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من أجود التعاريف ؛ لأنه يعمّ ما أضيف إلى النبي من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة. نفسه: ص 38، 39

[43] – ينقسم التدليس إلى قسمين هما: تدليس الإسناد: وَهُوَ أن يروي الرَّاوِي عمن لقيه ما لَمْ يسمعه مِنْهُ بصيغة محتملة .

والمراد من الصيغة المحتملة: أن لا يصرح بالسماع أَوْ الإخبار مثل: حَدَّثَنَا، وأخبرنا وأنبأنا، وسمعت، وَقَالَ لنا، وإنما يجيء بلفظ يحتمل الاتصال وعدمه، مثل: إن، وعن، وَقَالَ، وحدّث، وروى، وذكر.

تدليس الشيوخ: وَهُوَ أن يأتي باسم شيخه أَوْ كنيته عَلَى خلاف المشهور بِهِ تعمية لأمره وتوعيراً للوقوف عَلَى حاله

تدليس التسوية:وَهُوَ أن يروي عَنْ شيخه، ثُمَّ يسقط ضعيفاً بَيْنَ ثقتين قَدْ سَمِعَ أحدهما من الآخر أو لقيه، ويرويه بصيغة محتملة بَيْنَ الثقتين .

العراقي: المصدر السابق، ص ص 55، 56، 57 .

[44] – هو ما كان فيه سقوط الرواي من بداية السند، سواء كان السقط فيه راويا واحدا أو أكثر.

العسقلاني ابن حجر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1427 هـ / 2006 م، بيروت، لبنان، ص 255، 256.

[45] – العسقلاني ابن حجر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص 29.

[46] – السيوطي جلال الدين: المصدر السابق،ص 198.

[47] – العسقلاني: نزهة النظر، ص 29.

[48] – ذكر ابن حجر العسقلاني قوادح الضبط أهمها فحش الغلط، سوء الحفظ، الغفلة،كثرة الأوهام، مخالفة الثقات

أنظر العسقلاني: المصدر السابق، ص 36، 37.

[49] – أمحزون محمد: المرجع السابق، ج 01، ص 88، 89.

[50]– العراقي: المصدر السابق، ص ص 65، 78.

[51]– هُوَ علي بن عَبْد الله بن جعفر السعدي، أبو الحسن البصري، إمام العلل الناقد الهمام، قَالَ البخاري: ((ما استصغرت نفسي عِنْدَ أحد إلا عِنْدَ علي بن المديني))، له: " العلل "، توفي سنة (234 هـ).

الرازي:الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 193/6، والذهبي: تاريخ الإسْلاَم ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، 1990 م، وفيات سنة (234 هـ): ص 276 فما بعدها.

[52] –هو أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن العجلي الامام الحافظ.أنظر الذهبي تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمان المعلمي اليماني مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند،، الطبعة الثالثة، 1955، ج 02، ص 560.

[53] – هو عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين أبو حفص الحافظ الواعظ، له كتاب " التفسير "، السنة "، "الثقات " توفي عام 385 هـ / 990 م.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مطبعة المكتبة السلفية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 1931 م.ج 11، ص 265.

[54] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، ص 55.

[55] – هو عبيد الله بن عبد الكريم المخزومي أبو زرعة االرازي أحد الأئمة الحفاظ، توفي عام 264 هـ / 878 م.

الخطيب: المصدر السابق، ج 10، ص 326.

[56] – الزهراني محمد بن مطر: علم الرجال نشأته وتطوره، دار الخضيري، المملكة العربية السعودية، د. ت، ص 157.

[57]– الزهراني محمد بن مطر: المرجع السابق، ص 157

[58]– موفق بن عبد الله بن عبد القادر: توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، الطبعة الأولى، 1414 هـ / 1993 م، دار البشائر، بيروت، لبنان، ص 10.

[59]– الرامهرمزي: المصدر السابق، ص 544. الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص 275.

[60]– موفق بن عبد الله بن عبد القادر: المرجع السابق، ص 118.

[61]– اهتم المحدثون بخطوات أخرى تدخل في سياق ضبط النص وتحقيقه وذلك عبر العناية بالتصحيح والتضبيب والتمريض.

أما التصحيح فهو: كتابة (صح) على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صح رواية ومعنى.

و أما التضبيب، ويسمى أيضا (التمريض) فيوضع على ما صح وروده كذلك من جهة النقل، غير أنه فاسد لفظا أو معنى، أو ضعيف أو ناقص، فيُمَدُّ على ما هذا سبيله خط أوله مثل الصاد، ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها.

و لإثراء هذه النقطة والتفصيل أكثر أنظر: أحمد محمد شاكر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، مرجع سبق ذكره، ص ص 28، 30.

[62]- الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ت، ص 275.

[63]- الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ص 276.

[64]- موفق بن عبد الله بن عبد القادر: المرجع السابق، ص ص 125 – 154.

[65]- هلال ناجي: محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1994 م، بيروت، لبنان، ص 83، 85

[66]- أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري: تصحيفات الْمُحَدِّثِيْنَ، تحقيق محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الإسلامية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1402 هـ، ج 01، ص 39.

[67]- أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري: المصدر السابق، ج 01، ص 39.

[68]- جلال الدين السيوطي: ألفية السيوطي في علم الحديث، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ص 203، والصنعاني: توضيح الأفكار، تحقيق: محيي الدين عَبْد الحميد،المكتبة السلفية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج 2، ص 419.

وَقَالَ الدكتور موفق بن عَبْد الله:((وسبق الحافظ ابن حجر في هَذَا التفريق الإمام العسكري في كتابه " شرح ما يقع فِيْهِ التصحيف والتحريف ")).أنظر: موفق بن عبد الله: المرجع السابق، ص 166.

[69]- الْمُؤْتَلِف لغة: اسم فاعل من الائتلاف بمعنى الاجتماع والتلاقي، وَهُوَ ضد النفرة، قَالَ ابن فارس: الهمزة واللام والفاء أصل واحد يدل عَلَى انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أَيْضاً. مقاييس اللغة 131/1 (ألف).

[70]- ابن الصلاح: المصدر السابق، ص 252.

[71]- هُوَ سعيد بن عَبْد العزيز التنوخي الدمشقي: ثقة إمام، لكنه اختلط في آخر أمره، توفي سنة (167 هـ)، وَقِيْلَ: (163 هـ)، وَقِيْلَ: (164 هـ). الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1983، ج 8، ص 32.

[72]- الرازي: المصدر السابق،ج 2، ص 31. وعبد الرحيم بن الحسين العراقي: فتح المغيث، دراسة وتحقيق، عبد الكريم الخضير ومحمد بن فهيد، دار المنهاج، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج 2، ص 232.

[73]- عبد التواب رمضان: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1406 هـ / 1985 م، ص 25.

[74] – أحمد محمد شاكر: المرجع السابق، ص 28.

[75]- ابن الصلاح: المصدر السابق، ص 96.

[76]- ومن المحدثين من يستقبح الضرب والتحويق ؛ ويكتفي بدائرة صغيرة أول الزيادة وآخرها ويسميها "صِفرا "كما يسميها أهل الحساب. أحمد محمد شاكر: المرجع السابق، ص 32، 33.

[77]- طارق سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذة، الطبعة الأولى، 2006 م، الجيزة، جمهورية مصر العربية. ص ص 119، 135. وللمزيد أنظر: عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1413 هـ / 1992 م، المنصورة، جمهورية مصر العربية. ص ص ص 14، 23. محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 101 – 122. نوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني: منهج تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المعارف، بغداد، العراق 1975 م، ص ص 57 – 61.

[78]- أحمد محمد شاكر: المرجع السابق، ص 11.

[79]- عبد العظيم الديب: المرجع السابق، ص 27.

وقع المستشرقون أثناء تحقيقاتهم للمخطوطات العربية في أخطاء علمية كثيرة، وللوقوف على نماذج من هذه الأخطاء أنظر:

محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1405 هـ / 1984 م، ص ص 226، 228.

[80] – موافي عثمان: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2004، ص 169

[81] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 169.

[82] – نفسه: ص 170

[83] – لانجلوا وسينوبوس: النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، الطبعة الرابعة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1981، ص 67

[84] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 170.

[85] – نفسه: ص 170

[86] – العمري أكرم ضياء: منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالمنهج النقدي الغربي، الطبعة الأولى، دار اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هـ / 1997 م، ص 32.

[87] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 171.

[88] – العمري: المرجع السابق، ص 37.

[89] – نفسه: ص 37.

[90] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 171.

[91] – البشير عصام: أصول منهج النقد عند أهل الحديث، الطبعة الثانية، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، 1412 هـ / 1992 م، ص 18

[92] – لا نجلوا وسينوبوس: المرجع السابق، ص 76، 77.

[93] – أنظر: أحمد محمد شاكر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة، ص 17.

[94] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، 38.

[95] – لانجلوا وسينوبوس: المرجع السابق، ص 06.

[96] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 173.

[97] – نفسه: ص 173.

[98] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، ص 39.

[99] – العمري: المرجع السابق، ص 39.

[100] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، ص 41.

[101] – لا نجلوا وسينوبوس: المرجع السابق، ص 129، 132.

[102] – الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ص 141.

[103] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، ص 41.

[104] – الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ص 141.

[105] – موافي عثمان: المرجع السابق، ص 4،173 17.

[106] – العمري أكرم ضياء: المرجع السابق، 42، 43.

[107] – نفسه: ص 43 .

[108] – لانجلوا وسينوبوس: المرجع السابق، ص 135، 138.

صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر(من 1245هـ/1830م إلى 1432هـ/2010م)(التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج) للدكتور / مختار حساني نموذجا

أ.د.عبد الكريم عوفي

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

تمهيد

تعد الجزائر من بين البلدان العربية الغنية بالمراكز العلمية، التي تحتفظ بالمخطوطات، كالزوايا، والخزانات الشعبية، والمساجد، والكتاتيب القرآنية، والقصور، ومكتبات الأفراد والأسر.ومن أشهر هذه المراكز على سبيل المثال لا الحصر: زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة، وزاوية علي بن عمر في طولقه، وزاوية مولى القرقور بباتنة، وزاوية تماسين بورجلة، وزاوية سيدي خالد ببسكرة، وزاوية الهامل ببوسعادة، وزاوية القنادسة ببشار، وزاوية الشيخ الحملاوي في قالمة، وزاوية بطيوة في وهران، ومكتبات: ابن الفكون، والشيخ نعيم النعيمي بقسنطينة، والشيخ المهاجر، وابن اسماعيل، والمهدي البوعبدلي في وهران، والشيخ شعيب في تلمسان، والشيخ الحداد في القبائل، والأمير عبد القادر، ومكتبات وادي ميزاب، التي تفوق المائة مكتبة، وخزانات المنطقة الجنوبية من البلاد، في كل من أدرار، وبشار، وتندوف، وتمنراست[(1)].

إن هذه المراكز وغيرها ملأى بكنوز من التراث المخطوط، وهي تشمل مختلف فنون المعرفة الإنسانية ؛ من فقه، وأصول، وعقيدة، وتوحيد، وتفسير، وقراءات، وتجويد، وحديث، وفلسفة، وطب، وزراعة، وفقارات، وفلك، ومنطق، وكيمياء، وميقات، وحساب، ورياضيات، وجبر، وجغرافية، وتاريخ، ورحلات، وسير، وتراجم، وآداب، ونحو، وصرف، وبلاغة، وتصوف، ووثائق، وغير ذلك مما تفرع عن هذه الأصول.

ولعل سائلاً يسأل فيقول: كيف تجمعت هذه المخطوطات في هذه المراكز المختلفة؟.والجواب هو أن الجزائر كغيرها من الأقطار العربية، عملت منذ نشأة الدولة الإسلامية، بفضل رجالها ؛ من العلماء، والحكام على تنشيط الحركة العلمية والثقافية، فأنشأت المراكز العلمية، وشجعت التعليم والتأليف وجمع المخطوطات، وكانت فيها مدن علمية شهيرة لا تقل عن مثيلاتها في الأقطار الأخرى، كما أنها كانت محطة عبور بين المشرق العربي والغرب الإسلامي، وإفريقيا.وقد استمرت هذه الحركة وتنامت حتى أيام الاحتلال الفرنسي، حيث قل نشاطها وكاد يقضى عليها.ولما استعادت البلاد حريتها وطردت المستعمر استأنفت هذه المراكز نشاطها التعليمي، مع الأخذ بالمعطيات العلمية والمناهج الحديثة، فازداد ت ثروتها الفكرية، ولكن بقيت المخطوطات غير معتنى بها، إلا في العشريتين الأخيرتين.

([1]) لمعرفة المزيد من أسماء المراكز العلمية، ينظر بحثنا « مراكز المخطوطات في الجزائر–أماكنها ومحتوياتها »، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد: 39، الجزء: 1، ص 22.

والمخطوطات الجزائرية تعرضت لعوادي الزمن، مما جعلها محجوبة عن الدارسين، فالاستعمار الفرنسي – كما يعلم الجميع– أتى على الأخضر واليابس، إذ أحرق آلاف المخطوطات، ونهب أنفسها، وخرّب عقول الأهالي.فآلاف المخطوطات الجزائرية المنهوبة تحتفظ بها مكتبات ومتاحف الغرب، في كل من إيطاليا، وفرنسا، وهولندا، وأسبانيا، وألمانيا، وتركيا[1]، كما أن الطبيعة فعلت فعلتها أيضا، فما سلم من يد المستعمر لم يُحفظ في أماكن لائقة، إذ الكثير منه كان مدفونا تحت الأتربة، وفي الأقبية والأضرحة، ومازال بعضه على الحال نفسها حتى يومنا هذا، يتعرض للموت البطيء ؛ تفعل فيه السوسة والأرضة والرطوبة والحشرات والجراثيم فعلتها الشنيعة.ولعل الذي زاد الأمر خطورة هو جهل بعض مالكي المخطوطات قيمتها العلمية والحضارية، وحجبها عن المثقفين، لاعتقادهم أنها ملك لا يحق لغيرهم الاستفادة منه.كما أن الجهات الرسمية سكتت عنه وكأن الأمر لا يعنيها، باستثناء المكتبة الوطنية.

إن المراكز العلمية المختلفة في الجزائر، ما زالت تحتفظ بكنوز من المخطوطات النفيسة، لعلماء جزائريين وغير جزائريين، ولاسيما في الجنوب، وهي تنتظر حملة واسعة للكشف عنها، حتى تكون في متناول الباحثين، وللأسف لم يُعن بهذا الجانب المهم في حياتنا الفكرية والثقافية، بعد الاستقلال إلا في السنوات الأخيرة، مع أن المستشرقين –كما سنرى– يرجع الفضل إليهم في الاهتمام بمخطوطات البلاد، وهم الذين شكلوا نواة المكتبة الوطنية، مع بداية الاحتلال.

ومما يثير الحيرة هو أن المحاولات التي قام بها أبناء البلاد معظمها محاولات فردية قام بها أشخاص، ممن لهم غيرة على تراث الأمة.فقد حقق نفر من العلماء جملة من المخطوطات لعلماء جزائريين، كما أرخ بعضهم للحركة الثقافية في الجزائر عبر الأعصر المختلفة، وأعد أفراد آخرون عددا من الأبحاث والدراسات والفهارس والقوائم، تخص بعض المراكز، وهي محاولات طيبة، لكنها لا تشكل إلا نسبة قليلة مما ينبغي إنجازه.

فما هي أهم المراكز العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في الجزائر؟، وماهي الدراسات والأبحاث التي أقيمت حولها ؟، وماهي أشهر الفهارس العلمية والقوائم الاسمية، التي أنجزت لمخطوطات المراكز العلمية ؛ من زوايا، ومكتبات، وخزانات، ومساجد، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية العشرية الأولى من هذه الألفية؟، وما هي المناهج المتبعة في إنجازها ؟، ومانوع الإطارت (الكوادر) التي أنجزت هذا الرصيد المعرفي لمخطوطات الجزائر؟، وما نوع المشاكل والصعوبات التي واجهت المفهرسين والدارسين في حقل المخطوطات ؟، وماهي الحلول التي يمكن تقديمها للتغلب على هذه الصعوبات، التي تعترض سبل الباحثين في الوصول إلى تحقيق مسح شامل للمخطوطات في الجزائر؛ جمعا، وتعريفا، وفهرسة، وتحقيقا، ودراسة، ونشرا، لتستفيد منها الأجيال المتعاقبة ؟.

إن هذه التساؤلات تحتاج إلى تأليف كُتبٍ تتناول موضوع المخطوطات من مختلف جوانبها ؛ ماضيا وحاضرا، ومستقبلا.وقد يسر الله لي التوفيق بعد عمل دام أكثر من عشرين سنةعلى تأليف كتاب أجبت فيه عما

([1]) كما نقل العلماء الجزائريون في أثناء هجرتهم أيام الاحتلال إلى كل من تونس والمغرب وبعض البلدان العربية الأخرى ما تحتفظ به مكتباتهم من كتب ومخطوطات خوفا من أن تطالها يد المستعمر، وبقيت هناك حتى اليوم.

يتعلق بصناعة الفهرسة في الجزائر، أسميته (**صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر (من 1245هـ/1830م إلى 1432هـ/2010 م)**

وهو محاولة علمية وصفية تقويمية، وقفت فيها على صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر، على مدى أزيد من قرن ونصف من الزمن، أي: منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى العشر ية الأولى من الألفية الثالثة.و إشكاليته تطرح جانباً من جوانب التراث المخطوط في الجزائر، الذي سُكِت عنه بقصد أو عن غير قصد، فبقي محجوبا عن الباحثين وطلبة العلم، رغم غناه وتنوعه.ولاأزعم أنني أحطت بكل بما كُتب في هذا الحقل المعرفي، وإني آمل أن يُطبع قريبا ليستفيد منه خدمة التراث .

وأشير إلى أن العمل في حقل المخطوطات في جامعاتنا ومراكزنا العلمية من الأمور التي لم تُلفت انتباه الدارسين والباحثين، لعوامل لا يسمح المجال لذكرها هاهنا[1]، باستثناء جامعة الجزائر الرائدة في هذا المجال، وبعض المحاولات الفردية في جامعتي قسنطينة ووهران.

كما أذكر أني سعيت لإجراء مسح شامل في كامل التراب الوطني ؛ تنقلت إلى المكتبات والمراكز البحثية، والزوايا ؛ شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، ونقبت كثيراً وسألت أهل العلم وشيوخ الزوايا، فكتبت عما وقع بين يدي وتناهى إلي، فإن ظهر شيء ولم يرد ذكره في هذا الكتاب، فما كان قصدنا التنكر لصاحبه، وإنما هو جهد المقل[2].

وإنصافا لأهل الفضل والعلم أقول: إن المخابر العلمية التي أنشأها الزملاء الأساتذة في عدد من الجامعات، والمؤتمرات التي تقام هنا وهناك للاهتمام بشؤون المخطوطات أمر يبشر بالخير الكثير، وإني لآمل أن يتواصل معي كل من له غيرة على إحياء كنوزنا التراثية التي بقيت محجوبة عن الباحثين وطلبة العلم، وذلك للعمل على تجليتها وبعث دورها الحضاري الذي أنشئت من أجله.

وبهذه المناسبة أرجو ممن أنجز عملا مماثلا، أو وقف على فهارس غير التي وردت في الكتاب المذكور، سواء أكانت قديمة أم حديثة أن يوافيني بأماكن وجودها وأخبارها، لاستدراكها لاحقا، وذلك على بريديي التاليين:

aaaoufi@uqu.edu.sa أو Aoufi-a@hotmail.com

وفي هذا السياق تأتي ورقة العمل التي أتقدم بها إلى إخواني وزملائي في هذا المؤتمر المتميز في موضوعه، إذ سأعرض عليكم فهرسا من الكتب التي شملها التوصيف، باعتباره من أوسع الفهارس التي تناولت المخطوطات الجزائرية في داخل الجزائر وخارجها –كما يزعم مؤلفه– مبينا منهجه ومضامينه، وما وقع فيه المؤلف من أخطاء شنيعة.والكتاب هو:

(التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج)

(1) كتبت عنها في عدد من الأبحاث التي نشرتها عن المخطوطات في الجزائر.

(2) أنجزت القسم الأول في أثناء الأزمة الأمنية التي شهدتها الجزائر، وكان التنقل يومها إلى جهات مختلفة في الوطن صعبا.

وهو من تأليف الدكتورمختار حساني، الكتاب نشرته دار الحضارة بالجزائر، الطبعة الأولى، عام 2009م، من الحجم العادي، ويقع في سبعة أجزاء، قدم له الدكتور علي خلاصي في أربع صفحات توازي قيمتها الكتاب بأجزائه السبعة بالنظر إلى الأخطاء التاي وقع فيها المؤلف.

أما منهج الكتاب فلم أستطع أن أتبين له ضوابط دقيقة، لمخالفة المؤلف قواعد الفهرسة والتوصيف التي جرى عليها علماء علم المخطوطات وفهرستها، فقدضاع في زحمة المخطوطات، وعدم الدراية الكافية بالحقول المعرفية التي تمثلها المخطوطات المفهرسة.ومع ذلك أحاول تقريب الصورة للمستمع والقارئ حتى يتمكن من أخذ فكرة عن الكتاب بصورة إجمالية.

حقق[1] المؤلف في هذا الكتاب أثرا مخطوطا، يتعلق بتاريخ الجزائر، وجملة من الوثائق التاريخية والسياسية والاقتصادية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، وذلك في الأجزاء الثلاثة الأولى، أما الأجزاء الأربعة الباقية فتوقف فيها عند توصيف نماذج من المخطوطات في الشمال والجنوب، في داخل الجزائر، وفي خارجها، وذلك من خلال بعض المكتبات والزوايا ومراكز العلم، في البلدان العربية والغربية.

وفيما يلي تبيان بما تضمنته أجزاء الكتاب، مع جملة من الملاحظات حول منهج الكتاب ومادته.

الجزء الأول: ويقع في (316) صفحة، وعنوانه الفرعي: تاريخ الجزائر من خلال المخطوط[2](كتاب الشماريخ نموذجا): وقد تناول المؤلف في هذا الجزء تحقيق قسم من كتاب " زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ"، لأبي عبد الله بن الأعرج السليماني، المتوفى سنة (1344هـ/1925م).قدَّم للنص بحديث عن المؤلف في صفحتين وبين أن الكتاب وصل منه أربعة أقسام، والقسم الثالث منها يقع في فصلين، سيحقق الجزئية الخاصة بالتاريخ الوطني، ثم عرض ما اشتمل عليه من قضايا، كالعلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا، وعوامل الاحتلال، وسياسة فرنسا في الجزائر في الأقاليم المختلفة، والإدارة، والتعليم، والقضاء، والمعاهدات، ومعارك الأمير عبد القادر، وسياسة التجنيد، ومعاهدة تافنا، ثم عرض النص في ثلاثة أبواب، تناول الأول العصور الوسطى، والثاني عهد الدولة الجزائرية الحديثة، والثالث العصور المعاصرة.وألحقه بعدد من صفحات المخطوط.

ولي ملاحظة هنا على عمل المحقق، وهي أن الطريقة التي قدم بها النص محققا لا ترقى إلى المستوى المطلوب، إذْ خالف ما درج عليه العلماء في فن تحقيق المخطوطات، فقد حرَّف النص، ولم يخرِّج قضاياه، وسلَّم بالأحداث التاريخية دون التأكد منها، أما إهمال علامات الترقيم فأمر محير لا تخلو منه صفحة واحدة من صفحات الكتاب، وإهمال هذا الجانب يؤدي إلى تداخل الكلام بعضه بعض، فينتج عنه ذهاب القصد الذي يرمي إليه المؤلف[3].

([1]) لكن الصواب جانبه – في رأيي-، لأن ما عرضه شيء والتحقيق بمفهومه العلمي شيء آخر.

([2]) كذا كتبه على وجه الغلاف.

([3]) لا أريد أن أتدخل في القضايا التاريخية، فاهتما ما تي اللغوية لا تسمح لي بالتطاول على مجال المؤرخين، لعل أصحاب الشأن يتولون هذا الجانب، وقد أعددت دراسة نقدية حول الكتاب وما اعتوره من مشكلات في منهجه وطريقة =فهرسة المخطوطات، والأخطاء التي وقع فيها المؤلف، سأنشرها في إحدى المجلات، وقد تمنيت لو أن الدكتور مختار حساني نشر الأجزاء الثلاثة الأولى مستقلة ومنفصلة عن الفهارس، لأن مسوغات

الجزء الثاني: ويقع في (333) صفحة، وعنوانه الفرعي: الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية " نماذج"، هذا الجزء يشمل مجموعة من الوثائق التاريخية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، تتحدث عن مدينة الجزائر من حيث الطبقات الاجتماعية، والحركة الاقتصادية، والمياه، والحرف الصناعية، والأحوال السياسية، وعلاقة الجزائر بالدول الخارجية، والعلاقة بين الخلافة العثمانية والجزائر، كما تناولت الحياة في المدن الداخلية، مثل: بسكرة، والقالة، وعنابة، وبجاية، وتناولت أيضا العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية، كما تحدثت عن الداي حسين وعلاقاته بالولايات الداخلية، ثم عرض المؤلف مخطوطا نموذجيا سماه (تاريخ قسنطينة لمؤلف مجهول)، ثم أتبعه بعنوان آخر سماه (الوثائق المدروسة).

وقد حاولت جهد المستطاع فهم ماعرضه المؤلف في هذا الجزء، فتعذَّر الأمر علي، لأن الطريقة التي عرض بها الوثائق فيها شيء من عدم الدقة في تناولها، إذْ القارئ لا يستطيع التمييز بين كلام المؤلف ونصوص الوثائق، فقد مزج بين أقواله ونصوص الوثائق، ولم يراع المنهجية العلمية في تناول الوثائق وتوثيق رواياتها، وكذا ما يعرضه من شروح توضيحية، وفي اعتقادي أنه كان بالإمكان الاستعانة بكتب التاريخ الجزائري للفترة العثمانية، وهي كثيرة ومتداولة، يأتي في مقدمتها كتب الدكتورأبوالقاسم سعد الله، وآثار – المرحوم- الدكتور يحي بوعزيز، وغير ذلك مما كتبه مؤرخو الجزائر حول هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، وفي ظني لو راعى هذا الجانب بدقة لتفادي الاضطراب والفوضى والخلط الذي وقع في نصوص هذا الجزء وسابقه.

الجزء الثالث: ويقع في (317) صفحة، وعنوانه الفرعي تتمة لسابقه، وهو: الوثائق المخطوطة بالمكتبة الوطنية الجزائرية "نماذج"، تناول فيه المؤلف جملة من الوثائق الإرشيفية التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية، وتشمل العلاقات بين الجزائر وكل من ومصر، واليونان، والبرتغال، وإسبانيا، وتونس، وأمريكا، والعلاقات الجزائرية بالدولة العثمانية ؛ في مظاهر الحياة الاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، كما اشتمل الجزء على وثائق أخرى، وشرح لبعض المصطلحات، وصور لوثائق، وعشرة أسماء لمصادر استفاد منها المؤلف[1].

وهذا الجزء أيضا جاءت مادته مضطربة ومتداخلة، لأن المؤلف لم يتبع منهجا علميا سليما في دراستها وتوثيقها، كما أنه لم يُحسن التأليف فيما بينها من حيث موضوعاتها.

الجزء الرابع: ويقع في (341) صفحة، وعنوانه الفرعي: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية " الشمال"، وهو الباب الأول من الأجزاء الأربعة الباقية، وعَنونَه ب (الخزائن الجزائرية في المناطق الشمالية).

قدَّم له بحديث تناول تعريف المخطوط، وأهمية التراث المخطوط، وعناية الجزائر به منذ قيام الدولة الرستمية في الجزائر، ومكتبات المساجد، والمكتبة الوطنية، وفهرسة شبكة مخابر المخطوطات، وضياع التراث وإتلافه، والجهود التي يقوم بها بعض المشتغلين بالتراث من أساتذة الجامعات وطلاب العلم في العشرية الأخيرة، ولاسيما طلبة قسم علم المكتبات والوثائق في جامعة الجزائر، وجهوده الشخصية التي قام بها، كما ألمح إلى ما تمتاز به

الرابط بينها منعدم.

(1) وهو الموضع الوحيد الذي ذكر فيه بعض مصادر كتابه.

بعض المخطوطات التي فهرسها من سمات، كالنسَّاخ وأدوات النسخ، والزخرفة والرسومات، والحواشي، ثم ذكر جملة من الأسباب التي دفعته لإنجاز هذا الفهرس، مُعتمدا على ما كتبه شيخ المؤرخين الجزائريين، الأستاذ الدكتورأبو القاسم سعد الله في موسوعته (تاريخ الجزائر الثقافي)، وفي آخر تقدمته ذكر في فقرة طريقته في الفهرسة، مُقرا اعتماده في فهرسة مخطوطات المكتبة الوطنية على ما أنجزه بعض الأساتذة وطلبة قسم علم المكتبات، وعلى جهده الشخصي في فهرسة بعض الخزائن والمكتبات.

ولكني أقول أيضا: إن أخي وزميلي الدكتور مختارحساني في هذه التقدمة التي غطت من الكتاب (43) صفحة جاء عمله مضطربا غير دقيق في عرضه وصياغته، بل انعدم فيه التوثيق العلمي، باستثناء أربعة هوامش وظفها حين عرَّف المخطوط، وهو ما يجعلنا لا نطمئن لصحة ما ذكره من مادة علمية في الكتاب عامة.

أما عناصر البطاقة التوصيفية التي اعتمدها فهي: المؤلف، العنوان، الموضوع، البداية، النهاية، عدد الأوراق، المقياس، تاريخ النسخ، الخط، مكان النسخ، لون الحبر، عناوين أخرى للمخطوط، الحالة المادية للمخطوط (وضعية المخطوط)، المصادر.

وهذه العناصر لم تُراع في كل المخطوطات المفهرسة.

وقد بلغ مجموع المخطوطات المفهرسة في هذا الجزء (491) مخطوطة، ولأن منهجه غير سليم في عرض المخطوطات المفهرسة، وفيه خلط في مجالاتها المعرفية، رأيت أن أقدمها في هذاالجدول حسب حقولها المعرفية التي ذكرها،وذلك لتقريب مضمون الفهرس للقارئ[1]:

(1) سأعرض مخطوطات الأجزاء الأخرى عبر جداول مماثلة.

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية[1]	ملاحظات
1	مخطوطات المكتبة الوطنية	151	تر، تص، فق، نح، عك، تو، قر، أد، تر، بل، فل، من، سي، تف، حد، نو، تأ	خلط في الحقول
2	مخطوطات وزارة الشؤون الدينية	74	قر، حد، فق، عق، من، تو، فر، قض، حس، تأ، قض	خلط في الحقول
3	المركز الثقافي لولاية غليزان	8	تو، تص، تف، أد، سي	خلط في الحقول
4	زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة	9	تص، تو، عق، قر	خلط في الحقول
5	خزانة الشيخ محمد العابد السماتي	1	فق	/
6	خزانة سيدي خالد من قرى سيدي خالد	2	أد، لغ	/
7	خزانة فريطس بلقاسم مسعد- ولاية الجلفة	6	تص، غق، طب، قر، تأ	خلط في الحقول
8	خزانة جمعية أمجاد الجلفة - ولاية الجلفة	5	فق، قر، عق، تص	خلط في الحقول
9	خزانة الشيخ عبد القادر العثماني	2	تر	/
10	خزانة الشيخ أبي صالح العثماني	5	قر، فق، حد	خلط في الحقول
11	خزانة قصر الصبيحي للشيخ الهادي	6	فق، تص، قر، من	خلط في الحقول

([1]) دللت على الحقول الدلالة التي تشملها المخطوطات المفهرسة بالرموز التالية طلبا للاختصار:
تف: التفسير، قر: علوم القرآن وقراءاته، تص: التصوف، نو: النوازل، ر: رحلات، عس: علم النفس، عك: علم الكلام، ت: التربية، س: السياسة، تو: التوحيد، عق: العقيدة، ح: الحديث، حس: الحساب، نح: النحو، خط: الخطب والمواعظ، مد: مدائح،فس: فلسفة، صن: صناعة، تأ: التاريخ، سي: السيرة، تر: التراجم والأنساب، قض:القضاء، فر: الفرائض، فل: الفلك، من: المنطق، أد: الأدب، بل: بلاغة، لغ: اللغة، فق: الفقه، جغ: جغرافية.

12	خزانة الشيخ عبد الحميد بن باديس ببوسعادة	1	سيرة	/
13	خزانة الشيخ الزيديري	2	فل، حد	/
14	خزانة عبد القادر بن علي بن محمد ابن منير الشريف الهاملي	43	أد، لغ، تص، قر، قض، فر، سي، حد، عق، تأ، طب، مد، تص، صن	خلط في الحقول
15	خزانة بني ورتلان	23	خط، تأ، فق، ر،عك، تف، قض، تص، مد	خلط في الحقول
16	خزانة زاوية الهامل	55	قر، تأ، ر، تص، عق، من، فل	خلط في الحقول
17	مخطوطات بني الميهوب	82	تر، تص، طب، حس، فر، فل، فق، عق، نح، أد، من، بل، قر، فس	خلط في الحقول
18	خزانة الشيخ البشير محمودي – البرج ولاية أمعسكر معسكر	16	صي، من، عق، فق، فل، أد	خلط في الحقول
	المجموع العام			491

ومما يحسن التنبيه إليه هنا أيضا هو أن ا المؤلف خالف قواعد الفهرسة مخالفة لا يمكن تبريرها، فتتبع أخي القارئ معي فهرسته للمخطوط الوحيد الذي ذكر في الخزانة رقم (12)، فقد فهرسه على النحو التالي:

[المؤلف: مجهول، العنوان: كتاب سيرة ذي القرنين، الناسخ: المكي بن أبي العباس بن عبد الله أبو سعدي، تاريخ النسخ: 1329هـ، المقياس:20×22سم].هذا كل ماذكره في توصيف المخطوط، وهو أمرمحير، إذْ كيف يتمكن الباحث عن نُسخ المخطوط الذي يحققه من التأكد من أن ما أشار إليه الدكتور مختار حساني في فهرسته هو نسخة مما يبحث عنه، فهذا المسلك يجعلنا لا نطمئن لصحة الفهرسة التي أنجزها، وسو ف تأتي أمثلة أخرى لطريقة التوصيف التي أخذ بها في الكتاب عامة، كما خلط أيضا خلطا كبيرا في تصنيف حقول المخطوطات الموصوفة.(ينظر ص: 235، 237).

ومن غرائب هذا العمل المستعجل ما ذكره بشأن زاوية الهامل المفهرسة تحت الرقم المذكور أعلاه (16)، إذ عمله لا يعكس حقيقة مخطوطات الزاوية، فهذه الزاوية أُنجز لها فهرست وطبع في دار الغرب الإسلامي، وهو موصوف في هذا الكتاب، وما ذكره المؤلف هنا لا يرقى إلى الفهرسة الفنية المطلوبة البتة شكلا ومضمونا.

وكذلك ما ذكره بشأن زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة رقم (4) في الجدول أعلاه، إذْ ذكر أن عدد مخطوطاتها (9) وحقولها المعرفية (4)، وهو خطأ جسيم، وتشويه للحقيقة العلمية، فالزاوية أعددت لها فهرسا، وعدد مخطوطاتها يزيد عن (400) مخطوطة،وفيها مختلف حقول المعرفة العلمية.وقد أشرت إليها في عدد من المقالات التي نشرتها حول مراكز التراث المخطوط في الجزائر، وهو على علم بها، فلا أدري كيف وقع في هذا الخطأ الجسيم.

الجزء الخامس: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية: ويقع في (319)، وعنوانه الفرعي: فهرس مخطوطات علماء الجزائر بالخزائن الوطنية "الجنوب"، وهو الباب الثاني من الأجزاء الخاصة بالفهارس، وعنوان الباب: (الخزائن الجزائرية في المناطق الجنوبية).

وقد فهرس فيه (23) خزانة، ومنهجه فيه لا يختلف عما سبق ذكره في الجزء الرابع السابق، وهي تشمل حقول معرفية مختلفة، لكنها تتفاوت من حيث حقولها، وعدد المخطوطات التي تحتفظ بها، وقد حاولت حصرها أيضا في الجدول التالي:

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	خزانة طولقه	53	فق، تف، حد، عق، نو	خلط في الحقول وخطأ في العدد
2	خزانة مخطوطات مجموعة بلقاسم ضيف	50	عق، قر، فق، قض، تف، نو، لغ، أد، من، جغ، حد،	خلط في الحقول
3	مخطوطات خزائن وادي ميزاب(مكتبة الاستقامة)	20	نو، من، لغ، تأ	خلط في الحقول
4	مكتبة إروان التلاميذ بالعطف	22	فق، عق، نو، تر	خلط في الحقول
5	مكتبة القطب ببني يزقن	79	فق، عق، قر، بل، لغ، أد، ر، تف	خلط في الحقول
6	مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى	70	قر، عق، حد، تف، نو، فق، نح، من، تأ، فل، أد	خلط في الحقول
7	مخطوطات مكتبة الشيخ عمي موسى	6	عق، قر	/

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
8	مخطوطات الخزانة العامة	129	تف، حد، عق، فق، نح، من، أد، مو، تص، نو	خلط في الحقول
9	مخطوطات مكتبة محمد ابن أيوب الحاج سعيد الخبورات	36	فق، عق، نح، تأ	خلط في الحقول
10	خزائن ولاية أدرار(خزانة كوسام)	38	فق، تص، قر، حد، من، لغ، تو	خلط في الحقول
11	خزانة زاوية كنته بمدينة أقبلي – أدرار	8	فق، تو، فر، قر، لغ، تص	خلط في الحقول
12	خزانة مطارفة دائرة أوقروت– أدرار	3	تو، لغ	
13	خزانة المطارفة أدرار	20	تص، حي، قر، فق، بل، نول، عق، تأ، فر	خلط في الحقول
14	زاوية باحو – رقان	6	حس، فق، لغ، عر، بل	/
15	خزانة زاوية بالعالم محمد باي – أولف	9	قر، تو، فق، نح، عق	خلط في الحقول
16	الخزانة البكرية	3	نو، فق	/
17	خزانة ملوكة	22	لغ، نو، عر، من	خلط في الحقول
18	خزانة أولاد ابراهيم	6	ف، نو	/
19	خزانة التنلاني	14	ر، نح، عق، تر	خلط في الحقول
20	خزانة تاسبيت – ولاية أدرار	33	لغ، فق، نو، عق، من، فر، عر، سي، تص	خلط في الحقول
	المجموع			628

وهذا الجزء شابته أيضا نواقص كثيرة كسابقيه.وعلى سبيل المثال ذكر أن زاوية طولقة تحتفظ (53) مخطوطة، وفيها خمسة حقول معرفية فقط، والصواب: مخطوطاتها تفوق الألف مخطوطة، وتشمل جل الحقول المعرفية والفنية، حسب ما وقفت عليه في زياراتي المتعددة إليها.

الجزء السادس: فهرس المخطوطات خارج الجزائر: ويقع في (326) صفحة، وعنوانه الفرعي (فهرس

المخطوطات خارج الجزائر)، وهو الباب الثالث من الأجزاء الخاصة بالفهارس، وعنوان الباب: (الخزائن العربية ببلاد المشرق والمغرب العربيين)، والعجيب أن هذه الجزئية تقع في (14) صفحة، ومكانها الحقيقي الجزء السابع الآتي الخاص بالمخطوطات في المملكة المغربية، ومن هذه الخزائن والمكتبات:

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية العربية السورية (خزانة الأسد)	66	جغ، حد، أد، ر، تأ، فق، تص، فل، قر، تو	خلط في الحقول
2	المخطوطات الجزائرية بالمملكة العربية السعودية (مخطوطات المسجد النبوي)	28	قر، حد، فق، نو، تص	خلط في الحقول وخطأ في الإحصاء
3	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية العراقية (مكتبة الأوقاف بغداد)	17	عق، تر، أد، فق، من	خلط في الحقول
4	مخطوطات الدراسات العليا (جامعة بغداد)	16	من، أد، لغ، تأ	خلط في الحقول
5	المخطوطات الجزائرية بالجمهورية التونسية(مكتبة حسن حسني عبد الوهاب)	25	تف، عق، تص، قر، نو، من، أد، سي، فر،	خلط في الحقول
6	مكتبة الأحمدية بتونس (جامع الزيتونة)	97	لغ، تأ، تر، أد، نو، عق، فق، تو، تص، تف، سي، من، حد	خلط في الحقول
7	مكتبة دار الكتب الوطنية	34	فق، تص، لغ، فل، من، سي	خلط في الحقول
8	خزانة حسن حسني عبد الوهاب (بتونس)	32	تص، عق، فق، أد، تر، طب	خلط في الحقول
9	المخطوطات الجزائرية بالجماهيرية العربية الليبية (مخطوطات مركز الجهاد بليبيا)	43	عق، تص	خلط في الحقول
10	المخطوطات الجزائرية بخزائن موريتانيا (خزانة شنقيط)	25	عق، من، فق، عر، بل	خلط في الحقول

الرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
11	خزانة زاوية بالعالم محمد باي أولف[1]	75	قر، من، تف، فق، عق، تص، قض، لغ، نو، عر، تو، س، أد، تر	خلط في الحقول
12	المخطوطات الجزائرية في خزائن المملكة المغربية (الخزانة العامة)	13	عق، من، فر، عس، حد	خلط في الحقول
	المجموع			417

وفي هذا الجزء أيضا أخطاء وأوهامكثيرة، فمثلا ذكر أن مكتبة الأسد تحتفظ ب(66) مخطوطة، لعلماء جزائريين، والحقيقة غير ذلك، فقد أعد طالب بقسم المكتبات في جامعة قسنطينة مذكرة تخرج، فهرس فيها مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ومخطوطات بعض الأعلام الجزائر الجزائريين، أحصى فيها (223) مخطوطة، منه(182) مخطوطة للشيخ طاهر والباقي للعلماء الآخرين، وتتوزع جميعها على (19) مجالا معرفيا، في حين يذكر المفهرس أن مكتبة الأسد (تحتفظ ب(66) مخطوطة، تتوزع على عشر مجالات معرفية .

والأشنع من ذلك ماذكره بشأن المخطوطات الجزائرية الموجودة في المملكة العربية السعودية، فقد ذكر أن مكتبة المسجد النبوي تحتفظ ب (28) مخطوطة، وسكت على ماتحتفظ به المكتبات الجامعية، ومكتبة مركز الملك فيصل، وغيرهاكثير، إذا تصل فيها المخطوطات الجزائرية الخطية الأصلية أو المصورة المئات.

فأين نحن من الحقيقة العلمية في ضوء هذا التخليط والتغليط، ومجانبة المنهج العلمي والأمانة العلمية ؟ ماذا يقول أبناؤنا الطلبة الذين نعلمهم أصول البحث العلمي ونطالبهم بتوخي المنهجية والأمانة والصدق، عندما يقفون على الحقيقة في مثل هذه الأحوال؟.إنه أمر عجيب ومحير !.

الجزء السابع: فهرس المخطوطات خارج الجزائر: ويقع في (334) صفحة، وعنوانه الفرعي (فهرس المخطوطات خارج الجزائر)، وهوتتمة للباب الرابع الذي ورد في آخر الجزء السادس، وعنوانه (خزائن المملكة المغربية).

[1] هذه الخزانة يُفترض أن تصنف ضمن مخطوطات الجزائر في الجنوب. وهذا مظهر من مظاهر الخلط الذي شاب هذا الفهرس عامة.

لرقم	الخزانة (المكتبة)	عدد المخطوطات	الحقول المعرفية	ملاحظات
1	فهرس مخطوطات علال الغازي (المملكة المغربية)	39	تف، عق، فق، تص، نح، تأ، فل، أد	خلط في الحقول
2	المخطوطات الجزائرية بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازا	34	عق، تص، فق، نح، نو، تف	خلط في الحقول
3	المخطوطات الجزائرية بخزانة مسجد القرويين	15	فق، سي، تص، قر، حد	خلط في الحقول
4	مخطوات خزانة الحسنية	32+20نسخة مكررة	تر، تأ، فل، من، طب، ت	خلط في الحقول
5	المخطوطات الجزائرية بالمكتبة العامة (تيطوان)	57	أد، تص، تف، فق، س، طب، فر، فنون، ت، حد، فل، عق،من	خلط في الحقول
6	مخطوطات بخزانة ابن يوسف المراكشي	26	تر، فق، حد، تص، تو، قر، عق، من، عر	خلط في الحقول
7	مخطوطات الجامع الكبير (مكناس)	7	عق، فق، تف، قر، تص	خلط في الحقول
8	مخطوطات خزانة انغملت (بني ملال)	38	فر، عق، تص، تو، فر، من، حد، فل، نح، تف، أد، سي	خلط في الحقول
9	مخطوطات خزانة تامكروت	35	وعظ، من، تص، قر، فر، لغ	خلط في الحقول
10	فهرس مخطوطات خزانة القرويين	112	تف، قر، سي، تص، عق، تأ، تو، تر، من، فل، حس، س، فق، حد، قض، نو، نح، قر، طب، أد، ت	خلط في الحقول
	المجموع			454

لقد قرأت الكتاب فهالني ما فيه من مخالفات منهجية وعلمية وأسلوبية، وكتبت عنه ما يقابل جزء ا من أجزائه السبعة، وخلصت إلى أن إقدام المؤلف على طبع هذا الكتاب في صورته الحالية خطأ جسيم في حق تراثنا، لأنه مسخ وشوّه الحقائق العلمية، وخالف قواعد منهج البحث العلمي، فإعدامه من المكتبات أولى من إبقائه فيها، لكي لا ينتقل الخطأ إلى الأجيال المتعاقبة.

قد يكون حكمي على الكتاب قاسيا، أعرف مؤلفه وأعلم ظروفه، ولكن السؤال الكبير الذي يطرح في هذا المقام هو: كيف تأتى للدكتور مختار حساني تأليف هذا الكتاب في سبعة أجزاء، وهو مدونة عن التراث الجزائري المخطوط الموزع في دور العلم المختلفة، في الداخل وفي الخارج –كما جاء في عنوان الكتاب –معرفة هذه المخطوطات ؟ لم يحدثنا عن مصادره ومراجعه ورحلاته –إن كانت ثمة رحلات قام بها، أعلم أنه يرحل كثيرا ورحلت معه إلى تندوف وإلى أدرار.الكتاب لم توثق مادته، ومعلوم عند أهل الاختصاص، بل وتعلم طلبتنا أن المادة العلمية التي نستدل بها على صحة ما نذهب إليه في أبحاثنا لاقيمة لها ما لم تُوثَّق، فكيف نطمئن إلى سلامة ماجاء في الكتاب في غياب التوثيق العلمي ؟ نعم وظف هوامش في الأجزاء الثلاثة الخاصة بالأحداث التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية التي وردت في النصوص المحققة، (وهي مشوهة عن طريق التحريف)، وقد ذكر بعض المصادر والمراجع، ولكننا لانجد لها أثرا في الكتاب، بل الأجزاء الأربعة الأخيرة خالية من التوثيق.فهذا المسلك مخالف لقواعد البحث العلمي، وتراثنا الغني والمتنوع والمتميز يحتاج منا إلى وقفة وحملة نوعية تميط اللثام عنه، لاطمسه من جديد وإحكام الغلق عليه.

وأخيرا أقترح على أخي وزميلي الدكتور مختار حساني أن يُعيد النظر في الكتاب بالاستعانة ممن لهم دراية بعلم المخطوطات وفن الفهرسة، وإخراجه بما يليق بمضمونها، وبمن أنتجها، وبمن حفظها من عاديات الزمن، ليصدق فينا قوله تعالى: "ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلمؤا إن الله عزيز غفور" فاطر: ٢٨.

المصادر والمراجع

– تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري (16–20 م): د.أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ-1981م.

– تاريخ الجزائر الثقافي- تسعة أجزاء-: د.أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:1، 1998م.

– التجارب العربية في فهرسة المخطوطات: تنسيق وتحرير: فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1998م.

– التراث الجزائري المخطوط في الجزائر والخارج: د.مختار حساني، منشورات الحضارة، الطبعة الأولى، 2009م.

- تقرير حول المخطوطات في الجزائر: د.عبد الكريم عوفي، بحث ألقي في الاجتماع الثاني للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي في القاهرة، يومي 18-1996/12/19م.(مخطوط على الحاسوب).

- فهرس مخطوطات المكتبة القاسمية: محمد فؤاد الخليل القاسمي الحسني، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1427هـ/ 2006م.

- مراكز المخطوطات في الجزائر" أماكنها ومحتوياتها": د.عبد الكريم عوفي، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، المجلد: 39، الجزء: 1، القاهرة، 1416هـ- 1995م.

- من مراكز المخطوطات في الجزائر « زاوية الشيخ الحسين بسيدي خليفة نموذجا »: د.عبد الكريم عوفي، (مخطوط على الحاسوب).

- مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ومخطوطات بعض الأعلام الجزائريين في مكتبة الأسد الوطنية السورية "دراسة وصفية تحليلية " (مذكرة ليسانس في علم المكتبات): عبد الغني عبد الرزاق، معهد علم المكتبات، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1995م.

التراث الجزائري المخطوط
في الجزائر و الخارج

الجزء الأول

تاريخ الجزائر من خلال المخطوط

(كتاب الشهاريخ نموذجا)

تحقيق
د. مختار حساني

منشورات الحضارة

التراث الجزائري المخطوط
في الجزائر و الخارج

الجزء السابع

فهرس المخطوطات خارج الجزائر

تحقيق
د. مختار حساني

منشورات الحضارة

نظرات في فهرسة المخطوطات العربية –الذخائر الشرقية لكوركيس عواد نموذجا–

الدكتور فشار عطاءالله

أ.هزرشي عبد الرحمان

جامعة زيان عاشور بالجلفة. الجزائر

مقدمة

إن الحركة الشاملة والنهضة السريعة التي يشهدها عالم المعرفة والثقافة، استدعت استخدام أفضل الطرق والأساليب التي تساهم في بلوغ المرام بأقصر مدة وعلى غاية من الكيفية والمتانة.وتعد عملية الفهرسة من المحاور المهمة والأساسية التي تختزل زمن البحث والتحقيق إلى أدنى حدوده من خلال تيسير مهمة التنقيب المكتبي في المصادر والمراجع القريبة.

وأصبحت الفهرسة من الأركان والملازمات التي يستفاد منها في كل زمان ومكان ويستعان بها في كل مجال، لذلك يسرت للباحثين سرعة التعريف بآثار ومصنفات علماء وشخصيات ومتون وأماكن ومواد علمية كانت خافية وبعضها مجهولة تماما.

لقد عرف العرب الفهرسة منذ تأسيس المكتبات بداية من العصر الأموي إلى العصر العباسي وبعد انتشار المكتبات في الأندلس وفي عهد الأغالبة في المغرب وقد كانت تسجل في تلك الفهارس أسماء الكتب في علوم القرآن والحديث وكتب الفقه والطب واللغة والنحو وغيرها لقد بقيت بعض من هذه الفهارس كفهرس بيت الحكمة في بغداد التي تعود إلى القرن الثاني الهجري[1]

ثم شاع استعمال الفهارس في القرن الرابع الهجري للمكتبات العامة والخاصة كفهرس الحكم المستنصر الأموي الذي ولي قرطبة سنة 350 هـ، ومما بقي من تلك الفهارس فهرس مكتبة الجامع الكبير بالقيروان مؤرخ سنة 693 هـ، وقد كانت تلك الفهارس ترتب عناوين الكتب على حروف الهجاء ويكتب المؤلف وعدد النسخ إن وجد[2].

ومن أهم ما اهتموا به الجوانب الفنية للكتب من ناحية أنواع الخطوط وأسماء الخطاطين وأنواع الأقلام والأحبار وألوانها إلى غير ذلك فكانت فهارسهم تمثل الجانب الوصفي للكتاب.

وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأاهتمام الأوربيين بالمخطوطات العربية وفهرستها فظهر أول فهرس للمخطوطات العربية على يد الراهب اللبناني أسطفان عواد السمعاني سنة 1742 م، ثم فهرسة الفاتيكان سنة 1756 م ثم توالت الفهارس الأوربية بعد ذلك، وتهتم هذه الفهارس بذكر اسم الكتاب ومؤلفه وعدد أوراقه وموضوع الكتاب ورقمه في المكتبة واسم الناسخ وتاريخ النسخ كفهرس مخطوطات مكتبة دبلن بهولندا وتضيف

بعض الفهارس بداية المخطوط ونهايته ونوع الخط وعدد السطور في الورقة ومصدر شراء المخطوط كفهرس مخطوطات مكتبة غاريت بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية[3].وبعضها يزيد في التفصيل فيذكر أبواب المخطوط ويتوسع في ذكر بداية الكتاب ومثاله فهرس مخطوطات برلين.

ولقد بدأت الفهرسة في عصرنا الحالي تتجه إلى التوسط والاعتدال في ذكر أوصاف المخطوط على اعتبار أن الهدف من الفهرسة هو التعريف بمكان وجود المخطوط وتحديد الأوصاف التي تميز الكتب والنسخ عن بعضها دون التحليل أو التفصيل الذين لهما مجال بحث آخر.

المبحث الأول: الفهرسة ومناهجها

الفهرسة هي إنجاز المادة الأساسية عن المخطوطة كبيان اسمها (عنوانها) واسم مؤلفها وسنة وفاته وبداية المخطوطة ونهايتها وعدد أجزائها وأوراقها وعدد سطور أوراقها وقياس أوراقها واسم ناسخها وتاريخ نسخها ومكانه ونوع الخط وذكر التملكات والسماعات والإجازات المثبتة عليها وبيان موضوعها وذكر المصادر التي توثق اسم المخطوطة وتنسبها لصاحبها " مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها[4].

يعتبر فهرسة المخطوطات أهم عمل يجب أن ينجز لخدمة المخطوط، فدراسة المخطوط وتحقيقه لا يمكن أن تتم إلا بوجود فهرسة أي تعريف بالمخطوط وتاريخه وموضوعه وغير ذلك من المعلومات التي تسبق مرحلة التحقيق.

وللفهرسة لها ثلاثة مناهج:

منهج الاختصار: وفيه الحد الأدنى من العناصر التي تذكر في الفهرسة عنوان المخطوط، واسم المؤلف، ونوع الخط، وتاريخ النسخ،واسم الناسخ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة، وطول المخطوط وعرضه، وتحديد المجلد إذا كان جزءا من كتاب، والمكتبة التي يوجد فيها المخطوط.

منهج المعتدل: وهو ما يزيد فيه المفهرس شيئا من التفصيل لتلك العناصر التي ذكرناها، ومن أهم ما يضاف في هذا المنهج بداية المخطوط ونهايته كما يضيف المفهرس هنا تاريخ وفاة المؤلف أو عصره، ومكان النسخ.

منهج الفهرسة التحليلية: وهنا يبين المفهرس إضافة للعناصر السابقة بيانا تفصيليا لمواد وأبواب المخطوط، بحيث يخرج عن مجال الفهرسة إلى مجال البحث والتحليل، هذا إلى جانب ما يأخذه هذا العمل من جهد ووقت وأموال.

عناصر الفهرسة:

1- عنوان المخطوط: يجب ذكر عنوان المخطوط كما ورد في صفحة العنوان صحيحا، وللتأكد يمكن قراءة المقدمة لأن المؤلفين درجوا على ذكر عنوان الكتاب في المقدمة، وأحيانا نرى الناسخ يكتب العنوان في نهاية الكتاب بقوله: أنجز كتاب كذا أو تم نسخ كتاب كذا، ويمكن التأكد من العنوان بالرجوع إلى المصادر التي توضح

أسماء الكتب مثل الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون لحجي خليفة...وغيرها كما يمكن الرجوع إلى كتب التراجم والطبقات.

2- اسم المؤلف: يجب ذكر اسم المؤلف كاملا، وكنيته ولقبة وشهرته، ونكتبه كما وجد في المقدمة بعيدا عن ألفاظ التعظيم والتفخيم، ويمكن الرجوع إلى المصادر للتأكد من نسبة الكتاب لصاحبه كالأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة، وهناك خلاف في كتابة اسم المؤلف هل يبدأ بالكنية أو اللقب فالمستشرقون يبدأون باللقب ثم الكنية، في حين يفضل المفهرسون العرب البدء بالكنية حتى لا يفصل بين الاسم واللقب[5]، كما لا بد من ذكر سنة وفاة المؤلف بالهجري أة بالميلادي.

3- بداية المخطوط:وهي المقدمة التي يبدأ بها الكاتب مؤلفه، مع الإشارة إلى استبعاد البسملة والحمدلة، والهدف من ذكر فاتحة المخطوط أن نعرف الجمل التي بدئ بها الكتاب والهدف الثاني هو التأكد من صحة اسم المخطوط والمؤلف، ومعرفة منهج التأليف وأسبابه.

4- نهاية المخطوط: وهي الجمل التي انتهى بها الكتاب التي تسبق تاريخ النسخ واسم الناسخ، لنؤكد أن المخطوط كامل وليس منقوصا كما يفيدنا في معرفة سنة النسخ.

5- أجزاء المخطوط: يجب ذكر الجزء أو الأجزاء التي يفهرسها، ويميز بين الأجزاء، ويذكر الباب أو الفصل الذي يبدأ به الجزء ويبين نهاية الجزء كذلك.

6- عدد الأوراق: ويجب على المفهرس أن يذكر عدد الأوراق، ويحسب بالأوراق لا الصفحات.

7- عدد الأسطر في الصفحة: وينبغي ذكر عدد الأسطر في الصفحة الواحدة فإذا لم تكن متساوية فيذكر أنها تقع بين كذا وكذا

8- قياس الصفحات: ومما ينبغي الإشارة إليه قياس الصفحات طولا وعرضا.

9- نوع الخط وألوان الحبر: ومعرفة نوع الخط مهمة للمفهرس فبذلك يمكنه الإشارة إلى نوعية الخط الذي كتب به المخطوط، وإذا تغير الخط يجب الإشارة إلى ذلك كما إذا تعدد النساخ في النسخة الواحدة، ويشير إلى الخط إن كان مقروءا أو غير مقروء، كما يشير إلى النسخة إذا كانت بخط المؤلف أو كتبت في عصره، وإذا كان الحبر بلون واحد أو عدة ألوان فيشير إليها، ويذكر إذا كانت العناوين بلون مختلف، أو إذا كان المتن بلون والشرح بلون مخالف.

10- اسم الناسخ: يعتبر اسم الناسخ وصفته من الأمور المهمة التي ينبغي الإشارة إليها كما إذا كان قاضيا أو عالما أو خطاطا مشهورا ونعرف ذلك من كتب التراجم.

11- تاريخ النسخ ومكانه: ويكتب تاريخ النسخ ومكانه باليوم والشهر والسنة كما هو مكتوب في المخطوط، وقد يكون المخطوط غير مؤرخ فيستنتجها المفهرس من خلال ما كتب عليها من تمليكات أو توقيفات أو سماعات، كما يستشفها من خلال نوع الخط، فإن كل عصر قد عرف بخط معين[6].

12– الغلاف: يستطيع المفهرس أن يذكر ما على الغلاف من زخرفة أو تذهيب أو نقوش فنية والتي من خلالها يستطيع تحديد عمر المخطوط[7].

13– مصدر المخطوط: فيبين المفهرس مصدر المخطوط كأن يكون بشراء أو وقف أو هبة أو نقل من مكتبة معينة، وإذا كانت قد نقلت من مكتبة أخرى ينبغي الإشارة إلى رقم المخطوط القديم لتعين الباحث في معرفة النسخة التي يبحث عنها.

14– ذكر التملكات والسماعات والإجازات:

ويمكن تسجيل الملاحظات العامة كحالة المخطوط إن كانت جيدة أو رديئة بسبب ما تعرض له من عوامل طبيعية كالرطوبة مثلا أو الحرارة، وما بها من طمس أو محو لبعض الكتابة، ويمكن معرفة نقص الأوراق من خلال التعقيبة وهي الكلمة التي تكتب في نهاية الصفحة ليشار بها إلى بداية الصفحة التي تليها، ويذكر من جملة الملاحظات إذا كانت النسخة مصححة ومن صححها أو قرئت على المؤلف، أو إذا كانت بها هوامش وتعليقات، ويذكر ما قد يطرأ عليها من تملكات وأسماء المالكين، وما عليها من إجازات وسماعات وتواريخها وأسماءهم.

15– مصادر عن المخطوط ومؤلفه:

ويجب على المفهرس ن يشير إلى المصادر التي أخذ منها وتحقق منها من اسم المؤلف وسنة وفاته أو عنوان المخطوط أو نسبته إلى مؤلفه دون إسهاب في ذلك بل يكتفي بالضروري فقط[8]

المبحث الثاني كوركيس عواد حياته وآثاره

ولد في ناحية القوش بمحافظة نينوى سنة 1908 هذه الناحية التي دخلت التاريخ من أبواب عديدة منها ما تشتهر به من أديرة كدير الربان هرمز، ومنها ما يتصل بطبيعة أهلوها الجبلية.وقد تحدث كوركيس عواد لمجلة التضامن في عددها الصادر في 18 شباط 1984 عن دراسته وذكرياته في الموصل مطلع القرن الماضي فقال: " كانت مدينة الموصل محدودة النظافة لا إنارة..لا إسالة للماء كان السقاءون يحملون قراب الماء من نهر دجلة ويأتون بها إلى البيوت..كنا نعتمد في الإضاءة على الفوانيس والشموع وبهذا كنا نفضل ونحن صغار على الدراسة نهارا وعدم تأجيل الواجبات المدرسية إلى الليل حيث نضطر للقراءة على ضوء الشمعة والفانوس.".. وأضاف: "كانت المدارس تعد على أصابع اليد...الطلاب قليلون الطرق غير معبدة والكتب غير متوفرة كانت الأمية هي الغالبة بحيث أن الرسالة التي كان يستلمها احدهم تطوف سبع أحياء سكنية من اجل العثور على من يستطيع قراءتها لكن الوضع تبدل بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى1918،وعرفت المدن طعم المدارس،وازداد الطلاب والمعلمين وكان الطالب الذي يتسنى له إنهاء الدراسة الثانوية يعين في الحال معلما ويصبح عندئذ موظفا مرموقا في الدولة.

أصبح كوركيس عواد معلما بعد تخرجه من دار المعلمين في بغداد، وعين في بعشيقة المشهورة بزيتونها لكن الأستاذ ساطع الحصري مدير المعارف العام أراده أن ينتقل إلى دائرة الآثار بعد أن وجد بان له اهتمامات اثارية.اتجه نحو الترجمة والتحقيق وأحب الجغرافية واشترك بالمجلات العالمية وبدا رحلة الكتابة والنشر سنة 1931

عندما أرسل مقالة إلى مجلة النجم (الموصلية) التي كان يصدرها المطران سليمان الصائغ مؤلف كتاب تاريخ الموصل الذي يقع في 3 أجزاء وبعد فترة وجد مقالته منشورة وكان فرحه ليوصف، فازدادت ثقته بنفسه وانصرف إلى الكتابة.

كان كوركيس عواد عضوا في عدة مجامع علمية منها المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بدمشق ومجمع اللغة العربية بعمان –الأردن ومجمع اللغة في الهند[9].

ألف عنه الباحث العراقي الموسوعي الأستاذ حميد المطبعي كتابا نشرته دائرة الشؤون الثقافية سنة.كما كتب عنه أستاذنا الدكتور عمر الطالب في موسوعته الشهيرة: "موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين" قائلا[10]: ولد كوركيس حنا عواد في الموصل عام 1908، وجاءت شهرة"عواد" لأن والده نجاراً اشتهر بصناعة الآلات الموسيقية ولا سيما العود، تلقى تعليمه في مدارس الموصل، ثم دخل دار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج فيها عام 1926، وأمضى في التعليم عشر سنوات حتى عام 1936حين عين أميناً لمكتبة المتحف العراقي، وبقي في وظيفته تلك حتى أحيل على التقاعد عام 1963 بناء على طلبة، تسلم مكتبة المتحف وفيها (804) مجلدات، وتركها ورصيدها ستون ألف مجلد.واشتغل في الأمانة العامة لمكتبة الجامعة المستنصرية 1964-1973..اجتاز دورة مكتبية في جامعة شيكاغو عام 1950 وفي أواخر عهده بالوظيفة تولى إدارة مكتبة الجامعة المستنصرية، وكانت قفراء وحينما تركها ناهزت محتوياتها مائة ألف مجلد،تجاوزت مقالاته الأربعمائة مقالة في التاريخ والبلدان والآثار والتراث العربي، وبرز بشكل خاص في فهرسة الكتب.

ومن كتبه:

1-أثر قديم في العراق/ دير الربان هرمز بجوار الموصل 1934.

2-دليل خرائب بابل وبورسيبا (ترجمة) تأليف يوليوس يوردان 1937.

3-العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه (ترجمة) بالاشتراك مع الاستاذ بشير فرنسيس 1944.

4-رسائل احمد تيمور إلى الأب انستاس الكرملي (تحقيق) بالاشتراك مع أخيه الاستاذ ميخائيل عواد 1947

5-خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ألف هجرية 1948

6-الديارات (تحقيق) للشابشتي 1951.

7-جولة في دور الكتب الأمريكية 1951.

8-بلدان الخلافة الشرقية تأليف لي لسترنج (ترجمة) بالاشتراك مع الاستاذ بشير فرنسيس 1954.

9-المكتبات العامة والخاصة في العراق 1961 (فصل طبع ضمن كتاب دليل الجمهورية العراقية)

10-جمهرة المراجع البغدادية بالاشتراك مع الاستاذ عبد الحميد العلوجي 1962.

11-مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية تأليف ظهير الدين الكازروني (تحقيق) بالاشتراك مع أخيه ميخائيل عواد 1962.

12-المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين 1965.

13-التفاحة في النحو لابن جعفر النحاس النحوي (تحقيق)1965.

14-فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس ببغداد 1966.

15-الأب انستاس الكرملي، حياته ومؤلفاته 1966.

16-تاريخ واسط تأليف اسلم بن سهل الرزاز الواسطي (تحقيق)1967.

17-معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر وعشرون ثلاثة أجزاء 1969.

18-المدرسة المستنصرية ببغداد 1954.

19-الاصطرلاب وما ألف من كتب ورسائل في العصور الإسلامية 1957.

20-رسائل احمد تيمور إلى الأب انستاس الكرملي (بالاشتراك).

21-ابو تمام الطائي، حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية بالاشتراك مع اخيه ميخائيل عواد 1971.

22-الخليل بن احمد الفراهيدي،حياته وآثاره في المراجع العربية والأجنبية بالاشتراك مع اخيه ميخائيل عواد 1972.

23-المساعد، معجم ألفه الأب انستاس الكرملي (تحقيق)بالاشتراك مع الاستاذ عبد الحميد العلوجي 1972، 1976.

24-مراجع المكتبات والكتب في العراق، بالاشتراك مع فؤاد قزانجي 1975.

25-سيبويه إمام النحاة في آثار الدارسين اثني عشر قرناً 1978.

26-الطفولة والأطفال في المصادر العربية القديمة والحديثة 1979.

27-رائد الدراسة عن المتنبي بالاشتراك مع اخيه ميخائيل عواد 1979.

28-مؤلفات ابن عساكر 1979.

29-مصادر التراث العسكري عند العرب- ثلاث مجلدات 1981-1982.

30-أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم منذ صدر الإسلام حتى 500هـ 1982.

31-المراجع عن البحرين 1983.

32-فهارس المخطوطات العربية في العالم 1984.

33-المراجع عن النقيبات الأثرية في العراق 1939-1959 ويقع في 4 أجزاء باللغة الانكليزية.

ومن مقالاته ودراساته وبحوثه: نذكر منها: أقوال ابن خلدون والقلقشندي في النقود 1939، ماسلم من تواريخ البلدان العراقية مجلة المقتطف 1944، الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العربي 1948، ماطبع عن بلدان العراق في اللغة العربية، مجلة سومر 1953-1954، الإسطرلاب وما ألف فيه

من كتب ورسائل في العصور الإسلامية، مجلة سومر 1957، تحقيقات بلدانية تاريخية اثرية في شرق الموصل، مجلة سومر 1961، الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفلكلور العراقي، مجلة التراث الشعبي 1963 طبقة من اعلام بغداد في القرن السابع للهجرة، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد 1963، مشاركة العراق في نشر التراث العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي 1969، المراجع عن اليزيدية، مجلة المشرق 1969، ديارات بغداد القديمة، مجلة اللغة السريانية 1976، ألفاظ الحضارة، مجلة المجمع العلمي العراقي 1978، الديارات القائمة في العراق، مجلة المجمع العلمي العراقي 1982

كما أن له مؤلفات مخطوطة أبرزها:

1. ذكريات ومشاهدات

2-معجم الرحلات العربية والمعربة

3-أدب الرسائل بين عالمي العراق الآلوسي والكرملي

4-النباتات الطبية في مؤلفات القدماء والمحدثين من العرب

5-مصادر الزراعة والنبات عند العرب

6-الطعام والشراب في الآثار العربية المخطوطة والمطبوعة

7-الاصول العربية للدراسات السريانية.

8-تكلمة معجم المؤلفين العراقيين.

9-بغداد في مؤلفات الجغرافيين العرب القدماء.

يعد كوركيس عواد أهم المفهرسين في العراق بلا منازع، وقد حصر جل اهتمامه في هذا المجال.توفي رحمه الله سنة 1992.ويقينا أن ما تركه من منجزات تجعله يحتل مكانة مرموقة ليس في ساحات التاريخ الثقافي في العراق المعاصر وإنما في التاريخ الثقافي العربي والعالمي.

كان يتمتع بقدرات خاصة وصفت بأنها خارقة فهو الوحيد من أبناء جيله الذي استطاع أن يكشف أسراراً كثيرة بالصبر الجميل الذي يستلهمه من هدوء أعصابه حيث يتمتع بأعصاب أقوى من الألغاز ولديه القدرة على حل معضلات الأرقام والرموز في لوائح الفهارس وعلى ضبط الزمن وتوظيفه لصالحه فهو لا يهدر منه أية لحظة والوقت يجري في عينيه كالمغناطيس الذي يجذب المتآلف وينفر من المختلف وحين يطلب منه انجاز عمل سريع يرد بقوله بعد ساعة سيكون جاهزاً بدون أن ينظر إلى ساعة يده.هذه القدرة في القياس الرياضي السيكولوجي منحته دقة تنظيم مشاريعه الكتابية وقد نظم مكتبته الخاصة بحيث جعلها أجمل مكتبة مرتبة على سياق الزمن، إنه شديد الاعتزاز بالزمن حيث تعامل معه بحضارية عالية[11].

منهجية كوركيس عواد في الفهرسة:

يعتبر الأستاذ كوركيس عواد من رواد الفهرسة الذين أضافوا الشيء الكثير للمخطوط العربي، وقد قدم خدمات جليلة للمكتبة العربية من خلال أعماله الكثيرة والنوعية، لقد كان كوركيس عواد علما بارزا من أعلام الثقافة وركنا ركينا من أركان التحقيق والتنقيب، إن الفهرسة تحتاج إلى جلد واجتهاد ومصابرة.

كما أن الفهرسة تحتاج أن يكون المفهرس على معرفة جيدة بالمخطوطات عموما من الناحية الشكلية ومن ناحية المضمون كذلك، وتتطلب أن يكون المفهرس على دراية بمختلف فنون العلم والمعرفة وله تكوين ثقافي وعلمي متعدد ومتنوع التخصصات، وقد توفرت كل هذه الشروط في الأستاذ كوركيس عواد فكانت أعماله عظيمة عظمة الحضارة الإسلامية والتراث الثقافي الإسلامي الذي اشتغل به ردحا من الزمن.

فإذا نظرنا إلى أعماله في مجال الفهرسة فنرى أنه قد اتبع منهجا في الفهرسة معتدلا، فهو لا يميل إلى التطويل والتوصيف إلى درجة يخرج بها عن مجال الفهرسة إلى الدراسة والتحليل، كما أنه لا ينزع إلى الاختصار المخل الذي لا يفي بالغرض المقصود من الفهرسة وهو التعريف بالمخطوط بحيث يسهل على الباحث التعرف على المخطوط والتفريق بين النسخ ومعرفة تاريخ النسخ ليسهل دراسة وتحقيق المخطوط وبالتالي تسهيل الاستفادة من التراث العلمي الموجود في خزائن المخطوطات والمكتبات.

إننا نختار بعضا من فهارسه وهي **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي** المخطوطات التاريخية والمخطوطات الأدبية ومخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة **من كتاب الذخائر الشرقية** جمع وتقديم وتعليق جميل العطية المجلد الرابع التعريف بالمخطوطات وفهارسها فالمخطوطات الأدبية عبارة عن دواوين شعرية وكتب مختلفة في الأدب بعضها له ما يميزه مجموعها 280 مخطوطا أما المخطوطات التاريخية فمنها كتب التراجم والسير والتاريخ عددها 204 مخطوطا أما كتب الصيدلة والطب والبيطرة فتضم 117 مخطوطا[12].

ومما يلاحظ على هذه الفهرسة:

1- اتبع طريقة الإيجاز في وصف المخطوط فيذكر عنوان المخطوط واسم المؤلف واسم الناسخ، وبداية المخطوط ولا يذكر نهايته يبين عدد أوراق المخطوط وعدد السطور في الصفحة، وطول المخطوط وعرضه، ورقم المخطوط في سجل مخطوطات المتحف العراقي ويشر إلى الطبع إن كان المخطوط قد طبع كما يشير إلى المراجع التي ذكرت المخطوط.

2- أحيانا يميل إلى التوصيف والتطويل في وصف المخطوط فحين يذكر أرجوزة في قهوة البن ليحي بن نور الدين العمريطي الشافعي المتوفى سنة 979 هـ 1581 م يذكر عدد أبياتها كما يذكر مطلعها وبعضا من أبياتها....ثم يقول فالراجز يصف تأثيرها السيء في الصحة وينكر استعمالها شرعا[13].

وفي مخطوط الأسباب والعلامات لنجيب الدين محمد بن عمر السمرقندي المتوفى سنة 619 هـ/ 1222 م....يقول: ذكر فيه العلل التي تعرض لبدن الإنسان وبين أسبابها وعلاماتها وأردف على كل نوع بعلاج مجمل نقلا من كتب الطب[14]

وفي أحيان أخرى تجده يميل إلى الاختصار الشديد في وصف المخطوط فيذكر اسم المخطوط ومؤلفه وسنة وفاته وتاريخ نسخه وبعض الملاحظات المهمة فقط كأن يكون المخطوط بخط مؤلفه ففي فهرسة ذخائر التراث العربي في مكتبة جستر بيتي دبلن بإيرلندا يقول: والمخطوطات التي وقع عليها اختيارنا من هذه الفهارس تتناول موضوعات متفاوتة علمية وأدبية........إلى أن يقول: " واقتصرنا فيما أوردناه عن كل مخطوط على ذكر اسم المخطوط واسم مؤلفه ووفاته بالسنة الهجرية وتاريخ نسخه بالسنة الهجرية وبعض ما لابد من التنويه به من مزايا ذلك المخطوط كأن يكون بخط مؤلفه أو تكون نسخته فريدة لا نظير لها في سائر المكتبات المعروفة....[15]".

3- يعتمد عناوين الكتب ويرتبها ترتيبا هجائيا ولا يعتمد على ترتيب أسماء المؤلفين في الفهرسة، لأسباب مختلفة منها أن الكثير من المخطوطات غفل عن أسماء مؤلفيها كما أن كتبا تعزى إلى غير مؤلفيها الحقيقيين[16].

4- يشير إلى طباعة المخطوط إن كان قد طبع معتمدا على معجم المطبوعات العربية ليوسف إليان سركيس وإن كان قد طبع بعد نشر معجم المطبوعات العربية أشار إلى محل طبعه[17]

المصادر التي اعتمد عليها كوركيس عواد:

أشار إلى المصادر التي اعتمدها بقوله وقد رجعنا في إعداد هذا الفهرست إلى كثير من المراجع:

1. كشف الظنون حاجي خليفة
2. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون إسماعيل باشا البغدادي
3. الذريعة إلى تصانيف الشيعة الشيخ آغا بزرك طهران
4. كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار كلكتة
5. مجلة معهد المخطوطات العربية
6. معجم المطبوعات العربية يوسف إليان سركيس
7. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالميلادية
8. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان
9. الأعلام للزركلي
10. تاريخ حكماء الإسلام البيهقي
11. تاريخ الطب لشوكت موفق الشطي
12. تاريخ مختصر الدول لابن العنبري
13. المخطوطات العربية لكتبة النصرانية الأب لويس شيخو
14. فهرس المكتبة الأزهرية

15. عيون الأنباء في طبقات الأطباء

16. الفهرست لابن النديم

ومما يؤخذ على الأستاذ:

1. لم يعتمد طريقة واحدة للفهرسة فأحيانا يختصر وأحيانا يميل إلى التفصيل
2. أحيانا يذكر تفصيلات غير مهمة في الفهرسة في حين يغفل عن بعض النقاط الهامة في الفهرسة كحكاية النسخة أين كانت وأين انتقلت
3. في بعض الأحيان يشير إلى أن المخطوط قد طبع دون أن يبين أين طبع[18].

المراجع:

1. الذخائر الشرقية كوركيس عواد جمع وتقديم جليل العطية دار الغرب الإسلامي
2. ميري عبودي فتوحي فهرسة المخطوط العربي، دار الرشيد،بغداد، 1980
3. عابد سليمان المشوخي، فهرسة المخطوطات العربية، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن
4. مركز جمعة الماجد، صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد أعمال الدورة التدريبية الأولى من 03 إلى 15 ماي 1997.
5. د عبد الستار الحلوجي،المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2002.
6. د صلاح المنجد، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد بيروت،
7. صلاح الدين المنجد، المخطوطات التاريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد وضع كوركيس عواد، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثالث، ماي 1957
8. عصام محمد الشنطي، مناهج فهرسة المخطوط، مركز ودود، الرابط
9. د حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء القاهرة، 1998.
10. د يحي وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي.
11. **http://wadod.net/bookshelf/book/1945**
12. http://www.karemlash4u.com/vb/showthread.php?t=82310
13. **http://ar.wikipedia.org/wiki/كوركيس_عواد**
14. http://www.sotakhr.com/2006/index.php?id=10636

الهوامش

1. د حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء القاهرة 1998
2. يحي وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي

3. عصام محمد الشنطي، مناهج فهرسة المخطوط، مركز ودود.
4. عابد سليمان المشوخي، فهرسة المخطوطات العربية، دار المنار الزرقاء الأردن.
5. عصام الشنطي، مرجع سابق، صلاح المنجد قواعد فهرسة المخطوطات العربية ص 59 وما بعدها
6. صلاح المنجد مرجع سابق ص 59 ومابعدها
7. صلاح المنجد مرجع سابق ص 59 ومابعدها
8. صلاح المنجد مرجع سابق ص 59 ومابعدها
9. ابراهيم خليل العلاف، كوركيس عواد بصمة واضحة في جدار الثقافة العراقية المعاصرة http://www.karemlash4u.com/vb/showthread.php?t=82310
10. كوركيس عواد، الذخائر الشرقية جمع جليل العطية، ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki/كوركيس_عواد
11. فاخر الداغر، كوركيس عواد http://www.sotakhr.com/2006/index.php?id=10636
12. ميري عبودي فتوحي، فهرسة المخطوط العربي، ص 86 . 90.
13. الذخائر الشرقية، ج 4 ص 347.
14. الذخائر الشرقية، ج 4 ص 347.
15. الذخائر الشرقية، ج 4 ص 446.
16. ميري عبودي فتوحي، مرجع سابق، ص 59.
17. ميري عبودي فتوحي، مرجع سابق، ص 90.
18. صلاح المنجد، المخطوطات التاريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد وضع كوركيس عواد، مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الثالث، ماي 1957.

الفهرسة الميسرة بين الإيجاز والإسهاب

أ.يوسف بن شيخ
جامعة الجلفة

مقدمة

الحمد لله الذي قيض لهذا التراث على مرّ العصور من يرعاه ويحميه من جميع نواحيه، ويبعد عنه ما يعانيه ويقاسيه من جفوة أبنائه، وسطوة أعدائه، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث هدى ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

يعد تراث الأمم في العالم من أهم العوامل التي تبنى عليه مكانتها وتحدد به هويتها ومسيرتها، كما تعرف من خلاله مدى عراقتها في التاريخ ونوعية إسهامات رجالها في حركتها.

والإيمان بالتراث والعمل على إحيائه يعد مظهرا من مظاهر الحضارة، وهو في حقيقته يمثل إرادة الأمم وعزمها ويقينها بقوة وجودها، وهو عامل ثقة ووحدة، وعامل ثورة وبناء، كما أنه عامل نجاح الأمم واستمرارها، إذ لا يمكن لأي أمة أن تدعي بحق أنها أمة متحضرة إن لم تعمل على إحياء تراثها القديم، ومما لا يختلف فيه اثنان أن المخطوطات تعتبرمن المصادر الهامة للتراث فكان أعظم عمل قام به العرب والمسلمون في هذه السنوات الأخيرة هو تأسيس معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية، ليقوم بتصوير التراث العربي على أفلام، ويجمعه في القاهرة، ويضعه تحت تصرف العلماء والباحثين.

وبرأينا أن تحقيق المخطوطات ضمن منهجية صحيحة وقواعد متفق عليها يؤدي خدمة للعلم، وهذا الأمر لا يتأتى للمحقق إلاّ بالمرور على مرحلة جدُّ هامة وهي الإطلاع على فهرسة المخطوط، فهي عبارة عن عملية لا غنى عنها؛ بل لا يمكن العمل في التراث إلا ابتداءا بها، وهي على حد قول يوسف زيدان بمثابة إعداد المنزل للإقامة، وتجهيز مادة البحث، واستخراج المطمور إلى النور[1].

وقد اختلف في الفهرسة بين المستشرقين القدامى والمعاصرين، فمنهم من اتبع طريقة التفصيل والإسهاب – مخطوطات برلين– ومنهم من اتبع طريقة الإيجاز –المكتبة الوطنية بباريز–، من خلالها يتبادل سؤال إلى أذهاننا مفاده كالتالي: ما هي حدود الفهرسة ؟ أو ما هي الفهرسة الميسرة التي تجنب المحقق عبء البحث عن تفاصيل المخطوط ؟ وبعبارة أخرى هل يمكن اقتراح بطاقة نموذجية لفهرسة المخطوطات تأخذ في الاعتبار كل المعطيات العلمية والتقنية؟ للإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت إيجاد طريقة تخلو من عيوب الإيجاز، تقدم وصفا للمخطوط وصورة دقيقة عنه دون تفصيل أو إسهاب.

قبل أن نحدد كيفية فهرسة المخطوطات تحديدا نهائيا يحظى بقبول كل المهتمين بهذا المجال، كان لزاما علينا تعريف المخطوط أولاّ، وتعريف الفهرسة ثانيا.

تعريف المخطوط:

يعد لفظ المخطوط من المصطلحات المستحدثة في الأدبيات العربية نظرا لارتباطه بمقابله المطبوع، يقول أحمد شوقي بنبين: لفظ مخطوط حديث في العربية، يبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع، أمّا قبل ذلك فكانوا يقولون تأليف، أو مؤلفات؛ كتب الأصول؛ الكتب الأمهات، أو الكتب الأساسية؛ لأنها كانت تحوي أساسيات العلم[2].

وقد ورد ذكر المخطوط في المعاجم الحديثة كالمعجم الوسيط، وفيه المخطوط: المكتوب بالخط، لا بالمطبعة. ج مخطوطات، والمخطوطة: النسخة المكتوبة باليد[3].

قال تعالى: "وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"[4]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ورد تعريفه في الكتب العربية الحديثة التي تناولت موضوع المخطوط بأنه كتاب لم يتم طبعه بعد؛ أي أنه مازال بخط المؤلف، أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صور فوتوغرافية، أو يكون مصورا بالمايكرو فيلم عن مخطوط أصلي[5].

عرّف الدكتور عبد القادر الحلوجي المخطوط العربي بأنه الكتاب المخطوط بخط عربي سواء أكان في شكل لفائف، أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس[6]، أما الدكتور أرشيد يوسف فعرّف المخطوط على أنه النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده باللغة العربية؛ أو سمح بكتابتها؛ أو أقرّها؛ أو ما نسخه الوراقون بعد ذلك في نسخ أخرى منقولة عن الأصل؛ أو عن نسخ غير الأصل؛ وينطبق ذلك على النسخ المصورة عن الأصل المخطوط[7].نلاحظ أن الدكتورين نهجا نفس النهج حينما قصر تعريفهما للمخطوط العربي على ما جاء على شكل كتاب، مستبعدان في ذلك الرسائل والعهود والمواثيق والصكوك، في حين نجد أن مصطفى مصطفى السيد يوسف عرّف المخطوط على أنه كل ما كتب بخط اليد سواء كان رسالة، أو وثيقة، أو عهدا، أو كتابا، أو نقشا على حجر أو رسما على قماش؛ وسواء أكان بلغة عربية أو غير عربية[8].

وإن كان هذا التعريف الأخير أكثر شمولا إلاّ أن الناس، وخاصة في العالم العربي، يقصدون بلفظ المخطوط ما كان على شكل كتاب، أو كتيب قديم كتب بخط اليد.

تعريف الفهرسة

قال ابن منظور في لسان العرب: "الفهرس: الكتاب الذي تجمع في الكتب، قال الأزهري: وليس بعربي محض ولكنه معرب"[9].

وتابعه على ذلك الفيروز آبادي اللغوي المشهور في قاموسه فقال: "الفهرس بالكسر الكتاب الذي تجمع في الكتب، معرب فهرست"[10].

وجاء في هامش كشف الظنون: 1303/2 ما يلي: "وفي التهذيب: الفِهرس: هو الكتاب الذي يجمع فيه أسامي الكتب.وفي بحر الغرائب: هو القانون والضابطة الإجمالية التي تكتب في أوائل الكتب حتى يُعْلَمَ فيها أنها كم باباً، وقد يطلق على أول الكتاب.وفي ديوان الأدب :الفِهرس مِقْسَم الماء على وزن فِعِلِل يونانية فعربوه واستعملوه في مجمع الأبواب، والتاء فيه غلط فاحش"[11].

يقول الدكتور يوسف زيدان:" إن الفهرسة واحدة من أكثر الأعمال مشقة، وأقلها مجدا؛ فالجهد المبذول في فهرسة المخطوطات لا يعرفه إلاّ من عانى هذا الأمر وعاينه...ومع ذلك فالمفهرس دائما في مأزق، فقد يغوص في ركام المئات من النسخ الخطية ينفض عنها الغبار ويلتمس الإشارات الدالة على عنوان المخطوطة ومؤلفها –وتكون المخطوطات بلا أغلفة في كثير من الأحيان–، ومع كل هذه المتاعب التي تواجهه فهو لا يسلم من الانتقادات "[12]، من خلال هذا القول نجد أن الدكتور يوسف زيدان يؤكد مشقة العمل بالفهرسة.

وعلى هذا الأساس فإن فهرسة المخطوطات ليس أمرا سهلا، فهي تحتاج ثقافة مميزة، وخبرة، وذهنا يقضا إلى كل كبيرة وصغيرة، إضافة لذلك فإن لها لوازم ومقتضيات لا بد منها، ولا يمكن الاستغناء عنها، بحيث تتطلب من المفهرس ثقافة واسعة، ومعرفة بعدة علوم مساعدة مثل: علم الخطوط، وعلم البيلوغرافيا وغيره؛ لأنها ترتكز على وصف المخطوط وصفا علميا دقيقا من جانبين الشكل والمضمون.

جانب الشكل:

1- **المادة المستعملة في الكتابة:** ويدخل تحت هذا العنوان عدة نقاط

- **نوع المادة المستعملة في الكتابة:** يجب على المفهرس تحديدها

الورق: مادة مكونة من ألياف السيليلوز مجمعة، وقد صنعت هذه المادة سابقا بواسطة ألياف نباتية يتم تحويلها إلى عجين[13].

الرَّقُّ: قال ابن منظور: الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء، ما يكتب فيه وهو جلد رقيق، ومنه قوله تعالى:ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ[14]، أي في صحف[15].

وهناك من حَصَر الرق في نوع معين من الجلد كجلد الغزال مثلا، ونرى أن الرَّقَّ هو جلد حيوان تمت معالجته بالتجليف والدباغة وصار صالحا للكتابة (parchemine) [16].

البردي: ورق مؤلف من نسل أسباب نبات البردي، يحاك ويصقل بالضغط ويصبح صحائف للكتابة[17].

ومعرفة نوع المادة المستخدمة في الكتابة يساعد كثيرا المفهرس على معرفة زمن المخطوط في حالة عدم العثور على تاريخ النسخ.

* بعد تحديد نوع المادة المستخدمة في الكتابة يجب على المفهرس أن يذكر عدد ورقات المخطوط، -والورقة: هي صفحتان وجه وظهر- إذا كان ترقيمه مضبوطا، أمّا إذا كان غير مرقم فالأولى ترقيمه بإعطاء رقم لكل ورقة، كما يذكر عدد الأسطر في كل ورقة، وقياس الصفحات وطول السطر، وعرض الهامش.

2-الخط ونوعه:

الخط: هو أي شيء كتب باليد.الكتابة، توقيع، إمضاء[18].

يجب على المفهرس **أن** يكون ملما بأنواع الخطوط، كي يستطيع تحديد نوع الخط الذي كتب به المخطوط بدقة، دون أن يغفل عن ذكر تفاصيل أخرى مهمة، كوضوح الخط من عدمه والألفاظ أهي مشكولة أو منقوطة أم لا، كما يجب الإشارة إلى أن النسخة مكتوبة بخط المؤلف إذا ثبت ذلك فهذا يزيد من شأنها[19].

كما أن كل عصر عرف بنوع من أنواع الخطوط، وهذا يفيد المفهرس كثيرا في معرفة تاريخ نسخ المخطوط في حالة عدم العثور عليه[20].

3-الحبر:

الحبر: هو المداد أصله اللون، والحبر الأثر يبقى من الجلد[21].

قال ابن منظور:الحبر الذي يُكتب به، وموضعه المحبرة، وهو أولى من المداد في الكتابة حسب القدامى، والحبر ما حسن من خط أو كلام أو شعر أو غير ذلك[22].

يتنوع مداد الحبر تبعا لطبيعة المادة المكتوب فيها: فللمصاحف مدادها، وللرق مداده، وللورق مداده[23].

يجب أن يذكر المفهرس لون الحبر، وإذا كان هناك عدة ألوان، كأن تكون عنوانات الفصول بلون أحمر، أو المتن بالأسود أو الأحمر والشروح بالأسود....أو غير ذلك فيذكر[24].

4- التجليد:

التجليد: هو فن قائم بذاته، يسمى في المغرب السَّفير، وهو كسوة الكتاب بالغلاف.وقيل: إن الأحباش هم أول من جلد الكتب، وعنهم انتقل التجليد إلى الجزيرة العربية، وقيل المصريون أول من جلد الكتب الدينية[25].

وقد تطورت صناعته عبر الزمن، حيث أنشئت له مدارس فنية لكل منها خصائص، وهذا يفيد المفهرس كثيرا في تحديد عمر المخطوط إن لم يكن مؤرخا[26].

جانب المضمون:

1- اسم المخطوط:

كان العرب في أول عهدهم بصناعة الكتاب لا يعرفون صفحة العنوان، بل كان ذكر اسم المخطوط يرد في مقدمة الكتاب أو نهايته، وكانت الصفحة الأولى منه تترك بيضاء، وكثيرا ما كان متملكو نسخة المخطوط يعملون على كتابة العنوان على تلك الورقة البيضاء وقد يرافق أخطاء في ضبط العنوان[27]، لذا يجب على المفهرس إثبات اسم المخطوط الذي ورد في الصفحة الأولى، وذلك بالتأكد منه بقراءة المقدمة أو بقراءة نهاية الكتاب[28]، ولضبط عنوان المخطوط بدقة يجب الرجوع إلى المصادر وفهارس المكتبات مثل: كشف الظنون، فهرست كتب النديم، تاريخ الأدب العربي...وغيرها من كتب التراجم والطبقات[29].

2- اسم المؤلف:

هناك من يقول اسم المؤلف، وهناك من يقول اسم المصنف، لكن أبو العباس أحمد المنجور فرق بينهما قائلا:"المصنف من جعل العلم أصنافا كرزمة الطهارة والصلاة والبيوع، والمؤلف من زاد عليه بمراعاة الألفة بين الكتب والمسائل، وفيه تظهر رتبة المصنفين ويتميزون ويفضل بعضهم بعضا"(30).

يجب على المفهرس ذكر اسم المؤلف كما ورد في المخطوطة دون زيادة كألقاب التعظيم وأوصاف التفخيم، كما يجب التأكد من اسم المؤلف بقراءة مقدمة الكتاب أو خاتمته مع الانتباه إلى عدم الوقوع في الخطأ من جراء تشابه أسماء المؤلفين، ويُتْبع اسم المؤلف بتاريخ وفاته، وإذا لم نجد تاريخ الوفاة، نذكر العصر الذي كان فيه(31)، وقد يكون اسم المؤلف قد سقط من العنوان الخارجي أو الخاتمة عندها يجب العودة إلى المراجع التي تدرس المؤلفات العربية، وكتب التراجم والطبقات(32).

وعلى هذا الأساس فإنه متى صح عنوان المخطوط واسم مؤلفه وثبتت نسبة الكتاب إليه يكون متن المخطوط أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه(33).

3-اسم الناسخ وتاريخ النسخ:

الناسخ: وهو العارف بقواعد النسخ في اصطلاح الكتب ومعرفة قواعد العلم الذي نسخه، وهو الوراق الذي ينقل عن أصل مخطوط، وقد اقتصر استعمال هذا المصطلح على من كانوا يعملون في نسخ الكتب بالأجرة، أو من المكثرين(34).

وقد جرت عادة النساخ بذكر أسمائهم وتدوينها في آخر المخطوط، فيقولون نسخه (أو رقمه) فلان ابن فلان بخطه(35)، فيذكر النص الذي يشير إلى تاريخ النسخ واسم الناسخ، وقد يكون فيه إشارات مبهمة مهمة مثل وظيفته ومكان النسخ وتاريخ ميلاده ووفاته، خاصة إذا كان من الكتاب المشهورين أو العلماء المعروفين.

وإذا لم يكن المخطوط مؤرخاً فيقدر عمره بالاستناد إلى ما قد نجده على الصفحة الأولى أو الأخيرة من تملكات أو عبارات وقف وتحبيس أو سماعات أو من خطة فلكل عصر خطاً عرف به أو نوع الورق والحبر أو التحليل الكيميائي أو بالمقارنة بمخطوطات أخرى مؤرخة أو بالرجوع إلى الكتب التي جمعت نماذج الخطوط(36).

4-ذكر فاتحة المخطوط:

إن ذكر فاتحة المخطوط يضمن لنا معرفة مبدئه والتأكد من صحته إذا ما قورن بمخطوط آخر من الكتاب نفسه، شريطة أن تكون هذه الفاتحة مميزة، بحيث لا يكتفي بذكر البسملة ولا الحمدلة؛ لأن مثل هذه العبارات تتكرر في كثير من المخطوطات، كما أنها ترشدنا إلى اسم الكاتب ومؤلفه وأحيانا سبب تأليفه، بالإضافة إلى وضع صورة عن نسخة فاتحة المخطوط.

نجد مثلا في كتاب المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس للقاضي عبد الوهاب البغدادي المتوفى سنة422هـ، أوله:((بسم الله الرحمن الرحيم، قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي رحمه الله....)) (37).

وما جاء في مخطوطة "تحبير الموشيِّن في التعبير بالسين والشين" لمجد الدين الفيروز آبادي المتوفى 817 هـ في أولها: فاقتضى ذلك جمعي لهذه الألفاظ....وأسميته"تحبير الموشيِّن في التعبير بالسين والشين" (38).

5-ذكر خاتمة المخطوط:

على المفهرس أن يذكر آخر جملة في المخطوط التي تسبق تاريخ النسخ واسم الناسخ، ولا يكتفي بقوله "تمت الكتاب والحمد لله"؛ لأن هذه العبارة كثيرا ما تتكرر بالإضافة إلى وضع صورة عن نسخة خاتمة المخطوط.

وفي أحيان كثيرة ما نجد أن آخر المخطوط يحوي معلومات هامة وأمثلة ذلك كثيرة منها:

ما جاء في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي المتوفى سنة 676 هـ، آخره:((وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك لتسع وعشرين خلت من شهر ربيع آخر سنة1271 هـ ألف ومائتين وإحدى وسبعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، وذلك على يد كاتبه الفقير إلى رحمة ذي اللطف الخفيّ محمد بن أحمد بن علي اليرفي، غفر الله له ولوالده، ولمن كان سببا في هذا الخير العظيم ولجميع المسلمين.آمين (39).

وما ورد في خاتمة مخطوط الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للمقرئ الكبير محمد بن محمد بن الجزري من وصف مؤثر لحصار دمشق عندما هاجمها السلطان الظاهر برقوق سنة 791 هـ مما لا نجده في كتب التواريخ (40).

مصادر عن المؤلف وعن المخطوط:

يجب على المفهرس أن يذكر المصادر التي رجع إليها للتأكد من صحة اسم الكاتب واسم المؤلف وتاريخ وفاته، غير أنه يكتفي بالمصادر الأساسية، بحيث يرجع إلى كشف الظنون لحاجي خليفة للتأكد من صحة الكتاب أو إلى فهرست النديم، أو فهرست ابن عطية.

ويرجع إلى معجم المؤلفين لعمر كحالة للتأكد من اسم المؤلف وتاريخ وفاته أو إلى كتب التراجم والطبقات، كما يرجع إلى تاريخ الأدب للمستشرق الألماني بروكلمن لمعرفة أماكن وجود المخطوطات، ويمكن الرجوع أيضا إلى معجم الخطوطات المطبوعة لصلاح الدين المنجد.صدر منه ثلاث أجزاء، وهو يشمل ما طبع من مخطوطات منذ عام 1954 حتى 1970 م (42).

الخاتمة: ما يمكن استخلاصه من هذا الموضوع هو:

1- إن الفهرسة هدفها وصف المخطوط، وتقديم صورة دقيقة عنه بحيث تحوي أهم ما يتعلق بالمخطوط من كل الجوانب.

2- الفهرسة تقدم خدمة كبيرة للباحثين مهما كان عددهم وبعدهم عن المقر الذي توجد فيه المخطوطات نفسها؛ لأنه من السهل نسخها وتوزيعها على المؤسسات البحثية والعلمية مما يوفر على الباحثين الكثير من الوقت والجهد والعناء.

3- إن فهرسة المخطوط ترتكز في جانبين أساسيين وهما جانب الشكل وجانب المضمون، فجانب الشكل يشمل كل ما يتعلق بالمخطوط من حيث هو إنتاج مادي، كالورق، الحبر، الخط، والتجليد، أما جانب المضمون فيشمل كل ما يتعلق بالمخطوط من حيث هو إنتاج فكري، كاسم المخطوط، اسم المؤلف، اسم الناسخ وتاريخ النسخ، ذكر فاتحة وخاتمة المخطوط، ومصادر عن المؤلف والمخطوط.

وفي الأخير ما كان فيه من سداد وتوفيق فمن الله عز وجل، وما كان فيه من تقصير فذلك من نقصان علمي وقصر باعي، إذ ميزان العلم لا يتأثر بالعواطف ولا يترجح بالرغبات.

الهوامش:

1- كرم أمين أبو بكر، وحاتم حاتم السيد مصيلحي، عاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية)، دار الأمين- القاهرة، ط$_{1}$: 2001م، ص40.

2- أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، كلية الآداب- الرباط، ط: 1993، ص12.

3- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ط$_{2}$: ماي 1972م في القاهرة، ص276.

4- سورة العنكبوت، الآية: 48.

5- فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم المكتبات- بيروت، ط$_{1}$: 1993م، ص13.

6- عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، مكتبة مصباح- جدة، ط$_{2}$: 1989م، ص15.

7- يوسف أرشيد، الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، (د.ت.ط)، ص72.

8- مصطفى مصطفى السيد يوسف، العلم وصيانة المخطوطات، عكاظ للنشر والتوزيع- جدة، ط: 1984م، ص15.

9- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط$_{1}$: 2000م، 234/11.

10- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط$_{2}$: 2003م، ص522.

11- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت.ط)، 1303/2.

12- كرم أمين أبو بكر، وحاتم حاتم السيد مصيلحي، عاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية)، مرجع سابق، ص40.

13- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش، ط1: 2003م، ص248.

14- سورة الطور، الآية: 03.

15- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، 205/6.

16- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، مرجع سابق، ص115.

17- المرجع نفسه، ص39.

18- المرجع نفسه، ص97.

19- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط: 1976م، ص66-67 بتصرف.

20- صلاح الدين المنجّد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد -بيروت، ط7: 1987م، ص14، بتصرف.

21- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، مرجع سابق، ص82

22- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، 11/4.

23- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، مرجع سابق، ص67.

24- أحمد شوقي بنبين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، مطبعة فضالة- المحمدية، ط1: 1994م، ص15.

25- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، مرجع سابق، ص48.

26- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، ص69.

27- فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص13.

28- المرجع السابق، ص61.

29- المرجع السابق، ص14.

30- الزقاق، شرح أرجوزة المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، ط: 1305هـ، 8/1.

32- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، مرجع سابق، ص62.

33- فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص16-17.

34- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها- مؤسسة الحلبي(القاهرة)، ط$_2$: 1965م، ص39 بتصرف.

35- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، مرجع سابق، ص235.

36- إياد خالد طباع، المخطوطات الدمشقية (المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب(وزارة الثقافة- دمشق)، ط:2009م، ص267.

37- نسخة خزانة القرويين بفاس، رقمها777، وهي تتألف من 162 ورقة، انظر: القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، تحقيق ودراسة حميش عبد الحق، دار الفكر- بيروت، ط: 1999م، 93/1 من المقدمة، 115/1 من متن النص.

38- المخطوطة محفوظة في الظاهرية بدمشق(مكتبة الأسد الآن)، رقم: 9225، انظر: فهرس مخطوطات المصورة، اللغة- القسم الثاني.

39- نسخة دار الكتب المصرية، رقمها: 510، محفوظة بدار الكتب القومية- القاهرة، نسخها محمد بن أحمد بن علي المصرفي، عدد أوراقها1258 ورقة، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الهيثم- القاهرة، ط$_1$: 2003م، 143/1.

40- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، مرجع سابق، ص65.

41- المرجع نفسه، ص70.

42- المرجع نفسه، ص71-72 بتصرف.

قائمة المصادر:

1- القرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم.

2- أحمد شوقي بنبين، دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، كلية الآداب- الرباط، ط: 1993

3- أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، المطبعة والوراقة الوطنية- مراكش، ط$_1$: 2003م.

4- أحمد شوقي بنبين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، مطبعة فضالة- المحمدية، ط$_1$: 1994م.

5- إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ط$_2$: ماي 1972م في القاهرة.

6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط$_1$: 2000م.

7- إياد خالد طباع، المخطوطات الدمشقية (المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب(وزارة الثقافة- دمشق)، ط:2009م.

8- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د.ت.ط).

9- الزقاق، شرح أرجوزة المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، ط: 1305هـ.

10- صلاح الدين المنجّد، قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد -بيروت، ط7: 1987م.

11- صلاح الدين المنجّد، قواعد فهرست المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط: 1976م.12- عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، مكتبة مصباح- جدة، ط$_{2}$: 1989م.

13- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها- مؤسسة الحلبي(القاهرة)، ط$_{2}$: 1965م.

14- فهمي سعد، وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، عالم المكتبات- بيروت، ط$_{1}$: 1993م.

15- القاضي عبد الوهاب، المعونة على مذهب عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، تحقيق ودراسة حميش عبد الحق، دار الفكر- بيروت، ط: 1999م.

16- كرم أمين أبو بكر، وحاتم حاتم السيد مصيلحي، عاشق المخطوطات (قراءة في أعمال يوسف زيدان التراثية)، دار الأمين- القاهرة، ط$_{1}$: 2001 م.

17- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط$_{2}$: 2003م.

18- محي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الهيثم- القاهرة، ط$_{1}$: 2003م، 143/1.

19- مخطوطة شرح صحيح مسلم للنووي، نسخة دار الكتب المصرية، رقمها: 510، محفوظة بدار الكتب القومية- القاهرة، نسخها محمد بن أحمد بن علي المصرفي، عدد أوراقها 1258 ورقة.

20- مخطوطة المعونة للقاضي عبد الوهاب، نسخة خزانة القرويين بفاس، رقمها777، وهي تتألف من 162 ورقة.

21- مصطفى مصطفى السيد يوسف، العلم وصيانة المخطوطات، عكاظ للنشر والتوزيع- جدة، ط: 1984م.

22- يوسف أرشيد، الكتاب الإسلامي المخطوط تدوينا وتحقيقا، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية، (د.ت.ط).

نسيم بخوش
جامعة المدية

تحقيق المخطوطات

المقدمة

تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في شتى حقوق المعرفة الإنسانية من تاريخ وجغرافيا،وأدب،وفن وطب،وكيمياء وفلك،وسائر العلوم وهذه المخطوطات بالعربية (وقليلها بالفارسية والتركية) ويتراوح عددها مابين ثلاثة إلى خمسة ملايين إلى خمسة ملايين مخطوط،موزعة في المكتبات العالم العربي،وفي مكتبات العالم المختلفة في أوروبا وأمريكا وبعض دول آسيا.

ظلت هذه المخطوطات،مثلها مثل سائر أنواع تراثنا،مهملة ومنسية،ولم يحقق منها إلا النزر اليسير،كتب الكثير عن المخطوطات الأدبية، ولكن كل ما كتب تقريبا يغلب عليه الطابع التصنيفي (الببليوغرافي أو النصي أو التجاري) .

والآن وقد ظهرت قد البلاد ظهرت في البلاد العربية نهضة علمية قوية،ومال كثيرون إلى نشر النصوص القديمة،واختلفت الطرق التي يتبعها الناشرون كما ذكرنا،كان لابد من وضع قواعد علمية دقيقة ينهجها المحققون، وتتوحد بها الطرق في التحقيق والنشر.

تعريف المخطوطات

قبل الخوض في المفهوم الدلالي لهذا اللفظ نشير أن الفيلولوجيين لا يقبلون استعمال لفظ مخطوط إلا إذا ألحق بكلمة كتاب فيقولون الكتاب المخطوط لأنه ليس كل ما كتب باليد يعتبر بالضرورة مخطوطا فشواهد القبور وما نقش على الأحجار وما نقر على الصخور لا يمكن اعتباره مخطوطا . إن الكتابة باليد ليست بالضرورة في ذاتها بالمفهوم الفيلولوجي للمخطوط، فلنبحث الآن في مادة هذا اللفظ في اللغة مع محاولة رصد بداية تداوله وذلك باستشارة المعاجم واستقراء النصوص التي يمكنها أن تمدنا بالمعلومات عن بدء استعماله.

فالمخطوط هو كتاب لم يتم طبعه بعد،أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره،أو أخذت عنه صور فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالماكروفيلم عن مخطوط أصلي.

ويتضمن المخطوط عادة،صفحة العنوان،وهي بمثابة الواجهة أو الغلاف في الكتاب المطبوع،يعرفون صفحة العنوان،بل كان ذكره يرد في مقدمة الكتاب أو نهايته،وكانت الصفحة الأولى بيضاء.

في اللغة الفرنسية MANUSCRITE و أستعمل لفظ المخطوط لأول مرة

في أحد نصوص هذه اللغة في سنة 1594م أي في نهاية القرن 16م . وعلى الرغم من أنه لفظ لاتينيا MANUSCRIPTUNفإن الفرنسيين استعاروه من اللغة الإيطالية التي عرفت استعمال اللفظ قبل فرنسا بحكم سبقها التمسك بالنهضة الحديثة وقد أطلقوا على المخطوطLIBRI لفظ

تحقيق المخطوطات

تحقيق المخطوط يقصد به بذل عناية خاصة به حتى يصح عنوانه واسم مؤلفه ويثبت نسبة الكتاب إليه،ويكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.

وهناك تعريف لمصطلح تحقيق المخطوطات قال به عبد السلام هارون رحمه الله تعالى وهو " بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة , فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه , وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه

وبعد هذا فللمحقق صفات عليه االاتزام بها، فمن تحلّى بمثلها ملك أسباب التحقيق ومن فقدها . أو فقد بعضها . قصرت عنده هذه الملكة وعسرت عليه رموز المخطوطات و سُبُل نشرها وهذه الصفات هي

أولا – الأمانة في أداء النص صحيحاً من غير زيادة أو نقصان : فالمحقق بمثابة راوية للكتاب الذي يرويه بطريقة التلقي عن المؤلف.

وعلى المحقق ألا يجيز لنفسه التصرف في المخطوطات التي بين يديه فيُعَدِّلَ في عبارتها أو أساليبها.

ويتعين عليه البعد كل البعد عن الأهواء الشخصية والمذهبية أو العبث بإخراجها على أي شكل أو صورة رغبة في الاستكثار وتحقيق المكاسب المادية أو بالسطو على جهود الآخرين، فعليه أن يكون أمينا في كل مراحل تحقيقه للمخطوط.

ثانيا – الصبر و الأناة : فقد يكون تحقيق كتاب في أكثر الأحيان أشق على الأنفس من تصنيف كتاب جديد فالصبر والجلد وسعة الصدر أمور أساسية يجب أن يتحلى بها الباحث المحقق.

ثالثا – المؤهلات العلمية : ذلك بالتمكن من العلم الذي يخوض غماره والخبرة بالعمل الذي يمارسه وحُسن الفهم لما يقرؤه، لذلك على صاحب كل تخصص معين ان يفتش عما يخدم تخصصه ليبدع في تحقيقه. وذلك:

– أن يكون ذا ثقافة واسعة بالعلم الذي يحقق فيه الكتاب ودرايةٍ بتاريخه وما أُلِّفَ فيه من كتب

– أن يكون ذا خبرة بلغة أهل الفن الذي يحقق فيه، ومهما يكن العلم الذي يحقق فيه فإن على المحقق إتقان اللغة العربية نحواً ولغةً.

– التواضع واستعداده للحوار والمناقشة والبعد عن التمسك بالرأي والوقوف عليه، والتزمت لرأي هو مقتنع به.

- أن يكون عارفاً بأنواع الخطوط العربية و تاريخ تطورها، أو على الأقل أن يكون عنده حسٌ مرهفٌ بهذه الخطوط عن طريق الاطلاع عليها أو على أغلبها أن يتبع القواعد الأساسية لتحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

تحري المخطوطات وجمعها

حتى يكون المخطوط صالحا للتحقيق يجب أن يكون له أكثر من نسخة، ويصعب تحقيق مخطوط له نسخة واحدة فقط، إلا في حالة عدم العثور إطلاقا على نسخ أخرى له، أو لا يعرف بوجود نسخ أخرى له .

ويجب البحث والتنقيب على نسخ المخطوط المتناثرة في أنحاء العالم، ويساعد في ذلك مراجعة فهارس المخطوطات العربية للمكتبات المختلفة .

ومن ثم اختيار النسخ التي يحتاج إليها، وتصويرها لتكون تلك النسخ مطابقة للأصل،ولا شك أن الاطلاع على جميع النسخ، إذا توفر ذلك للباحث، فيه فائدة كبرى للتحقيق، لأن النسخ، عادة، تتفاوت قيمتها حسب بعدها أو قربها من زمان المؤلف، أو بكمالها ونقصها، بالإضافة إلى أنها تكتب بأيدي نساخ متعددين، في أزمنة متباعدة، والمقابلة بين النسخ توصل الباحث إلى أفضلها وأكملها.

وقد لا يستطيع الباحث أن يعثر على جميع المخطوطات التي تخص كتابا واحدا، لأنه مهما جمع من تلك النسخ، لابد أن يأتي بعده من يستطيع أن ينبش نسخة جديدة لم يكن أحد يعرف بها . ولذا على الباحث بعد اقتناعه بأنه جمع ما أمكنه من نسخ المخطوطة، أن يشرع، دون إضاعة وقت في التحقيق،ولا بد من الإشارة إلى وجوب الاستفادة من فهارس المخطوطات التي تبين الناسخ وتاريخ النسخ إذ إن دراستها دراسة أولية يمكّن الباحث من اختيار النسخ التي يحتاج إلى تصويرها و إن كان الشك يتطرق في كثير من الأحيان إلى صحة الوارد فيها سواء بأسماء النساخ أو تاريخ النسخ أو مكانه أو نحو ذلك من المعلومات التي توصف بها المخطوطة.

ترتيب النسخ :

بعد أن يقوم المحقق بجمع النسخ الخطية و دراستها يقوم بعملية ترتيب أفضلي للنسخ وذلك حسب الترتيب الآتي:

أولا . نسخة المؤلف — إن وجدت – والتي نسميها (النسخة الأم) أو (النسخة الأصلية) ويجب ملاحظة اعتماد آخر نسخة كتبها المؤلف فقد يكتب المؤلف كتابه ثم يضيف إليه في ضوء قراءته له وتدريسه لغيره ومراجعته إياه.

ثانيا . تلي نسخة المؤلف نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه وأثبت بخطه أنه قرأها أو قرئت عليه، أو أثبت الناسخ أنها مقروءة على المؤلف.

ثالثا . تليها النسخة التي نقلت عن نسخة المصنف أو قوبلت عليها .

رابعا . ثم نسخة كتبت في عصر المصنف مقروءة على عالم متقن الضابط.

خامسا . ثم نسخة كتبت في عصر المصنف غير مقروءة على أي من العلماء .

غاية التحقيق ومنهجه :

غاية التحقيق هو تقديم المخطوط صحيحا كما وضعه المؤلف، دون شرحه .

إن الكثرة من الناشرين لا تنتبه إلى هذا الأمر، فتجعل الحواشي ملأى بالشروح والزيادات : من شرح للألفاظ، وترجمات للأعلام، ونقل من كتب مطبوعة، وتعليق على ما قاله المؤلف —كل ذلك بصورة واسعة مملة، قد تشغل القارئ عن النص نفسه، ولم توجد في المخطوط . وهم يقصدون بذلك التبجح بالعلم والاطلاع .

ويقضي عمل التحقيق ما يلي : –

1- التحقق من صحة الكتاب واسمه، ونسبته إلى مؤلفه .

2- اذا كانت النسخة أما كتبها المؤلف بخطه فتثبت كما هي .

3- إذا كان المؤلف نقل نصوصا من مصادر ذكرها، فتعارض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية، بإيجاز، إلى ما فيها من زيادة ونقص . كأن يقال : هذا النص في كتاب كذا باختلاف في اللفظ، أو بزيادة، أو غير ذلك 1 .

4- قد لا يذكر المؤلف مصادره، فإذا عرفها المحقق ورد كل نص إلى مصدره كان أحسن، وأدعى إلى الاطمئنان إلى صحة النص . وهذان الأمران (3 و4) يلجا إليهما للتأكد من صحة النص فقط .

5- قد يسبق المؤلف قلمه أو تخونه ذاكرته، فيخطئ في لفظ أو اسم . فيستطيع المحقق أن يصحح الخطأ في الحاشية، ويثبت النص كما ورد، لأن النص الذي يكتبه المصنف بخطه دليل على ثقافته واطلاعه وشخصيته العلمية . أو يستطيع إثبات الصحيح في النص والإشارة إلى الخطأ في الحاشية .

6- أما إذا كانت النسخ مختلفة فتختار نسخة لتكون أما ويثبت نصها .

7- تقابل النسخة التي تتخذ أما، مع النسخ الأخرى ويشار في الحاشية إلى اختلاف النسخ، أي اختلاف الروايات في كل لفظة إذا كان ثمة اختلاف يبدل المعنى فقط . وتهمل الإشارة إلى خطأ النساخ .

8- عند اختلاف الروايات يثبت في المتن ما يرجح أنه صحيح بعد دراسة يقوم بها المحقق لكل رواية . ويوضع في الحاشية، وذلك إذا تحقق الناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليست من الناسخ، وإلا فيمكن الإشارة إليها وإثباتها في الحاشية .

9- عند وجود زيادة في نسخة من النسخ لا توجد في النسخة المعتمدة فتضاف إلى النسخة المعتمدة ويشار إلى ذلك في الحاشية، وذلك إذا تحقق الناشر أن الزيادة هي من أصل الكتاب وليست من الناسخ، وغلا فيمكن الإشارة إليها وإثباتها في الحاشية .

10- يسمح للمحقق إضافة حرف إو كلمة سقطت من المتن . على أن يضع ذلك بين قوسين (انظر الرموز) وقد سمح الأقدمون بزيادة ما سقط من سند الحديث أو متنه، وبتجديد ما اندرس من كتاب في الحديث.

11- إذا وجد في المخطوط خرم أضاع نصا ما، وكان هذا النص في كتاب آخر، مطبوع أو مخطوط، –كان نقل النص عن مصدره الأول –

12-فيمكن إتمام الخرم، والإشارة إلى ذلك في الحاشية، يوضع المضاف بين قوسين (انظر الرموز)، أما إذا لم يجد المحقق ما خرم أو ماترك بياضا في مصدر آخر، فيشير إلى مقدار الخرم أو البياض في الحاشية .

13-يلجأ بعض الناشرين، عند وجود نسخ كثيرة، وعدم اختيارهم نسخة معتمدة، إلى الاعتماد على عدة نسخ في آن واحد معا . هذه الطريقة قد تطلق الحرية للناشر، ولكن لا يؤمن معها الزلل . إلا إذا كان الناشر متمكنا في معرفة مصنف الكتاب ولغته وأسلوبه ومعرفة الكتاب نفسه .

14-والأفضل للمبتدئين اعتماد نسخة ومقابلتها على النسخ الأخرى وترجيح الرواية الجيدة .

15-كان الأقدمون أنفسهم إذا وجدوا نسختين من كتاب عارضوا إحداهما بالأخرى، وأثبتوا الاختلاف في الهامش فيقولون : في نسخة : كذا . في هذه الحالة يعتبر ما أثبت في الهامش كانه نسخة ثانية، ويفضل بينه وبين ما في المتن، ويشار إلى ذلك في الحاشية .

16-قد يقرأ عالم كتابا، ويصحح بعض ألفاظه . هذه الألفاظ المصححة تزيد في قيمة النسخة . إذا وافق المحقق على التصحيح أثبته في المتن وأشار إلى الأصل في الحاشية . ولابد، بصورة عامة، من الإشارة في الحاشية إلى كل ما يوجد من تعليق في هامش نسخة ما .

17-إذا وجدت زيادات أضيفت في جوانب المخطوط أو طرته من تنبيه أو تفسير أو غير ذلك، فلا تضاف قط على المتن . بل يشار إليها في الحاشية .

18-يجب أن ينتبه المحقق إلى انه قد يصادف في المخطوطات القديمة، حتى القرن السادس، والحديثة منها خاصة، بعض علامات أو حروف صغيرة وضعت فوق بعض الألفاظ . وقد لا دري معناها . فمنها :

19- أ –كلمة ((صح)) . توضع فوق اللفظ، ومعناها أن اللفظ على ما هو مثبت صحيح .

20-ب- حرف ((ص)) ممدودة ((صـ)) وتسمى ((ضبة)) أو علامة التمريض يعني أن اللفظ الذي وضع الحرف فوقه فيه مرض أو خطأ أو علة .

21- د- إذا ضرب فوق لفظ بخط فمعناه أنه محذوف . وربما حوق بنصف دائرة فوق الكلام المحذوف .

22-ولما كانت الحروف غير منقوصة في أصل الكتابة العربية، فقد كان يحدث التباس في قراءتها . ومنعا للتصحيف والتحريف جرى النساخ والعلماء الأقدمون، من القرن الثالث حتى السادس، أن يضعوا بعض إشارات الحروف لئلا يقع التباس فيها .

23-فمثلا كانوا يضعون حرف حاء صغيرة فوق حرف الحاء في الكلمة لئلا يقرأ خاء .

24- أو يضعون عينا صغيرة تحت حرف العين لئلا يقرأ غينا . وكذلك يفعلون في حرف الصاد والطاء والدال والراء .

25-وقد يضعون ثلاث نقط تحت حرف السين لئلا تقرأ شينا، لأن نقاط الشين من فوق .

26-صيانة المخطوط مفهوم علمي واسع، يهدف إلى إحياء التراث العلمي القديم المخطوط، والإحياء يعني إزالة بصمات الزمن التي ظهرت على المخطوط بحكم قدمه، وتعرضه لمختلف الجواء والمعاملات حيثما

وجد، وهذا يعني بدوره أن الصيانة تشمل في مفهومها التعامل مع المخطوطات التي أصيبت فعلا، أو ذات الاستعداد للإصابة . ولا يخفى علينا دور الصيانة في إزالة هذه البصمات، وإعادة حالة المخطوط إلى ما كانت عليه قبل الإصابة بقدر ما تسمح حالة إصابته، سواء اختص ذلك بتثبيت الأحبار وكشف النص المكتوب من بين البقع والأوساخ، أو معالجة وترميم الأوراق والجلود، ومدى أهمية ذلك للباحث والمحقق والقارئ . وبالرغم من هذه الأهمية العلمية والقيمة الأثرية للمخطوط، فما زال مجال صيانتها بكرا، يحتاج للكثير من المتخصصين، وللعديد من الأبحاث والتجارب حتى تصل الصيانة إلى المستوى اللائق بتراثنا العربي المخطوط، ولتساير أحدث ما وصل إليه العلم والتكنولوجيا في العصر الحديث .

27- ويرجع خلو مجال الصيانة من المتخصصين والباحثين، وافتقاره إلى الجديد من الأبحاث – قياسا بمجالات الدراسة الأخرى – إلى الجهل بقيمة هذا العمل وجدواه من ناحية، إلى صعوبة هذا التخصص من ناحية أخرى وضيق المجال الوظيفي لمن يتخصصون فيه من ناحية ثالثة، والناس بطبيعتهم يحبون الشهرة وتجذبهم الأضواء، ويحاولون البعد عن الاشتغال بهذا القديم البالي، الذي يعتبره بعضهم تنقيبا في صناديق الدمى، التي كان يلهو بها أسلافنا في طور الطفولة

28-والسذاجة الفكرية، والحقيقة غير هذا، فالعاملون في مجال المخطوطات صيانة وترميما، تحقيقا وتوثيقا، لا ينبشون القبور كما يتوهم البعض، بل يعايشون أمجاد الأمة وتراثها العلمي الإسلامي .

المصادر:

- فهمي أسعد وطلال مجذوب،**تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق**، بيروت، عالم، 1993 .
- صلاح الدين المنجد،**قواعد تحقيق المخطوطات**،بيروت،دار الكتاب الجديد،1987.
- مصطفى السيد يوسف،**صيانة المخطوطات علما وعملا**،القاهرة،عالم الكتاب،2002.

المخطوط العربي...رحلة العجائب والغرائب

إبداع ...وإمتاع

إعداد : محمَّد شريِّط

لا أحد يرتاب في استفحال ظاهرة الغَبن الفاحش ووجَع التَّهميش الذي ناء بكلكله على صدر المكتبة العربية ؛ ولا سيَّما المخطوط منها حيث أضحى جُلُّه يتهادى بين أرضة الإهمال ومنطق الجهَّال، وما بقي من قُلِّه لم يحظ إلا بنزر يسير من الوفاء والتقدير ممن يحدوهم شغف العلم وعبق التاريخ في أكناف دور ومراكز المخطوط العربي ولعل الوليد الجديد – مخبر جمع ودراسة وتحقيق المخطوط بجامعة زيَّان عاشور بهذه الرُّبوع الكريمة — يرنو – بثلاثيته ؛ الجمع والدراسة والتحقيق —إلى إضفاء هالة من التعلق فالتأنق فالتألق بين الأمس الزاهر والحاضر الخامر إلى الغد الباهر.بإذن الله.

وما ملتقاهُ هذا إلا عربون محبة ووفاء لهذا الطموح ..هذا الملتقى الذي تعتوره رمزية الزمان والمكان ؛ فالزمان شهر أبريل شهر العلم، ويوم الثالث والعشرين منه يوم الكتاب العالمي، أما المكان فتحتضنه هذه الهضاب المضيافة "الجلفة"، والجلفة – يا سادة – اسمها من مكنونات ومكونات المخطوط العربي، فقد قال علماء الخط العربي إن (الجَلفة ما بين مبرى القلم إلى سنه)[1]، وقد وصف الشيخ الخطاط محمد بن حسن السنجاري قلم الخط وكيفية قَطّه فقال:

طوِّل لها الجَلفة بالسّكين ... وشُقّها في الوسْط بالتمكين

واجعل لها شحيمة لطيفة ... من بطن قشر ولتكن خفيفة

وإن تكن قشرتها سمينة ... فاسلُب لها الشحمة بالسّكينه[2]

مداخلتي هاته رحلةٌ في عمق الماضي تستنشق منه عبير الأصالة والإبداع، هي رحلةٌ إلى الغد –كما يعبر توفيق الحكيم – في تجلياته المبتكرة والحديثة، لبناء الراهن وكسب الرهان .

تنتبذ هذه الرّحلة ثلاثة مسارات :

المسار الأول : في التعريف بمعنى المخطوط العربي ومعنى العجائب والغرائب

المسار الثاني : في ذكر ثلاثية العجائب والغرائب ؛ صنعة ومضمونا وخطا

[1] أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط المغرب، ط3، ص 117

[2] أحمد شوحان، رحلة الخط العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص 70

المسار الثَّالث : في خاتمة الرحلة بما ترومه من توصيات ومقترحات .

والله أسأل أن يكتب للقائمين على هذا الملتقى الكريم فخر الدنيا وذخر الآخرة..

المسار الأول : في التعريف بمعنى المخطوط العربي ومعنى العجائب والغرائب

في مفهوم المخطوط العربي يمكن أن يقال :

1. معنى المخطوط العربي :

المخطوط ؛ مأخوذ من لفظة خط يخط بمعنى كتب، فالمخطوط ما كتب بخط اليد[3]، أو هو في مقابل المطبوع[4] .

والمخطوط يتنوع ليشمل عدة أنواع منها [5]:

أ- مخطوط أصلي (النسخة الأصلية)

ب- مخطوط جامعي(يتناول إحدى المواد الأربع التي كانت تدرس في الجامعات الأوربية الأولى وهي : اللاهوت والقانون والفلك والفنون الحرة)

ت- مخطوط فريد(لا توجد منه نسخة أخرى)

ث- مخطوط مصور(الذي أخذ بالصورة)

ج- مخطوط نادر (لاتوجد منه إلا بعض النسخ، أو يتميز بصوره وزخارفه الجميلة ككتاب كليلة ودمنة)

ح- مخطوط قيم (يحتوي على مواد هامة أو كتب على مادة مهمة)

فالمخطوط العربي هو المنسوخ بالحرف العربي، وقد حاول بعض البحاثة قصر مفهومه على ما خُطَّ باللغة العربية وحْدَها دون لُغات الأُمَمِ الإسلامية الأخرى، والصحيح أن مفهوم المخطوط العربي يمتد ليشمل كل ما كتب في ظل الحضارة الإسلامية وإن بلغات أخرى[1] .

إذن فالمخطوط العربي هو كل ما خط باليد بالحرف العربي من كتب أو وثائق أو أو رسائل أو عهود أو مواثيق أونحوها، سواء كان ذلك بخط المؤلف أو الناسخ أوغيرهما، وسواء كانت النسخة الأولى أو ما نقل منها.

2. معنى العجائب والغرائب :

قال القزويني في مقدمة كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ؛ العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشئ، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه ...والغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة[2] .

---

[3] أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، مرجع سابق، ص 319

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط4، 2004 ص

[5] أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، مرجع سابق، ص 320 ومابعدها

[1] محمود زكي، نحو علم مخطوطات عربي ، موقع الألوكة على الشبكة

[2] محمد خير رمضان يوسف، عجائب الفكر وذخائر العبر، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2000، ص 09-10

وعلى ذلك فإن المخطوط العربي أعجوبة من عجائب الدهر وغريبة من غرائب الزمان التي تتفوق على عجائب وغرائب الدنيا على حد وصف الشيخ علي الطنطاوي الذي قال : (عجائب العالم القديم سبع: أهرام مصر، وحدائق بابل، وبقية السبع التي تعرفونها. وهي عجائب حقًّا، ولكنها هياكل شيدت من حجارة قطعت من صخور الجبل أو آجر جبل من تراب الأرض ونضج على جمر الأفران، وهذه العجيبة الثامنة أثر من عمل الأذهان. تلك تحف من عمل السواعد القوية والأيدي الصناع، وهذه من عمل الفكر الخالص والقرائح العبقرية... إنها كتبٌ لو جمعت لبني منها هرم صغير أو لشيد برج هائل.

فهل يقاس أثر لا روح فيه بآثار حية تبعث الأرواح في الأجساد، وتثير السواكن من الأفكار، وتحرك القرائح فتدفعها إلى الابتكار؟)[3] .

المسار الثاني : ثلاثية العجائب والغرائب

المتأمل في تراث العرب من هذه المخطوطات الهائلة لتعروه الدهشة والحيرة من عدد هذه المؤلفات وكيف كتبها أصحابها وروعة الخط الذي كتبوا ودقة ومهارة الصنعة في أدوات وآلات الحرفة، وهو ما نقف على بعضه في هذه النقاط :

أولاً : أعجوبة الصَّنعة

والناظر في مادة المخطوطات وما كتب عليها وما كتب به، ليعجب من مهارة أولئك الصناع الذين قد يغفل عنهم الذكر في غمرة الحديث عن جهود العلماء المؤلفين، وهؤلاء كانوا يسمون وراقا بالمفهوم الأشمل لكلمة الوراقة على اختيار ابن خلدون[4]، وقد كانوا يمدحون حرفتهم تارة ويذمونها أخرى تبعا للمؤثرات الزمانية والمكانية، فممن امتدح الوراقة أبو علي بن شهاب العكبري (ت 428هـ) فقد حدث عيسى بن أحمد الهمذاني قال: قال لي أبو علي، ابن شهاب (العكبري) يوما: أرني خطك فقد ذُكر لي أنك سريع الكتابة فنظر فيه فلم يرضه ثم قال لي: كسبت في الوراقة خمسة وعشرين ألف درهم راضية، وكنت أشتري كاغدا بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال وأبيضه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهما، وكذلك كتب الأدب كانت مطلوبة. قال الأزهري: أخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره ألف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار.

أما من ذمها فقد رأى أنها مهنة متعبة ومرهقة ولا طائل من ورائها، كما وصفها الشاعر أبو محمد عبدالله محمد البكري الأندلسي عندما قال:

أَمَّا الوِرَاقَةُ فَهِيَ أَنْكَدُ حِرْفَةٍ   أَوْرَاقُهَا وَثِمَارُهَا الحِرْمَانُ

شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَة   تَكْسُو العُرَاةَ وَجِسْمُهَا عرْيَان

أو كما قال أحد الوراقين وقدسأله أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي هفان عن حاله فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرقُّ من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سوادا من الحبر

[3] محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط1، 2007، ص 89 وما بعدها

[4] محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ص 11

بالزاج، وحظي أخفى من شق القلم، ويداي أضعف من قصبة، وطعامي أمرّ من العفص، وشرابي أحرّ مِن الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ؛ فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء[5] . أي أنه عبر عن محنته بأدوات مهنته ..

وعلى الرغم من هذه الأخبار التي تناقلتها كتب التاريخ عن الوراقة مدحا أوقدحا فقد كانت هذه الصناعة الشعلة المضيئة التي أنارت الطريق أمام العلماء في مختلف فنون المعرفة؛ مما أدى إلى قيام نهضة علمية واسعة لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل.

وقد اهتم العرب بهذه الحرفة الجليلة فكتبوا في كل ما يتعلق بها وتطرقوا لآلاتها وأدواتها ومسمياتها ومرادفاتها كالبلاطة والمِلْزَم والسكين والسيف والبيكار والأقلام والليق والمداد والحبر والأصباغ والرقوق والأوراق والجلود وغيرها[1] .

ومما كتب في هذا الصدد كتاب عُمدة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب للمعز بن باديس الصنهاجي (ت 454 هـ) وكتاب التيسير في صَنْعَة التَّسفير لبكر الإشبيلي (ت 628 هـ)، و كتاب صناعة تسفير الكتب وحلِّ الذهب لأحمد السفياني (ت1029هـ)، وكيفية تسفير الكتب لعبد العزيز الرسموكي(ت1065هـ)، و«تدبير السفير في صَنْعَة التَّسفير» لابن أبي حميدة، وغيرها**.**

وقد أصبح يهتم بهذه الأشياء كلها ما يسمى بعلم الكوديكولوجيا، وكلمة كوديكولوجي[2] تتكون من كلمة يونانية Logosوتعني علم وكلمة لاتينية تسمي كودكس codex وتعني كتاب ومصطلح كوديكولوجي يعني :" علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف بل يهتم بدراسة الورق والحبر والتذهيب والتجليد والتزيين وحجم الكراسات والترقيم والتعقيبات وكل ما دون على صفحة الغلاف من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات ومعارضات ومطالعات وتقييدات ووقفيات وما يسمي حرد المتن وهو مايسمي خوارج النص اي دراسة الشكل المادي للمخطوط، وأيضاً الظروف التاريخية التي كتب فيه هذا المخطوط "

وقد بدأ هذا العلم يطبق على دراسة المخطوطات العربية عام 1986ولكنه طُبِّق قبل ذلك على المخطوطات اليونانيه واللاتينيه .فهو علم جديد يهتم بشكل وصناعة المخطوط .

وهذا العلم يشمل عناصر عدة منها :

1-حوامل الكتابه : مثل البردي والرق والورق أو الكاغد حيث بدأت صناعة البردي في مصر وقد استخدمه المسلمون على شكل كراسات وقد ظهر في العصر العباسي، ثم ظهر وسيط آخر للكتابه يسمي الرق وهو عبارة عن جلد الخراف او الماعز الصغيرة واحياناً البقر الصغير السن وصانع الرَّق يسمي الرَّقاق، وقد استخدم

---

[5] عابد سليمان المشوخي، أخلاقيات الوراقة،مجلة جامعة الملك سعود، مجلد2، 2003، ص 430

[1] المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عُمدة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط1، 1409، ص 24

[2] خالد عبد السلام المزاحي، كوديكولوجيا المخطوط العربي الإسلامي، موقع المدونة الرسمية لقسم المكتبات والمعلومات – جامعة الإسكندرية

الرق في بداية عصر صدر الإسلام في كتابة المصاحف، وقد كتبت بالخط الحجازي، ثم بدأ استخدام الرق في الكتابة وكان يسمى الأديم اي الجلد الأبيض ثم بدأ يختفي تدريجياً نتيجه ظهور الورق الذي انتقل من الصين الى العرب .

2-أدوات الكتابة : القلم وكان يصنع من البوص والخيزران والخشب والحديد .

3-الأمِدَّة : وهي الحبر فالحبر الكربوني يسمي المداد، اما الحبر يسمي بالحبر المعدني اي الحديدي وهناك الأمدة الملونه مثل الأخضر والأحمر والأصفر والأزرق والأمدة التي كتبت بالذهب اوالفضة على بعض المخطوطات وتركيباتها فالحبر الأصفر كان يصنع من الزرنيخ

4- حَرْد المتْن : وهو نهاية الفراغ من المخطوط على شكل مثلث مقلوب فبعد ان ينتهي الناسخ من الكتابة لابد من أن يكتب "كان الفراغ من هذا الكتاب....." ويبدأ بكتابه العنوان واسم الناسخ – وذلك في تواضع العلماء، كان يقول: تم على يد الفقير فلان – ومكان النسخ والتاريخ الهجري باليوم والشهر والسنه واحيانا كان يكتب اسماء الشهور او اسماء النعوت ربيع الأول ينعت بالشريف او يكتب العَشر الأُوَل او العشر الوسطى ....وما إلى ذلك .

5- التجليد : وهو وضع الملازم بين دفتين او غلافين ؛والغلاف في المخطوط العربي كان يصنع من الخشب المثقب من الجانبين والمربوط بليف النخل ؛ وقد عرف العرب هذه الطريقة من الأحباش ثم استُبدل الخشب بأوراق قديمة ملتصقة ببعضها البعض لتكون في النهاية الكرتون بالاسم الحالي وكان هذا الورق يصنع من أوراق قديمة مكتوب عليها كمسودة او مخطوط مهمل أو أوراق فارغة من الكتابه، وكان يغلف الكرتون بالجلد او الرق –ولكنها حالات نادراً جداً – أو بالورق او القماش؛ وكانت البطانه الداخلية تصنع من الورق او الحرير او الجلد وفي مراحل متقدمة كان يجلد بالجلد والورق الأبرو من الداخل والخارج .ويقال إن أول من قام بهذه المهنة هو أبو الحريش الذي عمل في خزانه بيت الحكمة في بغداد في عهد المأمون .كما أن العرب استخدموا زخارف بديعه مزينة باللؤلؤ والياقوت الأحمر، ويوجد في متحف استانبول مجموعه مصاحف جلدت بأحجار كريمة ويقدر عددها بحوالي 130 ألف مخطوط مجلد بالذهب والفضة .

واستطاع المجلِّد العربي ان يبتكر قوالب جديدة من النحاس او الحديد وبها اشكال نباتية اوهندسية ويضعها على الجلد بطريقة بارزة غائرة بالطَّرق عليها او بواسطة مكبس او بالتسخين لحين الحصول على الشكل المطلوب كالصرة او الدلاية او خطوط متقابلة عليها نقوش بديعة الجمال كدوائر متناهيه الصغر، والصرة كانت في شكل بيضاوي او دائري والأشكال الهندسية، كانت تظهر بكثرة في المغرب العربي ؛وقد تعلم العرب هذه الحرفه من الأقباط ولكنهم أبدعوا في هذه الحرفة.

وقد نال تجليد الكتب في الحضارة الإسلامية بعدا شرعيا راقيا بحيث يحظر أن يبطن جلود الكتب بأوراق فيها قرآن أو حديث أو اسم من أسماء الملائكة أو اسم من أسماء الأنبياء...[3]، بل ويمنع حتى في نوعية الجلود فإنه يمنع الجلود المحرمة كأن يكون الجلد جلد إنسان، على عكس ما ورد في بعض الأدبيات الغربية[4] إذ نشرت مجلة فرنسية سنة 1882 أنه في مكتبة ورسد تقويم مكسيكي مكتوب على جلد إنسان، ويوجد في أمريكا كتابان أحدهما مجلد بجلد امرأة زنجية والآخر بجلد فتاة صينية ! . ومن غريب ما روي أن أحد الفلكيين كان مرة يجالس إحدى النساء الجميلات فكان في جملة محادثته لها أن ذكر لها إعجابه بنقاء بشرتها وقد توفيت المرأة بعد مدة قصيرة فأوصت له بجلد كتفها فأعطى الجلد لبعض حذاق الدباغين فدبغه ثم جلد به أحد مؤلفاته وكتب على أحد لوحي الكتاب بأحرف ذهبية (تذكار ميتة).

ثانيا : أعجوبة المضمون

(أشرفُ ما في المخطوط، هو مادتُه ومضمونه، وما يَحْتَويه من فِكْر ومعرفة، هي خلاصة حضارة الأمة، وسجل عقائدها وشرائعها وأخلاقها، ومخزون تجاربِها ومنْجزاتها)[1] .

وتمثل إبداع علمائنا السابقين على كل المستويات ؛ على مستوى الكمّ أوعلى مستوى الكيف .

1- **فعلى مستوى الكمّ** ؛ تنقل لنا أخبار التاريخ عن أعداد هائلة من الكتب التي ألفها علماؤنا وحسبكم أن الوزير الفارسي عبد القاسم إسماعيل (ت 995هـ) كانت له مكتبة ضخمة مؤلفة من مائة وسبعة عشر ألف مجلد (117000) يصطحبها معه على ظهر أربعمئة جمل (400)، أينما حلَّ وارتحل، وكانت جماله هاته مدرّبة على أن تمشي في نظام معين بحيث تكون الكتب عليها مصففة بالترتيب الأبجدي[2] .

وعلى الرغم مما تعرض له هذا التراث العظيم من التحريق والتغريق والتخريق والتمزيق فإن (الإسبان لما دخلوا الأندلس أحرقوا مكتباتها، حتى صار ليلها نهاراً مما صعد منها من اللهب، وحسبكم أن تعلموا أن واحدة من مكتبات قرطبة كانت فهارس دواوين الشعر فيها —كما يقول ابن خلدون — أربعة وأربعين دفتراً كبيراً. فهارس دواوين الشعر فقط! أحرقها الإسبان فأضاءت ليالي الأندلس..)[3] .

على الرغم من هذا كله فإن المصادر تشير إلى أنه يوجد في مكتبات العالم أكثر من خمسة ملايين مخطوط عربي، بينما المخطوطات اليونانية عددها حوالي خمسمائة ألف واللاتينية حوالي خمسين ألف، وبعد ظهور الطباعه في القرن الخامس عشر لم يتم انتاج او كتابه مخطوطات بينما استمر المخطوط العربي حتي القرن التاسع عشر الميلادي، نشر منها خلال القرنين الماضين زهاء مائتي ألف مخطوط فقط .

---

[3] محمد خير رمضان يوسف، نوادر الشوارد، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1999، ص 17

[4] محمد خير رمضان يوسف، سفينة الذهب من الثقافة والأدب، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2006، ص 8-9

[1] محمود زكي، نحو علم مخطوطات عربي ، موقع الألوكة على الشبكة الالكترونية.

[2] زهير علوان، قصص عجيبة ومفارقات غريبة، دار الفكر، لبنان، ص 66

[3] محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط1، 2007، ص 89

كما أنه لا تكاد تخلو بقعة من البسيطة اليوم إلا وللمخطوط العربي فيها بصمة، ففي تركيا مائتي ألف مخطوط ويقال ستمائة ألف مخطوط، وفي إيران حوالي مائتي ألف مخطوط، وفي مصر قرابة المائة ألف مخطوط أو يزيد، وفي المغرب حوالي ثلاثين ألف مخطوط،، وفي سوريا تضم مكتبة الأسد حوالي اثني عشر ألف مخطوط، وفي السعودية حوالي عشرة آلاف مخطوط[4]، وفي الجزائر تضم المكتبة الوطنية أكثر من أربعة آلاف مخطوط ، بالإضافة إلى كثير من المخطوطات المتناثرة هنا وهناك في الزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة[5] .

2- أما على مستوى الكيف ؛ فقد أبدعت الحضارة العربية إذ أثرت المكتبة الإنسانية بتراث مدون في شتى ميادين العلم والمعرفة مما كان له الأثر البالغ في تقدم العالم ونهضته، وفي خضم التخمة المعلوماتية التي وصل إليها المسلمون بدأوا يتأنقون ويتفننون فيما يكتبون، فهذه مخطوطة لابن الدريهم (ت762هـ) علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن أبي بكر، المعروف بابن الدريهم الموصلي كشف عنها الدكتور محمد حسان الطيان، والدريهم لقب لجده الأعلى، وهو مصغر درهم، لقب به لقوله مرة (دريهم) فلزمه ذلك. وهو صاحب رسالة "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" في علم التعمية وكسر شيفرة رموز المخطوطات، كما أشار إلى ذلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وقال عنه الصفدي: "كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه"، مخطوطه يشتمل على قصيدة نادرة في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بناها بناء غريبا لا نظير له في أدبنا العربي إذ جعل لكل بيت فيها ثلاثين قافية استوفى فيها حروف العربية التسعة والعشرين وأضاف إليها قافية اللام ألف لتكتمل عدة الثلاثين، ولما كانت عدة أبياتها ثلاثين بيتا فقد بلغ مجموع القوافي تسعمئة قافية أحسن الناظم اختيارها بدقة بالغة لتناسب المعنى والمبنى أو السياق والوزن في كل بيت من الأبيات، ثم عرض لشرح غريب ألفاظها.

ويتضح من ذلك أنه يمكنك أن تقول إنها قصيده همزية، ولك أن تقول إنها بائية وتائية، وثائية، وجيمية، إلى أن تستوفي حروف العربية.

ومما جاء في هذه القصيدة :

إذا لم أزر قبر النبي محمد===وأسعى على رأسي فإني.....

مرجَأُ / أعتب / مُعنَّت / أحنثُ / محرجُ / مُترح / مُوبَّخ /.../ مفرط / مسوف / أحمقُ / مغفَّلُ

نبي له فضل على كل مرسل===وآياته في الكون تتلى.....

وتَنشأ / فتطربُ / وتُنعَت / وتُبعَث / فنبهجُ / وتُشرحُ / وتُنسخُ /.../ وتبسط / وترصف / وتنسق / وتنقل

ومن قافية اللام ألف يقول:

---

[4] عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ، السعودية، 1999، ص 12

[5] مركز الأصالة للدراسات، المخطوطات الجزائرية كنوز بلا حراس، موقع الأصالة

رقى في السماوات العلى فتشرفت====به ودنا من قاب قوسين إذ علا

بدا نوره كالصبح ثم علا به====فأشرقت الأرجاء والحق قد ملا

ويعترف ابن الدريهم أن قوافيه ليست مما يعتاد أو يؤلف أو يحفظ أو يستخدم:

إليك رسول الله مدح مقصر====حوى من قوافي الشعر ما ليس.....

يُوطَأُ / يَدرَبُ / يُنسَجُ / يُحصَرُ / يُحرَزُ / يُضبطُ / يُحفَظُ / يُسهلُ / يُنظَمُ

ويقول في آخرها :

فيا رب كن لابن الدريهم راحما====إذا عرضت أوزاره يوم.....

يُنشأُ / أخراهُ / يَرهبُ / يُرفَتُ / يُبعثُ / يَخرجُ / تَصفحُ / يُنفخُ / تُسعدُ / تُنقذُ / يُنشرُ / يبرُزُ / يُرمسُ / يُنبشُ / يشخصُ / يُعرَضُ / يُسخطُ / يوقظُ / يُرجعُ / يَنشغُ / يُكشَفُ / يَفرَقُ / يَهلِكُ/ يُسألُ / ترحم / توزنُ / لا رِوَى/ يُنبهُ / يُبتلى / لا ريُّ [1]

ثالثا : أعجوبة الخط

للخط العربي ومنذ عهد بعيد، سحرهُ وجمالهُ وجاذبيته وألقه، يستوقف الناظر ويثير الدهشة والإعجاب، ولقد أعطى العرب الخط الجميل مكانة خاصة، لأن الخط كما يقول عبدالله بن عباس لسان اليد، فهو مظهر من مظاهر العبقرية الفنية العربية، التي ارتبطت برهافة الحس وحسن الذوق وقوة الحق كما يقول علي بن أبي طالب :"الخط الجميل يزيد الحق وضوحا" .

لذلك نجد كثيرا من المخطوطات تأخذ بمجامع القلوب فلا تشبع العين من النظر إليها، ولا يدرك هذه الجاذبية إلا من رقَّ طبعه وشفَّ حسه واختلط بالمخطوطات لحمه وعظمه، أما من كان غليظ الطبع وكثيف الروح :

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

وقد كان أول من تحدث عن جمالية الخط العربي أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ) في رسالته"علم الكتاب" إذ وضع سبعة معان يحتاج إليها الخط الجميل فقال [2]:

والكاتب يحتاج إلى سبعة معان : الخط المجرد بالتحقيق، والمحلى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتخريق، والمحسن بالتشقيق، والمجاد بالتدقيق، والمميز بالتفريق .

أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها، منثورها ومنظومها، مفصلها وموصولها، بمداتها وقصراتها، وتفريجاتها وتعويجاتها، حتى نراها كأنها تبتسم من ثغور مفلجة، أوتضحك عن رياض مدبجة .

وأما المراد بالتحديق فإقامة الحاء والخاء والجيم وما أشبهها على تبييض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، أكانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة .

---

(1) محمد حسان الطيان، ابن الدريهم وجهوده في علم التعمية، موقع الألوكة .

(2) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص 102 وما بعدها

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدرة وموسطة ومذنبة يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة .

أما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيفما وقعت أفراداً وأزواجاً، بما يدل الحس الضعيف على اتضاحها وانفتاحها .

أما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع في إعجاز الكلمة مثل،عن، وفي، ومتى، وإلى، وعلى، بما يكون كالمنسوج على منوال واحد

أما المراد بالتشقيق فتكنف الصاد والضاد والكاف والطاء، وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي . فإن الشكل يصح ومعها يحلو، والخط في الجملة كما قيل : هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية .

أما المراد بالتنسيق، فتعميم الحروف كلها، مفصولها وموصولها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت في التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية .

أما المراد بالتوفيق، فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليها بما يفيدها وفاقاً لا خلافاً.

أما المراد بالتدقيق، فتحديد أذناب الحروف بإرسال اليد، واعتمال سن القلم، وإدارته مرة بصدره، ومرة بسنيه، ومرة بالاتكاء، ومرة بالارتخاء، بما يضيف إليهما بهجة ونوراً ورونقاً وشذوراً.

أما المراد بالتفريق، فحفظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض، وملامسة أول منها الآخر يكون كل حرف منها مفارقاً لصاحبها بالبدن، جامعاً بالشكل الأحسن .

ويختم أبو حيان شروط الخط الجميل، بشرط أساس جامع فيقول : فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتياً، وفعله مواطئاً، وقريحته عذبة، وطينته وطئة .

هذا وقد زين الخط العربي ببعض الفنون الجميلة كالزخرفة والترصيع والتذهيب والتصوير، فنال المصحف الشريف عبر التاريخ اهتمام الخطاطين بزخرفته زخرفة نباتية وهندسية، كما هو ملاحظ على المصاحف المغربية التي تتعد فيها الألوان فتبهج النفس وتسر الناظرين، ثم تذهيبه بماء الذهب الصافي والفضة السائلة المعينة، كما عرفت بعض المصاحف الشريفة، الخزائنية منها على وجه الخصوص، لوحات في غاية التأنق والتفنن، غالبا ما تأتي في مستهل الكتاب و آخره، إلى جانب تذهيب كلمات خاصة، كاسم الجلالة، في حين نرى بعضها، آثر نسخ القرآن الكريم جميعه، بالفضة السائلة تارة أو بماء الذهب أخرى، و يبقى هذا الأخير الغالب عليها.

و كذلك زين بالتصوير، فأشهر مخطوط عربي في هذا المجال هو كتاب كليلة و دمنة حيث نجد صورا لحيوانات مختلفة،ونجد هذا أيضا في كتاب دلائل الخيرات، الذي نال من التصوير أوفر نصيب، ومن عيون المكتبة

الوطنية بالرباط كتاب ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج لمحمد المعطي الشرقي، وفيه صور تمثل سدرة المنتهى، وقلم القدرة النوراني، واللوح المحفوظ الرباني، وصور للجنان[1]

على أنه ينبغي التنويه بفضل أولئك المبدعين من الخطاطين الذين صيروا من الحروف العربية لوحة فنية تتكلم من خلال رشاقة الخط، وتناسق سطوره، ومدّاته وحركاته يقف المشاهد أمامها مبهوتاً .

ومن هؤلاء العباقرة :[2]

2- الخطاطون

اشتهر من الرجال الكثير لأنه الخلفية الثقافية آنذاك في غالبها كانت ترى أن الخط فخر للرجال، كم قال ابن مقلة وقد كان يأكل يوما، فلما غسل يده وجد نقطة صفراء من حلو على ثوبه، ففتح الدواة، فاستمد منها وطمسها بالقلم، وقال : ذاك عيب، وهذا أثر صناعة، وأنشد يقول :

إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

ومن أشهر هؤلاء الخطاطين على الإطلاق :

أ- ابن مقلة :

أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة، شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم، وهو كذلك وزيرٌ وأديبٌ وشاعرٌ مبدعٌ، وناثرٌ بليغٌ.

عُرف هذا الوزير بابن مقلة لأن له أمٌ كان أبوها يلاعبها في صغرها ويقول لها " يا مقلة أبيها " فغلب عليها هذا الاسم واشتهرت به، فاتصل هذا الاسم المشهور بابن مقلة الذي كان ضمن سلالتها معروفٌ به، فكان بذلك مقلة الزمان وملك الخط والبيان !

ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين للهجرة ببغداد، في أسرة عملت في الخط زمناً طويلاً، فكان جده خطاطاً، وأما أبوه فقد كان أالذي علمه الصناعة، وكذلك كان أستاذه إسحاق بن إبراهيم الأحول صاحب كتاب " تحفة الوامق " وتتلمذ على يد ثعلب وابن دريد.

وكان من إنجازات هذا الوزير أنه أول[3] من هندس حروف الخط العربي، ووضع لها القوانين والقواعد، وإليه تنسب بداية الطريقة البغدادية في الخط، وأول من كتب مصنفاً في الخط العربي ذكر فيها مصطلحات هذا العلم البديع، مثل مصطلحات " حسن التشكيل " وهي التوفية، والإتمام، والإكمال، والإشباع، والإرسال، ومصطلحات " حسن الوضع " وهي : الترصيف، والتأليف، والتسطير، والتنصيل.

كما أنه وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وفي علل المدّات، وأنواع الأحبار، وفي أصناف بري القلم، يقول إداورد روبرتسن " إن ابن مقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس عن طريق النقط، وجعل الريشة

---

(1) عبد الستار حلوجي، محطات في تاريخ المخطوط ونشأته، دورة المخطوط الوعاء والصنعة، موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

(2) أحمد شوحان، مرجع سابق، ص 83 وما بعدها

(3) انتقد هذا عبد السلام هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ص

وحدةً للقياس، فقد جعل من حرف الألف الكوفي مستقيماً بعد أن كان منحنياً من الرأس نحو اليمين كالصنارة، وقد اتخذه مرجعاً لقياساته، وخطا ابن مقلة خطوة أخرى، إذ هذّب الحروف، وأخذ الخط الكوفي كقاعدة، وأخرج من هذه الحروف اشكالاً هندسية، وبذلك أمكنه قياس هذه الحروف " .

تقلد الوزارة ثلاث مرات، لثلاثة خلفاء عباسيين هم المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله، فقد وُشي به فقطع الراضي بالله يده اليمنى، وقيل أنها أُلقيت في دجلة ! وكان يبكي على يده ويقول " قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وكتبت بها القرآن دفعتين، تُقطع كما تقطع أيدي اللصوص " .

فكان يكتب بيده اليسرى، وقيل كان يشد القلم على ساعده اليمنى وهو مقطوع اليد !، وكتب أبياتاً فريدة في معناها العميق، مملوءة بحزن سرّي عجيب، مرسومة بحروف تساقطت منها صيحات الألم والدموع على اليد التي أبدعت أيّما إبداع فقال :

ما سئمتُ الحياة لكن توثّقـ ـتُ بأيمانهم فبانت يميني

بعتُ ديني لهم بدنياي حتى حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدي حفظَ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعدَ اليمين لذةُ عيشٍ يا حياتي بانت يميني فبيني

فقُطع لسانه وحبس ! فكان يستسقى الماء من البئر، ويجذب الرشاء بيده جذبة وبفيه جذبة أخرى، وبقي في الحبس إلى أن مات سنة 328 من الهجرة النبوية الشريفة، فدُفن في دار السلطان ثم حُمل فدُفن في داره ثم أُخرج فدفن في مكان آخر !

يقول الثعالبي: (من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات، اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاثة مرات، في ثلاثة مواضع، وكان له ثلاثة من الخدم).

وقد ندد كثير من الأدباء بهذه المأساة في حق الفن والإبداع فقال الصولي :

لئن قطعوا يمنى يديه لخوفهم لأقلامه لا للسيوف الصوارم

فما قطعوا رأياً إذا ما أجاله رأيت الردى بين اللها والغلاصم

وإذا كانت السلطة الغاشمة نجحت في إخراس صوته السياسي فإنها لم تنجح في إزاحته عن عرش المجد والخلود الذي اعتلاه بفنه وخطّه وذوقه؟.

وقد خلّده الثعالبي في كلمات كخلود خطه: (خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثله، في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر) .

وقال أبو حيان التوحيدي: (أصلحُ الخطوط، وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا في العراق فقيل له: ما تقول في خط ابن مقلة؟

قال: ذاك نبي فيه، أفرغ الخط في يده، كما أُوحي إلى النحل في تسديس بيوته) .

ووقف على قبره ابن الرومي يبين مكانته في عالم الفكر والقلم، وأن الإبداع هو الخالد، وأن السلطان ومن دونه، والسيف وما فوقه لا يبارون القلم ولا يبلغون مداه.

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت   له الرقاب ودانت خوفه الأمم

فالموت، والموت لا شيء يعادله   ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للأقلام مُذ بُريت   أن السيوف لها مذ أُرهفت خدم

وكل صاحب سيف دائماً أبداً   ما زال يتبع ما يجري به القلم

ب- ابن البوَّاب

علي بن هلال أبو الحسن المعروف بابن البواب، ورث مهنة أبيه فترة من حياته، فقد كان أبوه بوّاباً لبني بويه على بيت القضاء في بغداد وأصبح بعد أبيه بواباً على دار فخر الملك محمد بن علي أبي غالب المتوفى سنة سبع وأربعمائة.

وأخذ عن كبار معاصريه فقد كتب على محمد بن أسد، وأخذ العربية عن ابن جني، وكان شبيبته مزوّقاً دهّاناً في السقوف. ثم صار يُذهّب الخِتَم وغيرها، وبرع في ذلك، ثم عني بالكتابة ففاق فيها الأوائل والأواخر . حتى كان في الخط من الأوائل ومن كبار خطاطي عصره، قال عنه الذهبي: (ولم يعرف الناس قدر خطه إلاّ بعد موته، لأنه كتب ورقة إلى كبير، يشفع فيها في مساعدة إنسان بشيء لا يساوي دينارين، وقد بسط القول فيها، فلما كان بعد موته بمدة، بيعت تلك الورقة بسبعة عشر ديناراً).

وقد نسخ القرآن الكريم بيده أربعاً وستين مرة، إحداها بالخط الريحاني لا تزال محفوظة في مكتبة "لاله لي" بالقسطنطينية، ويوجد بمكتبة آيا صوفيا ديوان الشاعر العربي الجاهلي سلامة بن جندل بخط ابن البواب .

قال فيه ابن خلكان: (لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله، ولا قاربه، وإن كان أبو علي ابن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين، وأبرزها في هذه الصورة، وله بذلك فضيلة السبق، وخطه أيضاً في نهاية الحسن، لكن ابن البواب هذّب طريقته ونقّحها وكساها طلاوة وبهجة) .

توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة سنة (423هـ-1032م) ودفن بمقبرة باب حرب في جوار الإمام أحمد بن حنبل. ووقف على قبره الشريف المرتضى فقال :

مِن مثلها كنتَ تخشى أيها الحَذِرُ   والدهر إن همَّ لا يُبقي ولا يذر

رُدِّيت يا ابن هلال والردى عَرَضٌ   لم يُحْمَ منه على سُخْطٍ له البشر

ما ضرَّ فقدك؟ والأيام شاهدة   بأن فضلك فيه الأنجُمُ الزُّهُر

أغنيت في الأرض والأقوام كلهم   من المحاسن ما لم يُغْنِهِ المطرُ

فللقلوب التي أبهجتها حَزنٌ   وللعيون التي أقْرَرْتَها سَهَرُ

وما لعيش إذا ودَّعْتَهُ أَرَجٌ   ولا لليل إذا فارقَته سَحَرٌ

وما لنا بعد أن أضحت مطالعنا   مسلوبة منك أوضاحٌ ولا غُرَرُ

ج – ياقوت المستعصمي

هو أبو الدر جمال الدين ياقوت المستعصمي الرومي الكاتب.

كان مملوكاً فاشتراه الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين . فنشأ ياقوت في دار الخلافة، وترعرع في بحبوبة العيش الرغيد، وقد درّبه الخليفة على الخط، وفن الكتابة.

وكان خطاطا كبيرا، وعلما من مشاهير الخطاطين العظام، كان نسياً منسياً، فرفعه جمال خطه إلى القمة، وجعله مهمازاً للفن والذوق والجمال.

وبلغ في الشهرة في جمال الخط وحسنه أن يقول الناس حين يرون خطاً جميلاً: خط ياقوتي .

وقد أثنى المؤرخون على حسن خطه، وجعلوه قدوة لمن جاؤوا بعده، فقد قال ابن كثير: كان فاضلاً، مليح الخط مشهوراً بذلك، كتب خِتماً حساناً، وكتب الناس عليه ببغداد .

وقد كتب ياقوت عدداً من الكتب، برع في فن الخط، ونبغ في علوم المدرسة المستنصرية، حفظ لنا الذين كتبوا عنه قديماً هذه الكتب:

-(أخبار وأشعار) مطبوع.

-(أسرار الحكماء) مطبوع.

-(فقر التقطت وجمعت عن أفلاطون) مخطوط.

-(حُفظت قطع من كتابته في القاهرة، واسطنبول، وباريس، وبينها نسختان كاملتان للقرآن الكريم).

وتوفي ببغداد سنة (698هـ).

2- الخطَّاطَّات

توهم البعض أن الخط كان مقصورا على الرجال دون النساء، حتى لمزهن بعض كبار أدباء العرب بضرورة لزوم المغزل ووذر القلم قال أبو العلاء المعري في اللزوميات:

فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلما

وكتب خير الدين الآلوسي كتاب الإصابة في منع النساء من الكتابة وقال فيه:

فأما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله إذ لا أرى شيئاً أضر منه لهن، فإنهن كما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف كلام بها فإنه سيكون رسالة إلى زيد أو رقعة إلى عمرو أو بيتاً من الشعر إلى عزب، أوشيئاً آخر إلى رجل آخر. فمثل النساء والكتب كمثال شرير سفيه، تهدي إليه سيفاً أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فاللبيب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع[1] .

وكانت هذه نظرة كبار فلاسفة الغرب أيضا فجان جاك روسو الفيلسوف السويسري (1712- 1778) قال : النساء على وجه العموم لا هوى لهن في فن من الفنون، ولم يعرف عنهن النبوغ في أحدها، وليست العبقرية من نصيبهن، ويرى الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (1788 – 1860) أن النساء " جنس غير فني " وليس غريبا هذا الكلام من رجل قاطع أمه إلى أن ماتت وكان يقول لها لن يذكرك التاريخ بشيء غير أنك كنت أم شوبنهاور

وليس منعها من الخط فقط بل كانت النظرة السائدة ولا زالت أنهن أردأ خطا ففي نص قديم يتحدث آشور بانيبال آخر ملك للإمبراطورية الآشورية الحديثة.(ت 627 ق.م.) يعتذر للإله في دعاء مخطوط : اعذرني لكون . الخطاطة . التي كتبت هذا الدعاء أمامك هي امرأة[2] ...

بيد أن الأجواء الحضارية التي جاء بها الدين الحنيف كانت تشجع حضور المرأة في مجال الإبداع والعلم ومنه الخط،وقد خلَّد لنا التاريخ أسماء كثير من النساء اللآئي مارسن الخط بل وبرعن فيه .

---

[1] الخطاط حسن المسعود، المرأة والخط، موقع الخطاط نفسه

[2] موقع ويكيبيديا

فلنعرج على بعض الأسماء اللامعة في سماء الخط العربي :

أ– الشفا بنت عبد الله العدوية :

تعلمت الكتابة وأسلمت قبل الهجرة، روت اثنى عشر حديثاً، قيل إسمها الحقيقي ليلى والشفا هو لقبها، اشتهرت بحسن خطها، وكان الكثير من النساء تأتين لتتعلم منها، وهي التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : ((علمي حفصة رقية النَّمِلة كما علمتيها الكتابة))، ولعل مهارتها هذه هي التي أهلتها لمنصب حسبة السوق زمن عمر بن الخطاب .

ب– حفصة بنت الخليفة عمر بن الخطاب :

أخذت الكتابة والخط عن الشفا بنت عبد الله العدوية .

ج – فاطمة بنت الحسن الأقرع :

كاتبة من أحسن الناس خطاً على طريقة ابن البواب، فقد قال السمعاني : (كان لها خط مليح حسن)، كتبت رسالة إلى وزير السلاجقة طغرل بك فانبهر بخطها وأجازها 1000 دينار ذهبي وهي أول جائزة في عصر السلاجقة وآخر جائزة بل وأعلاها على الإطلاق، وكتب الناس على طريقتها بالكتابة، توفيت سنة 480 هـ

د – القرطبية عائشة بنت أحمد : قيل عنها لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعادلها علما وفهما، وأدبا وشعرا. وكان لها مكتبة كبيرة توفيت عام 1009م.

هـ – فاطمة البغدادية : اختيرت عام 1087م لخط معاهدة الصلح بين خليفة بغداد القائم بالله وبين ملك الروم في بيزنطة. ويقال عنها إنها كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البوّاب.

و – زمرد بنت جاولي : أخت الملك الدقاق صاحب دمشق. استنسخت عدة كتب وشيدت المدرسة الخاتونية. توفيت عام 1161م.

ز – مزنة متوفية كاتبة حاكم الأندلس الخليفة الناصر , ومعنى كاتبة لدى الخليفة . يعني انها بلغة اليوم رئيس الوزراء نعم وقد كانت من أشهر الخطاطين في عصرها. توفيت سنة 358هـ[3]

ح – شهدة الدينورية :بنت أبي نصر بن الفرج بن عمر الأبري، الكاتبة الدينورية الأصل، بغدادية المولد والوفاة، كانت عالمة فاضلة محدثة كاتبة، تكتب جيداً، وأخذ عنها الخط العربي كثيرون منهم الخطاط ياقوت الملكي، وهو كاتب السلطان ملكشاه . وهو غير ياقوت المستعصمي، توفيت سنة 574هـ .[4]

ومما يروى عن الخط سابقاً هذه القصة الطريفة التي حدثت في زمن الكامل أبو الفتح عام 1226 م:

(فقد أحضرت امرأة اسمها بنت خداوري من الاسكندرية ولدت من غير يدين، فجيء بها بين يدي الوزير رضوان، فعرفته أنها تخط برجليها فأحضر لها دواة، فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم ترض شيئا من الأقلام

---

(3) الخطاط حسن المسعود، المرأة والخط، موقع الخطاط نفسه

(4) محمد خير يوسف، المؤلفات من النساء، دار ابن حزم، ط2، 2000، ص 58

المبرية التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته، وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ماتكتبه النساء بأيديهن)[1].

وكان في الربض الشرقي من قرطبة مائه وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بخط الكوفي. فإذا كان العدد في حاضره واحدة عربية فما عدد الكاتبات في العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

بل وارتبط جمال الخط بجمالها في التاريخ العربي، فعندما أسس الخليفة المأمون . دار الحكمة . وأراد ترجمة كل كتاب معروف في العالم إلى اللغة العربية شجع ذلك مهنة الخط للرجال والنساء، وفي أحد الأيام وهو يتجول في مكتبته الكبيرة ينظر الخليفة إلى أصابع خطاطة اسمها . منصف . فتملي عليه قريحته هذه المداعبات :

أَرَاني مَنَحتُ الحُبَّ من ليس يعرفُ   فما أنصَفتني في المحَبَّة مُنصفُ

سريعة جري الخط تنظم لؤلؤا   وينثر دُرًّا لفظها المترشف

وَزادت لدينا حُظوة ثم أعرَضت وفي اصبعَيها أسمرُ اللونِ أهيفُ

أصمُّ سميع ساكن متحركٌ ينالُ   جسيمات العُلى وهو أعجفُ[2]

والمقصود بأسمر اللون القصبة التي تستعمل كقلم للخط.

ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبة فقال : كأَنَّ خطها أشكال صورتها، وكأن مِدَادَها سوادُ شعرها، وكأن قرطاسها أَدِيمُ وَجْهِها، وكأنَّ قلمَها بعضُ أناملها، وكأن بنانَها سِحْرُ مقلتها، وكأن سِكّينها غُنج لحظها وكأن مِقطَعها قلبُ عاشقها[3] .

المسار الثالث : خاتمة

وبعد ؛ فها قد أناخت جمال هذه الرّحلة التراثية بأعتاب عصر الرقمنة والتقنية موصية بالآتي :

- ضرورة تحويل المخطوط إلى قضية وطنية تشغل بال الإرادة السياسية، فالمخطوط لا يقل أهمية عن الآثار والرموز الثورية والوطنية، من خلال العمل على إنشاء متحف وطني يختص بالمخطوط جمعا وحفظا ودراسة ونشرا .
- ضرورة إعداد فهرسة كوديكولوجية لمخطوطات كل منطقة، ومن ثم التبادل بين مختلف الجهات للاطلاع والتعاون
- استنهاض همم أساتذة الجامعات بمختلف تدرجاتهم وتخصصاتهم للمساهمة في إرساخ ثقافة المقروئية والحفاظ على التراث.

---

[1] محمد طاهر المكي، تاريخ الخط العربي، مكتبة الهلال، مصر، 1939 ص 302

وقال في ذات الكتاب : خُدَاوردي : خدا بالفارسية الله/ وِردي بالتركية أعطى..فيصبح المعنى البنت التي أعطاها الله لنا

[2] الخطاط حسن المسعود، مرجع سابق

[3] الخطاط حسن المسعود، المرجع نفسه

- الإعداد لدورات علمية تقنية في صناعة وتحقيق المخطوط، يشرف عليها علية المحققين والمتخصصين بغية تكريس رؤية معاصرة للمخطوط، وكذا قطع دابر مرتزقة التراث .
- بث الوعي وسط الناس من خلال أقنية التواصل المختلفة للتعاون مع مخبر المخطوطات بالجامعة بغية الحفاظ على المخطوط، وفي سبيل ذلك لا مندوحة من تخصيص "أسبوع المخطوط العربي" يعقد كل سنة للتذكير والتنبيه، ولا بأس من تعضيد ذلك بحصة إذاعية دائمة تعمل على ذات الغرض.
- تشجيع أهل البر والإحسان على تحمل جزء من أعباء المسؤولية التاريخية إزاء الموروث الحضاري، من باب :

وقائلةٍ أنفقتَ في الكُتبِ ما حَوَت   يمينُك مِن مالٍ فقلتُ دعيني

لعلي أرى فيها كتابًا يدلني   لأخذِ كتابي آمِنًا بيميني

وفي الختام يحدوني أمل كبير أن يساهم هذه الملتقى في لفت الانتباه إلى هذا المخزون الاستراتيجي للأمة الأمر الذي من شأنه أن يبصرّ الدارسين والباحثين وغيرهم بتاريخهم، ويعكس رؤية واضحة عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وأخيرًا..

أيها الملتقى الطيب :

هكذا هي ثلاثية الإعجاب، إبداع وإمتاع، ذوق وشوق، خط وحظ، ورق وألق...فسلام على ...التي أبدعت فأمتعت وسطرت فبصرت وخطت فحطت على سويداء القلوب...ولو استطعت أن أكون سطرا في مخطوط من مخطوطاتهم لكنت ..كما قال أبو تمام :

مداد مثلُ خافية الغراب   وقرطاس كرقراق السراب

وألفاظ كألفاظ المثاني   وخط مثل وشم يد الكَعاب

كتبتُ ولو قدرت هوى وشوقاً   إليكِ لكنتُ سطراً في كتاب

مراجع البحث

(1) أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط المغرب، ط3

(2) أحمد شوحان، رحلة الخط العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط4، 2004
(4) محمد خير رمضان يوسف، عجائب الفكر وذخائر العبر، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2000
(5) محمد خير رمضان يوسف، نوادر الشوارد، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1999
(6) محمد خير رمضان يوسف، سفينة الذهب من الثقافة والأدب، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 2006
(7) محمد خير يوسف، المؤلفات من النساء، دار ابن حزم، ط2، 2000
(8) زهير علوان، قصص عجيبة ومفارقات غريبة، دار الفكر، لبنان
(9) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عُمدة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط1، 1409
(10) عابد سليمان المشوخي، أخلاقيات الوراقة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد2، 2003
(11) محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط1، 2007
(12) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب
(13) عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ، السعودية، 1999
(14) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت
(15) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998
(16) محمد طاهر المكي، تاريخ الخط العربي، مكتبة الهلال، مصر، 1939
(17) المركز الوطني للتراث المخطوط، كيف نصون مخطوطاتنا، مطبعة النجاح، المغرب، 1998
(18) مركز جمعة الماجد للتراث، صناعة المخطوط العربي، إدارة المطبوعات، جامعة الإمارات
(19) هلال ناجي، محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994
20) http://hassan.massoudy.pagesperso-orange.fr
21) http://www.assala-dz.net/ar
22) www.alukah.net
23) alexlisdept.blogspot.com
24) www.almarkaz.ma
25) ar.wikipedia.org

" المخطوطات العربية في المكتبات الغربية ".

أ.سليم خيراني

جامعة الجزائر

أ.جمال عبد الكريم

جامعة الجلفة

الحمد لله رب العالمين جعل ذكره حدائقَ للمؤمنين، ومناجاته غذاء أرواح المتقين، والتضرع إليه عزّ العاملين، نحمده على نعمه، ونسأله المزيد من كرمه، ونصلي ونسلم على من بُعث رحمة للعالمين .

ما هو المخطوط ؟:

المخطوط اصطلاحا: هو الكتابُ الذي خُطَّ باليد، في أي نوع من أنواع الفنون والعلوم، سواء كان على ورق أو على أية مادة أخرى كالجلود والألواح الطينية القديمة والحجارة وغيرها.

وقد يكون للمخطوطِ نُسَخٌ مُتعدِّدَةٌ (نُسَخُ المخطوط)، والتعاملُ معه يكون بالورقات وليس الصفحات، فنقول مثلا: يضمُ المخطوط 50 ورقةً وليس صفحةً، ولكل ورقةٍ وَجْهٌ وظَهْرٌ.

لا جرم أن المخطوطات وعاءٌ للفنون التراثية الأصيلة التي حازت قصب السبق ، وسعة الذَرع؛ ونالت الإمامة العظمى عند القدماء؛ ذلك أن شرف العلم من شرف المعلوم، وحصول الأنس بالتراث العربي الإسلامي من منظور التحقيق والتدقيق موجب لإعمال الفكر، وإجالة النظر في أصول العربية وسننها.

ولعل من الدواعي التي حركت الولوج في تخوم عالم المخطوطات، الحاجة الملحة لكشف اللثام عن مكنونات هذا الدرر النفيسة، ولا غرو أن الغوص في المخطوطات تحقيقًا وإخراجاً هو قيمة معرفية مضافة لسلسلة البحوث الرصينة التي تحاول إيجاد مكانة متواضعة في المكتبة العربية والإسلامية.

لقد تعرّضت المخطوطات العربية لأبشع المآسي أثناء الحروب والفتن المتكررة في العالم الإسلامي، ولاشك أن ما وصل إلينا من ملايين المخطوطات العربية والإسلامية قليل للغاية وقد تضافرت عوامل عدة في صناعة هذه المأساة ولعل من أهمها :

1- **سقوط بغداد** على يد التتار بزعامة **هولاكو** عام 1258 م حيث دمرت الملايين من المخطوطات من مكتبات بغداد سواء بالحرق أو بالإلقاء في نهر دجلة الذي تحولت مياهه إلى اللونين الأسود والأحمر من مداد الكتب ودماء القتلى.

2- **الغزو المغولي** بقيادة **تيمور لنك** الذي حكم ما بين 1370 – 1405 م الشهير بالأعرج الذي دمر في طريقه الأخضر واليابس، ومنها المخطوطات، مثل ما فعله في خراسان وأصفهان والعراق والشام والأناضول (تركيا) والهند.

3- **سقوط غرناطة** عام 1492 م، والذي فقدت فيه عشرات الآلاف من المخطوطات يقدرها أقل الباحثين إنصافا بثمانين ألف مخطوط حيث كان أول عمل قامت به قوات الملكة إيزابيل وزوجها فرناندو عند دخولها آخر المعاقل العربية، غرناطة عام 1492 م، هو حرق المخطوطات العربية، وشهدت ساحة باب الرملة، المعروفة اليوم باسم (بيب الرمبلا) في غرناطة أكبر عملية لحرق الكتب العربية، وصدر أمر بمعاقبة كل من يحتفظ بكتاب عربي، فعمد الجميع إلى حرق كتبهم، ويقال إن الكتب العربية بقيت فترة طويلة تستعمل في غرناطة للتدفئة.

4- السرقات المتتالية أثناء الحروب الصليبية وفي عصر الاستعمار الحديث، حيث تعامل المستشرقون مع المخطوطات كغنائم حرب.

5- غياب الوعي العام – عند معظم العرب والمسلمين – بأهمية المخطوطات وقيمتها الحضارية والعلمية.

6- الإهمال في حفظ المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة.

7- بيعُ المخطوطات من بعض مالكيها للغربيين بسبب الفقر والعَوَز .

انتشار المخطوط العربي في الدول الغربية:

لقد انتقلت المخطوطات العربية إلى الدول الغربية على مراحل متعددة، عن طريق النهب والسلب، بداية من الحملات الصليبية (1096 - 1291 م) وصولا إلى الاستعمار الحديث، مع وجود عوامل أخرى منها:

– الدافع التجاري (نفاسة المخطوطات القديمة)، والذي كان يمارسه تجار المخطوطات على ضعاف النفوس من أصحاب الخزائن الخاصة، مستغلّين فقرهم وعَوَزهم، ولكن المال المُكْتَسب من بيع المخطوطات لم يكن يوازي القيمة الحقيقية الموجودة في هذه الكنوز العلمية.

– الدافع الثقافي والعلمي، وهو الاستفادةُ من الحضارة العربية الإسلامية والعملُ على نقلها إلى اللغات الأوربية، وهذا ما دفع المستشرقين للاستيلاء على المخطوطات بطرق مشروعة وغير مشروعة.

إن هؤلاء المستشرقين هم أول من فَكَّرَ في التحقيق – بداية عصر النهضة –، فقد أتقنوا لغات الشرق وأرادوا أن يدرسوا ثقافاته المتنوّعة والواسعة، فمنهم من كانوا علماء موضوعيين، ومنهم ما دون ذلك (المتحاملون)، الذين ينطلقون من الإساءة إلى التراث العربي الإسلامي، لكن الجميع خَدَمَ – بطريقة أو بأخرى – التراث العربي الإسلامي، واستطاعوا أن يخرجوا مخطوطات متنوعة إلى النور، بعد أن كانت هذه المخطوطات ترتدي الغبار وتتعطّرُ بالرطوبة وتستأنسُ بالأرضة ولم تر نور الشمس منذ قرون.

إن تهريب المخطوطات من بعض البلدان العربية والإسلامية، بطريقة أو بأخرى، أفضل من تركها رهينة الأرضة والحشرات التي تقضي عليها، (وأنا هنا لست من مشجعي السلب والتهريب، ولكن من باب " **رُبَّ ضارةٍ نافعة** "، فانتقال المخطوطات إلى الدول الغربية – بكلّ موضوعية – كان سبباً في حِفْظِها، حيث وُضِعت في أماكن آمنة معقمة مرتبة ومفهرسة، ثم إذا طلبها الباحثون تُسَلَّمُ لهم (مباشرة أو مصوّرة) بلا متاعب أو صعوبات، مقارنة مع ما يحدث – للأسف – في بعض البلدان العربية والإسلامية من إهمال للمخطوطات من

ناحية الترميم والتعقيم والترتيب والفهرسة، مع سوء معاملة الباحثين وصعوبة الوصول إلى الضالة المنشودة من المخطوطات.

وأما بالنسبة لحجم التراث العربي المخطوط في الغرب، فلا يزال مبعثراً في جميع أنحاء العالم في المكتبات العامة والخاصة والمتاحف والكنائس والأديرة، ولَم يُعرف حتى الآن عدد هذه المخطوطات على وجه التدقيق، سواء في المكتبات الأميركية والأوروبية، ويقدر الأستاذ كوركيس عواد عدد المخطوطات العربية المنتشرة في المكتبات الأميركية أكثر من 24 ألف مخطوط[1]، وأما في أوروبا، فإنّها لا تقل عن 60 ألف مخطوط، هذا غير العدد الذي بأيدي الناس، فألمانيا مثلا تُعد أغنى البلدان الأوروبية بالمخطوطات العربية، وفيها نحو 14250 مخطوطا[2]، تليها بريطانيا، وفيها 14 ألف مخطوط[3]، وفي روسيا نحو 12 ألف مخطوط[4]، إضافة إلى فرنسا، إيرلندا، إيطاليا، هولندا، النمسا، إسبانيا، بلغاريا، الدانمرك، النرويج، السويد، والفاتيكان، وفيها ما بين 3 آلاف إلى 10 آلاف مخطوط[5].

أمام هذا الكمّ الهائل من المخطوطات العربية في البلدان الغربية، نقف مذهولين لا نعرف ماذا نقول أو نفعل، فهذا هَمٌّ كبيرٌ وعارٌ عظيمٌ وحُزْنٌ دائمٌ يلاحقنا متى سافرنا إلى الغرب وتصفّحنا مخطوطاتنا العربية، فهل ستستمرّ هذه المعاناة سنوات أُخَر ؟

من هذا المنطلق أتقدم بِمقترحات أساسية عساها تعيد بعض الأمل في استرجاع تراثنا التليد:

1 – تكوين لجنة دولية تهتم بالمخطوطات تضم أعضاء من كل الدول العربية والإسلامية، تحمل اسم: " **اللجنة العالمية للمخطوطات العربية** "، والتي سَيُسْنَد لها مهام المطالبة باسترجاع كل المخطوطات العربية الإسلامية والمسيحية من الدول الأجنبية، والمشاركة في المحافل الدولية، خاصة في ملتقيات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (**اليونسكو**).

2 – تَمويل **اللجنة العالمية للمخطوطات العربية** يكون من الدول الأعضاء.

3 – إنشاء مكاتب ومواقع إلكترونية لـ: **اللجنة العالمية للمخطوطات العربية** في كل الدول المعنية.

4 – إنشاء مراكز بُحوث مُجهّزة في كل الدول المعنية، تعمل على:

أ – فهرسةُ كل المخطوطات لكل دولة واستنساخُها بالتصوير الرقمي.

ب – التنسيق بين مراكز البحوث وتبادل المعلومات.

---

[1]: فهارس المخطوطات العربية في العالم، كوركيس عواد، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، 1984، 2/ص:339 وما بعدها.

[2]: المرجع نفسه، 1 / 154 – 175.

[3]: المرجع السابق، 2 / 261 وما بعدها.

[4]: المرجع السابق، 1 / 107 وما بعدها.

[5]: المرجع السابق، 1 / الصفحات: (133، 231، 253، 274، 371، 437) وما بعدها.

2 / الصفحات: (110، 117، 292، 293، 330) وما بعدها.

- Manuscrits arabes, E. BLochet, editions Ernest Leroux, France, 1925, p: 359
- Manuscrits arabes de l'ESCURIAL, Hartwing Derenbourg, editions Ernest Leroux, France, 1884, tome: 03, p: 321.

ج – ربط مراكز البحث بشبكة الأنترنيت.

د – إنشاء قطاع معلوماتي مركزي لتأمين المعلومات الرقمية

5 – الاتفاق على بروتوكول موحد ومقنّن يتيح مرونة الاتصال وتبادل المعلومات بين مراكز البحوث على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

6 – إنشاء مجلة ثقافية وقناة فضائية خاصة بالمخطوطات.

7 – تعميم مقياس **تحقيق المخطوطات** في كل جامعات الدول العربية والإسلامية.

8 – تدريبُ طلبة الجامعات – المهتمين بالتراث – لِتعلّم تقنيات تحقيق المخطوطات في إطار الجامعات الصيفية والدورات التكوينية والملتقيات الموسمية.

9 – إنشاء جوائز تحفيزية لأفضل الأعمال في تحقيق المخطوطات.

10 – عَقْدُ الملتقيات والندوات بشكل منتظم، مع إشراك أصحاب الخزائن الخاصة في كل الدول المعنية لِخَلْق بيئة مناسبة للتعاون المشترك والاستفادة من الموروث العربي الإسلامي.

إن المخطوطات العربية أمانةٌ في أعناقنا جميعا، فهي جزء من تاريخِنا الذهبي وحضارتِنا البرّاقة، ولا يَحقّ لأي فرد منا أن يفرّط في تاريخه وحضارته، فالشعارات المستعملة هنا وهناك لا تكفي، بل يجب تكثيف الجهود على مستوى كل الأصعدة (سياسيا وإعلاميا وثقافيا واجتماعيا ....) حتى نصل إلى غايتنا المنشودة.

